

جامعة الجزائر 01 (يوسف بن خدة)

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد والأديان

## القيم الإنسانية بين اليهودية والمسيحية والإسلام

### دراسة مقارنة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية

تخصص: عقيدة

إعداد الطالبة:

عائشة أوهاب

1440/1439 هـ – 2019/2018 م

جامعة الجزائر 01 (يوسف بن خدة)

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد والأديان

## القيم الإنسانية بين اليهودية والمسيحية والإسلام

### دراسة مقارنة

تخصص: العقيدة

إشراف:

أ.د/عبد الرزاق قسوم

إعداد الطالبة:

عائشة أوهاب

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة العلمية	الجامعة الاصلية
	رئيسا		
أ.د/عبد الرزاق قسوم	مقررا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر
	عضوا		
	عضوا		
	عضوا		
	عضوا		

1440/1439 هـ - 2019/2018 م

# الإهداء

إلى الأمير عبد القادر الجزائري

الإنسان، العالم، المجاهد

الذي حارب بلا ضغينة بل لإحقاق الحق وتحقيق العدل،  
ولم يدفعه شأن من جاؤوا لاستعباده ومصادرة أرضه وحرية  
باسم المسيح، أن يحقن دماء أهل ملّتهم باسم الإسلام.

# شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد، لقد حباني الله بجميل إحسانه، فأنهيته بفضل منه إعداد رسالة الدكتوراه، فله الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما. وله الشكر على فضله و منته من قبل و من بعد. وإنه لمن لوازم شكر الله أن أشيد بفضل أهل الفضل و من ثم: فإنني أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الوافر الجميل لزوجي و رفيق دربي الذي كان حافزا لي على المثابرة و الاستمرار، و هو دائما قدوتي في العطاء غير المحدود و التواضع الجميل.

و إلى بناتي سيرين، و عائدة، و يسرى على تفهمهنّ لظرفي، و صبرهن معي، و أدعو الله تعالى أن أكون و والدهنّ لهنّ سلفا و قدوة في حبّ العلم و أهله و الصبر في دروبه. و الشكر الموفور موصول لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم على قبوله الإشراف على هذه الأطروحة، و تنويع مسيرتي العلمية بإشرافه علي في مرحلة الماجستير، و إنّي لأشكره على تشجيعه و توجيهه لي، مع كثرة أشغاله و ازدحامها، و أدعو الله عزّ وجلّ أن يبارك في عمره ويمتعه بالصحة والعافية و ينفع به العلم و أهله.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل أولئك الذين تربعت على موائد علمهم مذسرت في هذا الاتجاه و نهلت مما جادوا به علي .

و أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة على ما سيبدونه من الملاحظات القيّمة لتقويم الرسالة.

و إلى كلية العلوم الإسلامية التي تشرفت بالانتظام في صفوف طلابها. إلى القائمين على المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، و مكتبة المجلس الإسلامي الأعلى، و مكتبة دار الحديث الحسنيّة بالمغرب الأقصى.

و لا يفوتني أن أقدم كلمة شكر و تقدير صادقة إلى كل من أسهم بدور فساعدني بكتاب أو فائدة أو ملاحظة، أو كان حافزا، أو داعيا بالسداد و التوفيق لإتمام هذا الإنجاز، فلكل من ذكرت الشكر و الامتنان.

و أدعو الله أن يكون هذا العمل حسنة في سجل والديّ الذين التحقوا بالرفيق الأعلى، و ذخرا لهما و أن يرحمهما كما ربياني صغيرا.

عائشة أوهاب.

# مقدمة

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم.

إنّ موضوع القيم هو من الموضوعات التي شغلت الفلاسفة والمفكرين منذ طفولة الفكر الإنساني، وقد ازدادت عنايتهم به منذ بداية القرن العشرين، فقد أدى صعود الأبعاد الثقافية والحضارية في ظل نظام عولمة الإيديولوجية إلى تجدد الاهتمام بموضوع الأديان والحضارات، والأبعاد القيمية والثقافية التي تجسدها، وازداد هذا النقاش حضوراً بعدما أصبحت هذه الأخيرة تتصل مباشرة بمجال صراع القوى وتوازنها في العلاقات الدولية.

فالقيم العليا تشكل قاسماً مشتركاً بين البشر جميعاً، ومن ثمّ فإنّها تحمل القدرة على الجمع بينهم لتبادل الخبرات وإنزالها الى الواقع الإنساني، وما يميّز الأديان عن الفلسفات المختلفة أنّ الأولى تعاملت مع الإنسان ببعديه المادي والروحي في علاقته بالنفس والكون، في حين أنّ الثانية جزأت هذا الإنسان، وتعاملت مع كل بُعد منه منفصلاً عن الآخر، فما قامت به الشرائع هو تأكيد شمول هذه القيم لمختلف أوجه الوجود الإنساني. وقد جاءت دعوة موسى وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- لتجسيد كل ما هو إنساني، كما قال علي عزّت بيغوفيتش في كتابه 'الإسلام بين الشرق والغرب'، ص: 217.

لقد جاء الإسلام مؤكّداً أنّ ما جاء به محمد ﷺ لا يخرج عن الحقائق والقيم التي دعا إليها الأنبياء، فعن أبي هريرة أنّ الرسول ﷺ قال: «إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلاًّ وضعت هذه اللبنة، فقال: أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: خاتم النبيين ﷺ، رقم: 3534 واللفظ له، وصحيح مسلم في الفضائل، باب: كونه عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين، رقم: 2278.

وقدّم حركة النبوة كسلسلة يفضي بعضها إلى بعض من لدن آدم إلى خاتم النبوة، فقد جاء في صحيح البخاري: «الأنبياء أخوة لعالات، أبوهم واحد، وأمهااتهم شتى». [البخاري، كتاب الأنبياء رقم: 3443، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم: 2356] أراد أنّ أيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، والعَلَل في اللغ:، وهو الشُّرب بعد الشُّرب. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: علل: 291/3].

وبناء على هذا الأصل دعا الإسلام إلى الحوار مع أهل الكتاب، قصد إيجاد مناخ إيجابي؛ يستوعب أكبر قدر من المجموعات البشرية، فالسند الديني للأخلاق والقيم يتجاوز القطيعة بين بُعدي الإنسان: الروحي والمادي، ويوفق بين حاجاته وحقوق الآخرين؛ لأنها تهدف إلى تحقيق غاية خلق الإنسان. وهذه الحقائق وإن كانت واضحة جلية في البيان القرآني، فإنّ مؤشراتنا موجودة في الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية، ممّا يقتضي تسميرا منهجيا، وعلميا لإجلاتها.

فالحوار بين الأديان يكون مجديا أكثر إذا تناول المشترك الإنساني، وفيه تتحقق إمكانية التعارف والتعاون. بخلاف النقاش العقدي -على أهميته- فإنّه في الغالب الأعم يكون محدود الثمار؛ لأن أتباع الديانات المختلفة حينئذ يرون أنّ معركتهم مع الآخر هي معركة وجود. أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

كثيرا ما يتم فصل العلوم الإسلامية -بخاصة في شقها النظري- عن حركة الإنسان، بسبب الانسياق وراء إحساس خادع بالاكْتفاء، أو نتيجة لضعف في الوعي بالسياقات الحضارية؛ ومن ثمّ غياب التفاعل والحضور في معترك الصراع الفكري الإنساني؛ لذلك تُعدّ مثل هذه الدراسات من واجب الوقت، وتعدّ القيم نموذجا لما تكون عليه العلاقة بين الدين والفلسفة والعلوم الاجتماعية، وهذا العمل هو محاولة للتجسير بين الدين وهذه العلوم. وبالرغم من حماس الغرب -وهو الوعاء الحضاري للديانتين اليهودية والمسيحية- لحقوق الإنسان وللقيم في العصر الحديث؛ فإنّه ظلّ محكوما في الغالب بالحدود الجغرافية والثقافية،

وقد لاحظ الجميع تباين مواقف الغرب حيال ما تقوم به جماعات متشددة -تنسب نفسها للإسلام- من غضب وحملات إعلامية، وأحيانا تدخلا على الأرض، وردود فعله المتواضعة حيال التطهير العرقي الذي طال مئات الآلاف من البوسنيين في عمق القارة الأوروبية المسيحية باسم المسيحية، أو في إفريقيا الوسطى، أو على يد متطرفين يهود... وتعاضم التراكمات السلبية يؤدي إلى تعميق الهوة بين الطرفين؛ لذلك فإن أمثال هذا البحث لا يعدّ ضرورة معرفية فحسب، بل تستدعيه ضرورة التعايش: "فإنّه لن يتحقق سلام بين الأمم ما لم يكن هناك سلام بين الأديان"، كما قال عالم اللاهوت المسيحي هانس كونج. (مقاييس عالمية للأخلاق: 6).

لقد وضع القرآن الأطر والضوابط المنهجية للحوار الديني والحضاري على مختلف مستوياته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات 13]. وهي آية لا تدعو إلى التماثل مع الآخر، ولا تدعو إلى إلغائه.

والإسلام دعا إلى التدافع لا إلى الصراع، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت 34]. وقد لفت الانتباه إلى سنة الوجود في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٧٨﴾﴾. وقوله أيضا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [يونس 99].

ولذلك كان اهتمام أكثر الشعوب إلى الإسلام بقوة النموذج، لا بقوة السلاح، نموذج الإنسانية المنتصرة في العمرين -رضي الله عنهما-، وفي صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-، وفي نموذج الأمير عبدالقادر الجزائري، وفي التجار المسلمين الذين حملوا معهم القيم الإسلامية في معاملاتهم.

## الإشكالية :

تحاول هذه الدراسة الاجابة على التساؤلات التالية:



ما علاقة القيم الدينية بالقيم الإنسانية؟ وهل تقتضي وحدة المصدر في الديانات السماوية الثلاث، وحدة البنية القيمية؟ وهل تدخل هذه القيم تحت طائلة مقولة نسبية القيم والأخلاق؟ ثم هل تعكس تصرفات أتباع هذه الديانات بالضرورة حقيقة القيم التي دعت إليها دياناتهم؟ أو أنّ هناك مفارقات كبرى بين هذه القيم، والأهداف الحضارية والممارسات العملية لأتباعها؟

وإذا كان الأمر كذلك، ألا يبرر هذا إشكالية العصر، حيث أصبحت الفلسفات الحديثة تنظر إلى الإنسان من خلال البُعد المادي، لا باعتباره كائناً معنوياً؟

### الدراسات السابقة :

أولاً: ما يتعلق بالرسائل العلمية: فبعد البحث والاستعلام من الأساتذة المتخصصين، لم أجد رسالة بهذا العنوان.

بيد أنّني اطّلت على كتاب يتقاطع موضوعه في جانب منه مع رسالتي، وهو في الأصل أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، للباحثة ريمة شريف الصياد، الموسومة بـ: 'الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم'، وقد نهجت فيها الباحثة على نهج كتاب: 'دستور الأخلاق في القرآن الكريم' للدكتور العلامة محمد عبدالله دراز، وقد احتوى البحث على مادة علمية قيمة تنم عن تضلع الباحثة وتمكنها في علم مقارنة الأديان، غير أنّها اعتمدت منهجاً عمدت فيه إلى عدم التسوية بين النصوص في التوراة، بل ذهبت إلى الترجيح بينها بما رآته مقاييس منطقية، واعتمدت على المصدر الألوهيمي مع التقليل من شأن المصادر الأخرى، وهو في اعتقادي إمعان في 'الماينبغيات'، إذ أنّ علماء الديانتين قد وضعوا مناهج ومقاييس في التعامل مع النصوص تواضعوا عليها، كما أنّ أتباع الديانتين درجوا على عدم التفريق بين النصوص إلا إذا تعلق الأمر بالبحث العلمي، ويصدق الأمر أيضاً على كثير من الدراسات، تتعامل مع النصوص الإنجيلية وتهمل 'رسائل بولس'، لأنها تعتبره طارئاً على الديانة المسيحية، أو العكس.

ورسالة أخرى موسومة ب: 'الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية' للباحثة كريمة دوز، تناولت صاحبته نماذج من الأخلاق في الأديان السماوية والفلسفة الغربية، مكتفية بالعرض دون تحليل.

ثانيا: الكتب المتخصصة في المذاهب الأخلاقية والقيم والأديان السماوية وكتب مقارنة الأديان عامة، وهي كثيرة. لم تخلُ من إشارات إلى هذا الموضوع. وكذلك ما كتب من مقالات في بعض الدوريات العلمية المتخصصة.

ثالثا: المواقع الإلكترونية: ولا يفوتني أن أتبه إلى ما تقوم به بعض المراكز والمؤسسات البحثية في البلاد العربية، وفي بعض البلاد الغربية، من عقد مؤتمرات يُدعى لها رجال دين من مختلف الأديان، وأكاديميين لمناقشة موضوعات مشتركة بين الأديان، وبعض تلك الأعمال موجود على الشبكة العنكبوتية، كمركز دوحة الدولي لحوار الأديان، الأكاديمية الأمريكية للدين (A A R)، والرابطة الأوروبية لدراسات الأديان (E A S R) غيرها.

### منهج البحث :

أولا: لما كان من الضروري تحديد مجال الدراسة ومنهجها، فقد ارتأيت أن أجمع بين مميزات المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والتاريخي والمقارن، للإجابة على هذه الاشكالات.

ثانيا: اعتمدت في دراستي على تتبع مادة البحث في الكتب المقدسة عند أصحاب الديانات الثلاث: التوراة والإنجيل والقرآن؛ لأنها الأصول التي تقوم عليها العقائد والأخلاق والأحكام، ثم محاولة الإحاطة بالموضوع، وتحليل مضامين تلك النصوص، بالعودة إلى الكتب التي تعتمد عليها أكثر الاتجاهات والفرق أتباعا، في تفسير مرامي تلك النصوص، أو تفصيلها، كالتلمود بالنسبة لليهودية مثلا، وقرارات المجامع المسيحية المسكونية، وأقوال آباء الكنيسة، وكبار علماء الديانتين، والرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وكتب التفسير والشروح للكتب

الحديثية، ثم الاستعانة بمؤلفات لكبار علماء الديانات الثلاث، أو لأكاديميها في العصور المتأخرة.

وأما المنهج التاريخي، فقد وظفته لأنه لا غنى عنه للفهم والإحاطة بكل ما يتعلق بالديانة اليهودية، فالتوراة هي بالدرجة الأولى كتاب تاريخ اليهود، وهي ديانة يتشابك فيها الديني بالتاريخي، وقد عرفت المسيحية أيضا في تطورها مراحل تاريخية، لا يمكن فهم الديانة إلا من خلالها، التاريخ السابق لعملية الصلب، وتاريخ الديانة بعد الصلب وتبوأ بولس موقع الصدارة فيها، ومرحلة الإصلاح.

أما الإسلام؛ فإنه وإن لم يعرف النص الأصلي فيه (القرآن الكريم والسنة الصحيحة) تطورا ولا تحريفا، إلا أن تجسيد القيم روحية كانت أم أخلاقية في أيّ دين كان يتفاوت بحسب الظروف التاريخية والحالة الحضارية، ووعي الإنسان بها.

ولما كانت الحضارات نقاط التقاء بين وحي الله ونشاط الإنسان في زمان ومكان معينين، فإنه من التجني الحديث عن قيم الإسلام -مثلا-، في هذه الحالة البالغة السوء التي تعيشها جلّ الشعوب الإسلامية، أين أصبح العدل هو المساواة في الظلم، لذلك فإنني سأكتفي بذكر بعض الخبرات الإنسانية تاريخية واجتماعية لتفسير بعض الوقائع، أو الاجتهادات التي تحمل طابعا أخلاقيا أو تنطوي على قيم معينة.

كما استعنت بالمنهج المقارن للكشف عما يمكن أن يكون بين هذه الأديان من علاقات ومجالات اشتراك، أو من اختلاف وتمايز، وهو أحد أهداف البحث.

والمقارنة منهج قرآني صميم، فبالأضداد تمايز الأشياء، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر 7]. وهي تساعد الباحث أيضا على احراز نظرة متكاملة للموضوع، والإحاطة بمختلف أبعاده، هذا وقد قمت بمقارنة الأصول والمصادر المؤسّسة،

ولوازمها، وآثارها، من خلال القيم المختارة. وفي الأخير محاولة تفسير مجالات وأسباب الاشتراك والتباين.

وترتكز المقارنة على الأصول التي تشترك فيها الديانات الثلاث، وأحيانا على القيم، والآثار المترتبة عليها إذا وُجدت. ذلك أننا لا نجد -مثلا- فكرة العهد والميثاق -وهي أصل تقوم عليه الديانة اليهودية- لا في المسيحية ولا في الإسلام، لكننا يمكن المقارنة بينها من خلال القيم والآثار التي ترتبت عن هذه الأصول، في قيمتي (الحق) و(العدل) مثلا. والأمر ذاته ينطبق على الصلب والفداء، وهو من أصول العقيدة المسيحية، بخلاف اليهودية والإسلام. وقد التزمت في المقارنة بالمسلك الذي ذكره أبو الحسن العامري في مقارنته بين الأديان المختلفة، وهو أن لا يوقع المقايسة (المقارنة) إلا بين الأشكال المتجانسة، فلا يُعتمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، ويعمد إلى أصل من أصول هذا فيقيسه بفرع من فروع ذلك [الإعلام بمناقب الإسلام ص: 152].

ولا أفف عند مناقشة أو نقد العقائد أو الوقائع من ناحية الصحة والبطلان، كصحة صلب المسيح أو الحروب التي خاضها سيدنا موسى -عليه السلام-، أو تحريف كتبهم المقدسة، وإنما أكتفي بذكر ما جاء في كتبهم مع التسليم لهم بما يعتقدونه ومناقشته، ثم مقارنته، فللنقد بالمعنى الأول مناهجه، ومراجعته، ومظانه.

وقد حرصت على الرجوع إلى كتب كبار علماء كل ديانة، أو المتخصصين فيها. كما اعتمدت على الكتب الأصلية المترجمة من اللاتينية مباشرة أو العبرية إلى العربية مثل كتاب: موسى بن ميمون وسعديا الفيومي، وأدين شتا ينسالتز، والقديس أغسطينوس وتوما الأكويني وغيرهم وجلّ هذه الكتب ترجمت من قبل علماء متخصصين أو ضمن مشاريع بحثية كبيرة. وانتظم هذا البحث في:

**المقدمة:** التعريف بالموضوع وأهدافه وأسباب اختياره، والمنهج الذي سلكته في الإجابة عن إشكاليته، والصعوبات الموضوعية التي اعترضتني، وتقسيمات البحث، وذكرت الدراسات السابقة، التي تتقاطع مع موضوع رسالتي أو مع جانب من البحث.

وارتأيت أن أستهل هذه الأطروحة **بفصل تمهيدي**، حاولت من خلاله التعريف بالقيم ضمن الحقل المعرفي الذي ولدت فيه (الفلسفة)، وركزت فيه على أم الإشكاليات المتعلقة بالقيم، وهي المصدر، واتخذت من قطبي النسبي والمطلق أساساً، ذلك أنّ جلّ النظريات المتعلقة بالقيم تلتقي أو تختلف حولهما، إذ بينما ترى الكثير من المدارس الفلسفية أنّ القيم تمضي رقباً من النسبي إلى المطلق، يجنح أصحاب المنهج العلمي إلى أنها تنتقل من النسبي إلى النسبي، ويؤكد أنصار المنهج الديني أنّها تصدر من المطلق إلى النسبي، وتوقفت هنا عند علاقة القيم الدينية بالقيم الإنسانية.

ولما كانت العقيدة هي أصل كل التصورات والمفاهيم والقيم، فقد خصصت الباب الأول لدراسة مصادر الديانات الثلاث، من خلال كتبها المقدسة والمصادر الأصلية التي تستلهم منها قيمها وأخلاقها، وتشريعاتها ابتداءً بالتوراة.

وقد تناولت بشيء من التفصيل نظرية تعدد مصادر هذا الكتاب، لما له من أثر في العقيدة والقيم والأخلاق في هذه الديانة، ثم التلمود لأنه يعد عند أكبر الفرق اليهودية المصدر الثاني بعد التوراة، إن لم يكن متقدماً عليها. ثم ثنيت بالمصادر المسيحية المتفق عليها، والمختلف فيها، ابتداءً بالأنجيل المتشابهة، والرسائل العامة والرعية وقرارات المجامع المسكونية، وكلها مصادر تكاد تتفق عليها كبرى فرقهم.

بينما في الإسلام يقوم الدين على المصادر الأصلية ممثلة في القرآن الكريم وما صح من السنة النبوية، وما دلّ عليهما من القياس والاجماع، باعتبارهما ملحقين بالمصادر الأصلية، وما يستتبعه من المصادر التبعية كالعرف، والمصالح المرسلة.

وعقدت فصلا تناولت فيه الأصول المؤسسة للقيم في الديانات الثلاث؛ ذلك أنه لا يمكن دراسة أية مسألة تتعلق باليهود أو اليهودية، بعيدا عما أسماه المتخصصون ثلوث: (الإله، والعهد، والأرض الموعودة). فعلى هذه الأركان الثلاث تقوم العقيدة والأخلاق والتشريعات. وما قيل في الديانة اليهودية، ينطبق على الديانة المسيحية، فإنّ جميع الأخلاق والقيم، وما احتوت عليه الديانة من تشريعات -على قتلها- إنّما هي آثار ولوازم الأصول الثلاث، التي قامت عليها المسيحية، وهي عقيدة التثليث، وعقيدة الصلب والفداء، التي انبثق عنها الإيمان بعالمية المسيحية، وارتبطت بشكل مباشر بقيمة العدل، وجلّ مسائل الديانة، كنسخ الشريعة الموسوية، والشفاعة والدينونة.

وختمتُ الباب بالأصول المؤسسة للقيم في الإسلام، والتي تقوم على التوحيد والتكريم والاستخلاف. فالمضامين الدلالية للخطاب الإلهي، تنطلق من هذه الأصول لتنتج أحكاما وقيما ثابتة، تنسجم ومقتضيات الفطرة وتضبط تصرفات المكلفين.

وقد اخترت قيمة الحق والعدل والمساواة، كنماذج تطبيقية في الباب الثاني والثالث والرابع؛ ذلك أنّ الحق والعدل هما أولى فضائل النشاط البشري، فبالحق قامت السماوات والأرض، وفي العدالة تتمثل كل الفضائل، وأساسها وجوهرها أصل المساواة.

وضمنت خاتمة البحث خلاصة عن موضوع الأطروحة، وأهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث، مع التوصيات وآفاق هذا الموضوع وذيلت الرسالة بفهارس علمية.

كما أنني عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية، بعد النص مباشرة. خرجت الأحاديث من مظانها بذكر الكتاب والباب والرقم، أو الجزء والصفحة. وأكتفي بالتخريج من الصحيحين أو أحدهما، إن وجد فيهما.

قمت بعزو جميع النصوص التوراة والأنجيل والرسائل في البحث إلى مواضعها، بذكر السفر ثم الأصحاح ثم الصفحة، وقد اختصر في بعضها ب: [تكوين: 2/1]، بدل [سفر التكوين: 2/1]، أو [ر-ب إلى أهل غلاطية] بدل [رسالة بولس إلى غلاطية].

قد أحيل على أكثر من سفر أو أصحاب في موضوع واحد لبيان أطراد وجود المسألة في أكثر من مصدر في التوراة. والأمر ذاته في الأناجيل.

عند اعتمادي على أكثر من طبعة لمرجع واحد، فإنني أشير إلى تلك الطبعة. عرفت ببعض الأعلام، وبخاصة غير المشهورين. وكذا بالنسبة للأماكن والبلدان والجماعات بإيجاز في الهامش. وقد أكتفي في صلب البحث بذكر تاريخ وفاة العَلَم، أو منصبه الديني، أو الاجتماعي، كما شرحت أهم المصطلحات الواردة في الرسالة، وبعض الألفاظ الغريبة.

وقد استعملت بعض الرموز للدلالة على المعاني التالية:

ق-ك.م، قاموس الكتاب المقدس.

ن.م.س--، أي نفس المرجع السابق.

د.ت، دون تاريخ .

د.ط، دون ذكر اسم الناشر.

ت: ترجمة.

تح: تحقيق.

ت وبعده أرقام: المقصود به تاريخ الوفاة.

## الصعوبات.

بعد التوغل في البحث وجدت نفسي أمام موضوع هو أقرب إلى مشروع بحث علمي، تتقاسمه فرق بحثية، لا موضوع أطروحة علمية. وقد نبهني أحد الأساتذة المتخصصين في

مقارنة الأديان<sup>1</sup>، إلى أنّ موضوع الرسالة يصلح أن يكون موسوعة علمية، فكل باب في هذه الرسالة، يمكن أن يكون موضوعا مستقلا.

وإني كلما خضت في جزء من البحث أتذكر قول الشاعر العربي في وصف ابن عباد الأندلسي:

رأيته فرأيت الناس في رجل \*\* والدهر في ساعة والأرض في دار<sup>2</sup>.

ومن الصعوبات التي تعرض للباحثين في مجال مقارنة الأديان، أنّ الترجمات العربية لكتب اليهود والنصارى ومعاجمهم، بخاصة منها تلك المنقولة من اللاتينية، أو العبرية، أو اليونانية، تحتوي على عدة مشكلات فنية، أهمها: ركافة الأسلوب، ووجود الأخطاء الإملائية والنحوية، إضافة إلى التضارب بين النسخ، وبين الترجمات.

وأما ما يتعلق بالموضوع، فأهم ما قد يُربك الباحث في مثل هذه الموضوعات، معادلة التزام الموضوعية، وتجنب الوقوع في التماهي، والدوبان في الآخر؛ إذ أنّ كثيرا ما يكون الحديث عن القيم إشكاليا غير بريء، وهو بقدر ما يوفر الأرضية المثالية للتبادل مع الآخر إلاّ أنّه يستدعي استحضار أبعاد الموضوع.

خطة البحث.

قسمت البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة أبواب وتحتها فصول ومباحث ومطالب

وخاتمة:

المقدمة:

<sup>1</sup> هو الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي. بمناسبة ملتقى علمي أقيم بدار الحديث الحسنية في الرباط.  
<sup>2</sup> انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي (ت: 1102هـ). ونسب البيت إلى الأرجاني، وروي أيضا "لقيته". تحقيق د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب. ط الأولى، 1401هـ/1981م. 275/2.



وتتضمن التعريف بالموضوع وأسباب اختياري له، الإشكالية التي يسعى البحث للإجابة عنها، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع، وخطة البحث، والصعوبات.

**الفصل التمهيدي: فلسفة القيم مفهومها، طبيعتها وعلاقتها بالدين.**

### الباب الأول:

**الأصول المؤسسة للقيم في اليهودية والمسيحية والإسلام ومصادرها.**

الفصل الأول: الأصول المؤسسة للقيم في اليهودية ومصادرها.

الفصل الثاني: الأصول المؤسسة للقيم في المسيحية ومصادرها.

الفصل الثالث: الأصول المؤسسة للقيم في الإسلام ومصادرها.

الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في الأصول المؤسسة لليهودية والمسيحية

والإسلام ومصادرها.

### الباب الثاني:

**قيمة الحق في اليهودية والمسيحية والإسلام وأثرها.**

الفصل الأول: قيمة الحق في الديانة اليهودية وأثرها.

الفصل الثاني: قيمة الحق في الديانة المسيحية وأثرها.

الفصل الثالث: قيمة الحق في الإسلام وأثرها .

الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في قيمة الحق في اليهودية والمسيحية

والإسلام.

### الباب الثالث:

**قيمة العدل في اليهودية والمسيحية والإسلام وأثرها.**

الفصل الأول: قيمة العدل في الديانة اليهودية وأثرها.

الفصل الثاني: قيمة العدل في الديانة المسيحية وأثرها.

الفصل الثالث: قيمة العدل في الإسلام وأثرها.

الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في قيمة العدل في اليهودية والمسيحية والإسلام.

### الباب الرابع:

قيمة المساواة في اليهودية والمسيحية والإسلام وأثرها.

الفصل الأول: قيمة المساواة في الديانة اليهودية وأثرها.

الفصل الثاني: قيمة المساواة في الديانة المسيحية وأثرها.

الفصل الثالث: القيمة الإنسانية للمساواة في الإسلام وأثرها.

الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في قيمة المساواة في اليهودية والمسيحية والإسلام.

الخاتمة.

الفهارس:

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث والأثار.

فهارس التوراة والأنجيل والرسائل.

فهرس الأعلام.

فهرس البلدان والجماعات.

فهرس (قائمة) المراجع والمصادر.

فهرس المحتويات.

وأخيرا أسأل الله تعالى الإخلاص في القصد والصحة في الفهم والبيان في الكتابة والتوفيق في العمل، والقبول للجهد. وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين.

# الفصل التمهيدي: فلسفة القيم مفهومها، طبيعتها وعلاقتها بالدين.

المبحث الأول: القيم تعريفها وأنواعها

المبحث الثاني: القيم في الفكر الفلسفي ومراحل ظهورها

المبحث الثالث: علاقة القيم الإنسانية بالقيم الدينية وأهميتها

## المبحث الأول: القيم تعريفها وأنواعها.

### المطلب الأول: تعريف القيم والألفاظ ذات الصلة.

#### أولاً: تعريف القيم لغة.

جاء في القاموس المحيط: قامة الإنسان، وقيمته، وقومته، وقوامه، وهو قَوِّيمٌ، قَوَّامٌ كشدّاد: حسن القامة، والقيمة بالكسرة واحد القيم، وما له قيمة إذا لم يدم على شيء؛ وقومت السلعة واستقمته: ثمنته<sup>1</sup>.

وذكرها ابن فارس بمعنى العزيمة فيقال: قام بهذا الأمر أي اعتنقه، والعرب تقول: في الأول قيام حتم وفي الآخر قيام عزم. ثم ذكر في الباب: أن الأصل فيها الواو، وأصله: أنك تقيم هذا مكان ذلك. ومن الباب: هذا قَوَّامٌ الدين والحق، أي به يقوم<sup>2</sup>.

ومنه أيضاً: التوقّف في الأمر. وهو الوقوف عنده من غير مجاوزة له. وأمّا القوام فهو العدل، ودينار قائم، إذا كان مثقالاً سواء لا يرجح<sup>3</sup>.

وفي المعجم العربي الأساسي: قِيمٌ، يقيم تقييماً الشيء قدر قيمته<sup>4</sup>.

وفي مجال السلوك يقال: أمة قائمة، أي: متمسكة بدينها، وفي قوله تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ

قِيَمَةٌ﴾ [البينة: 3]، أي: مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان، والملة القيمة:

1 القاموس المحيط، للفيروز بادي، دار الكتاب العربي، د.ت، ج4، ص: 168.

2 معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس الزاوي (ت: 395هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2008م، ج2، ص: 379.

3 كتاب جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: 329)، ت: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، 1987م، ج2، ص: 978.

4 المعجم العربي الأساسي، تأليف وإعداد: جماعة من كبار اللغويين العرب، الناشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، 1989م، مادة: ق.ي.م، ص: 1020.

المعتدلة والأمة القيمة كذلك، وقوام كل شيء ما استقام به، والقيم هو السيد، وسائس الأمر، و يوم القيامة أي يوم البعث الذي يقوم فيه الخلق بين يدي الحي القيوم، وهو الذي يقوم بتدبير أمر خلقه<sup>1</sup>

### ثانيا: التعريف الاصطلاحي للقيم.

كلمة القيم تختلف من ثقافة إلى أخرى، فللكلمة في اللغة الفرنسية مثلا معنى له مدلول نفسي ومعنوي، أما في اللغة الانجليزية فيرتبط بالجانب العملي. ويقال الأمر ذاته إذا تعلق بالموضوع.

إذ يطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا التقدير كثيراً أو قليلا، فإن كان مستحقا للتقدير بذاته كالحق، والخير، والجمال، كانت قيمة مطلقة، وإن كان مستحقا للتقدير من أجل عرض معين كانت قيمة إضافية.

ويطلق لفظ القيمة في عالم الأخلاق على ما يدل عليه لفظ الخير، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية، "ومنه كون الشيء مطلوباً أو مرغوباً فيه عند شخص أو عند طائفة من الأشخاص، مثال ذلك قولنا إن النسب عند الأشراف قيمة عالية"<sup>2</sup>.

فالقيم هي كل ما يثبت إنسانية الإنسان ويؤكد لها ويسمو بها، من درجة إلى أخرى أعلى منها، وباستمرار، مع رغبته فيه أو قابليته للرغبة فيه<sup>3</sup>.

أما في عالم الاجتماع؛ فتتمحور مختلف التعاريف للقيم حول كونها مجموعة من القوانين والمقاييس، تنبثق عند جماعة ما، وتتخذها معايير للحكم على الأفكار والأشخاص في

1 تاج العروس محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، بيروت 1966، ج9، ص: 35 وما بعدها.

2 انظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ج2، ص: 212، 213.

3 نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، د. الربيع ميمون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1980م. ص: 327.

تمظهرهم الفردي والجماعي، وكذا الحكم على التصرفات والمسلكيات، ويكون للقيم من القوة والتأثير على جماعة ما يحيطها بصفة الإلزام والضرورة والعمومية، وأي خروج عليها أو انحراف عن اتجاهاتها يصبح خروجاً عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومثلها العليا. فالقيم إذاً "هي مُوجّهات السلوك وضوابطه وموازينه، وهي حراس الأنظمة وحامية البناء الاجتماعي ومُفعّلته، وهي مكتسبة من الظروف الاجتماعية التي يشعر بها الفرد، وتحدد مجالات تفكيره وسلوكه، وبها يحكم"<sup>1</sup>.

### ثالثاً: معنى الإنسانية:

الإنسانية: هو مصدر صناعي، أو اسم منسوب إلى الإنسان، الكائن الحي العاقل، أما المعنى باعتبار المركب الإضافي فيختلف باختلاف الحقل المعرفي الذي تدرس فيه.

فقد جاء في المعجم الفلسفي في تعريفه للمذهب الإنساني بأنه: مصطلح يستعمل في معان كثيرة، ويطلق بخاصة على الحركة الفكرية التي سادت أوروبا في عصر النهضة، وكانت تدعو للاعتداد بالفكر الإنساني، ومقاومة الجمود والتقليد، وترمي بوجه خاص إلى التخلص من سلطة الكنيسة وقيود القرون الوسطى.

وقد يُراد بها النزعة الإنسانية الإستمولوجية التي تقرّر أنّ الإنسان هو مقياس الأشياء جميعاً.

أو النزعة الإنسانية الطبيعية التي ترى أنّه لا يوجد سوى نظام واحد للوجود وهو العالم الطبيعي. وأنّ الإنسان كائن طبيعي فحسب. ليس لسعادته ورضاه سوى جهوده الخاصة. أو

1 انظر: معجم مصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة، د. أحمد زكي بدوي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1412هـ، 1991م، ص: 369. ومقدمة سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر، د. أحمد عبادي، أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، 21-22-23 جمادى الثانية 1432هـ، 25-26-27 ماي 2011م. تقديم د. أحمد العبادي. طبع أبي رراق للطباعة والنشر، (ط) الأولى، 1433هـ-2012م. الدار البيضاء، المغرب. ص: 7.

النزعة الإنسانية الدّينية، وتعتبر الدّين نشاطا ينطوي على مبادئ رفيعة، وله اتجاه اجتماعي، وأنّ كل ما يسهم في سعادة البشر إلهي<sup>1</sup>.

#### رابعا: القيم الإنسانية.

بناء على ما سبق في بيان معنى القيم ومعنى الإنسانية، يمكن تعريف المركب الاضافي "بأنها موجهات للسلوك الإنساني التي يعدّ الدّين أحد أهم ضوابطها، باعتبار أنّ وجود الإنسان ومصلحته حالا ومآلا أهم مقاصده".

#### خامسا: الألفاظ ذات الصلة:

##### أ- القيومية:

هي قيام الموجود بذاته، أو وجوب وجوده من ذاته، وهي صفة من صفات الله تعالى، فهو حي قيوم، لا يشاركه في هذه الصفة موجود، والقيومية مقابلة للتبعية، وهي كون الموجود قائما بغيره<sup>2</sup>.

##### ب- التقييم:

هو الحكم على قيمة الشيء، وبيان مبلغه من الكمال عبر محاكمته إلى معايير محدّدة، كالحق والخير والجمال والمنفعة، لإظهار ما فيه من جودة ورداءة، وهذا ما يجعله مقابلا

1 انظر ملحق كتاب لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، الدين والأخلاق والعولمة، هانس كينج، ترجمة ثابت عيد، المركز القومي للترجمة الطبعة الأولى: 2015، القاهرة، ص: 744، نقلا عن المعجم الفلسفي، ص: 174. ومعجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. أحمد زكي بدوي، ص: 202-203.

2 المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ج2، ص: 210.

للوّصف، والتفسير والتعليل مقابلة الحق للواقع، أو مقابلة ما يجب أن يكون لما هو كائن بالفعل<sup>1</sup>.

والتقييم هو وضع العلاقات، وإصدار الحكم في سياق قيمى، والبحث عن رتبته التي قد تكون أعلى أو أقل أو مناقضة للأخرى، وهو أمر لا مندوحة عنه في دراسة الأديان<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: أنواع القيم.

يضيّق مفهوم القيم ويتسع بحسب الأوساط التي تتداوله، فهناك رجل الاقتصاد والسياسة، وهناك فيلسوف الأخلاق، وهناك رجل الآداب والفنون، وهناك عالم الدين، ولكلّ هؤلاء مفهومهم عن القيم التي تخص مجال فكرهم.

وقد صنف سبرينجر القيم من ناحية محتواها إلى ستة أنماط وهي: القيم النظرية التي تعنى باكتشاف الحقائق، والقيم السياسية وتهتم بكل ما من شأنه الحيّزة على القوة والسيطرة، والقيم الاجتماعية وهي اهتمام الفرد بقيم التعاون والتكافل، والقيم الاقتصادية وتهتم بكل ما هو تحصيل للمنفعة المادية والقيم الجمالية والقيم الدينية<sup>3</sup>.

وأصبحت كلمة القيمة تدل على معانٍ متعددة، بفعل تطور مفهومها، وانتشار استعمالها في ميادين واختصاصات مختلفة.

أ- فاللغويون يدلون بها على المعنى الصحيح للألفاظ، ويحكمون على الإنسان بأنه لا يعرف قيمة الكلمات إذ يستعملها استعمالاً يبعدها عن معناها الصحيح.

1 المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج2، ص: 324.

2 قراءة في كتاب الأخلاق المسيحية نحو علم مسيحيات إسلامي، د. اسماعيل راجي لفاروقي، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ع، 72، 2013م.

3 انظر: مقدمة علم النفس الاجتماعي، د. مصطفى سويف، مكتبة الأجيّة المصرية، القاهرة، ط2، د.ت، ص: 324 و361.



ب- والموسيقيون يدلون بها على المدة التي يجب أن تكون للنوتة -الصوت- فقيمة النوتة البيضاء ضعف قيمة النوتة السوداء.

ج- والرياضيون يدلون بها على العدد الذي نستبدل به حرفاً أو عبارة جبرية.

د- وعلماء الاقتصاد يدلون بها على الصفة التي تجعل شيئاً ممكن الاستبدال بشيء آخر وهذه القيمة هي قيمة المبادلة التي تمتاز عن قيمة الاستعمال المرادفة للمنفعة، وهي معنى ذاتي تماماً، فمعنى قيمة الشيء عند علماء الاقتصاد وفأؤه بالحاجات، فإن كانت الحاجة إليه أشد كانت قيمته أعظم والعكس، وقد تدخل قيمة الشيء في مقولة الكم، فتدل على ثمن الشيء أي على الكمية، أو تدخل في مقولة الكيف فتدل على نسبة ذلك الشيء بالنسبة إلى جنسه<sup>1</sup>.

وهذا ما يفضي إلى القول بتداخل العوامل المؤسّسة للقيم وتعددتها. لكن يجب القول أن هناك قيماً مشتركة بين سائر الثقافات والحضارات والتخصصات لا ينازع في ثبوتها أحد، وهي القيم العليا التي تستقر في وجدان الإنسان... قيم الحق، والخير، والعدل، والجمال. وهي التي تسمو بإنسانيته وتتميّز بكونها مرغوبة لذاتها<sup>2</sup>. وهذا المعنى يتماشى مع طبيعة الموضوع الذي نبحثه.

1 المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، ج2، ص: 214.

2 انظر: منظومة القيم المرجعية في الإسلام، د. محمد الكتاني، مركز الأبحاث والدراسات، الرباط، 1433هـ، 2011م، ص: 15، 16، 17.

## المبحث الثاني: القيم في الفكر الفلسفي ومراحل ظهورها.

### المطلب الأول: التعريف بفلسفة القيم:

عرفها د. جميل صليبا بأنها البحث عن الموجود من حيث هو مرغوب فيه لذاته، وهي تنظر في قيم الأشياء وتحللها، وتبين أنواعها وأصولها، ونظرية القيم "axiologie": "هي البحث في طبيعة القيم وأصنافها ومعاييرها". وهي باب من أبواب الفلسفة العامة ترتبط بالمنطق وعلم الأخلاق، وفلسفة الجمال، والإلهيات<sup>1</sup>.

وجمع الفيلسوف الفرنسي لالاند في تعريفها بين:

أ- ما يكون علما قيميا تتعلّق به الدّراسة النظرية.

ب- وما يكون قيمة أو صفة لها<sup>2</sup>.

وموضوع فلسفة القيم، هو القيم وأنواعها؛ فإن فسّرناها بصورها في الذهن كانت مثالية، وإن رددناها إلى أسباب نفسية واجتماعية كانت وجودية؛ ويقدر اقتراب الفعل من صورة الخير في الذهن، بقدر زيادة هذه القيمة<sup>3</sup>.

1 المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، ج2، ص 214، 215. ومصطلح أكسيولوجيا "axiologie" كلمة يونانية مركبة من كلمتين هما "axio": ويقصد بها القيم، و "logie" وتعني علم أو مبحث. أنظر: فلسفة القيم، ماهيتها، طبيعتها، د. معيرش موسى، دار بهاء الدين للنشر، الجزائر، ط1، 2016، ص: 22، 33.

2 موسوعة أندريه لالاند الفلسفية (معجم مصطلحات الفلسفة التقنية والنقدية). تعريب خليل أحمد خليل، أشرف عليه: أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1996م، ج1، ص: 125.

3 المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1420هـ، 2000م، ص: 670، 671.

ويرى كثير من المفكرين أنّ القيم لا يمكن أن تدرس مستقلة عن الفلسفة، فهي أحد المباحث الأساسية فيها<sup>1</sup>.

فدراسة القيم كفلسفة مستقلة لم يتحقّق لها وجود إلاّ في العصر الحديث، وذلك بسبب التقدّم الباهر للعلم، وانفصال العلوم عن الفلسفة.

وبالرغم من أنّ إيمانويل كانط (1724-1804م) قد جعل من القيم موضوعاً لفلسفته، فهو مؤسس "ميثافيزيقا الأخلاق" التي نقد فيها العقل المحض لادّعائه الوصول إلى إثبات كيانات لا يمكن أن تكون موضوعاً للتجربة. كـ "الله" و"الحرية الإنسانية" ردّاً على النزعة التجريبية التي لم تدرك وجود مبادئ متعالية، واقتصرت على معطيات التجربة الحسية؛ إلاّ أنّ تصوره لها بقي في إطار من سبقوه. لكن دراستها أخذت أهمية كثيرة مع لوتز الذي كان يرى أنّ الأشياء لا أهمية لها إلا من حيث أنّها ذات قيمة بالنسبة إلينا<sup>2</sup>.

وقد حاول ماكس شيلر أنّ يضع تراتبية بين القيم، واضعاً في المصاف الأول مثلاً: احترام ما هو خير، ثم ما هو نبيل، ثم ما هو جميل... إلخ، واعتبر أنّ النظرة إلى القيم هي تعبير عن موقفنا الدّاتي تجاه الشيء الذي نقيّمه<sup>3</sup>.

1 انظر: تاريخ الفلسفة، الكتاب الأول (الفلسفة القديمة)، برتراند رسل، ت: زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957م، ص: 208.

2 موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ج2، ص: 271، 290. وانظر: نظرية القيم بين النسبية والمطلقية، الربيع ميمون، ص: 87.

3 الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، عربي-إنجليزي، د. جميل صليبا، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 2000م، ص: 368.

## المطلب الثاني: الاتجاهات الفلسفية وموقفها من القيم.

تباينت آراء الفلاسفة والاجتماعيين في موضوع القيم، بين من يرى أنها أحد المباحث الأساسية في الفلسفة، وأنه لا يمكن دراستها إلا ضمن إطارها، وبين من رأى أنه أليق بالعلوم الاجتماعية، والنفسية؛ لكنهم اتفقوا على أنها جزء لا يتجزأ من الواقع حضوراً وتأثيراً.

وقد انقسموا إلى اتجاهين كبيرين؛ حيث أعتبر بعض الفلاسفة القيمة نوعاً من الكيان الفائب للطبيعة، ينتمي إلى عالم يتجاوز المكان ويتجاوز الحواس، ولا يعرف التغيير، فالقيمة ثابتة أبداً<sup>1</sup>.

فقد رأى هذا الاتجاه أنّ القيم مطلقة<sup>2</sup>، وقد مثّلهم في العصر الحديث بيرغسون وشيلر بينما ذهب أصحاب اتجاه النسبية في القيم، أنّ النظرة إلى القيم هي تعبير عن موقفها الذاتي إزاء الشيء الذي نقيّمه، فقد رأى شوبنهاور (ولد في 1788م) بأنّ أصل القيمة هو الإرادة وليس العقل، مخالفًا في ذلك أستاذه كانط.

أمّا نيتشه فقد ذهب إلى أنّ القيمة أقرب ما تكون إلى الحالة النفسية، -شعور الإنسان بالقيمة-. وأما الاجتماعيون والماركسيون فيمثلهم كونت (1857م) ودوركايم وماركس، ويقوم مفهومهم للقيم على فكرة النسبية الاجتماعية، والنفسية، والعلاقات الطبقية، ويرون أنّها ذات طبيعة اجتماعية ومادية<sup>3</sup>.

1 انظر: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، د.جميل صليبا، ص: 268، وموسوعة الفلسفة، د.عبد الرحمن بدوي، ج2، ص: 33 - 34.

2 المطلق: هو ما هو بذاته: أي أنه مستقل بذاته، قائم بنفسه وهو يقابل النسبي. وينقسم إلى أنواع منها: المطلق المحض. موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ج2، ص: 147.

3 العمدة في فلسفة القيم، د.عادل العوّا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ط1، 1986، ص: 529، 530. وانظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ج2، ص: 41-42.

## أولاً: الاتجاه المثالي:

حاول أصحاب هذه النظرية أن يتجاوزوا نطاق الغايات المباشرة والعاجلة للأخلاق، كالشرف والتكريم والمال، ليصلوا إلى المبدأ الكامن وراءها، وهو مبدأ يعلو على كل هذه الغايات، ومنه تستمد قيمتها، فهي مبدأ أعلى ونهائي<sup>1</sup>.

ويؤمن أصحاب هذا الفكر بوجود عالمين: مادي ومعنوي، و أن الإنسان يستمد قيمه المطلقة والكاملة من السماء. وهي خالدة تتجاوزنا، ولا علاقة لها بذواتنا، أو رغباتنا، فهي تتسامى عن المنفعة، وتستدعي منا تجرّداً من ذواتنا ومصالحنا لمعرفتها<sup>2</sup>.

وهو مذهب زعيم المثالية الكلاسيكية أفلاطون (ق 7 ق.م) الذي يرى "أن النفس كانت موجودة قبل اتحادها بالبدن في عالم مفارق حيث شاهدت الكيانات العقلية أو المثل التي كانت تشكل قيماً"<sup>3</sup>، فهي ماهيات موضوعية مطلقة غير قابلة للتغيير؛ في حين أنّ الأشياء الحسية هي نسخ أو مشاركات في الحقائق الكلية<sup>4</sup>.

ومن أبرز التعريفات التي قدمت للقيم المطلقة، ذلك الذي وضعه الفيلسوف والمفكر الديني الألماني ديبتريشن فون هيلديرنند (1889-1977م) بأنّها: "ما يملك أهمية في ذاته بصرف النظر عن آثاره علينا أو فينا، فأهميته لا تكمن في صلته بنا؛ وإنّما في أمر يتقدّمنا

1 مدخل إلى الفلسفة القديمة، أ.هـ. آرمسترونغ، ت: سعيد الغانمي، شبكة الفكر المركزي الثقافي العربي، 2009م، ص: 84. وانظر: تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول الفلسفة القديمة، بيرتراند رسل، ت: زكي نجيب محمود، ص: 20.

2 انظر: نظرية القيم، ربيع ميمون، ص: 337، 338. والصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية السيد شحات، دار الكتاب العرب، ت.د، ص: 59.

3 تاريخ الفلسفة، فريدريك كوبلستون، ت: إمام عبد القّتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2002م، (المجلد الأول: اليونان وروما) ص: 244، بتصرف. وانظر: تاريخ الفلسفة برتراند رسل (الكتاب الأول: الفلسفة القديمة، ص: 20).

4 نظرية القيم بين النسبية والمطلقية، الربيع ميمون، ص: 337، 338.

ويوجد قبلنا، مستقل متعال في نبلة وسموه وعظمته، فمتعة القيمة هي أثر ثانوي لها<sup>1</sup>. فالقيمة تلازمنا بحضورها، ولا تزال تحكم علينا؛ لذلك نجد أعداء العدل اللذين يملؤون العالم ظلما وجورا، يستطيعون أن يغيروا وجهة التاريخ، لكنهم لا يستطيعون أن يغيروا شيئا ضد العدل، بل إنهم يحاولون جاهدين أن يبزروا انحرافاتهم باسم هذه القيمة<sup>2</sup>.

هذا ملخص لما يراه أصحاب النظريات التي تذهب إلى أن القيم مطلقة وليست نسبية، لكنهم مع ذلك اختلفوا في تصورهم لهذه القيم ولهذه المطلقية.

### ثانيا: اتجاه النسبية في القيم.

بدأ هذا الاتجاه مع الحركة السفسطائية، التي نقلت مجال الاهتمام من التأملات الكونية إلى إشكالية طبيعة الإنسان، فصار الإنسان حوالي (450 ق. م) مركز الاهتمام، وهو ما يعرف بالحقبة الإنسانية، وقد ذهب السفسطائيون إلى أن الحقيقة هي الإدراك الحسي، وهو ما يترتب عليه تفويض كل إيمان بالحقيقة الموضوعية، ومنه الإيمان بموضوعية القانون الأخلاقي<sup>3</sup>.

وفي العصر الحديث يعد فريدريش نيتشه (1844 - 1900م) من الرواد في هذا الاتجاه، وقد كان لفلسفته الدور الأكبر في نشر هذه الكلمة في الأوساط المثقفة، وحملت على الاهتمام المتزايد بها، كما كان لها آثار ملموسة في الواقع الفكري والاجتماعي، حيث رأى أن الإنسان إنما سمي إنسانا لأنه "قَوْم" (من التقويم، أي: بيان قيمة الأشياء)، وقدّر "قيمتها ووزنها، فهذا أمر رفيع"، وذاك شأن "وضيع"، و أول "أنفس" وثان "أحسن"...، إنّ الإنسان ليس إلا الكائن

1 المؤنس في القيم، د، محمد الشيخ، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية - سلطنة عمان-، ط1، 2014م-1436هـ، ص 18-19-22.

2 انظر: نظرية القيم، الربيع ميمون، ص: 338، 339.

3 تاريخ الفلسفة اليونانية، ولترستيتي، ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م، ص: 130، بتصرف.

المقدر أو المقوم بامتياز، بمعنى أنه الكائن الذي وهب الأشياء معانيها الإنسية، مثلما أنه وهبها أسماءها، بل إنه عرّف الإنسان بأنه "الكائن الواهب القيم للوجود"<sup>1</sup>.

وبالرغم من أن نيتشه -يعد بلا منازع- هو من أعلى من شأن فلسفة القيم في العصر الحديث، إلا أنّ فلسفته قد انطوت على بذور فناء هذه القيم، في نظر الكثيرين، حين قرر أنّه لا معنى للوجود في ذاته، ولا قيمة في نفسه، فالقيمة مرتبطة بالإنسان، والعالم هو في الحقيقة دون معنى.

وقد حارب نيتشه القيم النصرانية بدون هوادة، في أزمة روحية أعلن فيها "موت الله"، وكان يرى فيها أكبر جريمة ضد الإنسانية؛ لأنّها كانت في نظره قيم انحطاط، وأنّها تميل إلى الانطفاء والتشاؤم، لأنها تقضي عليها، وتمنع نموها، فالإنسان هو الذي يحدد الخير والشر لنفسه، وهو الذي يعطي الأشياء معانيها، ويقومها ويجعلها إنسانية<sup>2</sup>.

وهكذا فقد نقل النقاش من مستوى التساؤل عن أساس القيم إلى مناقشة طبيعة القيم، وقد انتصر لحق الأقوياء الذين أساغوا لأنفسهم حق خلق القيم، (الإنسان الأعلى) على حساب من يسميهم عبيد الأخلاق، الذين خلقوا قيمهم الخاصة؛ التي يرى أن مصدرها الحقد الفاعل، وهي التجرد والتضحية والتواضع... إلخ؛ التي هي من صنع البؤساء والعاجزين والمشوهين.

يقول إن أشأم ما أنتج الرعاع.. أنهم اخترعوا مفهوم (الله) وعجنوا بها خلائط مفزعة... اخترعوا مفهوم "الخطيئة"<sup>3</sup>. لذلك أعتبر حسب أكثر الفلاسفة الغربيين والشرقيين مسؤولاً عن إنتاج فلسفة قيمية حُسبت عليها أكثر الانحرافات التي عرفها عصرنا، ويرجع خطؤه إلى كونه

1 انظر: المؤمنس في القيم، د: محمد الشيخ، ص: 14-15، نقلا عن كتاب: "هكذا تكلم زرادتس"، وجينالوجيا الأخلاق ل: فريدريش نيتشه.

2 انظر: نظرية القيم بين النسبية والمطلقية، د.الربيع ميمون، ص: 88.

3 انظر: العمدة في فلسفة القيم، د.عادل العوّا، ص: من 128-130، نقلا عن هذا هو الإنسان، نيتشه، ص: 175، والمؤمنس في القيم، محمد الشيخ، ص: 17، 18.

فشل في حلّ مشكلة التناقض الأساسي الذي يقوم على عظمة الإنسان وضعفه في آن واحد، لأنها قامت على انتقاده للقيم الدينية التي كانت تمثلها النصرانية في نظره، وهي قيم تتجاهل الطبيعة وتعارض حركة الحياة.

لذلك جاءت فلسفته في القيم مصدر إلهام لحركات تعسفية كثيرة في عصرنا، ففكرته "عن الإنسان الأعلى" هي التي فتحت الطريق إلى تأليه الزعيم الذي لا يخطئ، وتقسيمه الناس إلى سادة وعبيد، هو الذي أعطى ذريعة للعنصرية الهتليرية، التي تقوم على القول بأن هناك أجناسا سامية وأجناسا دنيئة.

وأما الماركسون فإنهم يشيدون بمهاجمته للأخلاق التقليدية الفاشلة في نظره، وأيضا بمحاربه للدين. لذلك اعتبره كثيرون مسؤولا عن أزمة القيم التي عرفها عصرنا ولا يزال يعرفها<sup>1</sup>.

كما أنه لا يمكن الحديث عن دعاة النسبية في القيم الإنسانية دون تناول الداروينية الاجتماعية darwinism، وهي كلمة منسوبة إلى اسم تشارلز داروين (1731 م، 1820 م)، الذي ذهب إلى أن الكون بأسره سلسلة متواصلة في حالة حركة من أسفل إلى أعلى، وأن الإنسان لا يعدو أن يكون إحدى حلقات الصراع من أجل البقاء من خلال الانتخاب الطبيعي.

وقد نقل دعاة الداروينية الاجتماعية هذه النظرية (الفرضية)<sup>2</sup> من عالم الطبيعة إلى عالم الإنسان، وقرروا أن العلاقة بين الكائنات الحية. في الطبيعة لا تختلف عن العلاقات بين الأفراد داخل المجتمعات الإنسانية، وقد أنتجت فلسفة علمانية مادية شاملة، تنكر أية مرجعية غير مادية، وتستبعد الخالق من المنظومة المعرفية والأخلاقية، وترد العالم بأسره إلى مبدأ الصراع

1 العمدة في فلسفة القيم، د. عادل العوا، ص: 131، نقلا عن نسب الأخلاق، نيتشه، ص: 125.

2 عجز داروين عن إثبات كثير من فرضياته في كتابه: "أصل الأنواع" و"بقاء الأجناس"، وهو ما دعا الكثيرين إلى الحديث عن الحلقة المفقودة، وقد وجدوا لها مخرجا، في فكر "الطفرة" بمعنى سد الثغرة في الزمان (بين القروء والإنسان) من دون سبب واضح ودون وجود شواهد علمية.



لتحقيق التقدم، وتعد النموذج المعرفي الكامن وراء معظم الفلسفات العلمانية الشمولية التي تقرر أن البقاء هو القيمة المحورية التي لا علاقة لها، بأية قيم مطلقة، وأنها تتجاوز الخير والشر والأخلاق<sup>1</sup>.

أنتج هذا العلم المنفصل عن القيمة منظومة فلسفية تنكر الميتافيزيقا والمطلقات، وهو ما يعني غياب المرجعية المتجاوزة، وظهور المرجعية المادية التي يحدّد فيها كل إنسان قيمه بنفسه دون العودة إلى أية مطلقات، وهي المرجعية التي انطلقت منها النازية وغيرها من الأفكار المتطرفة التي أنكرت أن ثمة إنسانية عامة، وقيم أخلاقية عامة<sup>2</sup>.

### ثالثا: الاتجاه الواقعي:

يمثّل هذا الاتجاه أرسطو طالس (384-322 ق م)، فهو أول من بدأ ينقل القيم من المرحلة المثالية إلى الواقعية، والقيم في منظور هذا الفكر نسبية وليست مطلقة، ولذلك فهي تبدو متعالية غير قابلة للتحويل، ونحن نجتهد من أجلها؛ لأنّ وجودنا يزداد بالاتصال بها ثروة وغنى؛ ويتحمّ على الإنسان طلبها دائما؛ لأنّه لا قوام لوجوده، ولا معنى له بدونها. لذلك فهي تخضعه في إلزامها دون إكراه، وهو يستمد سعادته وكماله وعظمته منها، ومع هذا فهي في حاجة إليه<sup>3</sup>.

1 انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق، دمشق، ط2، 1433هـ، - 2003م. ص: 98-99.

2 انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، د. عبد الوهاب المسيري، ص: 238. وقد ارتكزت النازية على المادية النفعية الداروينية في إبادة اليهود، والأطفال والمعوقين والعجزة والغجر والتي حول الغرب أنظار العالم بحصرها في إبادة اليهود والتركيز على الأرقام، وقد وجدت نظائر لها في الغرب من خلال التعقيم القسري للحفاظ على النوع أو لتجنب بعض الأمراض الوراثية أو ما حدث في المستعمرات باستخدام سياسات إبادة ممنهجة (فرنسا، الجزائر مثلا).

3 انظر: مدخل إلى الفلسفة القديمة، أ.د. آرمسترونغ، ت: سعيد العانمي، شبكة المركز الثقافي العربي، ط1، 2009م، ص: 138.

فالقيم عند أصحاب هذا الاتجاه تعني بالغاية والهدف أيضا، وهي متعلقة باختيار الإنسان بالأساس، خلافا لأفلاطون. وهي تحمله على الترفع والتسامي، لكن بالقدر المناسب والدرجة الصحيحة<sup>1</sup>. فهي ليست قواعد ومبادئ مجردة للتأمل، بل يجب تطبيقها لتحقيق التوافق بين الفضائل الفكرية والواقع الإنساني؛ لأنها قابلة للتحقق في الواقع، وهي متعددة يمكننا التفضيل بينها.

#### رابعا: القيم في الفكر الفلسفي الإسلامي

تفاعلت الحضارة الإسلامية في مرحلة مبكرة في تاريخها مع الفكر الإنساني، و مع الفلسفة اليونانية بشكل خاص، فتأثر كثير من مفكري و فلاسفة الإسلام بمذهب أرسطو وأفلاطون، و تشكل تيار مهم في الثقافة الإسلامية تنامي على يد "الفارابي" (259-339هـ)، و "ابن رشد" (520-595هـ)، وغيرهما قراءة و شرحا و تحليلا، و قد خدم هؤلاء التراث الإنساني، و كانوا الجسر المعرفي الذي امتد بين علوم الأقدمين و العصر الحديث، و قد حاول جلّهم بلورة فلسفة تجمع بين الهوية الفلسفية اليونانية و الإسلامية<sup>2</sup>، و قدّم "الفارابي" من خلال كتابه المعروف بآراء أهل المدينة مقاربة لموضوع القيم من خلال المدن التي عرضها - المدينة الضالة و المدينة الجاهلة و المدينة الفاضلة، و الفاسقة و المبدّلة - توفّق بين النسبيّ و المطلق، فهي تتردد بين الاكتساب و الفطرة، و تتبدل مع تبدل المكان و الزمان، بخلاف القيم الفاضلة التي تبقى ثابتة غير متغيرة<sup>3</sup>.

1 المرجع السابق، ص: 141-297.

2 اختلف مفكرو الإسلام حول اعتبار الفلسفة الإسلامية جزءا من الفكر الإسلامي كعلم الكلام و التصوف أو أنها مجرد إعادة إنتاج للفلسفة اليونانية، يراجع في هذا: كتاب مناهج البحث عند فكري الإسلام، و نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ل:د:علي سامي النشار

3 -انظر: تصنيف القيم بين الدين و الفلسفة، د:موسى معيرش، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، ط1، 2016، ص168، 163.

ومن الفلاسفة الذين قدّموا نظرات في القيم الإنسانية، التيّار الذي يطلق عليه اسم "الأدباء الفلاسفة"، و الذين غلب على إنتاجهم التفكير الفلسفي، و وضعوا في قمة اهتمامهم الإنسان في ماهيته و قيمه وغاياته، و ميّزوا فترة من أهم فترات الفكر الإنساني، لأنهم حاولوا البحث في الإنسان كذات عارفة، و موضوع للمعرفة و ما ينتجه هذا البحث من منظومة للقيم، و من هؤلاء "أبو حيّان التوحيدي"، صاحب كتاب "الإمتاع و المؤانسة" و "المقابسات" (ت 414-310هـ)، و "يحيى بن عدي"، صاحب كتاب "تهذيب الأخلاق" (ت 364هـ)<sup>1</sup>، و (إخوان الصفا) و هم مجموعة من المفكرين متعددي التخصص ظهروا في النصف الثاني من القرن الرابع، التّزّموا بمبدأ الكتمان و السرية و ينسبون إلى الزندقة حيناً و إلى القول بوحدة الأديان، و كانوا تجسيدا للزرعة الإنسانية مثلما تعرفها المذاهب الإنسانية في العصر الحديث، فقد حاولوا في تجربتهم الفلسفية توحيد مفهوم الإنسان الذي يرونه يتشكل من ثنائيتين متناقضتين بسبب تلازم النفس و الجسد، أما عن الأخلاق فهم يتكلّمون عن الإنسان المطلق و الإنسان الجزئي، فالأول هو الذي يتمثل جميع الأخلاق و يتقن جميع الصنائع و الأعمال، و هو قدوة للإنسان الجزئي، الذي له و بسببه أرسلت الرّسل، و كان وعد الله و وعيده، و ترغييه و ترهيبه<sup>2</sup>. كما أنهم يدعون إلى نبذ التعصب بجميع صنوفه دينيا كان أم مذهبيا أم علميا، و من أقوالهم: "و بالجملة ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى، ألا يعادوا علما من العلوم، أو يهجروا كتابا من الكتب، و لا يتعصبوا لمذهب من المذاهب، لأن رأينا و مذهبنا يستغرق المذاهب كلها، و يجمع العلوم جميعا، من حيث هي كلها مبدأ واحدا، و عالم واحد و نفس واحدة"<sup>3</sup> و هو ما يفضي إلى القول بالنسبية المطلقة للحقيقة، و أنها إرث مشترك بين البشر لأنها نتيجة لتطور التجربة الإنسانيّة.

1 انظر: التوحيدي، الزرعة الإنسانية في الفكر العربي، د:عطاء الله زراقة، ابن النديم للنشر و التوزيع. وهران، و دار الروافد لبنان، ط 1 2012 م، ص: 166، 174.

2 رسائل إخوان الصفاء و خلان الوفاء، تقديم عليوش عبود سلسلة العلوم الإنسانية<sup>3</sup> الأنيس، المؤسسة الوطنية للفتون المطبعين، الجزائر 1992م، ج 1 ص: 415، 416.

3 ن - م - س، ج 3، ص 422

## المطلب الثالث: القيم الإنسانية بين النسبية والإطلاق.

إذا كان نيتشه قد تصدر تيار النزعة الإنسانية التي اعتبرت عنوان القرن العشرين، فقد خالفه كثير من علماء الأخلاق والفلاسفة، وأكدوا على مثالية القيم وعلى ارتباطها بالمقدس، واتصافها بالإطلاق، ومن البديهي أن الأشياء تتفاوت تفاوتاً عظيماً من حيث القيم المقدرة لها، فإن كثيراً من الأشياء إن لم يكن معظمها لا تقوم إلا من حيث أنها وسيلة لغاية ما، ولكن بعض الأشياء قيمتها في ذاتها؛ لأنها غاية في نفسها، وتسمى هذه القيم بالمثل العليا<sup>1</sup>.

وبخلاف نيتشه رأى فيلسوف القيم الألماني وليام شترن (1871 - 1938) في كتابه فلسفة القيم، أن ثمة عالم من قطبين "أنا" تُقوّم عالماً موضوعياً؛ وعالم موضوعي يُقدّم قيماً للذات المقومة، وقد اجترح عبارته الشهيرة: "أنا أقوم، إذا أنا موجود"، في معارضة العبارة: "أنا أفكر، إذا أنا موجود"؛ وذلك بمراجعة لنزعة ديكرت الذهنية الفكرية الطاغية التي طبعت الفلسفة المعاصرة بطابعها، إذ أنه لا ينبغي "عند شترن" البحث عن وعي "الأنا" بذاتها في الملاحظة الباردة، أو في التفكير المادي في الذات، وإنما في القدرة وفي الحاجة إلى التعرف على القيم.

فقد أدى الإقرار بأنّ مصدر الأخلاق هو إنساني بحت، والقول بالنسبية المطلقة التاريخية والثقافية؛ إلى تجريد القيم من قدسيّتها وتحويلها إلى أغوية أيديولوجية، تتستر خلفها آليات سلطوية في زعزعة الاعتقاد بقدسية الحق والخير والجمال، كقيم عليا.

هذه الأزمة القيمية الكبرى هزت بعمق القرنين الماضيين، وقد تجاوزت الأطر الأخلاقية التي أرسيتها الديانات الكبرى، إلى القيم العلمانية التي سعت لأن تكون البديل، -التقدم، تحرر الشعوب، المثل التضامنية والإنسية- وأفضى تطور التقنيات -وهو العامل الحاسم-، والذي لا

1 انظر: فلسفة المحدثين والمعاصرين للأستاذ، وولف أستاذ المنطق بجامعة لندن، تعريف أبو العلاء عفيفي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944م، ص: 17 إلى 20.

يمكن كبح جماحه في التغيير إلى إنسانية لا تُعرف ماهيتها، والتي يحلو للبعض أن يطلق عليها اسم "ما بعد الإنسانية"<sup>1</sup>.

فالقيمة تحاصر الإنسان وتستولي عليه، ولا يمكننا أن نتصور وجوده بدونها، كما أنه لا يمكن أن نتصور وجودها بدونه. فهي قيم بالنسبة إليه؛ لأنّ وجوده يتطلبها حتى تستقيم، وهو قيمة بالنسبة إليها؛ لأنّ وجودها يتطلبه حتى يكون لها معنى<sup>2</sup>.

إنّ القول بنسبية القيمة يسجنها، ومعها الإنسان في مستوى الحياة الحسية، وفي حدود الزمان والمكان؛ لأنّ الإنسان كائن عضوي، و كائن اجتماعي دون ريب، ولكنه كائن روحاني، يستطيع أن يتحرر من سجن الجسد، كما أنه يستطيع أن لا يكون مجرد انعكاس وصدى لما يجري في مجتمعه.

كما أن القول بمطلقيتها، لا يمكن الاعتماد عليه؛ لأنّها تكون في هذه الحال من مستوى آخر لا يمكننا من الاتصال بها، ولا خدمتها ولا تحقيقها في الواقع. وقد يؤدي بنا هذا إلى الارتكاس والانحطاط بدل السمو حين التعلق بها، وقد أدى القول بمطلقيتها بكثير من الفلاسفة إلى التخلي عن الإيمان، مثل: ماكس شلر ونقولا هارتمان، الذين كانا يعتقدان في بدايتها أنّ القيم صادرة عن رحمة الله ولطفه وانتهيا إلى إنكار الألوهية<sup>3</sup>.

إنّ المنطلقات والمسلمات التي صدرت عنها هذه النظريات خاطئة؛ لذلك أدّت إلى نتائج خاطئة أيضا، فالبيئة الاقتصادية الفاسدة التي تقوم على مجموعة من القيم الزائفة، من انحياز الدين للأقوياء، وما ينتجه من أخلاق الضعف والاستكانة، وطغيان المال، وغير ذلك

1 انظر: القيم إلى أين؟ مدولات القرن الحادي والعشرين، مؤلف جماعي بإدارة جيروم بيندي، ترجمة: زهيدة درويش جبور، وجان جبور، منشورات، اليونيسكو، المجمع التونسي للعلوم، بيت الحكمة، قرطاج، 2005م، ص: 16-17.

2 انظر: نظرية القيم بين النسبية والمطلقية، الربيع ميمون، ص: 327 - 328 - 329.

3 نظرية القيم بين النسبية والمطلقية، الربيع ميمون، ص: 326 - 327 و 339 - 341.

من السليبيات، على إنسانية الإنسان. هذه العوامل المفضية إلى قهر الإنسان واستعباده، لا يمكن أن تدعو الناس إلى قيم صحيحة؛ إن القيم الحقيقية هي قيم بعيدة عن هذه البيئة. وقد جعلت الفرويديه القيمة من ناتج الليبدو. فهي نسبية، لأنها تابعة للإنسان بصفته فرداً أو جماعة. لذلك فإنّ نظرية فرويد قد تصلح للاعتماد عليها في مجال الطب؛ لتفسير الاختلالات التي قد يتعرض لها الإنسان وعلاجها، ولكنها لا تصلح لتفسير القيم؛ ولأنّها بعيدة عن مقضياتها السامية<sup>1</sup>.

وكذلك الأمر بالنسبة للدوركايمية، فالقول بأنّ المجتمع موجود ثان بالنسبة لأفراده، وأنّه المصدر الوحيد للقيم التي يؤمنون بها غير مسلمّ لهم. فالإنسان لا يفقد استقلاله فيها ولا يلتحم بغيره التحاماً يذيب كيانه وشخصيته، ولذلك فهو كثيراً ما يثور عن القيم التي يجدها سائدة في مجتمعه، ويدعو إلى تبديلها بقيم أخرى، ويجعل الناس الذين يكوّنون هذه القيم يتعلّقون بها. فالإنسان قادر على صياغة ذاته وبيئته حسب وعيه الحرّ، وهو كائن قادر على تطوير منظومات أخلاقية غير تابعة من البرنامج الطبيعي الذي يحكم احتياجاته المادية. فالجانب الروحي في وجود الإنسان وسلوكه، يشكل ثغرة معرفية كبرى في النسق المادي لهذه النظريات. لذلك فإنّ العنصر الرباني الذي عززه الله بإرسال الرّسل والرّسائل هو البعد المعياري الذي يمثل الإنسانية المشتركة<sup>2</sup>.

1 نظرية القيم بين النسبية والمطلقية، الربيع ميمون، ص: 329 و331 و336.

2 الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، د. عبد الوهاب المسيري، ص: 12، 13، 14، 15، وانظر: الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزّت بيغوفتش، ت: محمد يوسف عدس، مؤسسة العلم الحديث، بيروت، ط1، 1414هـ، ص: 86-87.

وهي لذلك تتسم بوصفين؛ هما: الضرورة والعموم، فأما أن يكون للقيم طابعها الضروري والعام، وتقوم على مرتكزات ثابتة وموضوعية خارجة عن وضع الإنسان، وإما أن يتحول السلوك الإنساني إلى نشاط آلي.

وقد ذهب د. الربيع ميمون<sup>1</sup> إلى ترجيح القول بأنّ القيم مطلقة-نسبية، وأن كلا الوصفين ذاتي لها، تقوم عليها حقيقتها، فهي نسبية؛ لأنّها تتحقق في الواقع تحقّقا ناقصا، يطابق ما بذله الإنسان من أجلها، وهي مطلقة؛ لأنّها دليله الذي يهتدي به، ومراقبة الكمال، الذي لا ينفك الإنسان يصبو إليه، والذي لا يتحقق إلا بالإيمان الذي يحث على العمل الذي هو البوتقة التي تُجرّب فيها القيمة<sup>2</sup>.

1 مفكر جزائري ينحدر من ولاية جيجل الساحلية، عمل أستاذا للفلسفة بجامعة الجزائر، وعرف عنه حديثه وحرصه الدقيق على أعماله، من مؤلفاته: مشكلة الدور عند ديكرت، ونظرية القيم في الفكر المعاصر. توفي 2016م. (تصنيف القيم بين الدين والفلسفة، د/معيرش موسى، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر ط الأولى، 2016 م. ص: 241.

2 نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، د.الربيع ميمون، ص: 125 و 341-343.

### المبحث الثالث: علاقة القيم الإنسانية بالقيم الدينية وأهميتها.

لقد أكدت كثير من المدارس الفلسفية على أنّ العلاقة بين القيم الإنسانية والقيم الدينية مبتوتة. واعتبرت القرون الأخيرة في عمر الفكر الإنساني "عصر الإنسان" بلا منازع، ورأت أنّ الأديان تمثل عوائق دون بلوغ التوافق الكوني، في المجال القيمي -لأسباب ستأتي في ثنايا الأطروحة-؛ وحملت الكثير من هذه الفلسفات على التاريخ الروحي، واعتبرت أنّ الفكر الإنساني قد ضل طريقه بإحلال القيم الدينية، وما اعتبره "مقدسا" و"خيرا" و"حقا"، محل القيم التي تسمو بمستوى الإنسانية<sup>1</sup>. والواقع أنّ هذا الطرح قد يؤدي إلى انهيار الكثير من الانساق المعيارية والقيمية.

### المطلب الأول: طبيعة العلاقة بين الدين والقيم الإنسانية.

إنّ العلاقة بين القيم الإنسانية والقيم الدينية قديمة بعكس ما هو شائع، فقد طرح هذا الإشكال مع فلاسفة اليونان، حيث نظروا إلى القيم الأخلاقية باعتبارها نوعا من الإشراف الإلهي، واعتبر فيلون السكندري<sup>2</sup> الذي كان متشعبا بالفلسفة اليونانية، أنّ "أفلاطون" مفخرة اليونان، كان في فلسفته وفي القيم السياسية والأخلاقية التي نادى بها تلميذا للنبي موسى بن عمران؛ الذي انتشرت تعاليمه شرقا وغربا، وصارت مصدراً لكل من جاء بعده<sup>3</sup>.

وجمعت المسيحية مع بولس أمشاجا من فلسفات شتى هيلينية، ورومانية، ويهودية، فنادت إلى التوفيق بين القيم المسيحية وهذه الأخيرة.

وعرف الفكر الإسلامي مع المعتزلة والأشاعرة والفقهاء والفلاسفة المسلمين، مسائل العدل والحرية والمسؤولية والحق والخير، ووضعوا في القلب من هذه الاشكاليات ارتباط هذه

1 انظر: قضايا الفلسفة العامة، موسى معريش، دار الأكاديمية، الجزائر، ط1، 2012م، ص: 105.

2 ستأتي ترجمته.

3 موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ج2، ص: 509 و515.



القيم بالإرادة الإلهية والوحي والاختيار الخالص للعقل<sup>1</sup>. وسيأتي الحديث تفصيلاً عن بعض هذه المسائل في باب الحق والعدل.

لقد اتفقت كلمة القائلين بالأصل الديني للقيم، على اعتبار أن الإنسان يدرك المقدس، باعتباره واقعا موضوعيا متعاليا. كما يعتبر أنه من جهة أخرى محايتاً للإنسان. ولذا فإن كل معرفة للمقدس هي تجربة تتناول قدرة أعلى من نظام الأشياء الطبيعي. وهذه القدرة تحول كل ما تتجلى فيه إلى "مواقف إنسانية خاصة"<sup>2</sup>. فالقيم من المنظور الديني تستمد نظرتها من المصادر الدينية الأساسية التي يتمثل لها الإنسان بوازع ديني إيماني، وهي بذلك حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محمداً المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك. وهي تمتلك خاصية التكيّف دون الابتعاد عن الأصل الديني<sup>3</sup>.

والإرادة الدينية تتشكل من دائرتين للفعل الإنساني، الأفعال الرمزية الدينية (الطقوس) وهي ثابتة، فالدين المؤسس هو الذي يحدّد شكلها لكن عدم تغييرها لا يعني نسيان استحضر مقاصدها، وهو التخلق مع الخالق، وأما الأفعال التي يفترض فيها التغيّر، فهي الأفعال المتولدة من تعلق الأحكام الشرعية بالنظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتي لا يقصد بها الانتظام فقط، بل يقصد بها تحقيق قيم أخلاقية إنسانية<sup>4</sup>.

1 انظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، صححه وضبطه: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص: 39. ومسألة الحرية والفكر الإسلامي (الحل المعتزلي). د.أبو عمران الشيخ، ت: رندة بعث، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م، ص: 10، 11.

2 العمدة في فلسفة القيم، د.عادل العوّا، ص: 539.

3 الصّراع القيمي لدى الشباب، ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، السيّد الشحات أحمد حسن، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ت، ص: 35.

4 انظر: المناسبة بين القيم الدينية والقيم الانسانية، د.توفيق فائزي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية (أبحاث محكمة) www.mominoun.com، فيفري 2015م. ص: 23-24.

لقد شكل موضوع القيم مجال جدل بين الباحثين، بين من يرى أن لها جذورا دينية، ومن يرى أنها دنيوية بحتة، فقد ذهب كثير من الفلاسفة الغربيين وعلماء الأخلاق إلى أن التصور الأخلاقي للقيم إنما انحدر عن المذهب الديني، ثم ترجم إلى ممارسات قضائية وقانونية خلافا للكثيرين الذين أكدوا أن علاقة القيم الإنسانية بالأديان مقطوعة؛ لأنّ الدين يستهدف المآل الأخروي ويستند إلى الغيب بعكس القيم الإنسانية.

### المطلب الثاني: أهمية الدين كمؤسس للقيمة وضامن لها.

لقد تساءل عالم الاجتماع الديني الألماني آرنست ترولشته (1865-1923م)، كيف يمكن للنزعة الأخروية المسيحية، وهي التي ارتبطت تاريخيا بإدارة ظهرها لهذا العالم الدنيوي وبالسكون تحت مجاري أقدار السلطة الزمنية والدعوة إلى الخنوع لها والسكون، والدعوة إلى نزعة قدرية في مجال الأخلاق أن تؤسس لقيمة المسؤولية والحق<sup>1</sup>. في حين ذهب جورج بيست إلى حد القول عند تناوله لقيمة المسؤولية: "كلا ما كانت المسؤولية مفهوما أخلاقيا، وإنّما هي مفهوم ديني، وحده حساب الله يوم القيامة يجعلنا حقا مسؤولين، لأنه وحده أمام الربّ يتم إلغاء كل كذب، كل مواربة، كل باطل"<sup>2</sup>.

وقد تبني هذا الموقف ولفريد كانتول سميث المفكر الكندي (1919-2000 م) "نحن نتصور أن مناداة بعض مفكري الحق والاجتماع والسياسة بالمحاسبة والمعاقبة أمر من أمور الحداثة الحقوقية والسياسية اليوم، لكن قد لا نلفظن إلى (المماثلة) الخفية بين مطلب المحاسبة هذا، والصور الواردة في الأديان السماوية عن يوم الحساب والعقاب"<sup>3</sup>.

1 المؤنس في القيم، د. محمد الشيخ، ص: 166.

2 المؤنس في القيم، د. محمد الشيخ، ص: 165.

3 نفس المرجع، ص: 166-167.

إن النزعة الأخروية، هي أحد الشروط لتبلور مفهوم هذه القيم، وعليه فإن عدم اعتبار الدين في القيم الإنسانية يجعلها تفقد منبعاً من منابعها، فمن متطلبات الدين تحقيق الخير الزمني أيضاً، والقيم الإنسانية تجد لها في الدين مجالاً لاحترامها وللعناية بها، "بل إننا نجد الدين أحياناً متشدداً في رعايتها، أكثر مما لو فرض الأمر بشأنها الإنسان، ذلك أن الخير الذي يتغياه الدين يتجاوز المعيار الزمني المحدود إلى المعيار الأخروي وقد يجد البعض أن هذا الاستلزام ينطوي على محاذير أهمها غياب التوازن بين الخير الأخروي والخير الدنيوي ورجحان كفة الأول عن الثاني"<sup>1</sup>، لكن هذا المحذور الذي كثيراً ما ينتج عن سوء الفهم أو سوء التأويل، أو التحريف للنص الديني. وهو عينه ما حصل فعلاً بين أنصار فكرة حصرية المصدر الإنساني للقيم وقد حدث هذا أثناء صياغة نصوص إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، هذه النصوص التي صيغت بشق الأنفس، وتبعاً لجدل بين أطراف لم يكن سهلاً التوافق بينها ولم تكن تلك النصوص إلا انتصاراً لحقوق أفضى إليها صراع داخل تاريخ ومجتمع خاصين، أثبتت الغلبة لطبقة على حساب طبقة أخرى، وهو ما أفضى إلى التنكر لها، واعتبرت حقوق أخرى خلافها، وهكذا لم يتحقق التوافق بين الأطراف في هذه الثقافة الواحدة و كل طرف حمل تصوراً خاصاً لما هو خير للإنسان الزمني، فطرف اعتبر أن العدالة الاجتماعية هي المعيار الذي يقاس به الخير، وإن كان على حساب الحرية، والطرف الآخر اعتبر أن الحرية هي المعيار وإن كان على حساب العدالة الاجتماعية<sup>2</sup>، وعلق كارل ماركس (1818-1883م) على هذا الإعلان بقوله: "... الحرية إذا هي الحق في فعل كل ما لا يضر بالآخرين، كما أن الحدود التي يمكن لأي فرد أن يتحرك ضمنها دون أن يضر بالآخرين قد حددت من طرف القانون تماماً كما يتم تعيين الفاصل بين حقلين بواسطة وتدماً.."

1 انظر: المناسبة بين القيم الدينية والقيم الإنسانية، د. توفيق فائزي، مؤسسة مؤمن بلا حدود للدراسة والأبحاث، قسم الدراسات الدينية (أبحاث محكمة) ص: 21.

2 المناسبة بين القيم الدينية والقيم الإنسانية، د. توفيق فائزي، ص: 42، بتصرف.

إن التطبيق العملي لحق الحرية هو حق الملكية الخاصة ولكن ما هي مكونات هذا الحق الأخير؟ إن الحق في الملكية هو ذلك الحق الذي يخول لكل مواطن التمتع بممتلكاته (دستور 1793 - بند 19)... إنه الحق في الأناية، إن الحرية الفردية في التطبيق، هي قاعدة المجتمع البرجوازي...، بقي الحقان الآخرا وهما: المساواة والأمن، ليس لكلمة المساواة هنا أي معنى؛ فالأمر يتعلق بمساواة الإنسان المزعومة كعضو في المجتمع البرجوازي مهتم بمصلحته الخاصة فقط، وخاضع لاختبار شخصي تعسفي لا قيمة للإنسان في المجتمع البرجوازي ككائن نوعي بل الأمر عكس ذلك<sup>1</sup>.

فالتصورات تختلف باختلاف المنطلقات والمفاهيم والمقاصد في مسألة القيم، وفي مقدمة جون رولز لكتابه: ذائع الصيت، "نظرية في العدالة" اختار نماذج لإجلاء هذا المعنى. ففي الفلسفة الأخلاقية الحديثة، أخذت النظرية النظامية السائدة شكلا معيناً من المذهب النفعي وقد ذكر أن أسباب هذا أنها اقترنت بأسماء مفكرين كبار قاموا ببناء بنية فكرية مؤثرة في مجالها. ونحن ننسى أحيانا أن المنظرين النفعيين الكبار، هيوم وآدم سميث وبنام وميل، كانوا منظرين اجتماعيين واقتصاديين من الدرجة الأولى، والعقيدة الأخلاقية التي أسسوا لها، تمت صياغتها لتلبية احتياجات المصالح الأوسع وجعلها متناسقة في مخطط شامل... والذين دللوا على غموضه وعدم التوافق بين مضامينه وبين مشاعرنا الأخلاقية، أخفقوا في بناء تصور أخلاقي نظامي وقابل للتطبيق...<sup>2</sup>.

لذلك كلما اقتنع الإنسان بأنه على قدر تعاضم التجربة الإنسانية وكثرة روافدها، كانت التربة التي تنمو فيها إنسانيته، وتزدهر فلن تجد القيم الإنسانية نفسها في تعارض مع القيم

1 تأملات في المسألة اليهودية، كارل ماركس، ترجمة محمد الهاللي، حقوق الإنسان سقراط إلى ماركس، مطبعة أمبريال الرباط، ط2، 1999م، ص: 62-64.

2 نظرية في العدالة، جون رولز، ت: ليلي الطويل منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق، ط 1، 2011م، ص: 20، بتصرف.

الدينية، بل إن في مراعاتها وحفظها حفظاً له ولقيمه، ذلك أنه إذا كان مقصد القيم الإنسانية في صورتها الدينوية الخير الزمني، فإن مقصد مقاصد القيم الدينية هو حفظ الدين<sup>1</sup> الذي يحفظ خير العالمين، العالم المشهود وعالم الغيب.

إن النقد الذي وجهه كارل ماركس للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بين بلا أدنى لبس أن أول ما يضيع داخل عالم المادية هو القيم المتعالية، حيث تعجز المادية خلقاً أن تقيس كل ما خرج عن نطاقها، ومن ثم إنها تخضع القيم إلى عالم مادي بحت، وتفسر الاختلاف الواسع كما يعكسه الوجود على أنه لا يعدو أن يكون تهيكلاً نوعياً يشكل الإنسان أعلاه، والسبب في ذلك هو أن المادية التي تجعل من الإنسان أعلى ترق للمادة، لا يمكنها أن تأخذه إلى أعلى من ذلك الموقع<sup>2</sup>، ولذلك أيضاً فإن فكرة التطور لا تستطيع التوافق مع فكرة المساواة ولا مع فكرة الحقوق الطبيعية.

فالمساواة الإنسانية خصوصية أخلاقية وليست طبيعية أو مادية أو عقلية، لذلك فإننا إذا تجاهلنا القيمة الروحية وهي حقيقة ذات صبغة دينية يتلاشى الأساس الحقيقي الوحيد للمساواة الإنسانية<sup>3</sup>، وكذلك هي قيمة العدالة وبقية القيم التي تقع في صلب الدين، فهو الذي يحقق للقيم الإنسانية شموليتها، ويوجد لها نقطة ارتكاز، وعلى قدر الاعتراف بالمصادر المسهمة في تشكيل الإنسان، من: دين وثقافة وتاريخ، تكون كونية هذه القيم، كما أنه بدون الالتزام والجهاد الروحي المتصل للإنسان، لا يوجد إيمان حقيقي باعتبار الإنسان قيمة علياً<sup>4</sup>، استهدفتها كل الشرائع السماوية لتحقيق مصلحته حالاً ومآلاً.

1 المناسبة بين القيم الدينية والقيم الإنسانية، ص: 24.

2 الإنسان والقيم العليا، رؤية معرفية، ص: 47-48.

3 انظر: الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفيتش، ص: 86، 87، 88.

4 انظر: القيم إلى أين؟ مؤلف جماعي بإدارة جيروم بيندي، ت: زهيدة جبور وجان جبور، ص: 152، 153.

# الباب الأول: الأصول المؤسّسة للقيم في اليهودية والمسيحية والإسلام ومصادرها.

تمهيد.

الفصل الأول: الأصول المؤسّسة للقيم في اليهودية ومصادرها.

الفصل الثاني: الأصول المؤسّسة للقيم في المسيحية ومصادرها.

الفصل الثالث: الأصول المؤسّسة للقيم في الإسلام ومصادرها.

الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في الأصول المؤسّسة للقيم ومصادرها.

## الفصل الأول: الأصول المؤسّسة للقيم في اليهودية ومصادرها.

تمهيد.

المبحث الأول: التعريف بالديانة اليهودية ومصادرها.

المبحث الثاني: مصادر القيم في الديانة اليهودية.

المبحث الثالث: الأصل الأول: 'الله' في الديانة اليهودية.

المبحث الرابع: الأصل الثاني: 'عقيدة الشعب المختار'.

المبحث الخامس: الأصل الثالث: 'عقيدة العهد والميثاق'.

المبحث الأول: التعريف بالديانة اليهودية ومصادرها.

المطلب الأول: تعريف بالديانة اليهودية وتطورها.

أولاً: تعريف بالديانة اليهودية.

هي أقدم الديانات التوحيدية، فقد كانت ديانة بني إسرائيل الاستثناء الوحيد في ديانات الشرق الأدنى القديم الوثني، وهي من حيث الدلالة العامة تطلق على كل من يدين باليهودية ويمارس شعائرها، كنسبة المسيحي للمسيحية والمسلم للإسلام<sup>1</sup>، وقد أطلق الإغريق على هذا الشعب (اليهودي) تلك التسمية انطلاقاً من لفظة (إيوديو) المرتبطة في أساسها بمملكة يهوذا (اليهودية)<sup>2</sup>.

أما مصطلح اليهودية فهو مع سعة انتشاره حادث، ويبدو أنه ظهر أثناء العصر الهيليني<sup>3</sup>، للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزها عن عبادات جيرانهم... وهكذا بدأ المصطلح كتسمية للمقيمين في منطقة جغرافية، ثم أصبح يشير إلى عقيدتهم<sup>4</sup>... لذلك فإن إطلاق مصطلح (اليهودية) كديانة سابقة لتدوين العهد القديم، يعدّ من الأخطاء التاريخية<sup>5</sup>، فتلك

1 انظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، دار قباء للطباعة والنشر، ط 1، 1988م، ص: 29-30.

2 المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي، (موسوعة العالم العربي المعاصر)، ناجي نعمان، دار النعمان، ط1، 1990م، ص: 475.

3 فترة متأخرة من الحضارة الإغريقية، وتمتد منذ أوائل القرن الرابع قبل الميلاد وحتى موت الإسكندر المقدوني في 323 ق.م، الذي فتح أبواب الثقافة اليونانية للشرق تميز هذا العصر بالاعتناء بالأخلاق والعلم، ونحى بها منحى عملياً، والنظر لله بوصفه محققاً للخلاص، ومن أشهر فلاسفته: الأبيقوريين والرواقيين، والشكاك، ثم المشائين. موسوعة الفلسفة، د.عبد الرحمان بدوي: 192/2.

4 موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، عبد الوهاب محمد المسيري، دار الشروق، ط: الأولى، 1999م، مصر ج5، ص: 15، وانظر: تاريخ اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، ص: 36.

5 ومثاله ما جاء في قاموس المذاهب والأديان، "اليهودية من أقدم الأديان السماوية، اعتنقها العبرانيون المنحدرون من إبراهيم عليه السلام، بينهم موسى عليه السلام.."، انظر: قاموس المذاهب والأديان، د. حسين علي حمد، ص: 229.



المرحلة هي مرحلة سديمية لم تكن معالم اليهودية قد تشكلت فيها بعد، ولم يكن يسمى العبرانيون حينها يهودا، والأولى أن يطلق على هذه المرحلة (مرحلة عبادة بني إسرائيل)<sup>1</sup>. وكلمة يهودي كانت مجرد تسمية لكيان سياسي وجغرافي يدعى مملكة يهودا، وكانت خالية تماما من أية دلالة دينية، ثم حدث تغير جذري بحيث غدت هذه الكلمة تكتسب معنى دينيا، يعادل المعنى العام الذي أعطي للتسمية (إسرائيل)، وأصبحت تستخدم للدلالة على من يعتقد في مجموعة المفاهيم الدينية التي كوَّنت الديانة الإسرائيلية. وعَلَّما على الجماعة اليهودية ككل، حيث أُشتقت منها كلمة (يهود) الدالة على جماعة بني إسرائيل، والتي شاعت في الاستخدام أكثر من التسميتين الأقدم (العبريون) و(الإسرائيليون)، ولكن استمر استخدام اللفظ (إسرائيلي) كلفظ مرادف إلى حد ما من ناحية الدلالة الدينية، بينما احتفظ اللفظ (يهودي) بالدلالة السياسية الخاصة به<sup>2</sup>.

بينما يذهب آخرون إلى أن اليهودية كما نعرفها اليوم اتَّجاه يهوي، بدأ في التشكل بصورة مستقلة بعيد تدمير الهيكل في القدس عام (70 ق.م) على يد مجموعة من رجال الدين اليهود من الاتجاه الفريسي الذي ظهر في فلسطين أواخر القرن (2 ق.م). والذي عرف بالتقيد الصارم بالشريعة الموسوية، مما يدل على أنّ ولادة هذه الطائفة الدينية لم تحصل فجأة، وإنما هي تتويج لتطور لم يتوقف.

### ثانيا: المراحل التي مرّت بها الديانة.

عرفت اليهودية مرحلتين؛ مرحلة ما قبل المنفى ويطلق عليها (الدين العبري)، وما بعد المنفى ويطلق عليها (الدين اليهودي). فالأولى كانت ما قبل سقوط الذي ظهر أورشليم بيد البابليين، وفي تلك الفترة لم يكن يطلق على الشعب (اليهود) بعد، وإنما عرفوا بالعبريين

1 انظر: موسوعة اليهود واليهودية، ج5، ص: 15.

2 انظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 36-37-38.

والإسرائيليين، ويشير البعض إلى أنّ هذه التسمية تعود إلى أنّ (يعقوب) أوصى أولاده أن يطيعوا من بعده ابنه الرابع (يهوذا)<sup>1</sup>، غير أن بعض الإخوة العشرة لم يدعن للأمر وفضل الأخذ بتسمية (إسرائيلي) نسبة إلى (إسرائيل)<sup>2</sup>.

وقد وردت كلمة (اليهود) لأول مرة في سفر الملوك الثاني عند الحديث عن الصراع الذي دار بين آحاز بن يوشام ملك يهوذا ورسين ملك آرام: "وطرد اليهود من أيله وأقاموا هناك إلى هذا اليوم"<sup>3</sup>، وتوالى ذكر لفظ اليهودي بعد ذلك في سفر 'اسيتر' و'إرميا'، حيث جاء فيه في شأن المسييين: "هذا هو الشعب الذي سباه بنو خذنصر في السنة السابعة من اليهود ثلاثة آلاف وثلاثة وعشرون"، وهو ما يؤكّد رأي من ذهبوا إلى أن البدء باستخدام هذه التسمية كان إثر سقوط مملكتي (إسرائيل ويهوذا) في سنة 538 ق.م. بعد احتلال قورش ملك الفرس بلاد بابل ومن ثم امتداد سلطانه على أرض فلسطين ومن ذلك التاريخ أطلقوا على بني إسرائيل اسم (اليهود) وعلى عقيدتهم (اليهودية).

وتعود هذه التسمية حسب آخرين إلى ما بعد انهيار مملكة (داوود) والثورة التي تزعمها ابنه أبشالوم ضده، حيث تعمق الخلاف بين أسباط بني إسرائيل الشماليين والجنوبيين، مما اضطر (داوود) إلى الفرار إلى ما وراء نهر الأردن، ولما كانت عشيرة (داوود) من سبط (يهوذا)، فقد بدأ الإسرائيليون يسمّون باليهود من هذا الوقت<sup>4</sup>.

1 وهو أحد أسباط بني إسرائيل، وإليه يعود الفضل في التوراة في إنقاذ سيدنا يوسف من القتل على يد إخوته، "فقال يهوذا لإخوته: ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه، تعالوا فنبيعه للإسماعيليين، ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا" [سفر التكوين: 49]. كما تذكر المصادر اليهودية أنه كان السبب في نجات أبيه وإخوته من المجاعة؛ لذلك حاز وبنوه على إخوته وبنينهم بركة يعقوب، وجعله الوارث الحقيقي له، انظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 30.

2 انظر: المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي، موسوعة العالم العربي المعاصر، ناجي نعمان، دار النعمان، ط 1، 1990م، ص: 474-475، وانظر: محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، ص: 29-30-31.

3 انظر: مقارنة الأديان اليهودية: أحمد شلبي، مكتبة النهضة، مصر، ط 4 د.ت، ص: 184-185، وتاريخ الديانة اليهودية، ص: 37-38.

4 انظر: اليهودية في العالم القديم، ص: 77-78.

ويعيد بعض العلماء أصول (اليهودية) كما نعرفها اليوم إلى الكاهن عزرا الذي يطلقون عليه (أبو اليهودية)... ومن هؤلاء كمال الصليبي، وتوماس طومسن، وكيث وايتلام، وإنغريد هيلم وغيرهم...<sup>1</sup>. فاليهودية نسق ديني، له طابع جيولوجي تراكمي تتعايش داخله طبقات متباينة، لذلك لم تحدد اليهودية العقائد الأساسية الملزمة لليهودي ولم تضع أصولاً للدين، وقد كان الصدوقيون<sup>2</sup> ينكرون البعث وهم القيادة الكهنوتية، ولعل أول محاولة للتأصيل كانت لموسى بن ميمون<sup>3</sup> في القرن الحادي عشر، وهي محاولة تقبلتها اليهودية، وحولتها إلى طبقة جيولوجية تراكمية دون أن تلغي ما قبلها<sup>4</sup>.

1 انظر: تليفق صورة الآخر في التلمود (يسوع المسيح والعرب والمسيحيين والأميين)، تأليف: زياد منى، شركة قدمس للنشر والتوزيع، ط 3، 2004، ص: 54-55.

2 الصدوقيون: مأخوذة من الكلمة العبرية "صدوقيم" ويقال لهم أحياناً: ليوثيون، ومن المحتمل أن يكون أصل الكلمة الكاهن الأعظم "صادق" (في عهد سليمان)، وهي فرقة دينية وحزب سياسي، وكان الصدوقيون طبقة كهنوتية مرتبطة بالهيكل اندمجوا مع أثرياء اليهود، وتحولوا إلى أرستقراطية وراثية، أبعدهم عن القيادة الدينية للعامة وهم يؤمنون باليوم الآخر بدعوى أنه لا توجد أية إشارة إليه في العهد القديم ولا يعترفون إلا بالشرعية الشفوية، وكانوا في طليعة المسؤولين عن محاكمة المسيح، وقد اختفت بهدم الهيكل (70 م) لارتباطها العضوي به، انظر: موسوعة اليهود واليهودية، ج 5، ص: 323-324.

3 موسى بن ميمون (1135-1204م)، الفيلسوف اليهودي الأندلسي، علم من علماء الدين، من كبار شراح التلمود كان طبيباً لصلاح الدين الأيوبي، قام بجهد لا يضاهي في إعطاء اليهودية بناءً فكرياً متماسكاً من خلال التأصيل والتفصيل لمسائل العقيدة والشرعية، وعمل على التوفيق بين الدين والفلسفة مما لا تخطئه العين من تأثره بآراء باين رشد، يعتبره كبار العلماء اليهود ذروة التفكير اليهودي الفلسفي في القرون الوسطى. من أهم مؤلفاته: دلالة الحائرين، الشرح على المشنة، كتاب الشرائع وله في الطب عشرة كتب. ينظر في ترجمته: موسوعة الأديان الحية، ج 1، ص: 70 وما بعدها. موسوعة اليهود واليهودية الميسري، ج 3، ص: 367. وموسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ج 1، ص: 497.

4 موسوعة اليهود واليهودية: م، س، ج 5، ص: 343. وانظر: الموسوعة التقديرية للفلسفة اليهودية، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1400هـ-1980م، ص: 239-240.

واليهود اليوم هم مجموعة دينية مميزة، منتشرة في أنحاء مختلفة من العالم تسعى لأن تظهر للآخرين كمجموعة عرقية ذات صفات خاصة، في محاولة لتبرير إقامتها لإسرائيل على أرض فلسطين<sup>1</sup>.

وهو أمر يدحضه تاريخهم الذي يؤكد يقينا ضياع ما سمي بنقاوة الدّم اليهودي وانتفاء النسبة إلى الإسرائيليين القدامى بسبب السّبي الذي أدى إلى اندماج الكثير منهم في المجتمعات التي وفدوا عليها بالدخول في المسيحية ثم في الإسلام، بالإضافة إلى الشتات اليهودي في أوروبا المسيحية خلال العصر الوسيط والحديث<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: الأسفار اليهودية المتفق عليها والمختلف فيها.

#### أولاً: التوراة وأسفارها.

التوراة هو الكتاب الذي يتفق اليهود بمختلف فرقهم على قدسيته وحجيته، إذ يعتقدون أنه أنزل على موسى -عليه السّلام- ووصل إليهم بواسطة الأنبياء، "فهو عندهم وحي وتنزيل يستمدون منه عقيدتهم وشريعتهم وأخلاقهم، ويستندون إليه في معرفة تاريخهم وأيامهم"<sup>3</sup>. ويقسم اليهود كتابهم إلى ثلاثة أقسام جمعوها في كلمة (تنخ): (توراة) و(نبؤيم) و(كتوبيم). أمّا (التوراة والأنبياء) فإنّهما يسيران في نسق تاريخي متصل، ويحكيان قصة العبريين منذ البداية إلى عودتهم من السّبي البابلي في القرنين الخامس والرابع ق.م. أمّا القسم الثالث وهو الكتب فهو تراث أدبي يكثر فيه الشعر والأمثال والقصص.

1 المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي، موسوعة العالم العربي المعاصر، ناجي نعمان، دار النعمان، ط 1، 1990م، ص: 474-475، وانظر: محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، ص: 29-30-31.

2 انظر: مقارنة الأديان (اليهودية)، أحمد شلبي، ص: 186. وموسوعة اليهود واليهودية: م، س، ج 5، ص: 240.

3 بحوث ممهدة في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرفاوي، دار الفكر العربي القاهرة، مصر، ط 2، 2002م، ص: 119.

## القسم الأول: (التوراة).

هي أصل العهد بين (يهوه) وشعبه، وتتكون من خمسة أسفار 'كتب موسى عليه السلام' وسميت باليونانية 'بنتاتيك' 'Pentaticha'، وانتقلت إلى اللاتينية وأكثر اللغات الأوروبية وهي تغطي فترة من التاريخ تبدأ مع بدء الخليقة وتنتهي بوفاة موسى على جبل (نبو) في شرق الأردن حوالي (1300 ق.م)<sup>1</sup>.

## أولاً: سفر التكوين.

ويتناول تاريخ العالم من بداية التكوين (السموات والأرض إلى استقرار أولاد يعقوب في أرض مصر. وفيه تفصيل لقصة آدم -عليه السلام-، وحواء مع إبليس والخطيئة الأولى وقصة نوح والطوفان ونسل سام الذي انحدر منه شعب بني إسرائيل وخاصة الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب، ويوسف والأسباط<sup>2</sup>.

## ثانياً: سفر الخروج.

يعرض قصة أعظم رسل بني إسرائيل، موسى عليه السلام، ودعوته لفرعون، وخروجه مع بني إسرائيل من مصر نحو أرض فلسطين، وفيه معجزة انفلاق البحر وعبور بني إسرائيل وغيرها من المعجزات، وتلقي موسى للوصايا العشر في جبل سيناء، وفيه أيضاً تمرد بني إسرائيل عليه وعلى هارون، وصناعتهم للعجل الذهبي، ويحتوي هذا السفر إلى جانب كل ذلك على مجموعة هامة من الشرائع والقوانين (قوانين العهد)<sup>3</sup>.

1 الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه، د.حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، 1407هـ-1987م، ص: 12-13، بتصرف.

2 الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د.علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، 1384هـ-1964م، ص: 14، بتصرف.

3 الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، ص: 14 -بتصرف-. وانظر: بحوث ممهدة في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرفاوي، ص: 123.

**ثالثا: سفر اللاويين.**

نُسب هذا السفر إلى اللاويين، وهو الفرع الذي ينحدر منه موسى وهارون وهم سدنة الهيكل والمشرفين على الطقوس والقوانين والشريعة، لذلك جاء معظمه مفضلا لأحكام الشريعة في الأطعمة والأنكحة والكفارات والذنوب والطقوس والأعياد والنذر والتنجاسات، وما يتصل بها من أوامر ونواهي، وهو متصل بالقسم الأخير من الخروج ومع سفر العدد<sup>1</sup>.

**رابعا: سفر العدد.**

تضمن إحصائيات عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم، إضافة إلى طائفة من الأحكام الفقهية ويتكوّن من ستّة وثلاثين أصحاحا<sup>2</sup>.

**خامسا: سفر التثنية.**

أو 'تثنية الشريعة': ومعناه الإعادة والتكرار، وقد شغل معظمه بإعادة أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعبادات والعقوبات، كما تحدث عن القضاء ونظام الملك والكهنة والنبوة، وعن اختيار يشوع بن نون خلفا لموسى وانتهى بخبر وفاة موسى ودفنه<sup>3</sup>.

**القسم الثاني: الأنبياء (نبئيم).**

يعرض تاريخ أنبياء بني إسرائيل الذين أرسلوا بعد موسى، وتنقسم كتب الأنبياء إلى قسمين:

1 انظر: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، ص: 15، ومقارنة الأديان اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة، مصر، 1988م، ص: 234.

2 بحوث ممهدة في مقارنة الأديان، ص: 121، الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، ص: 15، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص: 15.

3 انظر: مقارنة الأديان اليهودية، د. أحمد شلبي، ص: 235، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة عن الإسلام، ص: 15.

أولاً: الأنبياء المتقدمون: وتحدّث عنهم أربعة أسفار.

1. يشوع: الذي يحتوي على تفاصيل قيادة يشوع لبني إسرائيل لغزو فلسطين في أعمال تتسم في جملتها بالمعجزات التي يقوم بها إله الحرب في العهد القديم الذي ينزل وسط الجنود ليقاتل عن إسرائيل وينتهي السفر بوفاة يشوع<sup>1</sup>.
2. سفر القضاة: وهم مجموعة من القادة والزعماء ظهوروا في بني إسرائيل بعد يشوع وعرف عصرهم (بعصر القضاة)، ويحتوي السفر الخاص بهم واحد وعشرين أصحاحاً، وحسب هذا السفر فقد قاد القضاة بني إسرائيل نحو من (350 سنة) في حين يرجح النقاد أنها لم تتجاوز المئة (100) سنة<sup>2</sup>.
3. سفر صموئيل الأول والثاني: يتناول القسم الأول من السفر القسم الأول من عهد داوود والثاني خاص بحكمه.
- سفر الملوك الأول والثاني: ويتناولان الفترة من موت داوود حتى بدء السبي البابلي.
4. سفر أخبار الأيام الأول والثاني: وهي وثائق غير مصنفة وسرد لسير منذ آدم إلى قورش وسلسلة طويلة تحتوي أسماء أماكن وعشائر وأعلام<sup>3</sup>.

### القسم الثالث: المكتوبات (كتوبيم).

وتسمى كتب الحكمة أو (هيجيوغرافيا)، ويغلب على هذه المجموعة الطابع الأدبي، شعراً ونثراً وتضمنت تراثاً من القصص والحكم، كما اتسم جزء منها بنزعة ملحمية وصفت

1 التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، د. صابر طعيمه، دار الجيل، بيروت، 1399هـ-1979م، ص: 44.

2 التراث الإسرائيلي في العهد القديم، ص: 45-46 ومن أهم هؤلاء القضاة: أهودا، وباراق بن أبي نوعم، وجدعون، ويفتاح وشمشون الجبار، ونبية قاضية إسمها دبّورة.

3 انظر: التراث الإسرائيلي في العهد القديم، ص: 50 وما بعدها، الفكر الديني أطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ص: 36 وما بعدها.

بطولات بني إسرائيل واستماتتهم في العودة إلى فلسطين بعد السبي البابلي والاستقرار فيها، وتتألف من اثني عشر سفرا: المزامير، وأمثال سليمان، وأيوب، ونشيد الإنشاد وراعوث، وهوشع ومراثي إرميا، والجامعة وإستير ودانيل، وعزرا ونحميا<sup>1</sup>.

ويتفق اليهود بجميع فرقهم على أسفار موسى الخمسة، ولكن (السامريون)<sup>2</sup> لا يعترفون بما عداها باستثناء سفر يشوع والقضاة، لكنهما تاريخيان فقط حسبهم، ويوافقهم في ذلك الصّدوقيون فيكون عدد أسفارهم المقدسة لا يتعدى سبعة بخلاف غيرهم من اليهود، فإنهم يؤمنون بتسعة وثلاثين سفرا هي المكونة حسبهم للكتاب المقدس العبري كما أنّ أسفارهم لا تتطابق في المحتوى أو في العدد مع النسخ العبرانية<sup>3</sup>.

#### ثانيا: تعدد مصادر التوراة ومظاهره.

اهتم العديد من باحثي الكتابات المقدسة بما كان يبدو أنه تناقضات في التوراة، فكانوا يفحصون ويتباحثون تلك النصوص وقد توصل كثير منهم إلى تصوّرات وافتراضات صارت في عصرنا علما. والحقيقة أنّ تاريخ نقد الكتاب المقدس قد ابتدأ مع السامريين، منذ انشقاق

1 انظر: مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، د. محمد عبد الله الشرقاوي، ص: 23.

2 السامريون (فرقة يهودية صغيرة، تعيش بجوار نابلس وهم ينتسبون إلى مدينة السامرة القديمة التي يعيشون حولها (نابلس) وكانت السامرة عاصمة مملكة إسرائيل المنشقة عن عرش سليمان بعد وفاته، ويعرفهم الحاخام آدين شتا ينسالتز أنهم من الجويميم (الأغيار) الذين جاءوا إلى السامرة وتهوّدوا هناك، وقد اختلف الحاخامات بشأن وضعهم التشريعي... حيث أنّ أصل تهودهم مشكوك فيه، لذلك توجد تشريعات كثيرة في المشنا للسامريين فيها موقف وسط بين الإسرائيليين والأغيار. ولقد قرّر الحاخامات في الأجيال المتأخرة، عندما فسدت أعمالهم أنهم يعدّون جويميم في كل شيء). انظر: الفكر الديني أطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ص: 248، ومعجم المصطلحات التلمودية، آدين شتا ينسالتز، ت: عبد المعبود سيد، مراجعة: د. محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2006م، ص: 109.

3 انظر: التراث الإسرائيلي في العهد القديم، ص: 85 وما بعدها، ومقارنة الأديان (اليهودية) د. أحمد شلبي، ص: 258 وما بعدها.



مملكة سليمان إلى شمالية وجنوبية وامتد إلى فرقة القرائين<sup>1</sup> التي ظهرت في الحضارة الإسلامية وتأثرت باللاهوت الإسلامي<sup>2</sup>. وقد ظهر النقد المسيحي للتوراة في مرحلة مبكرة، لكن النقد الإسلامي باعتماده على القرآن كان سابقا إلى التنبيه إلى أهم ما توصل إليه المتخصصون في العصر الحديث (تعدد المصادر)<sup>3</sup>. وفي عام (1678م) قام الكاهن رتشارد سيمون بنشر كتاب بعنوان: 'التاريخ النقدي للعهد القديم'، أبرز فيه اللامعقولية في التأريخ إلى جانب ألوان التكرار والفوضى في السرد، واختلاف الأساليب نafia بذلك أن تكون أسفار موسى الخمسة كلها من صنع رجل واحد<sup>4</sup>.

وقد كان العالم الكاثوليكي أستروك (1753م)، أول من أشار صراحة إلى تعدد المصادر مستندا في ذلك إلى اختلاف أسماء الألوهية في 'سفر التكوين' فأعتبر الاسمين (يهوه) و(الوهيم) ممثلين لمصدرين أساسيين، وقد أشار لذلك فيتر وأعقبه علماء آخرون، كلهم توصلوا إلى أن سبب الاختلافات الأسلوبية الواضحة، وحتى المنهجية تدل على وجود هذين المصدرين الأساسيين، وإلى مصادر متعددة داخل هذين المصدرين، واتفقت على أن التوراة تتكون من مجموعة كتابات جمعت وحررت وضمّت في عمل واحد.

1 فرقة القرائين: وهي فرقة أنشأها عدنان بن داوود في القرن الثامن الميلادي وتسمى أيضا (شعب الكتاب المقدس) وهم يتشددون في إتباع التوراة ويرفضون التلمود، وقد انتشرت دعوتهم في العالم الإسلامي، لا سيما بلاد فارس، وتجمع جل المصادر على تأثر هذه الحركة بالعقائد الروحية الإسلامية وبخاصة المعتزلة. انظر تفاصيل دورهم في دائرة المعارف اليهودية العامة مادة Egypt، وموسوعة الأديان الحية أديان النبوات، الأديان السماوية، ر.س. زينر، ت: د. عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2010، ج 1، ص: 70.

2 انظر: تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث؛ زلمان شانزار، ت: أحمد محمود هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000م، ص: 29-30.

3 وقد أشار أكثر النقاد المسلمين إلى فكرة تعدد كتاب التوراة غير أن ابن حزم يعدّ من أكبر النقاد والأوسع اطلاعا على أسفار اليهود، وهذا ما يظهر جليا في كتابه: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أنظر: نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي، د. أحمد محمود هويدي، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2014، ص: 110، 111، 112.

4 اليهودية بين النظرية والتطبيق، علي خليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997م، ص: 19، نقلا عن فلسطين أرض الرسالات السماوية، روحية، غارودي، ت: قصي أناسي، ص: 278.

ثم جاء فلهاوزن، والذي أعتبر أعظم ناقد للتوراة في العصر الحديث (1844-1918م)، حيث أسس مدرسة نقدية كبيرة عملت على التوسع في تطبيق نظرية المصادر على كل كتب العهد القديم، وعلى تحديد الفقرات التابعة لكل من المصدرين الألوهيمي واليهوي، وكذلك عزل المصادر الفرعية (كهنوتي - تنوي) داخل كل مصدر<sup>1</sup>.

ويأتي المصدران الألوهيمي واليهوي على قائمة المصادر من حيث التعارض والتناقض في الآراء والمفاهيم، ويتحدّد موقف المصادر الأخرى بالاقتراب أو الابتعاد من أحد هذين المصدرين، كما هو الحال بالنسبة للمصدرين التنوي والكهنوتي؛ والحقيقة أن التوراة في وضعها الحالي هي معبرة عن رؤية واضعي المصدر الكهنوتي، من ذلك صياغة عبارات قديمة في مرحلة متأخرة وإضافتها على أنّها قديمة [من ذلك كتاب العهد في سفر الخروج 20، 22، 23 و33]، ومنه أيضا تصنيف محرري هذا المصدر لتشريعات كهنوتية حديثة بأسلوب تاريخي يوحى بقدمها مع صلاحيتها للاستمرار<sup>2</sup>. وبالرغم من أن هذا التحليل يساعدنا على فهم أعمق لأبعاد النص ولحقيقة القيم التي يحملها ويعبر عنها، غير أنّه من المتعذر الآن "أن نعتمد على هذا التحليل لتقسيم النصوص والوثائق... فالانتماء إلى أحد التقاليد، لا يظهر بوضوح ويتعدّر إلا في حالات نادرة، تحديده آية آية"<sup>3</sup>.

## 1. المصدر اليهودي:

يتميز هذا المصدر باستخدام اللفظ (يهوه) للدلالة على الألوهية، وقد عدّه البعض من نتاج القرن العاشر (ق.م). ونسبه البعض إلى القرن التاسع (ق.م)، ومن أهم خصائصه:

- 1 علاقة الإسلام باليهودية؛ رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، د. محمد خليفة حسن أحمد، دار الثقافة والنشر، القاهرة، ط 1، 1988م، ص: 21 إلى 25 بتصرف.
- 2 علاقة الإسلام باليهودية، ص: 35-36-37.
- 3 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، إشراف (بولس باسم النائب الرسولي للاتين)، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 3، 1994، (مدخل إلى التوراة)، وهو مقدمة قيمة مأخوذة من الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس، كما أعتمد على ترجمة أورشليم الفرنسية للكتاب المقدس، ص: 61.

- أن إنشاء (اليهوي) واقعي وتصويري وغني بالاستعارات ويكاد يكون ساذجا. إنه إنشاء راوي قصص لا يتردد في الكلام على الله بألفاظ كثيرة الصور، كأنه إنسان "فسمعا وقع خطي الرب الإله وهو يتمشى في الجنة عند نسيم النهار" [تكوين: 8/3]، فالله يظهر كالإله الذي يعيش مع الإنسان ولا يتوقف عن الإحسان إليه حتى في حال تمرده والذي يفضل أصغر الأنبياء (يعقوب على عيسو) خلافا للعادات المتبعة<sup>1</sup>.
- الربط بين الدين والقومية والاهتمام البالغ بمفاهيم الأرض والملك، والحماس السياسي القومي وربطه بالعقائد والطقوس إذ فيه تم الربط بين الرب والشعب والأرض في ثالوث لا ينفك.
- التركيز على مفهوم الخلاص، وجعل (يهوه) إله بني إسرائيل الخاص. وفي هذا المصدر تم اختلاق فكرة الوعد بأرض إسرائيل على أرض كنعان الممتلئة عسلا ولبنا إنه إله المواعد والعهد<sup>2</sup>.

## 2. المصدر الألوهيمي:

الذي يتميز باستخدام لفظ (ألوهيم) للدلالة على الألوهية... ويحدده بعض النقاد بالقرن التاسع (ق.م) بينما يؤرخ له من يعتقد أنه متأخر عن اليهوي بحوالي (8 ق.م)، وهو يتخذ موقفا معارضا من الاتجاه اليهوي، فيكون عند المختصين إما سابقا أو مصححا للألوهيمي باعتبار تأخره، ومن أهم خصائصه:

1 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 61.

2 علاقة الإسلام باليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 31-32-33 بتصرف. وانظر: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ليوتاكسيل، ت: د. حسان مخائيل إسحاق، (د.ط، د.ت)، ص: 520. والمدخل لدارسة التوراة العهد القديم، د. محمد علي البار، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط 1، 1410هـ-1990م، ص: 182-183.

- التأكيد على التوحيد ورفض الوثنية<sup>1</sup>، فهو أشد اهتماما بإبراز السّمّو الإلهي وإظهارا للبعد القائم بين الله والإنسان.
- ضعف الصّلة بين العناصر الدينية والقومية وتخفيف ملحوظ للعنصرية وعدم اهتمام واضح بفكرة أرض إسرائيل.
- وضوح وتركيز على البعد الأخلاقي من خلال أخلاقية التعاليم، والنزوع إلى تبرئة الأنبياء من الأخطاء، وسيطرة رؤية الأنبياء على نظرة المؤرخ الألوهيمي؛ لذلك اعتبر بداية حركة النبوة في بني إسرائيل وهو يميل إلى التركيز على التراث الموسوي، وينسب فلهاوزن تراث الأنبياء إلى المصدر الألوهيمي، لوجود مفهوم ديني أخلاقي فيه<sup>2</sup> ففيه ترسخ الاهتمامات الأخلاقية... وهو الذي يصفح على الخاطئين التائبين [خروج: 14/32] في إسرائيل وعند الوثنيين [تكوين: 5/20-6] إنه يقود الشعب على يد أنبياء كموسى باختيار من الله، لا بنظام سلالي<sup>3</sup>.

### 3. المصدر الثنوي:

هو أساس تثنية الإشتراع وهو سفر يناسب زمن (7 ق.م)، فإن الله إله الآباء وإله العهد، يظهر كالذي يختار يملئ الحرية شعبا يعطيه أرضه ومؤسساته (من ملوك وكهنة وقضاة وأنبياء)، وهو يعمل بحكم وفائه لمواعيده وعن محبة، والشعب مدعو للتجاوب مع هذه المحبة إلى إتباع الشريعة التي هي موضوع إعجاب الأمم<sup>4</sup>، فهو محاولة توفيقية بين المصدرين الألوهيمي واليهوي.

1 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية (مدخل إلى التوراة)، ص: 61 بتصرف.

2 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 62 بتصرف.

3 انظر : علاقة الإسلام باليهودية، د. محمد خليفة حسن، ص: 27-28-29-30-31.

4 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 62 بتصرف.

- وهو يحتفظ بالاتجاه القومي ويبدو ذلك واضحاً في خيرية شعب إسرائيل [ثنائية: 4/6] وفي فكرة الثالوث المقدس.

- ويتصف بالمثالية الأخلاقية للألوهيمي التي تبرز في استخدام الثنوي لألفاظه، والتركيز على التجربة الشخصية من خلال العلاقة المباشرة بين الله والإنسان.

- اتصاف الله بالعدالة والحق والرّحمة<sup>1</sup>

#### 4. المصدر الكهنوتي:

يعود تاريخ هذا المصدر إلى فترة السّبي البابلي (586-538 ق.م). ويتفق العلماء على نسبته إلى عزرا (5 ق.م.).

- والإله الذي تعرضه النصوص (الكهنوتية) هو إله الكون الذي صنع الإنسان على صورته والذي خلص البشرية في شخص نوح، واختار إبراهيم ليكون أباً لعدد كبير من الأمم، وهو الذي أعطى شعبه الحياة وجعل موسى وإلى جانبه هارون وسيطا بينهما<sup>2</sup>.

- يمتاز إنشأؤه بال تكرار و ببعض التصلب وحب الإيضاحات العديدة والميل إلى كلّ ما يتعلق بالعبادة والجمود الإنشائي الذي يتّصف به التقليد، فهو يركز على تنظيم الطقوس والشعائر والأحكام التشريعية والنّظم القانونية القديمة.

- يحاول هذا المصدر عرض ديانة بني إسرائيل ومؤسساتها في إطار التاريخ العام، وكان الظن أنّ هذا المصدر هو الأقدم لدقّته لكن تبين للنقاد أنّه الأحدث، وأن محرّره هم من ثبّتوا نصوص الكتب الأربعة الأولى (التكوين، الخروج، اللاويون، العدد)<sup>3</sup>.

1 انظر: علاقة الإسلام باليهودية، د. محمد خليفة حسن، ص: 41-42.

2 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، (مدخل إلى التوراة)، ص: 62-63 بتصرف. وانظر: مدخل إلى التلمود؛ أدين شتا يتسالتيز، ص: 24-25.

3 علاقة الإسلام باليهودية: رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، د. محمد خليفة حسن، ص: 34-35 بتصرف.

## 5. التلمود وأقسامه:

التلمود هو "مصنف الأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهية اليهودية وسجل للمناقشات التي دارت في الحلقات التلمودية حول المواضيع القانونية والوعظية"<sup>1</sup>. ويتكون من مجموع 'المشنا': وهي مجموعة الأحكام والتعاليم والتفاسير والفتاوى والوصايا التشريعية التي تناقلتها الأجيال مشافهة من عهد موسى -عليه السلام- إلى عهد يهوذا هاناسي<sup>2</sup> في بداية القرن الثالث، وهي أساس التلمود ومنتنه. ويسمى أيضا (التقليد)، وهو ما ليس في الكتاب المقدس من فرائض، وأحكام، وعوائد يهودية، وإنما ما تداولوه من جيل إلى جيل، وقد سموا التقليد بالتوراة الشفوية أو الشريعة المنقولة، تميزا له عن التوراة -الشريعة المكتوبة-، ويرجح كثير من الدارسين أن التلمود يرجع إلى أيام السبي البابلي حين أنشأوا المجامع، وأخذوا يدرسون الشريعة ويفسرونها وترجمونها، حتى يتسنى فهمها للجميع. وقد شرحت 'المشنا' في بابل وفي فلسطين؛ أما التلمود البابلي، وهو الأكثر دقة واعتبارا في الدوائر اليهودية، فقد كتب باللغة الآرامية الشرقية. وأما التلمود الفلسطيني فهو مختصر أكثر من البابلي وأقل تعقيدا وتفصيلا وعمقا، ويكثر فيه العنصر القصصي<sup>3</sup>، وقد كتب بالعبرية أساسا، ما عدا بعض الجمل المكتوبة بالآرامية، والسريانية والعربية. ويعني مصطلح (مشنا) في اللغة

1 موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، ج 2، ص: 33.

2 يهوذا هاناسي (132-217م)، شغل منصب الرئيس أو الكاهن، وهو من أقطاب الديانة اليهودية عرف بسعة علمه حتى قيل فيه: أنه لم يجتمع لأحد منذ عصر موسى النبي ما اجتمع له من معارف وسلطة ومكانة، وهو من قام بجمع شروحات الرّبانين السابقين وترتيبها مما يؤلف المشناة. انظر: التلمود كتاب اليهود المقدس، أحمد أيش، دار قتيبة (د.ت) ص: 239.

3 انظر: قاموس الكتاب المقدس، مادة - تقليد، ص: 505-506 وقد درج اليهود على إطلاق تسمية التلمود الأورشليمي على التلمود الفلسطيني لإضفاء الشرعية الدينية والتاريخية لوجودهم في فلسطين، والحقيقة أنه لا علاقة لهذا التلمود بأورشليم (القدس)، فقد كانت أهم مراكز المدرسة الغربية الفلسطينية تتركز في ثلاث مناطق. تتركز جميعها في شمال فلسطين وهي طبرية وقيسارية وسفورية، وهناك تم تحرير التلمود. انظر: ترجمة متن التلمود (المشنا، القسم الأول: (زرعيم) ت: د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، دار طيبة، الناشر: مكتبة الناظدة، مصر، ط 1، 2008، ص: 17.

العبرية (التعلم) و(التكرار)، وقد اتسع معناه وأصبح يعني كذلك (الدراسة) أما الشطر الثاني من التلمود 'الجمارا' فقد كتب الأصل فيه كله بالآرامية، وهي شروح امتدت لأجيال، فُدرت بعشرة قرون، خمسة قبل الميلاد ومثلها بعده.

هذا، وإن كان الحاخام<sup>(1)</sup> يهوذا هاناسي هو من تولى جمعها من مصادرها وترتيبها، إلا أنه من المرجح أن بدء جمع مادة 'المشنا'. قد بدأ في عصر مدرستي هليل<sup>2</sup> وشماي<sup>3</sup> وقام الرابي عقيبا بن يوسف<sup>4</sup> بدور هام في تمحيص 'المشنا' وتبويبها وترتيبها، وأضاف إليها شروحا مهمة<sup>5</sup>.

وقد عرفت المشنا في مراحل تاريخيه متعاقبة علماء ومحررين سموا (بالعلماء التنائيم)<sup>6</sup>، حيث ظهرت عدة نسخ منها؛ اقترنت كل واحدة باسم الذي جمعها، مثل: (مشنا عقيبا)

1 الخاخام: هو من تعلم التوراة والمشنا والجمارا، وكان الخاخام طيلة أجيال كثيرة يعد مؤهلا جدا في أحكام مختلفة وقد دعم الخاخامات تعديلاتهم وتشددوا فيها حتى أكسبوا قوة تعدل أقوال التوراة أو تتفوق عليها في بعض الحالات. معجم المصطلحات التلمودية، أدين شتا يتسالتر، ص: 89.

2 هليل: من مواليد يهود بابل، عاش في بيت المقدس في عهد الملك هيرود الذي ولد السيد المسيح في عصره، وترأس الحركة الدينية اليهودية في فلسطين وقد امتدت حتى القرن الخامس الميلادي، تولى رئاسة السنهدرين، أعظم سلطة بين الفريسيين، وامتازت أحكامه بالتيسير والرحمة: انظر المشناة ركن التلمود الأول ص: 6-7.

3 شماي: من مواليد اليهود الذين أقاموا في فلسطين عاش في القرن الأول قبل الميلاد، واجتمع مع هليل في السنهدرين (المحكمة العليا) حيث كان رئيسها الثاني أسس مدرسته التي عرفت بمعارضتها لمدرسة هليل واشتهرت بتشدها وتعصبها. انظر: المشناة ركن التلمود الأول، ص: 7-8.

4 عقيبا بن يوسف: عاصر الثورة اليهودية بقيادة شمعون باركخبا على الرومان (132-135 ق.م) وأيدها، وقد لعب دورا هاما في تمحيص المشناة وتدوينها وترتيبها وتبسيطها وأضاف إليها شروحا. وتعتبر مشناة الرابي عقيبا المشناة الثانية. انظر: المشناة ركن التلمود الأول، ص: 8.

5 المشناة ركن التلمود الأول النظام الثالث (نظام النساء)، ترجمة إلى العبرية نقلا عن الأصل العبري، حمدي النوباني، القدس 1987م، ص: 7-8 بتصرف. وانظر: ترجمة متن التلمود، ص: 5-7-8.

6 التنائيم: اشتق اسمهم من (ثنى) الآرامية ومعناها (علم) والتنائيم هم أولئك الذين عاصروا الفترة التي بدأت بمدرستي هليل وشماي وانتهت بمعاصري يهودا هاناسي، وهي فترة لبثت مائتي سنة وازدادت عشرا (10-220م) وقسمت إلى ستة أجيال، انظر: المشناة ركن التلمود الأول (النظام الثالث) ت: حمدي النوباني، ص: 41-42.

و(مشنا مير) لكن النسخة التّمودجية هي تلك التي حرّرها هاناسي بمساعدة علماء آخرين. ولغة المشنا هي اللغة المعتمدة في المحاكم الإسرائيلية الآن. وتنقسم 'المشنا' إلى ستة أقسام تسمى: (سداريم) ومفردها سدر، يتألف كل واحد منها من سبعة إلى اثني عشر مبحثاً، تُدعى (ميسخيت) الذي يتألف بدوره من أقسام تدعى (مشنايتون) مفردها (مشناة)<sup>1</sup>.

### القسم الأول: قسم الزروع أو البذور (سدر زراعيم).

يشتمل هذا القسم على أحد عشر ميسخيت (سفرا)، يتناول كل الواجبات والأوامر والزواجر المفروضة على اليهود فيما يتعلق بالحقل والمزروعات، ويحتوي على الأحكام والحقوق المترتبة على الزراعة، إلى جانب النظم الواجب تتبعها في الزراعة أو الجني والصلوات والأدعية الواجبة في ذلك.

### القسم الثاني: قسم المواعيد والأعياد.

يضم (سدر موعيديم) اثنا عشر ميسخيت (سفرا) ويقسم كل سفر إلى بيراكيم (فصول) ويحتوي سدر مجموع الأعياد على الأسفار الخاصة بالأعياد والسبت خصوصاً. والأعياد العبرية هي عيد السبت والسنة السبئية، وعيد الهانوك (الشموع) وعيد الفصح، وعيد التكفير، وعيد رأس السنة، وعيد المظال، وعيد إستير الفوريم، وعيد العنصرة (الأسابيع)<sup>2</sup>، واهتمّ القسم كذلك بشرح كيفية معرفة التقويم العبراني لتحديد الأشهر القمرية من السنة الشمسية

1 التلمود كتاب اليهود المقدس، أحمد أيش، دار قتيبة (د.ت)، ص: 29، بتصرف، وانظر: ترجمة متن التلمود، ص: 12.

2 التلمود الأساسي، سدر المواعيد المقدسة ويحتوي على الأعياد العبرية، ترجمة وتأليف: إميل عبّاس، مكتبة السائح، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م، ص: 7.



لتعيين الأعياد اليهودية، مستندا في ذلك إلى كثير من الشرائع التوراتية بالإضافة إلى شروح الحاخامات<sup>1</sup>.

### القسم الثالث: قسم النساء (سدر ناشيم).

في هذا القسم تفصيل للأحكام والقوانين المتعلقة بالعلاقات الزوجية والأسرة، وأحكام الطلاق وشروطه، والأرملة والإجراءات الواجب إتباعها على من توفي عنها زوجها ولم يترك له منها ولدا، وأيضا النذور والكفارات<sup>2</sup>.

### القسم الرابع: قسم العقوبات (سدر نازقين).

يتضمن هذا القسم الأحكام الخاصة بالخسائر والأضرار والتعويضات المترتبة عليها.

ويتكوّن من عشرة مباحث تنقسم إلى قسمين أساسيين:

**يضم الأول:** أبوابا ثلاثة موضوعها العام هو القانون المدني.

**أما الثاني:** فيضم مبحثين الأول: سنهدرين مجلس القضاء الأعلى، والثاني: موضوعه

العام هو القانون الجنائي، أما بقية المباحث فتضمنت الأصول الأدبية والأخلاقية التي تضبط

العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، إلى جانب التقاليد الشفوية للآباء من موسى حتى

شماي وهليل<sup>3</sup>.

1 ترجمة متن التلمود، ترجمة وتعليق: د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، دار طيبة، مصر، ط1، 2008م، ص: 13.

2 ترجمة متن التلمود، ص: 14، وانظر: المشنا، ركن التلمود الأول، نظام النساء، ت: حمدي النوياني، ص: 9.

3 ترجمة متن التلمود، ص: 14-15 بتصرف. وانظر: مدخل إلى التلمود، الحاخام: أدين شتا ينسالتر، ت: د. فينيتا الشيخ، دار الفرقد، ط 1، 2006، ص: 124.

**القسم الخامس: قسم المقدسات (سدر قدائيم).**

معظم الأحكام الواردة في مباحث هذا القسم مرتبطة ارتباطاً شديداً بوجود الهيكل، فهو يتضمن أحد عشر فصلاً متعلقاً بشعائر التضحية والذبائح، والتقدمات، ويتناول تعليم قوانين الذبح وما يحل وما لا يحل منها<sup>1</sup>.

**القسم السادس: قسم الطهارات (سدر طهروت).**

يتناول هذا القسم في اثني عشر مبحث الأحكام والتشريعات الخاصة بالطهارات والتنجاسات في الشريعة اليهودية، وهي معتمدة على ما ورد في سفر اللاويين كمرجعية أساسية في ضبط هذه الأحكام<sup>2</sup>.

وقام مجموعة من أحبار اليهود، يسمون الأمورائيم (Amoraim) في مدارس العراق وفلسطين بشرح وبسط المشنا، فتكون بفعل هذه الحركة طبقة الأمورائيم، وهم التلاميذ الذين تمكنوا من هذا العلم لمستوى يؤهلهم لتعليمه. وهكذا استمرت هذه الحركة لتنتج طبقات من العلماء وينتج عن هذه الحركة؛ تلمود بابل وفلسطين.

**ثالثاً: أهمية التلمود عند اليهود.**

يعتقد اليهود أن (المشناة) ومعناها بالعبرية (المعرفة) أو القانون الثاني، قد أنزل على موسى في طور سيناء، إذ يروي اليهود عن الحاخام ليفي بن شما الذي يروي عن سيمون بن لاكيش قوله مفسراً لما جاء في التوراة: "إننا سنعطيك ألواح الحجر، وقانوننا ووصايا كتبناها، لتعلمها لهم" [الخروج 24: 12]. إن المراد بالألواح "الوصايا العشر والقانون: هو القانون المكتوب

1 انظر: ترجمة متن التلمود، ص: 15، ومدخل إلى التلمود، الحاخام: أدين شتا ينسالتر، ص: 124.

2 ترجمة متن التلمود، ص: 15-16 بتصرف. وانظر: مدخل إلى التلمود، أدين شتا ينسالتر، ص: 124.

والوصايا، هي المنشأة". و(كتبناها) يعني الذي كتبه الأنبياء من كتابات مقدسة لتعلمها "معناه الجمارا، فهذا يعلمنا أن هذا كله أعطى لموسى في طور سيناء"<sup>1</sup>.

إنّ هذا المصدر هو المنظم حقيقة للحياة اليهودية، وهو المفسر للتوراة، وهو المشكّل الحقيقي للتصور اليهودي للعالم، والمحدّد لعلاقة اليهود بغيرهم<sup>2</sup>. فهو دائرة معارف تشمل كل نواحي الحياة الإنسانية، وسلطة التلمود - كمستودع للقانون الشفهي - تعتبر سماوية (إلهية) عند اليهود الأرثوذكس، ومن هنا تعتبر "تعاليم التلمود إلزامية وثابتة، أما اليهود المحافظون والإصلاحيون، فلا يقبلون السلطة الإلزامية الكلية للتلمود، رغم اعترافهم بالدور العظيم الذي لعبه التلمود في تحديد وحسم عقائد اليهودية أو نظرياتها"<sup>3</sup>.

لذلك يوصي علماءهم أنّه "يجب على كل شخص (يهودي)" أن يقسم دراسته إلى ثلاثة حصص يكرس الثلث الأول لدراسة القانون المكتوب (التوراة)، والثلث الثاني لدراسة 'المنشأة' والثلث الأخير لدراسة 'الجمارا'، وأما فهم التلمود فلا يأتي إلا بدراسته بواسطة القوانين والشروح التي وضعها الحاخامات<sup>4</sup> فالمنشأ مع ما امتازت به من شمولية، تعتبر كمرحلة من مراحل تطوّر الديانة اليهودية، بعد يهودية التوراة الممثلة للجزء الأهم في كتاب العهد القديم<sup>5</sup>. لذلك عكف حكماء اليهود على دراسة التلمود في كلّ العصور بشغف واهتمام. وقد كان موسى بن ميمون -أكبر مفكّر ديني في عصره-، أكبر دارس للتلمود أيضا، وقد حاول جهده أن يبني صرح

1 انظر ترجمة متن التلمود، ص: 11. والتلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس للطباعة، ص: 13-14. والنشر، بيروت، ط 2، 1972.

2 ترجمة متن التلمود، د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ص: 5.

3 دائرة المعارف اليهودية العامة. طبعة سنة 1905، الولايات المتحدة الأمريكية المجلد الثاني عشر، مادة "تلمود". وانظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، د. إسماعيل راجي الفاروقي، معهد البحوث والدراسات العربية، 1968، ص: 56.

4 التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، ص: 55.

5 انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ص: 53-54.

فلسفته على تعاليم التلمود هذا ما كتبه محرر دائرة المعارف اليهودية، وأضاف أن كلمة "الدراسة في قرون متطاولة في أوربا - كانت مرادفة لكلمة دراسة التلمود"<sup>1</sup>.

ذلك أن التلمود أسهم بقوة في حفظ دينهم وقوميتهم، ويقول: جينزبرج L.Ginzberg "أعطى التلمود اليهودي جنة روحية خالدة يلجأ إليها كيفما شاء، هاربا من العالم الخارجي بكل ما فيه من حقد ومظالم، وعلى صفحات التلمود وجدت الأجيال اليهودية المتعاقبة إشباعاً لأعمق أمانيتها الدينية... ورغم أنّ العالم قد انقطع عن قرونه الماضية، فإن التلمود لا يزال - بعد التوراة - القوة الروحية والأخلاقية المثمرة في الحياة اليهودية".

تم يمضي د. فايان يقول: "الحياة اليهودية حتى هذا اليوم مؤسسة إلى حدّ كبير، على التعاليم والأسس التلمودية، فطقوسنا وكتاب صلاتنا واحتفالاتنا، وقوانين زواجنا بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى مستخرجة مباشرة من التلمود. والتلمود هو الذي تُعزى إليه الصفات التي يتميز بها اليهودي<sup>2</sup> ولغة المشناه هي اللغة المعتمدة في يومنا هذا في التشريع والمحاكم الإسرائيلية".

1 ترجمة متن التلمود، مقدمة، د. محمد حسن خليفة، ص: 5.

2 انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، ص: 33-34-35.

## المبحث الثاني: مصادر القيم في الديانة اليهودية.

## تمهيد.

لقد أجمع جل الدارسين أنه لا يمكن البحث في أية مسألة تتعلق باليهود أو اليهودية، سواء كان ذلك في الجانب اللاهوتي، أم في الجانب التشريعي أو الاجتماعي بعيدا عن ثلوث الإله والعهد والأرض. فهي الأصول التي ينطلق منها اليهود لتحديد علاقاتهم بالقرب أو بالآخر في الجانب الشرعي والأخلاقي. وهذه الحقيقة مستمرة إلى يومنا هذا، فالتقاش في المذاهب اليهودية المعاصرة يتمحور حول هذا الثلوث بشكل أساسي، إذ بينما يجمع المحافظون على تعريف الأمة اليهودية: بأنها تتألف من الشعب الإسرائيلي والتوراة والإله، فالأقانيم الثلاثة تساوي في مجموعها وحدة موضوعية هي الأمة الإسرائيلية.

يُظهر الإصلاحيون الشعب على التوراة، فالكتاب المقدس وثيقة سجل فيها الشعب اليهودي تكريس نفسه ككاهن للإله الأوحيد وعلى الله. بينما يقدم الأرثوذكس الله والتوراة على الشعب<sup>1</sup>. ويوضح ابن ميمون هذه الفكرة كأنها شاخصة للنظر من خلال نصوص كثيرة منها، "وقد جعلت كلامي في فمك وبظِّل يدي سَتَرْتُكَ لتنصب السماوات وتؤسِّس الأرض وتقول لصهيون أنت شعبي"<sup>2</sup>[اشعيا: 51 / 16]، ويشمل ذلك طقوسهم وترانيمهم وأعيادهم، من ذلك

<sup>1</sup> الملل المعاصرة في الدين اليهودي، إسماعيل راجي الفاروقي، ص: 53، 61، 104. وانظر: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، عبد المنعم الحفني، ص: 239، 240.

والمذاهب اليهودية المذكورة هي مذاهب معاصرة، أما الأرثوذكس فهي تسمية أطلقها الإصلاحيون سنة 1808 م على الذين يُقَرُّون بالتوراة والتلمود والتراث الشفهي للربانة. وقد كانت نشأتهم بين يهود أوروبا الشرقية والغربية. أما الإصلاحيون فهم لا يعترفون إلا بسطة التوراة، وهم يرون فيها كتابا صادرا عن العبقرية اليهودية الخلاقة، وظهروا في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية كنتيجة لعصر التنوير الأوروبي، وقد حاول المحافظون اتخاذ موقف وسط بين التيارين. انظر: المرجع السابق، ص 69، 70. وانظر أيضا: الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ديمة شريف الصياد، دار النوادر، ط 1، 1422، 2012، ص 25.

<sup>2</sup> دلالة الحائرين، موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي، ت: حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، د ت، ج 2، ص 408.

عيد الخروج الذي أصبح مرتبطاً بمعنى تاريخي خالص كإحياء لذكرى الخروج من مصر، وقد قال الرّابون المتأخرون: "إنَّ على كل إنسان (يهودي) في كل جيل أن يعتبر نفسه كما لو أنه خرج من مصر، وهكذا فإنه يعيش بدايات شعبه وفقاً لما توحىه المعاني النهائية للتاريخ. إنه الطريق الذي يمر بسيناء، وهناك وصايا توثق اتجاهات وقيم معينة، وهناك محرمات وضعت لمنع تدني المستوى الخلقي والروحي، ... ومنها إجراءات وتنظيمات تمنع التعامل مع سكان كنعان الوثنيين المنحطين، أو التشريعات التي تهدف إلى إخضاع كل الحياة إلى نظام القداسة والتطهير"<sup>1</sup>.

وقد رافقت هذه العقيدة اليهودي طوال مساره التاريخي الممتد مكاناً وزماناً، واجتمع حولها اليهود على اختلاف مشاربهم، وإن اختلفوا أحياناً، وكما اختار الله شعباً خاصاً لتحقيق غرضه بين الجنس البشري، اختار أيضاً وطناً بعينه، الأرض المقدسة فلسطين لتكون مكاناً للإنجاز الديني لهذا الشعب المختار قلب الجنس البشري<sup>2</sup>.

### المطلب الأول: الله هو مصدر القيم في الديانة اليهودية:

ذكرتُ في الفصل التمهيدي بأن الكثير من الاتجاهات الفلسفية اعتبرت أن الإنسان هو القيمة الغائية، وجعلته في المركز من مسألة القيم، فهو المنشئ لها وإليه تنتهي، بينما جاءت الأديان بما ينفع الإنسان في الحال وفي المآل، لذلك جمعت هذه القيم فيها بين البُعدين. ولذلك فإننا سنلاحظ أنه بالرغم من أن التوراة والتلمود أيضاً قد كتبا في مراحل تاريخية متعاقبة وفي ظروف شديدة التعقيد، إلا أننا نستطيع أن نتلمس قيمة أساسية فيهما وهي: ارتباط اليهودي الإنسان بفكرة الألوهية، مع ما شابها من اضطراب وغموض كما سنرى. وكذلك اقتران التمكين، وتحقيق الوعد بالامتثال لأوامر الله التي ليست إلا تحقيقاً للحق والعدل وغيرها من

1- موسوعة الأديان الحية، ج: 1، ص 75.

2 انظر: موسوعة الأديان الحية، ج: 1، ص 75-76، والموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص 239 - 240.

القيم العليا من وجهة نظر الذين نقلوا إلينا هذا التراث. فالله هو منبع هذه القيم، وفي أوامره تتجسد مصلحة الإنسان، وبالامتثال لهذه الأوامر تتوقف مكانته عند الله وعند الناس؛ "لأنكم لا تقضون للإنسان بل للرب، وهو معكم في أمر القضاء، ليس عند الرب إلها ظلم ولا محاباة ولا ارتشاء.... هكذا تفعلون بتقوى الرب بأمانة وقلب كامل" [أخبار الأيام الثاني: 19 / 6، 10].

فالشريعة عند اليهود لم تنبثق عن مصدر أرضي، ولم تأت بعد مناقشات وقرارات الأنبياء والملوك، والكهنة لم ينشؤوا القانون بل طبقوه، ومصدر القانون الأخلاقي هو الله، المصدر المشرع لكل القوانين. وهو ما أعطى الأفضلية والتميز لليهود عن غيرهم من الأمم السالفة التي جاورتهم<sup>1</sup>، فهم بتمثلهم لهذه القيم إنما يتخلقون بأخلاق الله، "يجب أن تكون مقدسا؛ لأن الله مقدس"، لذلك فإننا كثيرا ما نجد في نصوص العهد القديم إعلاءً من شأن القيم الأخلاقية، والتأكيد بأنها معيار الخيرية والقرب من الله. فقد قال الرب: "قفوا على الطريق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة، أين هو الصالح؟ وسيروا فيه، فتجدون راحة لنفوسكم" [إرميا: 6 : 16]، وفي التوراة أيضا "الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد، فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق شريعة إلهه في قلبه" [مزمو: 37 / 29، 32] وفي سفر الأمثال: "لا تدع الرحمة والحق يتركانك، تقلدهما على عنقك، أكتبهما في لوح قلبك، فتجد نعمة وفضيلة صالحة في أعين الله والناس" [أمثال: 3 / 3-4].

والمقدس أو المطلق، أو ينبوع القيم في الديانة اليهودية هو يهوه، وقد أرسل رسلا صادقين، أعظمهم هو موسى، وقد أعلى يهوه شريعة موسى كلها، وهي شريعة تامة، ومن المحظور إضافة أي شيء إليها أو سلخ أي شيء عنها...، وهو يكافئ الذين يطيعون الشريعة

1 انظر: الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ديمة شريف الصياد، ص: 163، نقلا عن

.M.P.H Lazarus the ethis of Judaism: 110 / 111

ويعاقب المخالفين<sup>1</sup>. فالديانة تقوم على التوراة الذي يشمل الشريعة وليست الفضيلة إلا فهمها وتطبيقها في كل حالة تعرض والتزامها بانتظام وخضوع<sup>2</sup>.

وفي التوراة يرتبط مفهوم الخير والشر بشكل راسخ بالإيمان الشخصي بالله، والخير هو دائما هبة من الله [تكوين: 23 / 5]، فالله الواحد هو الخير، وتظهر خيريته من خلال تعاملاته مع شعبه المختار، بإعطائه الشريعة الموسوية. وفي الأحداث التاريخية كالخروج من مصر، وفي غزو أرض كنعان. فكل ما هو صالح وخير يأتي منه، ورغم ذلك فإن صلاح يهوه وعمله الخير في التاريخ، سُحب منه بشكل مؤقت من إسرائيل، ويُعدُّ الأدب الحكيمي مثلا واضحا عن الطريقة التي رأى فيها شعب الله عجزهم وعدم شعورهم بحضور الله معهم، وقد أدركوا الشك بكل قيم الحياة، ولكن الخلاصة النهائية أنه حتى مع هذه الشكوكية لا يمكن تحطيم إدراك صلاح الله<sup>3</sup>.

### المطلب الثاني: الإنسان في الديانة اليهودية:

الإنسان هو آخر ما خلق الرب بحسب التوراة، ولأجله خلق السموات والأرض وكل ما عليهما. "قال الرب نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الرب الإنسان على صورته. على صورة الرب خلقه ذكرا وأثني خلقهم وباركهم وقال أثمروا

1 العمدة في فلسفة القيم، د. عادل العوا، ص: 543.

2 المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ت: عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكري، دار الشعب، القاهرة، مصر 1979، ص: 135.

3 القاموس الموسوعي للعهد الجديد، المفردات اللاهوتية، يوناني، عربي، فلبن د. فيربروج، تعريب وترجمة مجموعة من المتخصصين، مراجعة: د عاطق مهني، الأب كميل ويليام، د. موريس تاوضروس، مكتبة دار الكلمة Logos، القاهرة، ط 1، 2007، ص: 17.



وأكثرها واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلبوا على سمك البحر وعلى طير السماء... "[سفر التكوين: 1 / 26 - 30].

ولقد ركز علماء التوراة وأنصب نقاشهم على ما فهموه من ظاهر هذا النص وسقطوا في التشبيه والتجسيم "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا..."، وفاتهم بأن المراد هو الإدراك العقلي حيث يؤكد ابن ميمون وهو من بين علماء اليهود القلائل الذين أنكروا فكرة التشبيه وحاربوها. وقد نشأ أكثر هؤلاء في دائرة الثقافة الإسلامية<sup>1</sup>. "وقد ظن الناس أن الصورة في اللسان العبراني تدل على شكل الشيء وتخطيطه، فأدى ذلك إلى التجسيم المحض، وظنوا أن الله على صورة إنسان أعني شكله وتخطيطه، فاعتقدوا ورأوا أنهم إن فارقوا هذا الاعتقاد كذبوا النص، بل يعدمون الإله"<sup>2</sup>.

وقد ذهب فيلون<sup>3</sup> إلى القول بفكرة الوسطاء "بين الله العلي والإنسان العاجز" حيث أن النفس لكي تتدرج في الصعود وتحصيل الكمالات لا بد لها من رسل يبلغون أوامر الله إلى الناس، ويتقدمهم اللوغوس أو الكلمة وهو آدم الأول الذي علمه كل الأسماء، ولكنه بهبوطه إلى الأرض أصابه النسيان، وما من سبيل له لجبر عجزه إلا الاتجاه إلى الله<sup>4</sup>.

ولتحقيق إنسانيته الكاملة، ونيل السعادة الأبدية لابد له من امتثال الشريعة؛ لأنه بدون هذا السبيل فإنه سينساق للشر الذي في قلبه، وتتوالد آثار الخطيئة الأولى. "قال الرب: لا أعود

1 انظر: الموسوعة النقدية الفلسفية، د. عبد المنعم الحفني، ص: 243.

2 دلالة الحائرين: ج 1، ص 22، 23.

3 فيلون الإسكندري: (القرن 20 - 40 ق.م) هو أكبر ممثل للفكر اليهودي المثقف باليونانية في عصره، كانت أسرته واسعة الثراء، وقد قام بشرح التوراة باليونانية، ودمج شرحه لها بالفلسفة، وقد عرف عنه اعتزازه بيهوديته، لكنه تحلل من الشريعة اليهودية بالتأويل. انظر: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1400هـ - 1980 م، ص 160.

4 ن. م. س، ص: 162 بتصرف.

ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حدثته، ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت "[التكوين: 8 / 21].

يقول ابن ميمون: "هذه الشرور العظيمة الواقعة بين أشخاص الإنسان من بعضهم لبعض بحسب الأغراض والشهوات والآراء والاعتقادات، ... كلها لازمة عن الجهل، أعني عن عدم العلم، كما أن الأعمى لفقده البصر لا يزال عاثرا مجروحا جارحا لغيره أيضا"<sup>1</sup>، والجهل الذي قصده ابن ميمون هو عدم فهم الشريعة الذي يقود إلى اختلال في توازن الإنسان في الجانب الأخلاقي والقيمي.

ووفقا لهذا المنظور فالوجود وكل ما فيه من مخلوقات تعمل في اتجاه الغاية التي أرادها الله للعالم كوحدة، وتُستمد هذه الغائية من التوراة، ولأنّ الإنسان هو أرقى المخلوقات صُور على صورة الإله، وسُخِرَ له كل شيء، فهو أكثر الآخذين أخذاً، ولكنه بهذا يُنتظر منه أن يكون أكثر الخادمين خدمة، وما من جدوى لكل ذلك إذا لم يكن هذا الإنسان واعيا برسالته، وقد قرر هرش<sup>2</sup> أن للإنسان مقياسين لسلوكه، داخليا وخارجيا؛ فالمقياس الخارجي هو مطابقة السلوك لقوانين التوراة، أما الداخلي -وهو الأهم- فهو مطابقة سلوكه بإمكانياته، ومواهبه لتحقيق، إرادة الله.

وقد بيّن أن تحقيق هذه المقاصد كلها هو رسالة إسرائيل الخاصة، ولكي تحققها، يجب عليها أن تظل منفصلة عن شعوب العالم أخلاقيا وروحيا؛ ذلك أنّ قوانين التوراة الكثيرة والمعقدة ومبادئها العديدة كلها أُعطيت لإسرائيل وحدها، حتى يتم انفصالها وتميُّزها عن البشر.

1 انظر: دلالة الحائرين، موسى ابن ميمون، ج 3، ص: 495.

2 الحاخام الأورثوذكسي شمشون رفائيل هرش (1808 - 1888 م) من الزعماء والمفكرين الرواد للمذهب الأورثوذكسي اليهودي. انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص 74.

والإشكال الذي يطرح هنا كيف تتحقق القيمة بين البشر مع هذا التأكيد على النأي والتعالى عنهم؟<sup>1</sup>

فى حين يرى موسى مندلسون أنّ لليهودى شريعة إلهية، وسنن ومبادئ وأخلاق وسلوك، ترمى إلى تحقيق السعادة، لكن الرسالة الأخلاقية لليهود ينبغي أن تعم جميع البشر وليس اليهود وحدهم.<sup>2</sup>

### المطلب الثالث: القيم الإنسانية فى التوراة والتلمود:

إنّ الأصل الأول الذى يستلهم منه اليهود أصول دينهم وشريعتهم، هو التوراة وما حملته من تعاليم. وتأتى الوصايا العشر فى العهد القديم كأهم النصوص التوراتية بسبب ما حملته من بعد عقائدى وأخلاقى لتتفق مع معظم ما جاء فى الأديان السماوية.

وقد جاءت فى مرحلة تاريخية مفصلية لبني إسرائيل، فبعد أن أمر الله سيدنا موسى باستلام قيادة الشعب اليهودى، والخروج به من مصر، جاءت هذه الوصايا بينودها العشرة بمثابة الميثاق بينهم وبين الرب، جامعة لأهم القيم.

وقد انقسم هذا العهد إلى جزأين، يركز الأول على تنظيم علاقة اليهود برب العالمين، ويتناول الثانى القيم التى من شأنها ضبط الحدود والعلاقات، وابتدئ بالدعوة لإكرام الوالدين، وتحريمه القتل، والزنى وشهادة الزور، وتحريم اشتهاؤ زوجة القريب ومقتنياته.. إلخ.

وبعد ما عرفت اليهودية فترات من الابتعاد عن التعاليم الموسوية، وانحصارا لها فى دائرة الطقوس والخصوصية اليهودية، جاء الأنبياء الذين تعاقبوا على بني إسرائيل فعملوا على تصحيح العلاقة العضوية بين الدين والأخلاق، بتصحيح التوحيد والتأكيد على الأوامر الأخلاقية الواجبة

1 الملل المعاصرة فى الدين اليهودى، د. إسماعيل راجى الفاروقى، ص: 74، 75، 76. بتصرف، نقلا عن كتاب 19 تحريرا عن اليهودية رفائيل هرش، وانظر أيضا: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د. عبد المنعم الحفنى، ص: 234.  
2 انظر: الملل المعاصرة فى الدين اليهودى، للفاروقى، ص: 38، 39.

التي تبرهن على صحة العبادة، فقد جاء في 'سفر هوشع': "إني أريد رحمة لا ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من محرقات" [هوشع: 12/10].

ويؤكد أشعيا على الربط بين معرفة الرب والقيم التي ليست سوى آثارا لهذه المعرفة "لا يفتخرن الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغني بغناه، بل بهذا ليفتخرن المفتخر، بأنه يفهم ويعرفني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلا في الأرض، لأنني بهذه أسرّ يقول الرب" [أشعيا: 16/1-17].

لكن هذه الاصلاحات التي جعلت هذه الديانة تكتسي بعدا أخلاقيا، لم تبلغ مداها، ورجعت جماعة بني إسرائيل بعد هذا العهد إلى سابق عهدها تتعامل أخلاقيا من خلال مستويين:

المستوى الأول: التعامل الأخلاقي بين بني إسرائيل.

والمستوى الثاني: للتعامل الأخلاقي بين اليهود من ناحية، وغير اليهود من ناحية أخرى، وهكذا تحولت القيم والأخلاق اليهودية إلى قيم عنصرية، خالية من البعد الإنساني<sup>1</sup>. ثم يأتي التلمود الذي يعدّ وثيقة تشريعية تحتل المرتبة الأولى في أغلب الدوائر والمذاهب الدينية الفاعلة<sup>2</sup>، إذ أنّ أكثر اليهود بل حتى الكثير من الحاخامات لا يعرفون نصوص الكتاب المقدس إلا من خلال الاستشهادات والتأويلات الواردة في التلمود<sup>3</sup>، فيستلهمون من تلك النصوص قيما وأحكاما، كثيرا ما تقتصر الجماعة اليهودية فحسب.

1 انظر تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 1165-166.

2 انظر التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس بيروت، ط الثانية: 1972 م. ص: 6، وموسوعة الأديان الحية، 63/1.

3 انظر المدخل إلى التلمود، أدين شتاينسالتر، ص: 5-16.

## المبحث الثالث: الأصل الأول المؤسس للديانة اليهودية: الله.

تمهيد.

اتصفت اليهودية كعقيدة وشريعة بصفة التطور الذي طال أهم الأصول التي تقوم عليها الديانة، ولعلّ من أهم الأسباب التاريخية التي أدّت إلى هذا:

1- أن تأليف العهد القديم وتدوينه -وهو المصدر الأساسي للديانة اليهودية-، قد استغرق ألف عام، وهذا يعني أنّ هذه الأخيرة قد تطورت داخل العهد القديم نفسه، من القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وظلت تتطور إلى يوم الناس هذا<sup>1</sup>.

2- اليهود في فلسطين وخارجها تحت حكم دول وإمبراطوريات متعددة، فقد خضع الإسرائيليون القدامى لحكم المصريين والآشوريين والبابليين والفرس واليونانيين والرومان والمسيحيين والمسلمين، وقد أثر كل شعب من هذه الشعوب فيهم حضارياً، وتركت دياناته وتشريعاته أثرها الدائم، ولهذا أخذوا قديماً من قانون حمورابي الشهير،

1 لا يقصد بالتطور ما ادعاه أصحاب نظرية التطور الارتقائي ك: بوليوس فلها وزن (ق19-20) وريجسكي وفردريك إنغلس، حيث ادعى الأول -وهو من أهم الباحثين في مجال العهد القديم- أن الديانة اليهودية قد تطورت من الأشكال البسيطة إلى الأشكال الراقية، فقد وجد أنه من الصعوبة تصور أن أجداد بني إسرائيل البدو قد اعتنقوا وعرفوا الأفكار والمفاهيم التوحيدية المتطورة كما شكك بتلك الروايات تاريخياً، لأنها تعكس أفكار عصر متأخر، بدأ بالتعددية وانتهى بالتوحيد في عصر الأنبياء، وهذا المذهب التطوري مبني على افتراض لم يقدّم عليه دليل وهو قياس الملكات والأحاسيس الروحية على القوى البدنية والمكتسبات العقلية والتجريبية، وهما أمران لا تؤلف بينهما حقيقة نوعية مشتركة، بل إننا نعرف بالاستقراء أن كل واحدة من الديانات السماوية بدأت بعقيدة التوحيد النقية البسيطة إلى التكتير والتركيب، ومن النقاوة واليسر إلى التعقيد بسبب النزوات الخيالية غير المنضبطة. وقد يلاحظ الناظر في الأديان السماوية تطوراً فعلياً وتقدماً تدريجياً، لكن هذا التطور ليس من الخطأ إلى الصواب كما تدعي هذه النظرية، وإنما هو تدرج تصاعدي في حقيقتها التنزيلية من حيث طبيعة الدعوة ومناهج التشريع. انظر: الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: د.محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ط 2، 1428هـ-2007م، ص: 172-173-174-175. الأسس الأخلاقية في العهد القديم ص: 65-66-67،

وتأثروا بالزرادشتية وبالفلسفة اليونانية في تفسير العقيدة والشريعة<sup>1</sup>، وأخذوا بالقوانين الرومانية، وكان للنقد المسيحي وللنقد الإسلامي أثرهما في قيام الحركات الإصلاحية اليهودية وفي تطورها عقيدة وشريعة، كما كان للشتات<sup>2</sup> تأثيره الحاسم في تكيفهم مع الظروف الزمانية والمكانية التي امتدت وتطاول زمانها<sup>3</sup>.

### المطلب الأول: فكرة التوحيد في الديانة اليهودية:

بسبب التحريف واحتكاك الديانة اليهودية بالديانات الوثنية للشرق الأدنى القديم، عرفت فكرة التوحيد لهذه الديانة أشكالاً مختلفة، حيث تحولت اليهودية إلى ديانة قومية، ونتج عن ذلك تغير في صفات الإله الواحد، فبسبب الفهم القومي لعلاقة بني إسرائيل بالرب، ومن خلال عقيدة العهد والاختيار، انتقلت فكرة التوحيد من المستوى العام إلى الخاص، فأصبح لدى إسرائيل إله مع الاعتراف بوجود آلهة أخرى للأمم الأخرى، ونتج عن هذا مشكلة دينية فلسفية لم تتخلص منها اليهودية حتى الآن<sup>4</sup>.

وفيما يلي بعض المراحل والمظاهر التي جسدت التصور اليهودي لفكرة الألوهية من الجانب النظري والعملية.

أطلق على لفظ الجلالة (الله) في الكتاب المقدس عدّة أسماء أهمها:

1 انظر: العبادات في الأديان السماوية، اليهودية، المسيحية، الإسلام: عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، ط 4، 2012، ص: 60-61، ومن أمثلة تأثر اليهود بمحيطهم الفكري والثقافي: حركة القرائن التي أنشأها عنان بن داوود في القرن الثامن الميلادي.

2 وقد جرّب اليهود الشتات من قبل زمن السبي الآشوري عام (721 ق.م) والبابلي عام (586 ق.م) بل إن بعض المؤرخين اليهود يعتبرون فترة الوجود العبري في مصر من الشتات، وأخيراً السبي الروماني (70 ق.م)، انظر: تاريخ الديانة اليهودية ص: 191 في الهامش.

3 انظر التلمود: تاريخه وتعاليمه ص: 47-48، وتاريخ الديانة اليهودية ص: 191 إلى 193.

4 انظر تاريخ الديانة اليهودية ص: 252-253. والفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري ص: 31.

- 1- (إيل): وهو اسم جنس يدل على الألوهية بصفة خاصة، وهو اسم يدل على المسمى المحدد الذي هو (الله).
  - 2- (أوهيم): وهو صيغة جمع ليست للتفخيم أطلقتها الأسفار الأولى في التوراة على الله لا سيما في سفر التكوين والمزامير، ولذلك سميت مزامير (أوهيم)، ويرى غوستاف لوبان أن كلمة أوهيم هي بمعنى الإلاه الأعلى.
  - 3- (بعل): وتعني في اللغة السامية (السيد) أو (الرب)، وهو إله كان يعبد الكنعانيون واليهود. واليهود يعتبرون (بعل) مرادفا لاسم الله أو الرب، ومنه (بعل بريث) أي رب العهد.
  - 4- (يَهْوَه): وهي أشهرها، وهو لفظ معناه (الموجود) و(الكائن الأزلي الأبدي)، وهو الإطلاق الخاص بمعبود اليهود وحدهم، كما أطلقوه عن أسماء مدنهم ونسبوه لأسمائهم<sup>1</sup>.
- ولتوحيد الله عند اليهود جانب نظري وآخر عملي، وهو من الناحية النظرية يعني نفي كل أنواع الشرك (تعدد الآلهة). والثنوية والتثليث، كما يعني وفقا لمذهب ابن ميمون إنكار كل الصفات الإيجابية، وفي الجانب الفاعل تعني وحدة الله نفي الوسطاء بين الله والإنسان، وفي هذا نفي لأي طبيعة ميثولوجية (خرافية)، فالله فوق الزمان وفوق المكان، وهذا الذي ذهب إليه ابن ميمون نادر في الفكر اليهودي، إذ أن فكرة التنزيه لم تعرف إلا عند العلماء اليهود الذين نشأوا في دائرة الحضارة الإسلامية وتأثروا بمدارسها، فتشبيه الله بصفات بشرية أمر تفره الديانة اليهودية؛ لأنه من اللغة نفسها التي تستخدم في التعبير عن الحقيقة الإلهية، وتطبق في الاشتقاق والتناظر على أحوال الإنسان<sup>2</sup>. كما يرى كثير من علمائهم.

1 العبادات في الأديان السماوية، عبد الرزاق رحيم صلال الموحى: ص: 64-65، نقلا عن معجم اللاهوت الكتابي لمجموعة من الباحثين، ص: 91، دار المشرق، ط2، 1988م.

2 انظر موسوعة الأديان الحية ج1، ص: 90-91.

وجاء في نصوص التوراة في عدة مواضع أنّ القصد الأول من الشريعة كلها إزالة عبادة الصنم، ومحو أثرها، وكل ما يتعلق بها حتى ذكرها، وكل ما يؤدي إلى شيء من أعمالها، مثل: الجانّ والتابعة والعراف والمشعوذ والمتفائل والساحر ومن يرقى رقية ويستشير الموتى، والتحذير من التشبه بشيء من أعمالهم<sup>1</sup>. يقول داود عليه السلام: "لأنّ كل آلهة الأمم أصنام، أما الربّ فمن صنع السموات، الجلال والبهاء أمامه، العزة والبهجة في مكانه" [أخبار الأيام الأول: 16/26-27].

وجاء في أشعيا: "من يشبهونني ويسووني لتشابهه، الذين يفرغون الذهب من الكيس، والفضة بالميزان يزنون، يستأجرون صانعا ليصنعها إلهها، يخرون ويسجدون، يرفعونه على الكتف، يحملونه ويضعونه في مكان ليقف، من موضعه لا يبرح، يزعم أحد إليه فلا يجيب، من شدته لا يخلصه" [أشعيا: 46/5-7].

وقد لاحظ ويل ديورانت أن الوصايا التي وردت في أسفار التثنية والخروج: "أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل...." وفي الخروج: "لا تكن لك آلهة أخرى سواي، لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأنني أنا الرب إله غيور..." [سفر التثنية: 6/22]، [سفر الخروج: 18/1].

"إن هذه الوصايا قد افترضت وجود مستوى عقلي راق لدى اليهود لأنها نبذت كل الخرافات كما نبذت فكرة تجسد الإله، وحاولت أن تصور الله منزها عن جميع الأشكال والصور"<sup>2</sup>.

1 دلالة الحائرين: ابن ميمون ج3، ص: 625-626.

2 موسوعة قصة الحضارة، ويل ديورانت، تحقيق محمد بدران ج 1، ص: 371.



كما أنها حاولت النأي باليهود عن المعتقدات الأخرى التي تستند إلى الإيمان بالثنائية، أو إلى الاعتقاد بوجود ذاتين إلهيتين، إحداهما أصل الخير، والأخرى أصل الشر، والاعتقاد بجوهر واحد، ويتجلى ذلك من خلال الصلوات اليومية، و من خلال البركات المعلنة في وجه الكوارث التي تعيد كلام النبي أشعيا، وتقال أيضا أثناء القداس الإلهي: "مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر صانع كل هذه" [أشعيا: 7/45].<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: مرحلة ديانة الآباء:

المقصود بالآباء الشخصيات التي سبقت موسى -عليه السلام-، ومن أشهر الآباء على الإطلاق، إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ومن بعدهم الأسباط، وضم بعض المؤرخين آدم لتبرير الروايات التاريخية الخاصة بهما في سفر التكوين.

والشخصية المحورية في عصر الآباء هي شخصية إبراهيم -عليه السلام- فإنه تنسب العهود الدينية المقطوعة مع الرب، ويطلق على الإله الذي عبده الآباء يهوه، ويقال أن هذا الاسم لم يظهر إلا مع موسى -عليه السلام- وله ألقاب عدة، تدل على الاندماج في البيئة الكنعانية، منها: إيل عيلوم، وإيل عولام، وإيل شاداي.<sup>2</sup>

ويعتبر عصر إبراهيم بداية التاريخ الديني التوحيدي، أما الفترات السابقة عليه فهي فترات وثنية متعددة<sup>3</sup>. وقد كانت ديانة توحيدية بسيطة، لم تسمح بقيام نظام معقد للطقوس، أو هياكل مستقرة للعبادة بسبب الطبيعة البدوية الغالبة على الحياة العبرية آنذاك. وإذا كانت فكرة العهد قد ظهرت مع إبراهيم -عليه السلام- فقد جاء في الأصحاحين الثالث عشر والسابع عشر، "أن إبراهيم ألهم من شكيم (نابلس الحالية) أن الأرض التي دخلها لتكون وطنا له ولقومه هي

1 انظر: المدخل إلى التلمود ص: 142.

2 انظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن ص: 190-191-192.

3 دلالة الحائرين ج3، ص: 625-626.

الأرض التي سبق القول عنها وقدّر الله منحها له ولذريته من بعده، وتغيّر اسم إبرام إلى إبراهيم<sup>1</sup>. لقد آمن إبراهيم بالإله الواحد مالك السماء والأرض وإلههما [تكوين: 14] و[18/17]، وهو الإله العلي المرتفع، وهو سرمدي أبدي [تكوين: 22/14، و33/21]، ولم يكن الله لإبراهيم الإله الواحد فحسب بل كانت له معه علاقة وشركة روحية قوية ولذلك نال إبراهيم لقب: "خليل الله" [تكوين: 14/24]، [أشعيا: 8/41]. أما صفات الله التي نسبها إبراهيم إليه فهي: العدل [تكوين: 25/18]، البر [تكوين: 19/18]، الأمانة، اللطف والحق [تكوين: 27/24]، الرحمة [تكوين: 6/20].

وقد آمن إبراهيم أن الله يطلب من البشر أن يتصفوا بالصفات الخلقية التي لله [تكوين: 19/18]<sup>2</sup> فإن ديانة إبراهيم كانت عالمية، فعند خروجه من حرّان، تجلّى الله لإبراهيم، وتأكّد أنّ ما كان يجول في صدره لم يكن إلاّ وحيًا من الله الذي اختاره ليحقق رسالته وليكون منشئًا لشعب جديد. [تكوين: 21/12]، وعليه أن ينقل للعالم أجمع ما اهتدى إليه من معرفة بالله الحقّ، وكان أن أقبلت عليه جماعات كانت تلتقي به في تحركه جنوبًا نحو (النقب)، فاعتنقت رسالته وتحولت عن وثنيته<sup>3</sup>. لكن هذا لم ينف وجود فكرة العصبية القبلية في علاقة العبرانيين والإله المعبود خاصة مع بروز فكرة العهد والوعد<sup>4</sup>. "وأقيم عهدي بينك وبين نسلك من بعدك..." [التكوين: 7/17].

1 اليهود في العالم القديم، أ.د. مصطفى كمال عبد العليم، ود. سيد فرج راشد؛ دار القلم، دمشق؛ والدار الشامية، بيروت، ط 1، 1995، ص: 33. والأصحاحين هما تكوين [15/13] و[8/17].  
2 قاموس الكتاب المقدس، مجموعة من كبار العلماء اللاهوتيين ص: 9، 10.  
3 المرجع السابق ص: 34.  
4 انظر تاريخ اليهودية ص: 193، وأصول الصهيونية في الدين اليهودي لإسماعيل راجي الفاروقي ص: 93.

وهنا تجدر الإشارة إلى وجود خلاف حول معرفة إبراهيم للربّ باسمه (يهوه)<sup>1</sup>، فحسب المصدر الكهنوتي لا يظهر الرب باسمه يهوه إلا عندما ظهر لموسى - كما سنرى - ودليلهم ما جاء في التوراة: "وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء، وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم" [التكوين: 3/6]. ولكن في قوله: "هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت، يوم عمل الربّ الإله (يهوه) الأرض والسماوات" [التكوين: 4/2]<sup>2</sup>، فيها إشارة ضمنية إلى قدم الاسم يهوه كقدم إبراهيم.

### المطلب الثالث: ديانة موسى - عليه السلام -:

وهي أهم مرحلة في تطور الدين اليهودي؛ لأنها الفترة التي تمّ فيها الاعتماد على الوحي المكتوب كمصدر للعقيدة والشريعة.

خلال هذه الفترة تمّ التعرف على الإله يهوه في صورة واضحة<sup>3</sup>، بحيث لم تنشأ حوله عبادة منظمة قبل موسى. ولعل من المهم التأكيد على أن العقيدة الأساسية التي تمّت بلورتها في هذا العصر هي عقيدة التوحيد، لكن كما يبدو من التوراة فإن هذا التوحيد كان خاصاً

1 وهذا المعبود الذي تعبّد له اليهود وسموه عدة أسماء مثل الرب والإله والله ويهوه، وربّ الجنود واعتبروا أن يهوه هو الاسم اللائق به، وقد عرف هذا الاسم في الإنكليزية، بأنه "اسم إله اليهود القبلي وطريقة النطق هذه الكلمة مجهولة وتطلق عليها عبارة (tetragrame maton) أي الكلمة الرباعية وتكتب (yhwh) دون أحرف علة وأحياناً (jehovah) باعتبار أنها الأقرب إلى طريقة لفظها المقدر، ويحاول بعض علمائهم ومفكرهم أن يفسروا سبب ترك لفظ (ي-ه-و-ه) دون معرفة طريقة لنطق بها وقد فسّر شاؤول ليبرمان الأصحاح [7/20] من سفر الخروج "لا تحلف أو تنطق باسم الربّ إلهك باطلاً" فالاسم أقدس من أن ينطق. انظر: التوراة تاريخها وغاياتها: سهيل ديب، دار النفائس، ط 1، 1972، بيروت، لبنان، ص: 94-95، نقلا عن: 780/7-784 encyclopedi name of god.

2 انظر: الأسس الأخلاقية بين العهد القديم والقرآن ص: 36-37.

3 "حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الحبل: فقال موسى لله: ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم، فإذا قالوا لي ما اسمه، فماذا أقول لهم، فقال الله لموسى يهوه، وقال: هكذا تقول لبني إسرائيل، يهوه أرسلني إليكم" [التكوين: 12/3-14]، و [الخروج: 13/3-15].

بالإسرائيليين مع وجود آلهة أخرى لغير الإسرائيليين، وقد كان اعترافهم بها كحقائق مشاهدة مع قصورها أن تكون على نفس المستوى ب: يهوه من حيث القدرة على الخلق والسيطرة على الأحداث. ويميّز الدارسون للديانة اليهودية بين مرحلتين للعقيدة اليهودية:

الأولى: مرحلة التفريد، والتي تمجد الإله يهوه مع الاعتراف بوجود آلهة أخرى كثيرة.

الثانية: مرحلة التوحيد المطلق، لكنهم سرعان ما رجعوا عنها إلى التجسيم والوثنية، وقد استمر الحال على هذا إلى يومنا هذا<sup>1</sup>.

وقد عرف هذا العصر - لأول مرة - فكرة التنزيه وعدم التشبيه، فقد نصت الوصية الثانية من الوصايا العشر: "لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق.. " فهو إله منزه عن التمثيل فوق الطبيعة، محرّك لأحداث التاريخ، كما أنه إلى جانب هذه الصفات، هناك صفة أخلاقية الإله التي تمّ التنصيص عليها بهدف الربط بين العقائد والأخلاق<sup>2</sup>. إلى جانب الوصايا الطقوسية التي نصت على السبت.

وجاء في التوراة بأن موسى بأمر من الربّ حثّ بني إسرائيل على تحطيم أغلالهم في مصر في قصة الخروج، وهذا العمل القيادي الكبير الذي قام به موسى في رحلة الخروج لا يكاد يقارن بدعوته الدينية التي أعقبها تغيير اجتماعي كبير في المجتمع الإسرائيلي، فمن الناحية الدينية فقد أوحى الرب لموسى بالشريعة وأسس العقيدة حول إله واحد أحد اسمه يهوه إلا أن اليهود اعتبروه إلههم القومي الخاص بهم، وأنهم شعبه المختار، وفي تناوله مدلول هذه الكلمة يقوم د. أحمد شلبي عند مقارنتها بكلمة (الله) في العربية، و"god" في الإنكليزية، و"dieu" في الفرنسية، أو "tuhan" الأندونيسية، بنفي أن يكون يهوه تحمل نفس الدلالة، "لأن الصفات

1 انظر: العبادات في الأديان السماوية، عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، ص: 63، وترجمة التوراة، تاريخها وغاياتها: سهيل ديب، دار النفائس، ط 1، بيروت 1972م، ص: 94-95.

2 انظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 194-197.

التي ذكرها اليهود ل: يهوه تبعده عما يتّصف به الإله عند أي جماعة من جماعات المتديّنين وتجعله هذه الصفات لا مرشدا هاديا، وإنما تجعله يمثّل انعكاسا لصفاتهم واتجاهاتهم<sup>1</sup>. وقد تطورت هذه النزعة العنصرية إلى ما هو أبعد وأخطر من ذلك حيث أصابت فكرة التوحيد، فجعلت الإله الواحد للإسرائيليين فقط، وأطلقت عليه إله إسرائيل، وهكذا أصبح التوحيد خاصا لا عاما... مع الاعتراف بوجود آلهة أخرى، وقد نتج عن هذا الفهم أن امتنع الإسرائيليون عن التبشير بالتوحيد<sup>2</sup>، "الذين أخرجتهم من أرض مصر أمام أعين الشعوب لأكون لهم إلهًا" [اللاويين: 44/26].

لكن الفاروقي ينكر ظهور هذه النزعة عند الإسرائيليين الذين خرجوا مع سيدنا موسى -عليه السلام- من ذلك ظهور النزعة التوحيدية في التاريخ المصري القديم خلال الفترة الممتدة ما بين 1800 و1200 ق.م، فلا يمكن تفسيرها إلا بافتراض تأثر الدين الفرعوني القديم بدين العبرانيين الوافدين... "فلا بد أنهم قدّموا للمصريين دينا جديدا، وأدخلوا جماعات كبيرة من المصريين فيه، ولا بد أن يكون هذا الدين الجديد.. لا يختص بشعب دون شعب... أو بعبارة أدق يترتب عليه أن يكون دينا حنيفيا لا عنصريا... فالقضية ليست تفسيرا لتاريخ سابق للخروج، فهناك تاريخ ما بعد الخروج لا يرجي له تفسير لو لم تكن الحنيفية بمعنى اللاعنصرية حقيقة واقعة في فلسفة جزء من الذين خرجوا من مصر بقيادة موسى"<sup>3</sup>. ويستدل د. أحمد شلبي أيضا ب: غوستاف لوبون ليثبت أن الذين خرجوا مع موسى وهارون لم يكونوا من بني إسرائيل الخالص، وأن ذلك التاريخ كان حدا فاصلا بين عهد النقاء واختلاط الدم الإسرائيلي". وقد لحق ببني

1 مقارنة الأديان: اليهودية، أحمد شلبي، ص: 177-178.

2 انظر تاريخ اليهودية، محمد خليفة حسن ص: 25-26. والموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، عبد المنعم الحفني ص: 241.

3 أصول الصهيونية في الدين اليهودي إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة وهبة ط 2، 1408هـ، 1988م. ص: 32-33-34.

إسرائيل عدد من المصريين الساخطين من الأسارى، ومن العبيد، ولما جاوز بنو إسرائيل بحر القلزم بدوا عشيرة، أي جماعة تبدو كأنها نسل رجل واحد، وإن كانت في الحقيقة فاتحة صفوفها لجميع الفرار المستعدين لانتحال اسمها وتقاليدها ومعبوداتها<sup>1</sup>.

وتحمل قصة سحرة فرعون القرآنية ذات الدلالة بعد الخروج.

وقد أصابت الأسطورة مفهوم الألوهية في اليهودية، فاكتمب يهوه مواصفات الآلهة الأخرى الطبيعية في الديانات الوثنية.

ووقع اليهود في التشبيه، ووصفت التوراة الإله بأنه يرى ويسمع، ويفرح ويندم، بل وأحيانا يوصف بصفات سلبية تجعل مغرفته غير كاملة، ويتحول يهوه إلى إله قومي نجده يكتسب مزيدا من الصفات الأسطورية التي تتجلى في طبيعة علاقته بجماعته، كأسطورة مصارعة يعقوب للرب، وغيرها من الأساطير المرتبطة بالأماكن والأعلام الواردة في التوراة<sup>2</sup>.

فالعهد القديم حافل بالتعبيرات التي تنسب إلى الله صفات ودوافع إنسانية، بل إن الشهرستاني قد ذكر أن المشبهة من المسلمين تأثروا باليهود: "إن أكثرها مقتبسة من اليهود، فإن التشبيه فيهم طباع حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وأن العرش ليئط من تحته كأطيح الرجل الحديد... كما أن التوراة قد ملئت من المتشابهات، مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهرا والنزول على طور سيناء انتقالا وجواز الرؤية فوقاً..."<sup>3</sup>.

1 مقارنة الأديان (اليهودية)، أحمد شلبي ص: 61. وذلك في إشارة منه للاختلاط الذي حدث بين بني إسرائيل والقبائل التي مروا بها قبل توجههم إلى فلسطين.

2 تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 259-260. بتصرف.

3 انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ج 2/12-26-28-32. واليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، د. فرج الله عبد الباري، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2004م. ص: 86 وما بعدها.

وقد جاء في التلمود أنه: "من بعد تدمير الهيكل فإن الله لم ينقطع عن النحيب والبكاء لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة، وأن هذه الخطيئة قد أيقظت ضميره... ومنذ ذلك الحين فإن الرب الذي كان موجودا في كل مكان وزمان، لم يعد شاغلا إلا مساحة جزئية من العالم يقطعها الإنسان بأربع سنوات"<sup>1</sup>.

وقد بلغ من تشوه العقيدة عندهم أن نسبوا إليه الشركاء والأبناء فقد جاء في العهد القديم: "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون في الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا... وولدن لهم أولادا هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذووا اسم" [سفر التكوين: 4-1/6].

وقد برّر اسبينوزا (ت: 1677م) بأنّ هذا من أساليب الصياغة في العهد القديم، بحيث كان كل متفوق أو مختلف عن غيره ينسب إلى الله، فهو قربان الله، أو معبد الله أو حبر الله، وكذلك الجبابرة، فإنّهم لما تميّزوا عن غيرهم في الطول والجسم سمّوا أبناء الله حتى وإن كانوا أبعد الخلق عن طاعته<sup>2</sup>.

1 البحث عن الحقيقة في أفكار ومعتقدات اليهود، محمد أبو القاسم الحاج، دار لكتب العلمية، بنغازي، ليبيا ط 1، 1990. ص: 87.

2 انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سبينوزا، ت: د. حسن حنفي، مراجعة: د. فؤاد زكريا، مكتبة النافذة القاهرة، ط3، 2005م، ص: 138. والأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، ص: 35-36. ومثل هذا التعليل ما ذكره البيروني من أن اسم الآلهة يقع من جهة العموم على كل شيء جليل شريف، وأنّ من هذه الألفاظ ما يُسمح في دينٍ دون دين، وتسمح به لغة وتأباه أخرى، فكما أنّ كلمة الربّ في اللغة العربية وفي الإسلام قد تتجه بوجه ما لما سوى الله، في حين أنّ لفظ الجلالة يختص به اختصاصا، بينما في العبرية والسريانية اللتين بهما كتبت الكتب المنزلة قبل القرآن، يرد الإله فيهما موازيا للربّ في العربية، في حين أنّ الربّ في التوراة وما بعدها من كتب الأنبياء موازيا للفظة الله في العربية، غير منطلق على أحد بإضافة، انظر المزيد: "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" أبا الريحان محمد بن أحمد البيروني، راجعه وقدم له د. عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت. د.ت، ص: 36 وما بعدها.

لكن هذا التبرير لا يستقيم في كل النصوص ومنها: "وقال الربّ الإله: هوذا الإنسان قد صار كواحد منّا" [سفر التكوين: 22/3].

وفي معرض تعليقه للطقوس والقرايين التي فرضت على بني إسرائيل في معابدهم، يبيّن ابن ميمون أنّها كانت من قبيل مراعاة الربّ لما عهده بنو إسرائيل من طقوس وثنية وقرايين ومحرفات؛ وأن تلك العبادة قد نقلت بأشكالها لعبادة يهوه حتى يمتحى أثر عبادة الصنم وتتثبت قاعدة التوحيد.

لذلك عاتب الربّ بني إسرائيل حين أعرضوا عن عبادته وعادوا لعبادة البعل وللوثنية، فأبطلوا الغاية وتمسكوا برسومها<sup>1</sup>. ف "جحدوا الربّ وقالوا ليس هو إياه" [أرميا: 12/5]. "وعبدتم عبادة الصنم... وتقرّون للبعل وتتبعون آلهة آخر وتأتون إلى هذا البيت" [أرميا: 9/7-10]. وتبيّن التوراة أن سبب انحراف بني إسرائيل عن التوحيد تأثرهم بمحيطهم واختلاطهم مع غيرهم من الأمم. "وأقام بنو إسرائيل بين الكنعانيين<sup>2</sup> والحيثيين<sup>3</sup> والأموريين<sup>4</sup> والأدوميين<sup>5</sup>

1 انظر دلالة الحائرين، ج: 3/ ص: 641-642.

2 الكنعانيون: سكان أرض كنعان، وهم أبناء كنعان ابن حام الرابع، وحفيد نوح، وقد سكنوا الأرض التي استولى عليها العبرانيون فيما بعد واطلقوا عليها "أرض إسرائيل"، و"الأرض المقدسة" و"أرض الموعد"، وكانت حدودها الأصلية من مدخل حماة إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط غربا. وقد حكم عليهم بالهلاك بسبب بشاعة خطاياهم [تثنية: 17/20]، وقد كانوا يعبدون آلهة متعددة وفرض عليهم سليمان جزية عبيد وحكم عليهم بأعمال السخرة: قاموس الكتاب المقدس مادة: كنعان، أرض كنعان، الكنعانيون، ص: 535، 536.

3 الحيثيون: كلمة "حي" و"حيثيون" ورد في العهد القديم 47 مرة، وكثيرا ما يذكر الحيثيون في قائمة الأمم الساكنة كنعان قبل دخول العبرانيين، وهم ذريّة "حث" ثاني أبناء كنعان، وقد اشترى إبراهيم مغارة "المكفيلة" من غفرون الحثي وقد كان أحد قادة جنده. قاموس الكتاب المقدس: حث، حثيين. ص: 202.

4 الأموريون: كانوا أهم القبائل في فلسطين لذلك أطلق هذا الاسم على كل شعب فلسطين، وكان البابليون من قبل سنة (2000 ق.م) يدعون سوريا وفلسطين "أرض الأموريين"، وقد حكم الأموريون بابل من (ق 19 إلى 16 ق.م)، وكان حمورابي أشهر ملوك هذه الأسرة، وتذكر التوراة أن نسب الأموريين يرجع إلى كنعان، وقد هزّوهم يشوع. انظر قاموس الكتاب المقدس، أموريون- ص: 86، 87.

5 لأدوميون: هم نسل "عيسو" و"أدوم"، وكان حكامها أمراء يشبهون رؤساء القبائل، ولكنهم أصبحوا قبل قيام مملكة إسرائيل يلقبون بالملوك، وقد كان الأدومي يعتبر أخا للعبراني. حارب شاول الأدوميين، وكذلك غزا داود أدوم، وأقام عليه



واليبوسيين<sup>1</sup> واتخذوا بناتهم زوجات لهم، وأعطوا بناتهم لبنينهم، وعبدوا آلهتهم، وفعل بنو إسرائيل الشرّ في عيني الربّ، ونسوا الربّ إلههم، وعبدوا البعل وعشتاروت، فاشتدّ غضب الربّ عليهم، وباعهم إلى ملك آدوم فاستعبدهم ثماني سنين" [القضاة: 3/5-8].

وعند بيانه قدسية السبت وأهميته لدى اليهود يذكر الحاخام "أدين شتاينسالتر": "أنه حتى في العصور حيث كان قسم كبير من الشعب يعكف على العبادات الوثنية كانت الحوانيت تغلق جميعها يوم السبت، ولم يكن معقولا إجراء الصفقات التجارية في هذا اليوم"<sup>2</sup>

وقضية كفر بني إسرائيل تحت طور سيناء وموسى على قمته، وبعد معجزة عبور البحر وتلقي الشريعة في التوراة، تتفق في سياقاتها مع ما جاء في القرآن الكريم مع اختلاف في بعض التفاصيل. " ورأى الشعب أن موسى قد أبطأ في النزول من الجبل، فاجتمع الشعب حول هارون وقالوا له: قم فاصنع لنا إلهًا يسير أمامنا، فإنّ ذلك الرجل موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وأحضروها لي... فأخذها من أيديهم، وصوّرها في قالب، وصنعها عجلا مسبوكا، فقالوا هذا إلهك يا إسرائيل الذي أخرجك من أرض مصر، فلما رأى ذلك هارون بنى أمامه مذبحا، وأعلن هارون قائلا إنّ غدا عيد الربّ... " [خروج: 32/1-6].

حراسا. وفي القرن الثاني ق.م أخذ يهوذا المكابي واليهود المدن الأدومية، وأرغموهم على الاختتان والدخول ضمن جماعة اليهود، وعرفت أدوم بحكمائها. قاموس الكتاب المقدّس ص: 31.

1 اليبوسيون: اسم قبيلة كنعانية سكنت "يبوس" أو "أورشليم" والجبال التي حولها، هزمهم يشوع وقتل ملكهم أدوني صادق، غير أن اليبوسيين لم يسلموا قلعتهم، ولم يطردوا من مدينتهم بسبب ثباتهم وجلدهم، وظلوا محتفظين بحصن "صهيون" إلى أيام داود، وقد أخضع سليمان اليبوسيين وضرب عليهم تسخير العبودية، وفرض عليهم الجزية. قاموس الكتاب المقدّس - ييبوسيون - ص: 701. أدوني صادق: اسم كنعاني، ومعناه "سيد البر" أو "سيد العدل"، وكان ملكا على "أورشليم" "القدس" قبل أن يدخلها الإسرائيليون، هزمه يشوع وقتله قاموس الكتاب المقدّس - أدوني صادق - ص: 32.

2 المدخل إلى التلمود، ص: 42.

وفي حين نسبت التوراة إلى هارون الضلال والردّة، بالرغم من أنه يعتبر في الديانة اليهودية أبو أئمة الدين، فإن من شروط الحاخام أن يمتد نسبه إلى هارون، فإن القرآن قد ذكر شخصا آخر هو "السامري" كسبب لضلال بني إسرائيل. "قال إنّنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامريّ" [طه: 85]. " قالوا ما أخلفنا موعداك بملكنا ولكنّا حُمّلنا أوزارا من زينة القوم فقدفناها فكذلك ألقى السامريّ" [ طه: 87].

ويرى "ول ديورنت" أن اليهود لم يتخلوا قط عن عبادة العجل، لأن عبادة العجول كانت لاتزال حيّة في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر، وأنهم ظلوا زمنا طويلا يتخذون هذا الحيوان القويّ أكل العشب رمزا لآلهتهم، وفي تاريخ اليهود شواهد كثيرة تدل على أنهم عبدوا الأفعى النحاسية في الهيكل إلى أيام "حزقيا" حوالي 720 ق.م، وكان بعض اليهود يعظمون "بعل" الذي كان يرمز إليه بحجارة مخروطية قائمة كثيرة الشبه "بلنجا" إله الهندوس<sup>1</sup>.

بل إنّ التوراة تذكر أنهم بعد موت "يشوع" وفي عهد القضاة تحولوا إلى عبادة البشر، فقد ورد في سفر الخروج أنهم عبدوا "كوشان اشعتايم" ثماني سنين " [سفر الخروج: إصحاح 3] وهو ملك الأراميين وبعد توبتهم عادوا. " يعملون الشرّ في عيني الربّ، فشدّد الربّ عجلون ملك مؤاب على إسرائيل، لأنهم عملوا الشرّ في عيني الربّ، فجمع الله بني عمون، وعماليقا وهم سكان فلسطين الأصليين وساروا لضرب إسرائيل، وامتلكوا مدينة النخل، فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك مؤاب ثماني عشرة سنة" [سفر القضاة: إصحاح 3]

### المطلب الرابع: عهد الملوك.

وقد وصم العهد القديم أعظم ملوك اليهود، النبي سليمان-عليه السلام- بالشرك في آخر حياته وباتخاذة الأوثان آلهة إرضاء لزوجاته اللواتي كن من أقوام غريبة عن بني إسرائيل. فقد جاء في سفر الملوك الأول: " وأحبّ سليمان نساء غريبة كثيرة موآبيات وعمونيات وآدوميات

1 انظر قصة الحضارة، ول ديورنت، ج2/338-339.

وصيدونيات وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الربّ لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم - فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة - وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السراري فأملت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه مع الربّ إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشترت إلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العموميين، وعمل سليمان الشرّ في عين الربّ، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم لملكوم رجس بني عامون. وهكذا فعل لجميع نساؤه الغريات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن" [سفر الملوك الأول، إصحاح 11/ من 1 إلى 8]. وهكذا يصور السفر حياة هذا النبي الكريم وقد انتهت إلى الشرك؛ ومنها يتبين خلطهم وتجاوزهم في الإساءة إلى الأنبياء<sup>1</sup>.

ويذكر المؤرخون أن سليمان - عليه السلام - قد استعان في بناء المعبد الذي بدأه والده داوود قبل وفاته بمهندس معماري فينيقي الذي استوحى تصميمه للمعبد من الفن المعماري الكنعاني، والدليل على ذلك أن المعبد الكنعاني الذي تم اكتشافه والذي يعود تاريخه إلى عام 1300 ق.م؛ يبيّن التماثل الموجود بين التصميم العام لمعبد سليمان وهذا المعبد مع بعض الاختلاف، وهي سمات مشتركة أيضا مع معابد مصر والعراق، وهذا يوضح أن الإسرائيليين بعد دخولهم أرض كنعان قد اندمجوا تماما مع أهلها حيث تشربوا كثيرا من عاداتهم وطقوسهم الدينية حتى أصبحت الأعياد الكنعانية أعيادا إسرائيلية، وحتى موسيقيو المعبد ومغنوه الأوائل تعلموا على يد الكنعانيين<sup>2</sup>.

1 انظر الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، أميمة بنت أحمد شاهين الجلاهية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، دت، ص من 67 إلى 80. وعزو الكاتبة مثل هذه النصوص إلى تبرير اليهود النفسي للخطيئة وجعلها امتدادا وأثرا للخطيئة الأولى لسيدنا آدم التي لا يستثنى منها حتى الأنبياء.

2 انظر: اليهود في العالم القديم، ص: 80-81.

وما ذكرناه الآن يوافق الرواية اليهودية التي تنسب لسليمان جلب عناصر وثنية للديانة اليهودية، وأنه لم يكن من قبيل التعامل التجاري الاقتصادي والدبلوماسي مع جيرانه مما عهد عنه من إثارة للتعامل السلمي مع جيرانه، وهو ما يصادم رواية القرآن عن سليمان الذي تصفه بأنه كان نبياً كريماً ينشر رسالة التوحيد في محيطه. بل أنه عند التمعن في التوراة ذاتها، نجد أن الكلمات التي نسبت إلى سليمان في العهد القديم، يترجح فيها الاعتراف بالوجود مع عدم التساوي في القدرة والقوة والصفات بالمجمل: "أيها الرب إله إسرائيل، ليس إله مثلك في السماء من فوق، ولا على الأرض من أسفل، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم... لأنه هل يسكن الله حقاً على الأرض؟ هوذا السماوات وسماوات السماوات لا تسعك، فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت" [سفر الملوك الأول: 23/8-27]

### المطلب الخامس: عصر الأنبياء.

لقد تطورت مفاهيم الألوهية على يد أنبياء بني إسرائيل<sup>1</sup>، خاصة في عهد أرميا وحزقيال، وتجلت النزعة التوحيدية بوضوح في سفر أشعياء: "أنا الله وليس إله آخر"، "أنا الربّ ناشر السموات وحدي باسط الأرض"، وقد عارضوا فكرة خصوصية الإله الواحد (يهوه) لبني إسرائيل فقط، وقد أعلن "أشعياء الثاني" أن عفو الله وغفرانه ليسا قاصرين على بني إسرائيل، وسار يونس على خطاه في المناداة بالإنسانية العالمية<sup>2</sup>.

1 إن أنبياء العهد القديم كانوا من رجال الله، وقد قاموا خصوصاً في زمن العهد القديم، وكانوا يخبرون بالوحي عن مقاصده الخصوصية في الأزمنة المستقبلية ويعلنون إرادته تعالى للبشر من جهة الواجبات المطلوبة منهم، فقد كانوا سفراء الله لدى بني إسرائيل ومن أعلى طبقات خدامه. وقد كانوا يدعون الرائيين، ورجال الله والرقباء. وكان الله يقيمهم ويرسلهم بحسب مقتضى الحال لكي يحرضوا الناس على واجباتهم ويدعوهم إلى التوبة والصلاح، وكثيرون منهم قضى عليهم بالموت بطرق متنوعة ولكنهم كانوا ذوي شجاعة وإقدام وسطوة كشهود الله. المرشد المعين إلى الكتاب المقدس الثمين، المعهد اللاهوتي الأمريكي، لبنان، ط1، بيروت 1869، ج2، ص152.

2 انظر: العبادات في الأديان السماوية، عبد الرزاق رحيم صلال الموحى ص: 65-66-67. والنص من سفر أشعياء [42:5] و [44:24]

قال الرب لإرميا: " جعلتك نبيا للشعوب " [ سفر إرميا: 5/1 ]

وهذا النص يبيّن بوضوح رفض الأنبياء لفكرة الإله القومي التي ادّعاها بنو إسرائيل إلى جانب دعوتهم إلى نبذ الوثنية واعتبارها سببا لكل ما لحق ببني إسرائيل من اضطهاد وشتات وذهاب ملك، ف "قبلي لا يوجد إله وبعدي لا يكون"<sup>1</sup> [إشعيا: 10/23]. فقبلي لا تعني الزمنية ولكنها تعني قبل وجودي ويجب أن تفسّر بوجودي لم يكن إله، وكذلك تفسّر بعد". وقد عدّ كثير من المتخصصين أن الدعوة لعالمية الإله، كانت مما تفرّد به الأنبياء. فقد جمعوا بين وضوح فكرة التوحيد وكمال الألوهية وعودة كل الأمم لله الواحد وشمول فكرة الخلاص<sup>2</sup>.

وقد أكّد ريجيسكي أن "أشعيا الثاني" انفرد بالتأكيد على انفراد (يهوا) بالألوهية لنقله عن الربّ قوله: " أليس أنا الربّ (يهوا) ولا إله غيري... ليس سواي" [أشعيا الثاني: 21/45-22]، " أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري " [أشعيا الثاني: 6/44]. ثمّ وازن م. ريجيسكي هذه العبارة بالوصايا العشر:

" أنا الرب (يهوا) إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تسجد لهنّ ولا تعبدهن" [

التثنية: 5/6-9]

أي فالتعبّد فقط ليهوه، وعدم السجود للآلهة الأخرى التي لا يجري التشكيك بوجودها، أما الفقرات الموجودة في نص إشعيا الثاني فتتمتع بالمغزى التوحيدي لا شك حوله: " أنا يهوا ولا إله آخر سواي"<sup>3</sup>. والعبارات السالفة كانت واضحة دون ريب، لكن الادعاء أنها مما

1 انظر: اليهود الحسيديم:، نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، د. جعفر هادي حسن، دار القلم، ط1، 1994م. ص 27-58.

2 انظر: النبوة الإسرائيلية، د. محمد حسن خليفة، دار الزهراء، القاهرة، 1991م؛ ص 280-283.

3 الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ديمة شريف الصياد، ص 64-:62. نقلا عن م. ريجيسكي: أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية، ص: 193-194. وانظر أيضا محمد حسن خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، ص: 105 إلى 112.

اختص به عصر الأنبياء غير مسلم، ففي التثنية ورد قول الرب: "أنا أنا هو وليس إله معي، أنا أميت وأحيي، سحقت وأنا أشفي، وليس من يدي مخلص" [التثنية: 39/35]. فهذه العبارة قالها موسى قبل إشعياء يقرون، وهي تحمل اللفظ نفسه الذي يراه م. ريجيسكي ينهي كل وهم بوجود التعدد الحقيقي للآلهة في ذهن قائلها.<sup>1</sup> ولعل العودة إلى ما سبق ذكره في بداية هذا الفصل من وجود مستويين في فكرة توحيد الله في الديانة اليهودية، المستوى النظري والمستوى العملي يحسم هذا الخلاف، قد تأرجح شعب اليهود طوال تاريخ وجودهم بين التوحيد والوثنية، أما أنبياءهم فجعل آثار التوراة تبرؤهم من هذه التهمة بالرغم من ورود بعض النصوص الموهمة.

### المطلب السادس: بعد عصر الأنبياء.

يذكر المتخصصون في الديانة اليهودية أن فكرة الألوهية عرفت تطورا مطردا، وابتعدت بعدا شديدا عن تلك الشريعة البدوية البسيطة التي تضمنتها التوراة مع "سعديا بن يوسف الفيومي" في كتابه "الأمانات والاعتقادات"، وفي "الأصول الثلاثة عشر" و"دلالة الحائرين" لعلامة اليهود في العصور الوسطى، وطبيب الدولة الأيوبية في مصر الذي وصل بالعقائد اليهودية إلى المستوى الفكري الموازي لنتائج علم التوحيد وعلوم الكلام عند أئمة المسلمين، وبدا تأثيره واضحا أشدّ الوضوح، من ذلك تقريره في الأصول الأولى من أركان الإيمان اليهودي:

- 1- أنا أو من إيماننا كاملا بأن الخالق تبارك اسمه، هو الموجد والمدبر لكل المخلوقات، وهو وحده الصانع لكل شيء فيما مضى وفي الوقت الحالي وفيما سيأتي.
- 2- أنا أو من إيماننا كاملا بأن الخالق تبارك اسمه، واحد لا يشبهه في وحدانيته بأية حال، وهو وحده إلهنا كان منذ الأزل، وهو كائن وسيكون إلى الأبد.

1 الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم ص: 36.

3- أنا أو من إيماننا كاملا بأن الخالق تبارك اسمه، ليس جسما، ولا تحده حدود الجسم، ولا شبيه له على الإطلاق<sup>1</sup>. فقد أحدث (موسى بن ميمون) تطورا كبيرا في الفكر والعقيدة اليهودية بإبعاده معنى (التفريد) في الآلهة، وجعل الله هو إله بني إسرائيل، وقد اقترب من معنى الألوهية عند المسلمين كما أسلفنا.

وقد ربط كثير من النصوص بين فكرة التوحيد والتمكين لبني إسرائيل " وشرعنا على يدي سيدنا موسى أخبرنا عنه تعالى أنه إن عبدت هذه الكواكب والأصنام، فإن عبادتها سبب في أن ينقطع المطر وتخرب الأرض وتنبت شيئا وتسقط الأشجار، وتأتي الآفات للأحوال والعاهات للأجسام، وتقصر الأعمار. وهذه هي أغراض كلام العهد الذي أمر الرب... وأنت تجد هذا الغرض متكررا في جميع التوراة... ويلزم من الإقبال على عبادة الله نزول المطر.. لأن أصل الشريعة إزالة ذلك الرأي (الشرك) ومحو أثره"<sup>2</sup>.

"فلما بعث الله سيدنا موسى ليجعلنا مملكة أحبار وشعبا مقدما بمعرفته تعالى، وقال.. فاعلم اليوم وردد في قلبك ولتنقطع لعبادته تشنية [39/4] كما قال ولتعبدوه بكل قلوبكم تشنية [13/11]. وقال: وتعبدون الرب إلهكم" خروج [25:22]

لقد كان لنزعة اليهود الانعزالية تأثير سلبي على مفهوم التوحيد عندهم، فقد جعلهم يحسبون الله أبا لهم يعود إليهم كما يعودون كليا إليه، ويظهر ذلك في تعدد ورود تسميات مثل "إله آبائك"، "إله إبراهيم"، "إله يعقوب"، وفي إشارتهم إلى أنفسهم بصفة "أولاد الله"، وهكذا اتخذت هذه العلاقة الفريدة الشديدة الخصوصية مع الله طابعا إنسانيا. وغدا التشبيه يفهم بمعناه الحرفي، ومن المؤكد أن هذا الفهم بوسعه أن يفترض أن "ألها" وإن كان الأقوى، فإنه واحد بين كثيرين.<sup>3</sup>

1 انظر الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه: د.حسن ظاظا، الدار الشامية، بيروت، ط4،1460، 1999م، ص134-135 إلى139.

2 - دلالة الحائرين: ابن ميمون: ج3، ص:633.

3 - أطلس الحضارة الإسلامية ص99-100 بتصرف، ومقارنة الأديان اليهودية، أحمد شلبي ص175.

" أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" [خروج 20-1-2].

هذه هي الوصية من الوصايا العشر، وفي هذه الوصية لم يقل يهوه أنه هو الإله الوحيد في العالم، بل اكتفى بأن يقول أن بني إسرائيل يجب ألا يكون لهم آلهة سواه، فشعب إسرائيل لم يعرف الإله الواحد، إله الخلق أجمعين في أكثر مراحل تاريخه، لم يعرف هذا الإله ولم يعبدته ولم يثبت على ميثاقه، وإنما كان يعبد إلهها يسميه إله إسرائيل، ويحسب أن هذا الإله يميّزه ويختاره على عامة الخلق لغير طاعة ولا لإيمان، ولا فضيلة ولا لإحسان، ولكنها وثيقة كتبها شعب إسرائيل على إلهه منذ القدم.... لقد كان إلههم إله عشيرة واحدة يسميها شعبه وتسميه هي ربها وألهها دون العالمين.

لذلك تعتبر الديانة اليهودية ديانة مغلقة لا تبشيرية، ويسمح لبعض الناس أن يدخلوا فيها إذا شاءوا دون دعوة، كما أنه ممنوع على أجناس محددة الدخول إلى "مملكة الرب" هم وأبنائهم، ويعلق الأستاذ "محمد عزة دروزة" على نصوص التوراة التي تمنع المؤيدين والعموميين وغيرهم من دخول اليهودية بقوله: "إن الديانة اليهودية ليست دينا إنسانيا عاما، إن بني إسرائيل كانوا يعتبرون الديانة ديانتهم والإله خاصا بهم.

وفيما يتحدث إسرائيل شاحك عما يسميه التصورات المغلوطة التي نشرت باللغات الأجنبية كافة- عدا العبرية- التي بثها هؤلاء الذين يشيعون عبارات متداولة، مثل "التقاليد اليهودية المسيحية" أو "القيم المشتركة للأديان التوحيدية" يتناول البنية اللاهوتية لليهودية والتي يعتبرها أهم هذه الأوهام الباطلة، ألا وهي: "أن الديانة اليهودية، كانت وما زالت ديانة تؤمن بإله واحد، وتؤكد أن هذه الفكرة خاطئة تماما، ففي العديد من أسفار التوراة، إن لم يكن في معظمها، هناك إقرار واضح بصحة وجود وبقوة "آلهة آخرين"، ولكن يهوه، وهو أقوى هذه الآلهة، يشعر بغيرة شديدة من منافسيه، أما وجود الآلهة كافة غير يهوه، فلا ينكره إلا بعض الأنبياء اللاحقين في فترة متأخرة جدا في التوراة، أما في البضع سنوات الأخيرة، فقد كانت في القسم الأكبر منها أبعد ما تكون عن الديانة الموحدة الصرفة، فقد اندثر الإيمان بإله واحد بين الذين انتشرت بينهم الصوفية اليهودية (القابالاه)، التي نمت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وحققت مع نهاية القرن السادس عشر نصرا كاملا تقريبا فحركة "غوش إيمونيم" التي ينتمي



إليها عدد كبير من الحاخامات وكبار السياسيين تستوحي إلى حد كبير الأفكار اليهودية القابلية<sup>1</sup>.

فاليهودية الكلاسيكية<sup>2</sup> من وجهة النظر الأخلاقية تمثل عملية انحطاط ما زالت مستمرة، وقد نتج عن هذا الانحطاط مجموعة من الطقوس ترتبت عنها تبعات اجتماعية وسياسية شديدة الأهمية<sup>3</sup>، وغدت تستحوذ على ألباب الجماهير اليهودية، أكثر مما تفعل نصوص التوراة أو التلمود التي تنطوي على قيمة دينية وأخلاقية حقيقية.

1 الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحك: ص:66 بتصرف.

2 المقصود باليهودية الكلاسيكية اليهودية الحاخامية كما برزت عام 800م واستمرت إلى ق18، ويقال لها أيضا المعيارية، انظر ن.م.س، ص:62

3 إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة3000 عام؛ رضا سليمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط2، 1996م، ص:87 بتصرف.

## المبحث الرابع: الأصل الثاني: عقيدة الشعب المختار.

## المطلب الأول: فكرة الاختيار.

فكرة الاختيار الإلهي لبني إسرائيل عقيدة جوهريّة أصيلة عززتها نصوص التوراة، وقد جاء في سفر التثنية: " إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك... إياك اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب إلتصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر. " [ التثنية : 7 / 86 ]<sup>1</sup>

وجاء في سفر أشعياء: " و بنو الغريب بينون أسوارك وملوكهم يخدمونك.... تنفتح أبوابك دائما... ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم. " [ إشعياء : 60 / 10 ] وفي التثنية: " مبارك تكون فوق جميع الشعوب لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك. " [ التثنية 7 / 14 ]

ويبقى التأويل الأكثر شيوعاً لفكرة " الاختيار " أنّه ناجم عن إرادة الله المطلقة المبنية على الحب الإلهي لهذا الشعب، فهو حب لم يأت نتيجة كثرة عددهم، ولا قوة إيمانهم، بل نتيجة مباشرة لحب إلهي خالص، ووعدهم لأبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب. ولذلك يشكر اليهودي إلهه في كل صلاة على هذا الإختيار دون الشعوب الأخرى.<sup>2</sup>

إنّ شعور العبرانيين بالاختلاف واعتقادهم بأفضليتهم الذي بدأ بتمييز الذات بسبب الرؤية الأعلى حول السمو الإلهي، واختصاصهم بالنبوة، وقد فرض عليهم وجودهم وسط شعوب وثنية

1 - انظر : مفهوم الآخر في اليهودية والنصرانية، د. رقية جابر العلواني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1429 هـ 2008م، ص51، نقلاً عن الكتاب المقدس، دار الكنائس في الشرق الأوسط، و: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ص: 197، 198 .

2 - مفهوم الآخر في اليهودية والنصرانية، د. رقية جابر العلواني، ص: 24، 25.

إبتعادا فعليا. وبعد جيلين من الزمان غدا هذا النأي المبالغ فيه مفسدا للرؤية الأصلية التي كانت سبب نشأته من عبادة إله متفرد في سموه كما علم إبراهيم، إلى عبادة إله واحد بوجود غيره لأنه يخصهم." وأجعل مسكني في مسكنكم... وأسير بينكم وأكون لكم إلهًا وأنتم تكونون لي شعبا." [اللاويين : 26 / 11 . 12 . 13 ] .

وقد دفع بهم هذا الشعور في طريق التعصب العرقي، فقد رفض العبرانيون التجانس مع أية قبيلة أو عشيرة جاؤوا للعيش بين ظهرانيها، ما أدى إلى رفض تلك القبائل بدورها لهم.<sup>1</sup> وقد خاطب يعقوب إبنيه : " قد أشقيتماني وأخبتما ريحي عند أهل الأرض والكنعانيين والفرزيين وأنا في نفر معدود فيجتمعون علي ويقتلونني فأهلك أنا وبيتي. [ سفر التكوين : 34 / 30 ]

وكثيرا ما تردد عند بعض المؤرخين من أن شخصيات الأسلاف ( إبراهيم، إسحاق، لوط، يعقوب ) ليست شخصيات تاريخية، إنما هي رموز قبلية، وهذا أمر عادي في الفكر الإسرائيلي، فإن المصادر التوراتية تحول دون الإقتناع بأنهم كانوا كذلك.<sup>2</sup>

لقد خضعت الديانة بشكل عام للقومية وخضعت المفاهيم الدينية لعمليات التفسير القومي، فالعهد والإختيار الإلهي لبني إسرائيل والخلاص الإلهي.... كلها حددت دلالاتها داخل إطار هذا الفهم.<sup>3</sup>

### المطلب الثاني : تطور فكرة شعب الله.

وقد تطورت مفاهيم العهد والاختيار والخلاص من خلال المراحل التاريخية والأزمات التي مرت بها الجماعات اليهودية.

1 - أطلس الحضارة الإسلامية، د. إسماعيل راجي الفاروقي، ود. لويس لمياء الفاروقي، ص: 98 . 99 بتصرف.

2 - اليهود في العالم القديم، ص: 46 - 47 .

3 - تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 253 .

## أولا : المرحلة الموسوية .

ومن أكبر صور سيطرة الفكرة القومية على بني إسرائيل وديانتهم حادثة الخروج من مصر، وهي محطة مفصلية في تاريخ وديانة اليهود، حيث تجلت فيها قدرة " إله بني إسرائيل " في التحكم والسيطرة في مسيرة التاريخ، فأظهر الفئة الضعيفة الصغيرة على الفئة القوية، وكان مسيطرا على قوانين الطبيعة من خلال المعجزات الكثيرة التي أيد الله بها موسى، وأكبرها على الإطلاق إنشقاق البحر.

لكن هذه الأحداث لم تأخذ الصفة الدينية بشكل أساسي، ولذلك لا نجد أثرا في التوراة لدعوة موسى الدينية بين المصريين ولدى فرعون، وإنما تم التركيز على السياق السياسي العسكري، ونظر إليها بأنها قصة تحرير جماعة بني إسرائيل من العبودية للمصريين على يد بطل قومي حقق لهم الخلاص هو موسى<sup>1</sup>.

ولذلك وجدت في العهد القديم وفي التلمود أيضا ظاهرة القصص الأسطوري<sup>2</sup> التي تتنافى مع الحقيقة التاريخية ومع الحقيقة العلمية وارتبطت بالأماكن والأعلام والأحداث، فقد تضمنت الأساطير اليهودية التي تطورت حول أسطورة العرق اليهودي، ونقاوة الدم اليهودي، وقسمة

1 - انظر : تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 253 . 254 .

و انظر أيضا: المدخل لدراسة التوراة في العهد القديم، د. محمد علي الباز، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، ط 1، 1990 م، ص: 59، 60، 61 .

2 - الأسطورة هي حكاية مقدسة تنتقل من جيل إلى جيل عبر الحكاية الشفهية، ثم تأتي الكتابة لتلعب دور المحافظ عليها من التحريف. وتتميز الأسطورة بالمبالغات والخوارق، وتعرف بأسلوبها الملحمي، وتلتقي الأسطورة مع التاريخ والفلسفة والدين، وعرفت بشكل واسع في الحضارات البابلية والإغريقية، وارتبطت بالبوذية، والهندوسية، واعتبرت قديما تفسيرا للخلق وأصول الدين والأخلاق، ... إلخ . وتختلف الأسطورة عن الحكاية الشعبية والخرافة لأنهما لا تحملان طابع القداسة، وإن كانتا تشتركان مع الأسطورة في بعض عناصرها. انظر : موسوعة المثلوجيا واساطير الشعوب القديمة، معجم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، د. ت، ص 26 وما بعدها.

البشرية إلى أطهار وأنجاس، وأسطورة العبقرية اليهود إلى غير ذلك من الأساطير التي تفتق عنها الذهن اليهودي في علاقته بالعالم وفهمه لنفسه<sup>1</sup>.

ومن الملاحظ أن زوال ثنائية الخالق والمخلوق التي تؤدي إلى التداخل الكامل بين المطلق والنسبي أو بين الإله والشعب ... أو بين التاريخ المقدس والتاريخ الإنساني تعد سمة بنيوية أساسية في اليهودية، فكتاب اليهود المقدس هو كتاب تاريخ الشعب<sup>2</sup>.

### ثانيا : عقيدة الشعب المختار بعد السبي البابلي .

لقد عززت أحداث السبي البابلي هذه النزعة القومية التي يذكر المؤرخون أن " عزرا<sup>3</sup> " الذي وصل إلى أورشليم حوالي عام ( 397 ق.م ) ومعه تفويض ملكي بإصلاح ديانة " يهوه " وهو الخبير القانوني والملم بأسفار موسى الخمسة قرّر بأنه على " الجنس المقدس " أن يكون في معزل عن بني البشر، وقد أراد أن يبعث أيام " يشوع " من جديد، في محاولة لإحياء إحتقار الغزاة القديم " لأهل البلاد " وكان التأكيد الأساسي في إصلاحات عزرا منع الزواج بين اليهود وبقية البشر. " والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم، ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد، لتشتدوا وتأكلوا خير الأرض، وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد. " ] سفر عزرا : 9 / 12 [

1 - تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن، ص 260 . وانظر أيضا : العنصرية اليهودية وأثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، د. أحمد بن عبد الله بن إبراهيم المرغيني، مكتبة العبيكان، ط 1، 1418 هـ، 1998 م، ج 1، ص: 70 .

2 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، ط 1، 1999، ج 4، ص: 14 . 15 بتصرف.

3 - عزرا يحتل عزرا مكانة كبيرة في نفوس بني إسرائيل، حتى اعتقد بعضهم أنه ابن الله، وإليه يرجع الفضل في إعادة طائفة منهم في القرن 5 ق.م من منفاهم، وإليه ينسب تحرير كثير من أسفار التوراة، وبناء الهيكل تنسب اليهودية لعزرا إنشاء مجلس عظيم من العلماء والأنبياء، وأنه بشير من السنهدرين (Sanhedrin)، وله سلطة على الأمور المتعلقة بالشريعة الدينية وفي إنشاء العديد من الخصائص اليهودية التقليدية المعاصرة في شكلها الحالي،.: انظر : اليهود واليهودية، عبد الواحد وافي، ص: 12. و / <http://www.jewishencyclopedia.com/>، 11 أغسطس 2011

بالرغم من أن بني إسرائيل كانوا أحرارا في الزواج على مدى ثمانمائة عام<sup>1</sup>، فإنه مما يثير العجب وصفه لليهود بأنهم جنس مقدس "واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضي ... فلما سمعت بهذا الأمر مزقت ثيابي وردائي، وفتفت شعر رأسي وذقني ... وبسطت يدي إلى يهوه ربي " [عزرا : 9 / 1 - 6] . لأنهم من الناحية السلالية قد اختلطوا بشعوب شتى بشهادة التوراة: "فسكن بنوا إسرائيل في وسط الكنعانيين والحيتيين والأموريين والفرزيين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنينهم، وعبدوا آلهتهم . " [ سفر القضاة : 3 / 5 - 6 ] .

وقد وضعت اصلاحات عزرا الخاصة بالزواج موضع التنفيذ الصارم، فطلقت الزوجات الأجنبية، وأنكرت شرعية أولادهن<sup>2</sup>. ثم لبثت هذه التعاليم والمبادئ أن تناسلت لتنتج ديانة عنصرية إستعبادية تقوم مبادئها على تضامن " الأمة المقدسة " في مواجهة العالم، ولا تزال آثار هذه الإصلاحات ملموسة إلى يومنا هذا.

فإذا انتقلنا إلى الجانب التاريخي والإنساني فإننا سنكتشف أن نموذج التاريخ اليهودي المستقل يفترض وجود جوهر يهودي كامن، حيث يتجاوز هذا الجوهر كل التحولات، ويتحدى جميع القوانين التاريخية المعروفة. فيتخذ اسم الماضي اليهودي أو " روح اليهودية " أو " الشعب اليهودي الأزلي "، ويتم تفسير كل شيء على هذا الأساس.

1 - تزوج يوسف من مصرية، وتزوج موسى أيضا وهو اعظم أنبياء بني إسرائيل من "صفورة" وهي مديانية ( من المدينيين ) وقد أغضب هذا الإختيار هارون وأخته مريم، واعتبرا ذلك إهانة لكبريائهم القومي، وتذكر الكتب أنها عوملت باحتقار مقنع لأنها لم تكن عبرانية. انظر: الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والاديان (اليهودية )، د. سليم إلياس، ص: 126 .

2 - اليهود واليهودية في العصور القديمة ( بين التكوين السياسي وابدية الشتات، ترجمة رشاد الشامي عن كتاب السلام في الأرض المقدسة ( تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين ) فون باجوت جلوب، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط 1، 2001، ص: 140 . 141 . بتصرف. وانظر أيضا : الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص:

كل هذا يجعل التاريخ اليهودي أمرا لا علاقة له بالواقع الإنساني الديني، وهذا لا يتنافى فقط مع الروح العلمية، وإنما يتنافى مع الروح الإنسانية، بإنكار تفاعله مع البيئة التي حوله، يتأثر بها ويؤثر فيها، شأنه في هذا شأن كل أعضاء الجماعات الإثنية والدينية الأخرى. فalcوات الأشورية والبابلية لم تكتسح الدولتين العبرانيتين وحسب، بل اكتسحت معظم الدويلات الآرامية وغيرها، كما أن النظام القيصري لم يتسبب في مذابح لليهود وحسب، بل كانت لها آثار سلبية عميقة في قطاعات كثيرة... فتمودج التاريخ اليهودي يضعه خارج التاريخ الإنساني الفعلي<sup>1</sup> لأن اليهود عاشوا في ظل كثير من الإمبراطوريات في العالم القديم في رخاء وكرامة، كما أنهم شهدوا فترات للإضطهاد لم تخرج عما ألفه الناس من قوانين في تلك العصور، سواء كانوا يهودا أو غيرهم، وكثيرا ما كان لليهود دور مزدوج في تلك الأحداث.

كل هذا وغيره حال دون قيام علاقة إنسانية سوية بين اليهود والأغيار<sup>2</sup>، وهو المعنى الذي أكده كثير من علمائهم من خلال اعتبار هذه الظاهرة مبررة، وأنها تحمل أبعادا إيجابية، فإن الحدود الإثنية والعرقية وإن كانت معوقا دينيا شديد الوطأة، إلا أنه ينطوي على جوانب إيجابية كثيرة حسبهم، أهمها أنه يضيف لمسة من الواقعية للديانة اليهودية من خلال ترجمة كل خبرة دينية، وكل قيمة دينية إلى حقائق اجتماعية وتاريخية، فالدين لم يكن قادرا أبدا على الانفصال عن التاريخ الحي، على المستوى الروحي والمادي لشعب له وجود تاريخي حقيقي، وأن هذا التمحور حول الذات أضحى مصدر قوة دينية ذات قيمة على تاريخ إسرائيل.<sup>3</sup>

1 - انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج 4، ص 15-16 . وانظر : اليهود واليهودية في العصور القديمة، فون باجوت كلوب، ت : رشاد الشامي، ص: 143 إلى 156، وفيه تفصيل دقيق للمراحل التاريخية التي عاشها اليهود .

2 - انظر : الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطاة، 3000 عام، إسرائيل شاحك قدم له إدوارد سعيد، د. رضا سلمان مراجعة مريم ترك، ص: 155، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، ط 2، 1999 .

3 - انظر : موسوعة الأديان الحية، ج 1، ص: 45 . 46 .

وقد تجسد هذا المعنى لا في الإحساس الجمعي لليهود ووعيهم الديني فقط، بل إنه غدا واقعا يطبع المصادر والأصول الفكرية التي ينهلون منها، فقد أكد الحاخام أدين شتاينساليز<sup>1</sup> "أن التلمود لا يحمل ملامح شخص معين أو توابع كاتبه المختلفين، فخاصية التلمود جماعية تعكس وضع الشعب اليهودي في كل مرحلة محددة من مراحل تاريخه، والإختلافات الشخصية فيه تمحى لصالح الروح الشاملة ... فإنّ ما كان ... يجمع بين الحكماء من سمات وطرق ذهنية ... يجعل القارئ قادرا على إدراك وحدة المجموعة التي تتفوق على كل اختلاف<sup>2</sup>.

ويستطيع اليهودي ألا يشارك في القداسة وحسب، وإنما يتوحد مع الإله تماما، ويصبح في قداسته، وقد كانت هذه الرؤية الحلولية موجودة بشكل كامل في العهد القديم، ثم تبلورت في التلمود وأخذت شكلا متطرفا في القبالة<sup>3</sup>، غير أن القداسة لم تعد حالة يشارك الإنسان

1- يوصف الكاتب بأنه أحد أضخم عقول القرن، عالم في التلمود وأستاذ في الجامعة، حائز على شهادات عليا في البيولوجيا والرياضيات، و من أهم أعماله ترجمته للتلمود إلى اللغة العبرية الحديثة في عشرين مجلدا مدعما بشروح وحواشي علمية، ترجم إلى الإنجليزية.

2 - مدخل إلى التلمود، أدين شتاينساليز، ت : د. فينيتا الشيخ، دار الفرقد للطباعة والنشر، ط 1، 2006 م، سورية، ص: 5 . 6 بتصرف.

3 - القبالة : أو " القبالة " هي التقليد الموروث أو المقبول، وتطلق على التأويل الخفي للتوراة، وهي خليط من الفلسفة والتصوف والسحر، وأهم مبادئ هذا المذهب  
أ. سرية التعاليم والقول بأن للتوراة ظاهرا وباطنا .

ب. القول بإله يتجلى إدراكه لذاته في صدور الموجودات عنه على مراتب

ج. القول بوجود أرواح مدبرة للكون بواسطتها يستطيع الإنسان أن يسيطر على قوى الطبيعة.

د. رمزية عدد الحروف . المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، 1414 هـ / 1994 م، ج2، ص 183 . وانظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، للفاروقي، ص: 21، 22 / وموسوعة الأديان الحية، ج 1، ص: 77، 78



فيها من خلال التدريبات الروحية والأعمال الأخلاقية، وإنما أصبحت سمة عضوية متوارثة ناتجة عن الحلول الإلهي الدائم.<sup>1</sup>

وقد وصل الإيمان بقداسة الشعب اليهودي إلى أشكال في غاية التطرف، إذ ذهب بعض القباليين، إلا أن اليهود قد خلقوا من طينة مقدسة مختلفة عن الطينة التي خلق منها الأغيار وبالتالي تكون أفعال اليهود كلها مقدسة لأنها تساهم في عملية إصلاح الخلل الكوني التي يستعيد الإله من خلالها ذاته.

فالإسرائيلي في التلمود معتبر عند الله أكثر من الملائكة، ويعتقد اليهود فيما سطره لهم حاخاماتهم أن اليهودي جزء من الله، كما أن الإبن جزء من أبيه، وأنه لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار.<sup>2</sup>

ويفسر أحد كتب المدراش فقرة من إصحاح [اشعيا 43 - 12] "وأنتم شهودي يقول الرب وأنا الإله وحينما لا تكونون شهودي فأنا (كأنني) لست الإله فكان ألوهية الإله ووجوده لا يتجاوز الإرادة والوجود اليهوديين"<sup>3</sup>.

وكثيرا ما نلاحظ هذه الظاهرة : حلول الله في الشعب والعكس تتجسد في طقوس اليهودية وصلواتهم ومنه ما ينسب من أقوال لحاخاماتهم ومرشديهم الروحيين (الصدّيقين) منه ما قاله : 'فحاس شايبيرا كورتز' (1791م) في احد أعيادهم عندما قرأ عبارة المزمور [91/119] "أنهم يقفون هذا اليوم ليسمعوا حكمتك في كل شيء أنهم عبيدك"، فأردف مخاطبا الله " أن هذا اليوم هو اليوم الذي تصدر به أحكامك على الناس كما قال داود في

1 - موسوعة اليهود واليهودية، د. عبدالوهاب المسيري، ج 5، ص: 36 .

2 - انظر : أخلاقيات الحرب ومبادئها في القرآن والتوراة، دراسة مقارنة، د. يسري حازم صالح، دار عياد للنشر، الأردن، ط 1، 2015، ص: 58 . انظر : الكنز المرصود في قواعد التلمود، د. زوهلنج ود. شارل لوران، ت : يوسف نصر الله، دار القلم، دمشق، ودار العلوم، ط 1، 2، 1420 هـ / 1999 م، ص: 66 .

3 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، محمد المسيري، ج 5، ص: 36 .

مزاميره، وفي هذا اليوم تقف كل الخلائق أمامك لتصدر أحكامك عليها، ولكني أنا ليفي بن سارة أقول وأعلن: بان أنت الذي سيصدر عليك الحكم هذا اليوم من قبل أبناءك الذين عذبوا من أجلك والذين يموتون من أجلك ومن اجل تقديسك وشرعيتك وعهدك"<sup>1</sup>.

وربما يمكننا أن نلخص ما سبق اعتمادا على الدين اليهودي كما يظهر في الكتاب المقدس على حد تعبير أحد علمائهم بالقول بانّ "المواجهة مع الحياة ودعوة الله تعني إن السمو قد تمت ممارسته من خلال أن اليهود يخاطبهم الله وإنهم يشاركونه المسؤولية مع ضرورة الاستجابة له بسماعه وطاعته"<sup>2</sup>. إذ جاء في [خروج: 19 / 5-6]: "و الآن إن سمعتم كلامي وحفظتم عهدي، فإنكم تكونون شعبي الخاص بين جميع الشعوب".

وقد أكد هذا المعنى د،ر،ج تشفي فيرلوسكي بقوله: " انه بقراءة الكتاب المقدس اليهودي (التوراة) رغم أنه ذو أهمية عالمية، إلا أنه كتاب شعب بعينه... وهذه الفكرة تعقد تعقيدا شديدا فهمنا لليهودية... أن اليهودية ظلت حتى اليوم دين أمة بعينها، إسرائيل أو الشعب اليهودي... قد تكون قضية شائقة تلك المتعلقة بما إذا كانت هذه العلاقة بين الدين والأمة على نحو يجعلهما قريبين بان يكونا متطابقين... ورغم انه يظهر في بعض فترات تاريخ اليهودية أنها كانت دين دعوة نشطا، إلا أنها في الحساب النهائي ظلت دينا مرتبطا بالشعب اليهودي ارتباطا أساسيا"<sup>3</sup>.

1 - اليهود الحسيديم، نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، د. جعفر هادي حسن، دار القلم، ط 1، 1994، ص 139. و الصديق (صديقيم) هو حاخام، لكن الحسيديم يينظرون إلى الصديق كأب روجي ومخلوق مقدس، ولا تنتقل إليه المكانة بالوراثة مثل الكاهن، ن، م، س، ص: 101.

2 - موسوعة الأديان الحية، ج1، ص 54، والكلام لتشفي فيرلوسكي.

3 - موسوعة الأديان الحية، ج 1، ص: 44، 45 بتصرف.

وجاء التلمود مكرسا لهذا الاعتقاد بما يحمله من براغماتية أثنية وعقائدية، أدت إلى وسم اليهودية بمبدأ عرقي شديد التجدر يقطع بأن اليهود وحدهم هم شعب الله المختار وأن الشعوب من دونهم كالبهائم.<sup>1</sup>

وقد استمرت هذه الفكرة طوال الوجود التاريخي اليهودي وإلى يومنا هذا، لدرجة أن نجد مفكرا مثل مالك بن نبي يعمم الحكم على جميع اليهود، سواء من اعتنق فكرا علمانيا، أو المتمسك منهم بيهوديته، حيث يعزو جل أحداث التاريخ المعاصر في الغرب ومستعمراته للتدبير اليهودي، لأنهم يرون في العالم طبيعتين من الكائنات؛ اليهود وهم الشعب المختار، والحظيرة وهي التي يحشر فيها عموم الجنس البشري، الغوييم الذي ينفذ خطته وأشواقه بسيادة البشرية بيديه.

وقد حاول الإمساك بأطراف بداية مسار (الدياسبورا) إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، من خلال التركيز على الشخصيات اليهودية التي أثرت في المسار العلمي والثقافي والتكنولوجي والإقتصادي والسياسي، من خلال مساراتها، ليصل إلى أن الشعب ذي الرقبة القاسية بحسب العهد القديم بنفسيته المعقدة التي يقف التحليل السطحي عاجزا أمامها. قد نجح في إستلام شعلة الحضارة عقب سقوط الحضارة الإسلامية بوعي أو دون وعي من الإنسان الغربي.<sup>2</sup>

لذلك فإنه بالرغم من محاولة كثير من الباحثين عدم الإقتصار على التوراة والتلمود في فهم وتفسير هذه الظاهرة، بسبب وجود جماعات يهودية متنوعة، وما يبدو من انتشار لتيارات إصلاحية تتفاوت في درجة بعدها عن الخطاب النصوصي كما يطلق عليه الدكتور عبد الوهاب المسيري؛ إلا أن أكثر التيارات صرامة في نقد فكرة الإختيار والحب الأزلي لله لبني إسرائيل

1 - التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، ط 2، 1972، ص: 6 بتصرف، و الكنز المرصود في قواعد التلمود، د. روهلنج، وشارل لوران، ت: د. يوسف نصر الله، دار القلم دمشق، ودار العلوم بيروت، ط 2، 1430 هـ / 1999 م، ص: 73 .

2 - انظر : المسألة اليهودية، مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، ط 1، 2001، ص 61، 75، 83، 84، 85 .

تقدم تأويلات تدور حول تميز اليهود بأنهم شعب صاحب رسالة الخلاص، وأنّ الله إختصهم بهذا الفضل.<sup>1</sup>

كما أنّ الإصلاحيين الذين يؤكّدون توجهاتهم نحو الكونية والعالمية ينكرون فكرة الإختيار غير المعلل إلا بحب " يهوه " لليهود، إلا أنّهم يقرّون أنّ الشعب اليهودي له تاريخ مميز ومتفرد، وأنّهم أمة متفوقة؛ لذلك عادت الصهيونية التي تدعي العلمانية إلى إحياء فكرة " النخبة الصالحة " التي هي في أساسها توراتية جاءت في [سفر إشعيا: 6/11 - 13 - 10 - 12].

وهذا ما يؤكّده ر. ج تسفي فيربلوسكي حيث يؤكّد أن الموقف الديني ليهود منتصف القرن العشرين، قد حسمه حدثان تاريخيان كبيران، أحدهما البرنامج الأكبر في التاريخ، وهو الإبادة المنظمة التي لا رحمة فيها بقيادة هتلر وصمت أوروبا، والحدث الثاني هو ظهور دولة إسرائيل بين كفاح وحلاوة ودماء وسط عوامل متشابكة من العدالة والظلم والبطولة، وليس من يهودي إلا وأخذ بالمعنى الوجودي المتعلق بالرموز القديمة لعقيدته، والذي أصبح أمراً مسلماً بصحته وطهارة الإسم ( إسرائيل ) وارتباطه بسجل الشهداء ووعد العودة إلى صهون، وعمق الألم وتجمع اليهود من الشتات، والحرية في بناء مجتمع قائم على المساواة والعدالة، وإتاحة الفرصة له لخدمة الله بإعتباره واحداً من الشعب المختار في أرض الميعاد التي أعطاها الرب له.<sup>2</sup>

1 - انظر : مفهوم الآخر في اليهودية والنصرانية، مؤلف جماعي - سمير مرقص، د. كريستيان فانسين فانسن، د. أكرم لمعي، دار الفكر، دمشق، ص: 2008 .

2 - موسوعة الأديان الحية، اليهودية، د. ر. ج تسفي فيربلوسكي، ج 1، ص: 102، وهذا النص يختزل الفكر اليهودي قديماً وحديثاً، فهو يجسد ما اشار إليه د. المسيري من فكرة الثالث الحلوي، والمركزية التاريخية التي يرى اليهود من خلالها تاريخ البشرية، حيث إختزل معاناة البشرية كلها في الحربين العالميتين الأولى والثانية في المحرقة التي شكك كثير من المتخصصين في أرقامها، كما أنه يتكلم عن أرض الوعد ( فلسطين ) كوطن للعدل والمساواة وللسلام لشعب إسرائيل طبعاً.

إنّ أساس الخبرة الدينية عند العبرانيين وخلفهم من اليهود تنطوي على النظرة الإبراهيمية بما تحمله من سمو وأخلاق كونية التوجه، إلى جانب خصوصية التعصب العرقي والشعور بالنأي، وكانت النظرتان في حالة توتر دائم، إذ كانت الواحدة تفرض سلطانها على الأخرى طوال العصور، لكنها لا تنجح أبدا في القضاء عليها، ويخبرنا التاريخ أن خصوصية التعصب العرقي كانت في أغلب الأحوال هي المسيطرة<sup>1</sup>، وقد تجذرت هذه النزعة مع قصة مصارعة يعقوب للرب<sup>2</sup>، فيما يطلق عليه علماء تاريخ الأديان بالأسطورة التعليلية.

ذلك أن هذه القصة بالإضافة إلى ما ورد فيها من تشبيه وانتقاص للذات والقدرة الإلهية، فإن هدفها عنصري بحت، وهو تخصيص نسل يعقوب وتسميتهم بالإسرائيليين، وحصر النبوة والوحي في نسله خاصة؛ وهي التي أدت إلى تبلور مفاهيم الإختيار الإلهي لبني إسرائيل (الشعب المختار)، وقصر العهود والمواثيق وأيضا مفهوم الخلاص الإلهي عليهم دون البشر جميعا<sup>3</sup>. ذلك أن قناعتهم راسخة بأن التجربة كانت في حالة الإسرائيليين القدماء مع الله بعكس الشعوب السامية الأخرى كثيفة كثافة غير عادية، وكان هناك أيضا شعور بأن الله في هذه التجربة كان ذاتا حاضرة حضورا كثيفا، ولم يكن الله يعمل فحسب، وإنما توجه إلى الإنسان (اليهودي) طالبا منه أن يستجيب له إستجابة تنطوي على التعاون معه<sup>4</sup>.

ولهذا لم يستطع العبرانيون رغم تاريخهم الطويل نشر ما لديهم من خير، أي التوحيد المتسامي كما علم إبراهيم، فقد كانوا مع تمسكهم بالتوراة غالبا ما يخفونها ولا يعلمونها لغيرهم،

1 - د. إسماعيل راجي الفاروقي، د. لويس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1419 هـ / 1998 م، ص: 99. واليهود واليهودية في العصور القديمة، فون باجوت كلوب، ت: د. رشاد الشامي، ص 135. وهو التوتر الذي وصفه الكاتب بين النزعة الإصطفائية، وهي نظرية لاهوتية تقول بأن الخلاص مقصور على شعب الله فقط، وبينما ترى الخلاصية بأن الجميع ينعمون آخر الأمر بالخلاص.

2 القصة في سفر التكوين ستأتي الإشارة إليها.

3 - انظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 23، 24، 25.

4 - انظر: موسوعة الأديان الحية، ج: 1، ص: 50، 51.

وغالبا ما كانوا يخرجون عن تعاليمها في سلوكهم الخاص، فقد كانوا يفكرون ويكتبون ويعيشون في أقصى حدود التعصب العرقي، وبتركيزهم على البقاء دون غيره من القيم التي لم يستطيعوا إنتاج اي تشريع نظامي أو تطوير أي مبدأ أخلاقي قانوني شامل يفيد الإنسانية جمعاء.<sup>1</sup>

فقد ذوى عند اليهود الإحساس بالزمان بحسب كثير من العلماء، وحفل تاريخهم بالنزعات الطوباوية التي تنطلق من رؤى كونية تلغي الفوارق والحدود التاريخية، فانعزلوا حضاريا ونفسيا... وعاشوا داخل " جيتو " حضاري ونفسي<sup>2</sup>، ليس ماديا فحسب بحسب تعبير موسى مندلسون<sup>3</sup>

### المطلب الثالث : الشعب المختار وعالمية الدعوة.

لقد كانت دعوة إبراهيم - عليه السلام، الذي يعتبره اليهود أبا لهم - كونية هداية واستمرت كذلك الى عهد موسى ومرحلة الأنبياء، وكان الداخلون في دين اليهود من أجناس كثيرة، ومن كل طبقات المجتمع وقد كان أحد أكبر علمائهم البارزين في القرن الثاني بعد الميلاد من أصل وثني، وهو الحاخام " عقيبا "؛ وإضافة إلى إعتناق شعوب العالم القديم من مصريين وكنعانيين ويونانيين وبابليين ويمنيين وشعوب شمال إفريقيا المتهودين في القرن الرابع (

1 - أطلس الحضارة الإسلامية بتصرف، ص: 104، 105 . ويستدرك مؤلفا الأطلس عند تناولهما هذا الموضوع ببيان الفرق بين التواجد، وإنتاج منظومة أخلاقية وحضارية متكاملة، وبين المساهمة التي تقاس بتواجد شخصيات وحوادث وأفكار ومذاهب دينية متشابهة في الحضارة الإسلامية مثلا، إذ يقر بأهمية وضخامة هذه المساهمة فضلا عن وجودها، وهو أمر متبادل كما أثبتته كثير من الدارسين ككتاب جيمس أ. مونتكومري الذي عنوانه بلاد العرب والتوراة، انظر: ن. م. س، ص: 114، 115.

2 - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د. عبد المنعم الحفني، ص: 240، 141.

3 - موسى مندلسون: ( 1729 - 1786 م ) أطلقوا عليه موسى الثالث، حيث الأول هو النبي موسى، والثاني موسى ابن ميمون أكبر فلاسفتهم في دائرة الثقافة الإسلامية، أما مندلسون فهو مؤسس "حركة الإستنارة"، وقد اجترح مصطلح " الجيتو العقلي"، ومن مؤلفاته " أورشليم " ومحاضرات في وجود الله، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص: 217، 218، 2019. و انظر : الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص: 37، 38، وما بعدها.

البربر) اليهودية، يذكر "رينان" أن اليهود قدموا في وقت مبكر جدا إلى بلاد الغال قبل مولد المسيح بزمان طويل، وقد نجحوا في تحويل ديانة كثير من الناس إلى "اليهودية"<sup>1</sup>. وفي مقدمة المؤرخ "غوميلوف" يذكر كيف شملت "مملكة خازاريا" كل جنوب شرق أوروبا وجزءاً من آسيا، وكيف شكلت تلك الشعوب المختلفة الأعراق المملكة الخزرية من البحر السود ومحيطه بما في ذلك شمال تركيا الحالية إلى محيط بحيرة قزوين، ووصولاً إلى السلافيين، وقد إعتنقت هذه المملكة القوية الديانة اليهودية، وبقيت قرناً طويلاً تخضع الشعوب المختلفة لسلطتها وسلطتها<sup>2</sup>، فكيف اتفق أن أصبح كل هؤلاء ساميين " من بني إسرائيل" شعب الله المختار؟

إنّ الشعب المختار لم يكن مفهوماً شرفياً لبني إسرائيل، لكنّه مع انحراف بني إسرائيل عن تعاليم الوحي، كرّس مفهوماً مناهضاً للقيم الإنسانية، ولذلك كانت ذروة القيم والمفاهيم والتصورات عندهم هي الإستحواذ على أرض الميعاد التوراتية، وتحقيق غايات النموذج واقعياً. هذا النموذج الذي يجسد حصريّة تعاليم النص بحدود الرابطة الدينية والقربان الدموية التي تنفي عنها كل بعد إنساني.

1 - انظر: اليهود واليهودية في العصور القديمة بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات، ت: د. رشاد الشامي عن كتاب السلام في الأرض المقدسة، فون باجوت كلوب، المكتب المصري للطباعة والنشر، ط: 2001، م، ص: 163، 164، 165، 166. و يصف الكاتب موجات التحول إلى اليهودية من اليونان والمصريين والبربر قبل ميلاد المسيح.

2 - انظر: الحقيقة والأسطورة في العهد القديم، قراءة كتابية في جذور الأصولية الغربية، محمود يوسف الكبرا، منشورات دار علاء الدين، سورية، ط 1، 2010، ص: 182، 183، 184. نقلاً عن ليف غوميلوف، إكتشاف خازاريا، بلاد الجزر، ص 53، 54. ويذكر الكاتب أن أصول جل القادة الصهاينة تعود إلى هذه المنطقة كهرتزل، إيزمان، بن غوريون، جولدا مائير، روت شيلد، بيغن، شارون، نتانياهو، كلهم من الأصول الخازارية من الروس والبولنديين والأكرانيين والألمان والإيديش والسلاف، ... إلخ.

## المبحث الخامس : الأصل الثالث : عقيدة العهد والميثاق .

## المطلب الأول: فكرة العهد والميثاق.

فكرة العهد هي فكرة محورية بالنسبة للفهم الإستراتيجي للعالم، والإنسان في الديانة اليهودية، فهي تتضمن أنّ كل الحياة والوجود لا تظهر إلا من خلال مصطلحات تاريخية للعلاقة التبادلية مع الله<sup>1</sup>.

وقد مرّ وعد الله لبني إسرائيل بمراحل كثيرة، ابتدأت في مرحلة الآباء بعهد الله لسيدنا إبراهيم-عليه السلام- بأنّ الأرض الموعودة، والنبوءة تكون في نسله.

وقد كان في بدايته عاما غير مفصل، ثم غدا بعد ولادة إسحاق خاصا، وبدأت ملامح النزعة القومية العنصرية تظهر مع تخصيص إسحاق ونسله بوراثة النبوءة والأرض على السواء، وتكرّست مع يعقوب، واكتملت بتسمية يعقوب إسرائيل وبشعبه الإسرائيليين، وتجدد الوعد لسيدنا موسى، لكنّه إلى عهده كان أقرب إلى النبوءة التي ستتحقق لا على يديه ولا في جيله، ولقد أخرج الله بني إسرائيل بمعجزة عبور اليم، لكن تخاذل شعبه عن قتال أهل الأرض آخر تحقق الوعد، وحكم عليهم بالتّيه أربعين سنة.<sup>2</sup>

هذا وإنّ كانت النصوص التي أكّدت أنّ تحقيق العهد مشروط بالطاعة والصلاح كثيرة، غير أنّ هناك نصوصا لا تقل عنها كثرة وحجّية تبين أنّ هذا العهد أزلي وخاص، لأنّ هذا الشعب لن يخلو من البقية الصالحة.

## المطلب الثاني : المراحل التي مرت بها عقيدة العهد والميثاق

مرّت عقيدة العهد من الميثاق بمراحل، وفي كل مرحلة تميزت بخصائص، والمراحل

هي:

1 : انظر موسوعة الأديان الحية، ج 1، ص: 50 .

2 - انظر : الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، ديمة شريف الصياد، ص: 138 .



## أولا : العهد في عصر الآباء:

يجب الإشارة هنا إلى اختلاف عبارة أنبياء بني إسرائيل في الإستخدام الإسلامي عنها في الاستخدام اليهودي، حيث أن العبارة الإسلامية تضم كل الأنبياء الذين ظهوروا في بني إسرائيل، أما في التراث اليهودي فيطلق هذا الوصف على مجموعة من الأنبياء الذين ظهوروا من بعد موسى - عليه السلام - أما إبراهيم ويعقوب ويوسف وغيرهم فقد استبدلت كلمة ( نبي وأنبياء ) بكلمة ( أب وآباء)، وهذه الألفاظ لها دلالتها القومية العنصرية، إذ أنها تربطها بهذا التراث ربطا عرقيا<sup>1</sup>

" إن تقليد [التكوين 27 / 25] يصور إبراهيم كأول الآباء المدعويين بطاركة،

والجد الأعلى للشعب الذي دعي فيما بعد إسرائيل، غير أنه في الحقيقة يحتل المكانة الثانية بعد يعقوب - أب الأسباط - كما يشير الإسم إسرائيل إلى ذلك الذي أُطلق على يعقوب وطُبق على الأمة، بيد أن أهمية عميقة وبعيدة المدى ارتبطت بإبراهيم كأب أعلى<sup>2</sup> إنه هو مستلم الوعد بالأرض.

فقد جاء في الإصحاحين الثالث عشر والتاسع عشر أن إبراهيم ألهم من " شكيم " - نابلس الحالية - أنّ الأرض التي دخلها لتكون وطنا له ولقومه هي الأرض التي سبق القول عنها، وقدر الله منحها له ولدنّيته من بعده، وتغير إسم إبرام إلى إبراهيم بعد هذا الميثاق.<sup>3</sup>

" وقال الرب لإبرام : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظمُ أسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتبارك فيك جميع قبائل الأرض." وقد جعل الختان والدم علامة على العهد.

1 - انظر : علاقة الإسلام باليهودية، د. محمد خليفة حسن، ص: 83 .

2 - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 14 .

3 - انظر : موسوعة الأديان الحية، ج: 1، ص: 44 - 45 .

" ظهر الرب لإبرام وقال : أنا الله القدير ... . فاجعل عهدي بيني وبينك .... هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر فيكون علامة عهد بيني وبينكم ... فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا.<sup>1</sup>"

ويبين ابن ميمون الأبعاد العقيدية والاجتماعية للختان؛ بأنه علامة واحدة جسمانية تجمعهم، فلا يقدر من ليس منهم أن يدعي أنه منهم وهو أجنبي، حتى لا يجني فائدة ولا يغتال أهل هذا الدين....، ومعلوم أيضا قدر التحابب والتعاون الحاصل بين أقوام كلهم بعلامة واحدة، وهي بصورة العهد والميثاق، وكذلك هي العهد الذي عهد إبراهيم أبونا على إعتقاد توحيد الله.<sup>2</sup>

وهذا الكلام مردود عليه، بأنّ المنشأ الإثني هو الأساس في عقيدة العهد والميثاق لا الديانة، ولذلك استبعد إسماعيل وبنوه بالرغم من أنه إختتن . [ تكوين : 1 / 17 - 13 ]، وبالرغم من أن الوعد الإلهي لإبراهيم بأرض كنعان ولنسله من بعده كان في مرحلة مبكرة من نبوة سيدنا إبراهيم.

" وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا، لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون إلههم . " [ سفر التكوين : 17 / 6 - 8 ]

لكن بعد تناول الزمان خاطب إبراهيم ربه قائلا : " ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ومالك بيتي هو إيلعازر الدمشقي ."<sup>3</sup> [تكوين : 1 / 11 ]

1 - اليهود في العالم القديم، أ.د مصطفى كمال عبد العليم، و د.سيد فرج راشد، دار العلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط 1، 1995، ص 33، والإصحاحين هما [ تكوين 3 / 10 ] و [ 8 / 7 ]، التكوين [ 1 / 12 - 3 ]

2 - دلالة الحائرين، ابن ميمون، ج: 3، ص: 745 .

3 - أيلعازر الدمشقي : إسم معناه " الله عون " وهو وكيل بيت إبراهيم - عليه السلام - وخادمة الأمين، وقد جاء ذكره في التوراة في أكثر من موضع، انظر قاموس الكتاب المقدس، " اليعزر "، ص: 82 .

و لكن الرب أجابه مؤكدا وعده : " لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك يرثك " وبعد أن عجزت سارة - زوج إبراهيم - أن تلد الوريث، أوعزت إلى إبراهيم بالدخول على جاريتها هاجر، فولدت إسماعيل، ومعناه ( سمع الله ) : " وقال لها الرب : ها أنت حبلى فلتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب سمع لمذلتك "

وقد أدرك الطفل خلال مراحل نموه أهمية الدور الذي ينتظره وما يفرضه عليه من واجبات، وما يوفره له من الإمتيازات، حتى أشرف على عامه الرابع عشر، فرزقت سارة بإسحاق، وفي عيد الاحتفال بفطام اسحاق ورد في تكوين [ 2 / 1 - 7 - 13 ] أن إسماعيل هزأ من أخيه، فغضبت سارة وطلبت من زوجها طرد هاجر وابنها، وجاء أمر الرب داعيا ابراهيم لتحقيق رغبة سارة " لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك، في كل ما تقوله لك سارة، اسمع لقلوها ؛ لأنه بإسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية ساجعله أمة لأنه نسلك. " [تكوين:13/21] وتنتهي قصة إسماعيل في التوراة في سفر التكوين الإصحاح [ 21 / 14 - 21 ] بطرد هاجر وابنها في الصحراء وبإنقاذ الله لهاجر ولوليدها من الموت<sup>1</sup>.

ويأتي الأمر بعد ذلك واضحا ومبرما، " بل سارة إمرأتك تلد لك أبنا وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده. [تكوين 17 / 19 - 20 ]، وهكذا أصبح إسحاق الوريث الشرعي الوحيد لا للوعد الإلهي المتعلق بالأرض فحسب، بل للنبوة أيضا. لذلك فقد حصر اليهود أهمية الفترة الإبراهيمية في أمرين :

1. الإستعداد للإستيلاء على أرض كنعان حسب الوعد الإلهي، وضمن الحدود المنصوص

عليها.

1 - انظر : القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فيرلين دفيربروج، ساهم في إخراجه وتعريبه مجموعة كبيرة من المتخصصين اللاهوتيين الأساقفة، مكتبة دار الكلمة، مصر، ط 1، 2007م، ص: 15 .

2. حصر هذا الإرث بنسل إسحاق فقط دون سائر أبناء إبراهيم. " وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له، أما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم، فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حي.<sup>1</sup> [ تكوين : 25 / 5 - 6 ]  
وثانية يضيق الرب وعده بعد زمن إسحاق عليه السلام فيجعله في يعقوب عليه السلام وذريته، دون عيسو أخيه. " والأرض التي أعطيت لإبراهيم وإسحاق، لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أعطي الأرض. " [ تكوين : 12 / 35 ]

وذلك من خلال القصة التي وردت في التوراة في سفر التكوين، وهي الأسطورة التي إرتبطت بتغيير إسم يعقوب إلى إسرائيل، وتغيير إسم الأرض الموعودة من أرض فلسطين أو أرض كنعان إلى أرض إسرائيل، ثم غدا التعبير شائع الإستخدام في التوراة منذ ذلك الحين، ويطلق علماء تاريخ الأديان على القصة إسم الأسطورة التعليلية أو التبريرية، فهي محاولة لتعليل التسمية الجديدة لإسرائيل، وهدفها عنصري، وبتخصيص نسل يعقوب وتسميتهم بالإسرائيليين حصر للوعد وللنبوة في نسله خاصة.<sup>2</sup>

### ثانيا : العهد في المرحلة الموسوية

وقد تبلورت في المرحلة الموسوية عقيدة العهد، رغم أن بداياتها كانت في مرحلة الآباء، " حيث وصف الإله في هذه المرحلة بأنه إله العهد، ووصفت جماعته التي تعبده بأنها جماعة "العهد"، فقد ترسخ لدى الجماعة العبرية الخارجة من مصر بأنها المختارة من عند الإله لكي تكون جماعته، وعلى هذا فإن الإتحاد القبلي الإسرائيلي مع " يهوه " ترسخ مع أحداث الخروج

1 - انظر : الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام، قراءة توراتية في نفسية اليهود وتفكيرهم عبر العصور، د. عدنان حداد، دار البيروني، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ص: من 31 إلى 36 .

2 - انظر : تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 23، 24، 25، والقصة هي قصة مصارعة يعقوب للرب - تعالى عن ذلك - "بقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذه يعقوب، ..... وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم تباركني .... فقال : لا يدعى إسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس. .... "

والتدخل الإلهي فيها، وما ترتب عليها من تكوين أساسي لجماعة الرب، وقد تطورت هذه العقيدة في صورة عهد تشريعي يشتمل على مجموعة من الأحكام المنظمة لحياة الإسرائيليين، وعلاقاتهم بالههم وعلاقاتهم ببعضهم وبالأخر، وتحولت بعد ذلك إلى تراث تشريعي ثابت<sup>1</sup>.  
"وقال الرب لموسى : اصعد إلى الجبل وكن هناك، فأعطيك لوحى الحجارة، والشريعة، والوصية التي كتبتها لتعليمهم." [خروج : 12 / 24]

"وكلم الرب موسى قائلاً : أوصي بني إسرائيل وقل لهم : إنكم داخلون إلى أرض كنعان، هذه الأرض تقع لكم نصيباً، أرض كنعان بتخومها" [عدد : 11 / 34 - 12].

فصعد موسى إلى جبل "نبو" من فيافي مؤاب إلى رأس الربوة المواجهة "لأريحا"، فأراه الرب جميع الأرض، حتى جلعاد إلى دان وجميع نفتالي وأرض إفرايم وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب، والدائرة بقعة "أريحا" مدينة النخل إلى "صوغر" وقال له الرب : "هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً : لنسلك أعطيها، قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك هنا لا تعبر، فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب بأمر الرب، ودفن في الوادي في أرض مؤاب تجاه بيت فعور - شرق الأردن - ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا." [تثنية 1 / 34 - 6].

وجاء في سفر يوشع : "كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيه، كما كلمت موسى من البرية ولبنان هذا النهر الكبير إلى نهر الفرات، جميع أرض الحيشيين وإلى البحر نحو مغرب الشمس يكون تخومكم." [يوشع : 1 / 3 - 4]

لكن ما لبث قوم موسى أن نقضوا عهدهم مع الله، فصنعوا العجل وعبدوه، زيادة على جنبهم وتخاذلهم عن دخول الأرض التي أمرهم الله بقتال أهلها كدليل على الطاعة وقوة اليقين في الله، ونسبت التوراة إلى موسى دخل في مفاوضات ومساومات مع الله، وحصل لعبدة

1 - انظر : تاريخ الديانة اليهودية : ص: 199، 200.

العجل الذهبي على عفو تام. وأطفأ غضب الرب عليهم، وأنه إسترد لهم كل الوعود التي كانت قد أعطيت لهم، حتى العهود الإقليمية الخاصة بما يسمونه ( أرض الميعاد ) .

" وقال الرب لموسى : قد رأيت هذا الشعب، فإذا هم شعب قساة الرقاب، والأُن دعني ليضطرم غضبي عليهم فأفنيهم وأجعلك أمة عظيمة، فتضرع موسى إلى الرب إلهه وقال: يا رب لم يضطرم غضبك على شعبك الذين أخرجتهم من أرض مصر ببأس شديد ويد قوية، ولمّ يقول المصريون أنه أخرجهم من هنا بمكيدة ليفنيهم بين الجبال، ويبيدهم عن وجه الأرض؟ إرجع عن حمو غضبك، وعد عن مساءة شعبك واذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل ( يعقوب ) عبيدك الذين أقسمت لهم بذاتك، وقلت لهم : " أني سأكثر نسلكم كنجوم السماء وجميع الأرض التي تحدثت عنها سأعطيها لنسلكم فيرثونها إلى الأبد. " [خروج : 32 / 7 - 14 ] . وهكذا يحتج سيدنا موسى بأن هذا العهد أبدي وغير مشروط .

### ثالثا : العهد في مرحلة الملوك

إختار الله داوود وزوده بكل الصفات القيادية والروحية التي تؤهله إلى تحقيق الميثاق، وجدد الله له العهد بأن هذه الدولة الإلهية لن تزول أبدا. وتعتبر نشأة مملكة داوود وسليمان فترة حاسمة في تاريخ الديانة الإسرائيلية، حيث فسّر هذا الحدث دينا بأنه عصر تحقق العهد المكتوب من الرب سابقا، وهو الوعد بالأرض، وهو دليل العناية الربانية، وفيها تم نقل تابوت العهد وتشديد الهيكل في أورشليم، وقد إختار الله صهيون كمكان لإقامته الدائمة، فتحقق العهد كاملا وتثبتت أزلية الاختيار. " الرب كلم داوود قائلا : إني بيد داوود أخلص شعبي إسرائيل. " [صموئيل الثاني : 2 / 3 - 4 ] وتم تكامل الدولة والعقيدة في هذا العصر، لذلك فقد اعتبر سقوط المملكة وانقسامها بمثابة نقض إلهي للعهد. وبدأت تتسرب عناصر وثنية في الديانة الإسرائيلية ومنها عبادة العجل.<sup>1</sup>

وقد عرف الفكر اليهودي اتجاهين:

1 - انظر : تاريخ الديانة اليهودية من ص: 198 إلى 205 .

**الاتجاه الأول:** اتجاه قدرتي، رأى أنّ كل ما يقوم به بنو إسرائيل من خير أو شر مصدره " يهوه "، ومنه سقوط المسؤولية الفردية عن شعب بني إسرائيل . لقد جاء في التلمود : " أن الله هو مصدر الشر كما أنّه مصدر الخير، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسن له شريعة لولاها لما كان يخطيء، وقد جبر اليهود على قبولها. " <sup>1</sup>

وهكذا فقد برروا كثيرا من الخطايا التي إقترفها أنبياءهم، وكذا بنو إسرائيل، منها تبرئة إخوة يوسف وإخلاء مسؤوليتهم عما فعلوه بأخيهم، واعتبار ذلك كله من قدر الله الذي لا يسألون عنه، فقد جاء على لسان يوسف : " فالأن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله " . [سفر التكوين:48/45]. وهذا يبدد كل إبهام حول أبدية العهد القائم بين يهوه وبين بني إسرائيل. " وأقيم عهدي بيني وبين نسلك من بعدك في اجيالهم عهدا أبديا، لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا، وأكون لهم إلها. " [سفر التكوين:6/17-87].

هكذا قال يهوه لإبرام ( إبراهيم )، وهذا العهد يتكرر في كثير من المواطن في العهد القديم، لذلك فإن كل ما حدث لبني إسرائيل على مدى تاريخهم من إضطهاد وشتات لا يرجع إلى سوء أخلاقهم ولا إلى فساد دينهم، وإنّما هو بقضاء يهوه الذي سلط عليهم أجناسا وشتتهم بين الأمم لخير أريد بهم، ولمنفعة ستحصل لهم. فقد جاء في التلمود على لسان أحبارهم: " عمل الرب خيرا . . . . . عندما شتت أبناء إسرائيل بين الأمم. " <sup>2</sup>.

**الاتجاه الثاني:** وهذا الاتجاه يؤكّد ما دعا إليه الأنبياء من أنّ تحقق الوعد مشروط بحصول الإستقامة والطاعة، لكن يؤكّد أنّ ما كان بين بني إسرائيل ويهوه ليس عقدا، وإنّما هو ميثاق، وأنّ هذا الشعب لا يخلو من بقية صالحة كما سلف.

1 - انظر : الكنز المرصود، ص: 57، وأيضا الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص: 65 - 66 .

2 - التلمود، تاريخه وتعاليمه، - ظفر الإسلام خان، ص: 69 .

## رابعاً : العهد في مرحلة الأنبياء .

بعد أن طمست التعقيدات الكهنوتية مبادئ التعاليم الأخلاقية بالتركيز الشديد على الطقوس والشعائر، وإهمال التطبيق الأخلاقي لمبادئ الدين في السلوك الإنساني، أعاد الأنبياء الربط الواعي والعميق بين السلوك الإسرائيلي، والمصير الديني للجماعة الإسرائيلية لبعث الروح الأخلاقية فيها من جديد، وذلك من خلال إبراز مفهوم جديد للعهد، خاصة عند إرميا<sup>1</sup> .

" ها أيام تأتي تأتي يقول الرب : وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آباؤهم، . أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم ألهاً ويكونون لي شعباً .... وأقطع لهم عهداً أبدياً أني لا أرجع عنهم لأحسن إليهم وأجعل مخافتني في قلوبهم فلا يحيدون عني . " [ إرميا : 31 / 32 - 40 ]

ومضمون هذا العهد الجديد أن طاعة الشعب للإله أصبحت غير مضمونة بسبب النقص المستمر للعهد، وأنّ الضمان الوحيد هو بالتدخل الإلهي، وتوجيهه إلى طاعة الإله قسراً عن طريق زرع مخافة الإله في قلوب الإسرائيليين، وجعل الشريعة في قلوبهم.<sup>2</sup>

1 - تاريخ الديانة اليهودية، ص: 207، 209، بتصرف، وانظر القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 15، 16 .  
إرميا : ومعناه ( الرب يؤسس ) أو ( الرب يثبت )، وهو النبي العظيم وابن الكاهن حلقياً، وقد دعاه الرب للقيام بالعمل النبوي وهو بعد حدث، واخبره أنه سيلقى مقاومة عنيفة من الحكام والكهنة والشعب، ولكنهم لن ينتصروا عليه، وقد دامت دعوته ( 18 سنة ) لاقى فيها صنوفاً من الإضطهاد من اليهود. والديانة بحسبه هي ديانة القلب، وإرادة الله هي أن يحيي الناس حياة خلقية رفيعة ودعاهم إلى عبادة الله بالحق. وقد عرف بصدق نبوته، ولم يعرف بالتحديد كيف واين مات.  
انظر : قاموس الكتاب المقدس، "إرميا"، ص: 39، 40، 41، 42 .

2 - تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 209 بتصرف،



في سياق شرح ابن ميمون أن العهد والاختيار كان مشروطا بعدم الشرك والطاعة، يشرح ما دعا إليه الأنبياء ( أشعيا<sup>1</sup> وإرميا ) من نبذ للتمسك بالرسوم والطقوس وإعراض عن مقاصد الرب في خطابه لبني إسرائيل، وتعليقهم للخيرية والاختيار التي يدعي اليهود أنها لا لسبب.

" ومن أجل هذا المعنى كثر في كتب الأنبياء توبيخ الناس على هرعهم - هكذا - للقرابين، وبيّن لهم أن ليست هي بالمقصود الوحيد لذاته. " وقال إرميا : فإنني لم أكلم آباءكم ولم أمرهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة ولا ذبيحة، وإنما أمرتهم بهذا الأمر قائلا : إسمعوا لصوتي فأكون لكم إلهًا وتكونون لي شعبًا. " [ إرميا : 7 / 22 - 23 ] ثم يضيف :

" وقد صعب هذا القول على كل أحد سمعه، وقال كيف يقول إرميا عن الله أنه ما أوصانا بشأن محرقة وذبيحة ومعظم الفرائض إنما جاءت في ذلك، وغرض القول هو ما بينت لك، وذلك أنه قال : أن القصد الأول إنما كان أن تدركوني ولا تعبدوا سواي أكون لكم إلهًا وتكونون لي شعبًا."<sup>2</sup>

فالرب تعالى مدرك أحوالنا ويده إصلاحها إذا أطعنا وإفسادها إذا عصينا، لا أن تعتقد ذلك اتفاقًا وأمرًا عرض مما يوجب الدوام على الآراء الفاسدة والأعمال الظلمية، وهذا هو معنى قوله " وجريتم معي بالخلاف جريت أيضا معكم بالخلاف ساخطا " . [الأخبار / 27، 28].

لكن هذا هذا ليس مدعاة لنقض العهد الأبدي ولا لسقوط الخيرية عن بني إسرائيل خلافا لسواهم من البشر، وإنما تكفيهم في ذلك تقديم الإعترافات والقرابين.<sup>3</sup>

1 - أشعيا : من أعظم أنبياء بني إسرائيل، وقد كان مصلحا إجتماعيا، أما آراؤه اللاهوتية فقد انصبت على عالمية الإله، ويعتبر سفر اشعيا من أجمل ما ورد في التوراة من حيث الأسلوب، ويذكر سفر صعود أشعيا غير القانوني أنه مات منشورا بالمنشار في أورشليم. انظر : قاموس الكتاب المقدس " أشعيا "، ص: 63 .

2 - انظر : دلالة الحائرين، ج: 3، ص: 640، 641 .

3 - انظر : دلالة الحائرين، ج: 3، ص: 653 .

فقد كانت شريعة موسى تحكم حياة اليهود منذ الأزمنة الأكثر إغراقا في القدم، ولكن قوانينها لم تراخ دائما بصرامة، ولا سيما في عهد القضاة والهيكل الأول: ( حوالي 90 – 586 ق.م )، وكان الناس دون شك ينحرفون أحيانا عن الطريق القويم، وكان الأنبياء يفضحون إبتعادهم وخطاياهم، وقد جاء في التوراة على لسان أشعيا: " لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهننا عمورة . " [ أشعيا : 1 / 6 ]

ومع ذلك اعتبر اليهود أنفسهم على الدوام مرتبطين مع الله بقوة روابط سمرمية بالقانون الذي أنعم به عليهم التجلي الإلهي.<sup>1</sup>

" إسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوبا أكبر وأعظم منك، ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء .... لا تقل في قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلا : لأجل بري أدخلني الرب لامتلاك هذه الأرض ....، لكي يفني بالكلام الذي أقسم الرب عليه لأبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة". [ سفر التكوين : 9 / 1 – 6 ]

لقد دخل بنو إسرائيل في علاقة تعاهدية خاصة مع الله، لكن هذا الامتياز كان سلاحا ذا حدين إذا لم يفوا بمقتضياته، فسيعاقبون بالنفي والمعاناة، لكنها سارية المفعول إلى الأبد، فالله يشبه عهده مع بني إسرائيل بعهده مع الطبيعة .... حتى الكفر لا يحل من هذا العهد بين الله وبين إسرائيل، وإنما فقط يتم عرضه ( الكافر من بني إسرائيل ) للحساب.<sup>2</sup>

" هكذا قال الرب : إن نقضت عهدي مع النهار وعهدي مع الليل حتى لا يكون نهار ولا يكون ليل في وقتهما، فإن عهدي أيضا مع عبدي داوود ينقض فلا يكون ابنه مالكا على كرسيه .... " [ إرميا : 33 / 20، 21، 25، 26 ] .

1 - انظر : مدخل إلى التلمود، أدين شتاليناستر، ص: 19 .

2 - موسوعة الأديان الحية، اليهودية، ج 1 : ص: 52 – 53 بتصرف .

بالرغم من وجود فلاسفة ومفكرين يهود حاولوا إبراز البعد الخلفي لهذه الوعود على حساب المعنى الحرفي، ومن هؤلاء 'فيلون' حيث نقل الوعود الإلهية الواردة في التوراة لإبراهيم ونسله من بعده بخيرات دنيوية، ومستقبل سعيد لشعب إسرائيل إلى وعود بخيرات روحية للنفس الصالحة، وبسيادة الشريعة على العالم، وحتى إلتئام شمل اليهود في بلد واحد بعد توبتهم، أوله بإجتماع النفس بعدما تحدثه الرذيلة من تشتت<sup>1</sup>. وهي آراء - كما هو موضح - ممعنة في التجريد، كما أننا نجد أفكارا لرجال دين ومفكرين يهود معاصرين حاولوا اعطاء فكرة العهد أبعاداً أخلاقية كموسى مندلسون لكنها تتراجع أمام مدّ الأفكار المحافظة والصهيونية في هذه المسألة.

1 - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، عبد المنعم الحفني، ص: 161 .

# الفصل الثاني: الأصول المؤسّسة للقيم في المسيحية ومصادرها

تمهيد.

المبحث الأول: التعريف بالديانة المسيحية ومصادرها.

المبحث الثاني: القيم في الديانة المسيحية.

المبحث الثالث: الأصل المؤسس الأول: 'عقيدة التثليث'.

المبحث الرابع: الأصل المؤسس الثاني: 'عقيدة الصلب والفداء' في الديانة المسيحية.

المبحث الخامس: الأصل المؤسس الثالث: فكرة 'العالمية' في الديانة المسيحية.

المبحث الأول: التعريف بالديانة المسيحية ومصادرها.

المطلب الأول: تعريف الديانة المسيحية.

أولاً: أصل اشتقاق التسمية.

المسيحية: نسبة إلى المسيح عيسى بن مريم -عليه السلام- جاء في قاموس الكتاب المقدس.

**1- المسيح:** مسح، يمسح، مسحة؛ والمسح في الكتاب المقدس صبّ الزيت أو الدهن على شيء لتكريسه لخدمته تعالى، وقد أوصت الشريعة الموسوية بمسح أشخاص وأماكن وآنية وأمرت أن يركب لذلك دهن مقدّس [خروج: 23/30-25]. وكان بنو إسرائيل يمسحون الكهنة والأنبياء والملوك، وكان الكهنة يدهنون رأس الضيف ورجليه. ومن ذلك أن مريم دهنت قدمي يسوع بالطيب [يوحنا: 3/12]. ويقال المسيح من الله: ويراد بها تكريس الله نفس المؤمن لخدمته: ويشار إلى المسيح بالآيات التالية "الرب مسحني لأبشّر المساكين" [إشعيا: 1/61]<sup>1</sup>.

**2- مسيحي:** دعي المؤمنون بهذا الاسم لأول مرّة نحو سنة 42 أو 43م، وكان ذلك في إنطاكية [أعمال الرسل: 26/11]. ويرجح أن ذلك اللقب كان في الأول شتيمة، حيث يقول المؤرخ تاسيتس (المولود نحو 54م) أن تابعي المسيح كانوا من العوام والفقراء والعبيد والنساء في المجتمع الروماني القائم على الطبقة، كما أشاع اليهود عنهم القذارة وأكل لحوم البشر والإباحية الجنسية. وقد شاع بمعنيين:

أ- المقر بالديانة المسيحية.

ب- المؤمن الحقيقي، ويشير محرّرو قاموس الكتاب المقدس إلى اختيارهم للمعنى

الثاني<sup>2</sup>.

1 قاموس الكتاب المقدس نخبة من الأساتذة ذوي الإختصاص ومن اللاهوتيين، منشورات مكتبة المشعل، إشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، بيروت، لبنان ط 6، 1981م، مادة-مسيح-، ص: 582-583 بتصرف.

2 انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص: 598، وموسوعة عالم الأديان، تحرير: مجموعة من كبار الباحثين بإشراف: ط- ب مفرّج، بالتعاون مع بروفييسور: جان ماري كريس، دار كرتيس أنترناشيونال للمسيحية، ص: 21-22.

**3- النصرانية:** أطلق هذا الاسم على الدين الذي أتى به المسيح وسمي أتباعه نصارى. والنصارى: جمع نصران وهو الممتملى نصرا، واختلف في اشتقاق هذا الاسم فقال ابن عباس: هو من "ناصر" <sup>1</sup> وهي قرية من فلسطين كان يسكنها عيسى -عليه السلام- فنسبوا إليها، وقيل: سموا نصارى لتناصرهم، أي ينصر بعضهم بعضا، وقيل نسبة إلى قوله تعالى في القرآن

الكريم: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]<sup>2</sup>.

وينطبق هذا الوصف القرآني على التعاليم التي جاء بها عيسى -عليه السلام- واعتنقها تلاميذه الذين تعلموا على يديه، لكن سرعان ما أصبح هؤلاء يمثلون تيارا هامشيا، فبعد صلب المسيح، انتقلت هذه الديانة من ديانة بسيطة إلى أكثر الأديان تعقيدا بعد تصدّر بولس للتبشير بالمسيحية، وتولى هو وتياره تأسيس الفكر اللاهوتي المسيحي الذي استمر إلى يومنا هذا.

### ثانيا: النبوة في الديانة المسيحية.

**1- النبوة في العهد القديم:** الكلمة العبرية نبي مشتقة من فعل معناه ينادي، يعلن، يرى، يقدم، يعبر أو يتكلم كنبّي، ووردت الكلمة أزيد من ثلاثمائة مرة في العهد القديم، وهي تعني الشخص الذي يتكلم باسم (يهوه)، وقد ارتبطت النبوة بالأدب النبوي للعهد القديم<sup>3</sup>. وقد عرف العهد القديم نبيات منهن دبورة وخلدة<sup>4</sup>.

1 أكبر مدن منطقة الخليل، ولم تكن للمدينة أية أهمية تاريخية، فلم يأت ذكرها في العهد القديم ولا في الوثائق المصرية والأشورية وغيرها، لكنها احتلت مكانة مرموقة في الديانة المسيحية، فهي مسقط رأس "يوسف ومريم" وفيها نشأ المسيح وترعرع، لكن أهلها رفضوه، وفيها عدد كبير من الأديرة والمواقع التاريخية، منها كنيسة البشارة التي يعتقد أن في موقعها بشر الملك مريم بعيسى، قاموس الكتاب المقدس -ناصر-، ص: 635.

2 اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، (ت: 606هـ - 1209م)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط 1، 1978م، ص: 131.

3 القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 604-605-606 بتصرف.

4 انظر: المرجع السابق. ص: 104.

## 2 - النبوة في العهد الجديد:

أشار المسيح إلى نفسه على أنه نبي [لوقا: 33/13]، ووضع نفسه في تعاقب أنبياء العهد القديم، مع أنه أعظم منهم جميعاً، -بالنظر للمسيحيين- لأنه نادى بالخلاص وحقّقه أيضاً، ونادراً ما كان يدعى يسوع في العهد الجديد كنبّي، وكان ذلك بوجه عام في أناجيل [متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا]<sup>1</sup>.

وأما أنبياء العهد الجديد فكانوا تلاميذ الكنيسة المسيحية الأولى، وكانوا يمتلكون موهبة النبوة، ومحسوبين في ثاني درجة من الرّسل، وكان هؤلاء الأنبياء يتكلمون عن الحوادث العتيدة ويكشفون عن مقاصد الرّوح، ولا سيما في النّصوص الإلهية، والظاهر أنّهم كانوا ينطقون بذلك حالما يأتيهم الوحي... وقام أيضاً في الكنيسة عدة نبيات، ومنهن حنة وإليصابات ومريم وبنات فيلبس الأربع، وكان جميع هؤلاء الأنبياء يقبلون رسالاتهم من الله أحياناً بالرؤى والأحلام أو في حالة السّبات والغيبة... وكانت هذه الإعلانات أحياناً تصحب بظهورات [كذا] العظمة الإلهية الرّهيبية المدهشة<sup>2</sup>.

ويبدو كما لو أنّ هذه الموهبة الكارزمية قد أصبحت ذات صبغة مؤسّساتية. فكان لهم وضعهم الخاص بهم في الجماعة وكانوا على نفس المستوى مع الرّسل والمعلمين... وكان الأنبياء والرّسل يشكلون معاً جزءاً من مؤسّسة الكنيسة ويسوع المسيح هو حجر الزاوية الأساسيّة<sup>3</sup> فالوحي عند المسيحيين يقتصر على ما أوحى بمعناه، كما جاء في قاموس الكتاب

1 مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، حرّر في مدرسة العلوم الأميركيّة، جبل لبنان، ط1، سنة 1869م. ج2 ص:104.

2 انظر: النصرانية، دراسة ونقداً، د. عبد الزّزاق آلاو، دار التوحيد للنشر، الرياض، ط1، 1438-2007م، ج1، ص: 111-112 بتصرف.

3 مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس، ج2، ص: 104، والقاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 607. لذلك، فإن من خصائص هذه الدّيانة عدم انقطاع الوحي وتحقق العصمة وتواصل التشريع فيما عدا ثوابت الدّيانة وأن روح القدس

المقدس "... فالرّوح القدس يعمل في أفكار أشخاص مختارين وفي قلوبهم ويجعلهم أداة للوحي الإلهي" وكما جاء في رسالة بطرس الثانية: "... بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الرّوح القدس" بخلاف مفهومه في الإسلام فإنه يشمل ما أوحى بلفظه ومعناه وكان متلوا -القرآن الكريم- وما أوحى بمعناه دون اللفظ -الأحاديث النبوية- وهو محصور في الأنبياء والرّسل<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: مصادر الديانة المسيحية.

المصادر التي يستقي منها المسيحيون أحكام ديانتهم منها ما هو متفق عليه، ومنها ما هو مختلف عليه، وهي في مجموعها أربعة، وهي:

**1- الكتاب المقدس:** أو ما أصبح يسمى بالعهد القديم، وقد كان المصدر الرئيسي في المسيحية الأولى.

**2 - العهد الجديد:** ويتضمن: الأناجيل، والرّسائل الرعوية والعامّة.

**3 - المجامع المسكونية:** وما تمخضت عنه من تشريعات، وهذه المصادر هي محل إجماع بين المسيحيين بمختلف طوائفهم، رغم وجود بعض الاختلاف بينهم حول بعض المسائل الفرعية الثانوية.

---

موجود ويتنزل عليهم بمواهبه إلى عودة المسيح في أتباع المسيح بسبب أن المسيح لم يمارس وظيفته (الخدمة) إلا ثلاث سنوات ونصف تقريبا. ص: 234.

1مصادر النصرانية، دراسة ونقدا، د. عبد الرزاق آلارو، دار التوحيد للنشر، الرياض، ط 1، 1438-2007م، ج 1، ص: 111-112 بتصرف.



**4 - البابوية:** أو عصمة البابا، التي يقصد بها الحق في التشريع وإنشاء الأحكام وهو خاص بالمذهب الكاثوليكي<sup>1</sup> أكثر المذاهب المسيحية أتباعا وأوسعها انتشارا وقد قرر سنة 1869.

**أولا: المصادر المتفق عليها.**

### **1-العهد القديم والعهد الجديد:**

يراد بكلمة العهد "Testament" الميثاق، أي أنّ هذه الأسفار تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس... وتسمية "العهد القديم" أطلقها المسيحيون على مجموعة الأسفار التوراتية التي اعتمدها لأنفسهم من بين عشرات الكتب التي يعتقدون فيها القداسة والعصمة. أما أسفارهم الخاصة بالعصر المسيحي فقد أسموها "العهد الجديد" أي الميثاق الذي واثقه الله به الناس في العهد العيسوي<sup>2</sup>.

وهذا العهد نهائي، يجعل من العهد القديم الذي حكم إسرائيل مرحلة ضرورية، لكي يحصل على وضع جديد وضع الكتاب المقدس المكمل؛ فالجماعة المسيحية رأت في العهد القديم كلمة الله كما تراها في بشرى الإنجيل، ولكن العهد القديم يتخذ معنى جديدا أو يصبح كتابا جديدا، عندما يقرأ في ضوء الإيمان بالمسيح يسوع<sup>3</sup>.

1المذهب الكاثوليكي: أصل الكلمة يوناني ومعناها عالمي، وينسب إلى هذه الكنيسة عاقمة المسيحيين في الغرب، لذا تسمى الغربية أو اللاتينية أو البطرسية ويعتقد الكاثوليك أن كنيستهم وحدها رسولية، وأن تعليمها مقتبس من تعليم الرّسل. انظر: موسوعة عالم الأديان (كل المذاهب والفرق والبدع في العالم). تأليف: مجموعة من كبار الباحثين بإشراف: ط - ب - مفرّج، دار النشر والتوزيع NOBILIS، بيروت، لبنان، 2004م، ج10، ص: 10-11. ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الدين الأعظمي، ص: 264-265.

2مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، د. محمد عبد الله الشوقاوي، ص: 13 بتصرف، وكان اليهود يسمون العهد القديم؛ الشريعة والأنبياء والمؤلفات "أو الكتاب".

3الكتاب المقدس النسخة اليسوعية، ص: 30-55-56 بتصرف.

وقد كان العهد القديم الكتاب الوحيد بالنسبة إلى المسيح وإلى الكنيسة في أول أمرها؛ وهو بصفته كتاب التربية اليهودية، قد هذب إلى حدّ ما نفس يسوع، والذي بدوره تبني قيمه وأدخلها في إنجيله؛ لأنّه لم يأت ليطل الشريعة بل ليكلمها، كما أنّه الكتاب الذي اعتمدت عليه الجماعة المسيحية الأولى لتكوين اللغة الأساسية الخاصة بالإيمان المسيحي لإثبات بنوة المسيح لله وفكرة الخلاص<sup>1</sup>، مما سيأتي تفصيله.

لقد كان إنجيل الكنيسة الأولى أو كتابها المقدس هو العهد القديم (التوراة) في شكله المكتوب باللغة اليونانية. ولم تجر العادة أن يطلق على هذه المجموعة عبارة العهد الجديد إلا في أواخر القرن الثاني. فقد نالت الكتابات التي تؤلّفه رويدا رويدا منزلة رفيعة حتى أصبح لها من الشّان في استعمالها ما لنصوص العهد القديم التي عدّها المسيحيون زمنا طويلا كتابهم المقدّس الأوحّد وسموها "الشريعة والأنبياء"، وفقا للاصطلاح اليهودي في تلك الأيام...، وإطلاق عبارة "العهد الجديد" يعود في جوهره إلى أنّ اللاهوتيين المسيحيين الأولين رأوا أنّ ما ذهب إليه بولس من أنّ تلك النصوص تحتوي على أحكام عهد جديد تحدّد عباراته العلاقات بين الله وشعبه في المرحلة الأخيرة من تاريخ الخلاص... فأشاروا بذلك إلى أنهم يرون في تلك المجموعة قبل كلشيء ما فيها من أحكام العهد الموسوي القديم الذي حدّده يسوع وتخطّاه<sup>2</sup>.

وقد كانت السلطة العليا في أمور الدين عند مسيحي الجيل الأول في العهد القديم. وكان الكتبة المسيحيون الأولون يستشهدون بجميع أجزائه استشهداهم بوحى الله، أما المصدر الثاني فهو تعاليم المسيح الشفهية.

1 انظر: الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 55، والفكر الإسلامي في الرّد على النصاري، د. عبد المجيد الشرفي، ص: 44 وما بعدها.

2 - الكتاب المقدس النسخة اليسوعية، ص: 2051- بتصرف. وانظر: موسوعة الأديان الحية؛ الكنيسة الأولى، ج، ديفر، ج: 1، ص: 140 وما بعدها.

ومع أن العهد القديم عند المسيحيين مصدر أساسي مع العهد الجديد، فإنهم يختلفون مع اليهود في ترتيب وعدد الأسفار فاليهود يعتمدون على تسعة وثلاثين سفرًا، بينما يضيف الكاثوليك إليها سبعة أخرى وهي التي جاءت في الترجمة السبعينية<sup>1</sup> وجمعت باسم الأسفار القانونية الثانية وهي أسفار مختلفة التواريخ والفنون كان انتماءؤها إلى القائمة الرسمية للأسفار المقدسة موضوع جدال على مرّ العصور، وهي: يهوديت وطوبيا والمكابيون الأول والثاني، والحكمة ويسوع بن سيراخوباروخ ومقاطع من إسيتر ودانيال.

وهذه الأسفار جزء من القانون المحدد رسمياً في الكنيسة الكاثوليكية. والكنايس الشرقية (الأرثوذكسية)<sup>2</sup> لم تتخذ قراراً صريحاً في شأن هذه الأسفار؛ أمّا المصلحون البروتستانت الذين ظهروا في القرن السادس عشر، فلم يعدّونها قانونية، لكنها في رأيهم مفيدة لتغذية إيمان المسيحيين لا لبناء العقائد.

## 2- الأناجيل:

إنجيل من اللفظ اليوناني أو إنجيليون ومعناه خبر طيب<sup>3</sup>، وكلمة إنجيل لا تدلّ في العهد الجديد على كتاب، بل على البشرى أو البشارة التي أعلنها الرّسل بأن الخلاص قد تم بيسوع

1 الترجمة السبعينية هي الترجمة اليونانية للعهد القديم، سميت كذلك بالنظر لعدد الأحبار الذين قاموا بترجمتها، وتنقل المصادر أنهم كانوا سبعون أو واحد وسبعون، وقد تم ذلك بأمر من بطليموس فيلاديفال، (282 ق.م، 283 ق-م). انظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص: 14-15. والكتاب المقدس النسخة اليسوعية، ص: 49.

2 الأرثوذكس: كلمة أرثوذكس؛ كما عرّفها دائرة المعارف: صفة يونانية مؤلفة من كلمتين "أرثوس" أي مستقيم، و"ذوكسا" أي الطريق والمذهب وتطلق لغة على كل قول أو فعل أو مظهر موافق للعقيدة التقليدية السلفية المتوارثة. لذلك يدّعي الأرثوذكس بأن كنيستهم هي كنيسة المسيح الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية: في حين يرى الكاثوليك أن كنيسة المسيح تتجسم بملء أبعادها وفعاليتها في كنيستها والواقع أن كلتا الكنستين تتفقان على المسائل الجوهرية في الديانة وأن الخلاف بينهما تاريخي وعلى المصالح والنفوذ؛ موسوعة عالم الأديان، مجموعة من كبار الباحثين بإشراف: ط - ب، مفرج، ج 9، ص: 11، 12 و 229.

2 قاموس الكتاب المقدس: مادة: إنجيل.

المسيح، وهي أيضا بشارة المسيح التي أعلنها قبل أن يصبح هو موضوعها<sup>1</sup>. ويدعى في العهد الجديد إنجيل الله [رومية: 1/1]، وإنجيل المسيح [مرقس: 1/1] وإنجيل نعمة الله [أعمال: 24/20]، وإنجيل السلام [إفيسس: 15/6]، وإنجيل الخلاص [إفيسس: 13/1] وإنجيل مجد المسيح [كورنثوس: 4/2]، وإنجيل الملكوت [متى: 23/4] و"المسؤول الأول عن كتابة العهد الجديد ليس يسوع بل المسيحيين، سواء من الجيل الأول أو من الجيل الثاني من التلاميذ، فهذا الكتاب ليس كتابا أزليا كان محفوظا في اللوح المحفوظ، لكنه كتاب نشأ في وسط الكنيسة<sup>2</sup> وبواسطتها ومن أجلها... ويقرّر التاريخ الكنسي أن هذا الكتاب لم يكتب كلة دفعة واحدة، ولكنه كتب في حقبة طويلة نسبيا بواسطة أناس متعددي المواهب والتفكير والثقافة"<sup>3</sup>. ولكنه ليس كنزا أدبيا أو ذخيرة وثائق عن الأفكار الأخلاقية والدينية الخاصة بشعب من الشعوب... بل هو كتاب يتكلم فيه الله إلى الإنسان"<sup>4</sup> وتسمى الأناجيل الأسفار التاريخية، لأنها تعنى بشرح الظروف التاريخية التي عاش فيها المسيح والتأريخ لسيرته.

والأناجيل التي يجمع المسيحيون على الاعتراف بها أربعة وهي:

الأناجيل الثلاثة المتشابهة أو المتقاربة؛ لأنهم قدموا حياة المسيح من وجهات متشابهة على وجه العموم وركزوا على تبشيره ومناداته في الجليل، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، أما يوحنا فقد ركّز في إنجيله على عمل المسيح في اليهودية.

3 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 2170 - الهامش - بتصرف. وانظر: قاموس الكتاب المقدس، مادة إنجيل.  
2 كنيسة: اسم سرياني: معناه "مجمع" أما الكلمة اليونانية المستعملة في العهد الجديد "إكليزيا" فإنها تعني مجمع مواطنين... وقد استعملت الكلمة نفسها للدلالة على مجمع المؤمنين الذين يعترفون بأن المسيح هو رئيسهم الأعلى وجمع كنيسة "كنائس" وكانت الجماعة الواحدة في كل بلدة تدعى "كنيسة" ولم تستعمل الكلمة في العهد الجديد للدلالة على البناء الذين يجتمع فيه المسيحيون للعبادة: ف-ك-م. مادة: كنيسة، ص: 535.

3 المدخل إلى العهد الجديد صدر عن دار الثقافة المسيحية، دار الجيل، مصر، ط1، 1980م، ص: 76-77.

4 الكتاب المقدس النسخة اليسوعية، ص: 31. بتصرف. وانظر: مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، محمد عبد الله الشرفاوي، ص: 27-28.

وقد تفرد كلٌّ من هذه الأناجيل بخصائص: فـ"متى" كتب من وجهة النظر اليهودية، وقدم يسوع كالمسيا الذي تمت فيه تنبؤات العهد القديم، و"مرقص" أتجه إلى الرومانيين، أما "لوقا" فكتب للمتقنين اليونان، وأما "يوحنا" فقد ركز على إظهار المسيح كالكلمة المتجسد والمخلص<sup>1</sup>، ومع ما كان لتلك النصوص من الشأن، فليس هناك قبل أول القرن الثاني أي شهادة تثبت أنّ هذه النصوص كانت تعد أسفارا مقدّسة لها من الشأن ما للكتاب المقدس (العهد القديم)، ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهورا واضحا، كما يظهر شأن رسائل بولس... أجل لم تخل مؤلفات الكتبة المسيحيين الأقدمين من شواهد مأخوذة من الأناجيل أو تلمّح إليها، لكنه يكاد يكون من العسير الجزم هل هي من نصوص مكتوبة أم هل اكتفوا باستدكار أجزاء من التقليد الشفهي<sup>2</sup>.

وبالرغم من أنّه لا نزاع في تاريخية الأناجيل؛ وهو ما تؤكدته الوثيقة الإيمانية عن الوحي الإلهي في المجمع الفاتيكاني الثاني: "هذه الأناجيل الأربعة التي تؤكد الكنيسة دونما تردد تاريخيها، تنقل بأمانة ما كان يسوع ابن الله طيلة حياته قد فعله حقيقة أو علمه الناس لخلاصهم الأبدي حتى اليوم الذي رفع فيه إلى السماء"<sup>3</sup>. ومهما يكن من أمر، فليس هناك قبل سنة 140م أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة النصوص الإنجيلية المكتوبة أو أنها كانت لها صفة الإلزام، وقد حظيت الأناجيل الأربعة نحو سنة 170م بمقام الأدب القانوني، وأن لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين، وذلك بعدما مسّت الحاجة إلى حمايتها من تكاثر المؤلفات، التي كانت في معظمها تقليد سخيف بل كانت أقرب إلى ما ينسجه الخيال في حال الهديان فأولت الكنيسة الأناجيل الأربعة منزلة رفيعة، أما رسائل بولس فأدخلت بمجموعها

1 قاموس الكتاب المقدس، مادة الأناجيل القانونية بتصرف.

2 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 2052-2053. وموسوعة الأديان الحية؛ الكنيسة الأولى، ج.ج، ديفر، ج 1، ص: 140-141.

3 المصدر السابق، ص: 2053، بتصرف.

إلى القانون (قانون العهد الجديد) مرة واحدة<sup>1</sup>. وأما بقية الأناجيل فقد أمرت الكنيسة بإخفائها، بل إن بعضها كما يذكر موريس بيكاي قد أبعث بشراسة، ولم يبق منها إلا بعض الكتب التي ارتبطت إلى حد بعيد بالأناجيل القانونية، كأناجيل الناصريين والعبريين والمصريين المعروفة بروايات آباء الكنيسة ومنها: إنجيل توما ويزنابا، وألحقت بها بعد ذلك كتابات بولس ورسائل أخرى من أعمال الرسل<sup>2</sup>.

أما الذي قسم الكتاب المقدس إلى ما هو عليه الآن من الاصحاحات إلى أعداد، فأول من باشره في العهد القديم الراهب بجينيوس، الذي ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية، وطبعه في فرنسا سنة 1527م، وفي سنة 1545م، قسم روبرت إستفانوس (ت1559م) وهو العالم الفرنسي الذي كان طباع [كذا] ملك فرنسا، إصحاحات العهد الجديد إلى أعداد كما هي الآن<sup>3</sup>.

### 3- أعمال الرسل:

وهو عنوان السفر الخامس، من أسفار العهد الجديد، يصفه محرر وقاموس الكتاب المقدس، بأنه ذو قيمة تاريخية عظيمة إلى أقصى غاية، فهو المرجع الصادق القوي الدقيق لتاريخ الكنيسة المسيحية في نشأتها، "وقد كتبه لوقا في ختام السنتين اللتين قضاها بولس في روما، أي حوالي سنة 63 ميلادية قبل استشهاد بولس ويعتقد الكثيرون أن قصده كان ليظهر أن المسيحية قد وصلت إلى قلب عاصمة الإمبراطورية روما"<sup>4</sup>.

1 التوراة والإنجيل والعلم، موريس بيكاي؛ ت: الشيخ حسن خالد (مفتي لبنان)؛ المكتب الإسلامي، ط3، 1990م، ص: 98.

2 التوراة والإنجيل والعلم، موريس بيكاي، ص: 99-100-101.

3 مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، حرر في مدرسة العلوم الأمريكية، جبل لبنان، ط1 سنة 1869م، ص: 59.

4 انظر: مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، ج2، ص: 255-258 والمدخل إلى العهد الجديد، صدر عن دار الثقافة المسيحية، ص: 343 وقاموس الكتاب المقدس، أعمال الرسل، ص: 64-65.

ويرجع هذا العنوان إلى القرن الثاني الميلادي، وأبرز شخصية في القسم الأول منه هي شخصية بطرس، أما الشخصية البارزة في القسم الثاني من السفر فهي شخصية بولس. وقد قدّم هذه البشارة إلى رجل يسمى ثاوفيلس ومعناه [حبيب الله] ويرجح أنه كان مسيحياً أممياً يتبوأ مركزاً مهماً في الإمبراطورية الرومانية.

#### 4- الرسائل الرعوية والعامّة:

أ - الرسائل الرعوية: هذا الاسم ينطبق على رسائل بولس الرسول، وقد تبني هذا الاسم أحد علماء القرن الثامن عشر من الألمان أنطوس وجعله شائعاً بين المسيحيين، ويقصد بها الرسائل التي أرسلها الرسول بولس<sup>1</sup> إلى كنائس معينة أو أشخاصاً معينين؛ ويندرج تحت هذا القسم أربع عشرة أو ثلاث عشرة رسالة وهي: رسالته الأولى والثانية إلى أهل

1 بولس: رسول الأمم، كان اسمه العبري شاول أي "مطلوب" وتسمّى بهذا الاسم في سفر الأعمال حيث قيل: "أما شاول الذي هو بولس أيضاً" [أعمال: 29-25/22]، كان أبوه فريسيا من سبط بنيامين، "وقد ربي على الناموس الضيق" [أع: 6/23] وولد وهو يتمتع بالرعوية الرومانية. أخذ نصيباً من العلوم العقلية والفلسفية في مدينته طرسوس (السورية) التي كانت مركز الفلسفة الرواقية ثم أرسل إلى أورشليم (القدس) ليبحر في التوراة وتعلم هناك على يدي عمالائيل أشهر معلمي الناموس ومفسريه آنذاك. لذلك أصبح الأكثر كفاءة في التبشير بين اليهود واليونانيين وسائر الأمم. وقد عرف باضطهاده للمسيحيين وكان مشاركاً في قتل إستفانوس [أعمال: 9/6]، الذي كان يونانياً وكان من أعظم شهدائهم ومن الأوائل وعرف بشدة يقينه وقوة حجته، وقد لاحقهم حتى خارج فلسطين، وقد تحول للمسيحية لما ظهر له المسيح فراه رأى العين وتكلم معه [أع: 9/17 و 22-27]... وقد التهب حماسه لتبشير الأمم كما كان متعصباً ومتحمساً لليهودية، كرّس حياته لدعوته، واضطهد واستشهد في سبيلها، حيث سجن في رومية. ومات مصلوباً: انظر قاموس الكتاب المقدس بولس ص: 136-137-138. وقصة الحضارة، ويل ديورانت، ج: 3، ص: 249، وبولس والمسيحية، د. محمد أبو الغيط القرن، دار الطباعة المحمدية، مصر ط1، 1980م، ص: من 13 إلى 25. وانظر في ترجمة "استفانوس" ق-ك-م، ص: 36.

تسالونيكى<sup>1</sup>، ورسائله الأولى والثانية إلى أهل كورنثيوس<sup>2</sup>، ورسالة إلى أهل غلاطية<sup>3</sup>، ورسالة إلى رومية<sup>4</sup> وقد كتبت هذه الرسائل في رحلاته التبشيرية، أما رسائل السجن فهي، رسالته إلى أهل أفسس<sup>5</sup> ورسالة إلى أهل فيليبي، ورسالة إلى أهل كولوسي<sup>6</sup>.  
ورسالته إلى أهل فيلمون<sup>7</sup> وهذه الرسائل التي أرسلها إلى الكنائس، أما القسم، الثاني من الرسائل الرعوية، فهي مرسله إلى أشخاص معينين فهي رسالته الأولى والثانية إلتيموثاوس<sup>8</sup>، ورسالته إلتيطس<sup>9</sup>.

**ب- الرسائل العامة:** وهي خمسة؛ وقد سميت كذلك لعدم تحديد المرسل إليهم، وتنقسم إلى جزئيين :

- 1 تسالونيكى: مدينة تقع في مقدونيا جعلها ألكسندر الأول مقرًا لسكناه وسماها باسم زوجته سالونيك أخت الإسكندر الأكبر ولا تزال إلى يومنا هذا تدعى - سالونيك - ق-ك-م، ص: 150.
- 2 كورنثيوس: من أشهر المدن اليونانية، تبعد عن أثينا بنحو أربعين ميلا غربا. ق-ك-م، ص: 796.
- 3 غلاطية: ولاية في القسم الأوسط من شبه جزيرة آسيا الصغرى، وقد اشتق اسمها من القبائل الغالية التي تركت موطنها الأصلي في أوروبا الغربية، وانتقلت إلى آسيا الصغرى. ق-ك-م، ص: 660.
- 4 رومية: هي روما مدينة عظيمة عند النصارى - لا سيما الكاثوليك منهم-، كانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية، أسسها الملك "روميولس" سنة 753 ق.م. أما في يومنا هذا فهي عاصمة إيطاليا. انظر: ق-ك-م، ص: 417-418 وموسوعة الأديان في العالم: ص: 16-17.
- 5 أفسس: كلمة يونانية معناها (المرغوبة)، كانت عاصمة المقاطعة الرومانية وآسيا، ومدخلا إلى قلب آسيا الصغرى، وكانت مرفأ بحريا مهما في العصور القديمة احتلها الفرس والرومان واليونان إلى أن رجعت للأتراك. وقد كانت مركزا مهما للمسيحية وفيها التأم المجمع الثالث المسكوني (431م). قاموس ك-م، ص: 67.
- 6 كولوسي: هي بلدة كانت تحت الحكم الروماني، تقع في آسيا الصغرى (تركيا) على نهر ليكوين. ق-ك-م، ص: 799.
- 7 فيلمون: اسم يوناني معناه "محب" وهو أحد سكان مدينة كولوسي، كان مسيحيا من أتباع بولس، وقد بعث إليه بإحدى رسائله ق-ك-م، ص: 697.
- 8 تيموثاوس: اسم يوناني معناه "عابد الله" رفيق بولس ومساعدته ومن تسمية الرسول إياه "ابني، والابن الصريح، والحبیب" يرجح أنه آمن على يده وقد شهد له بولس بقوله لأنه يعمل عمل الرب كما أنا أيضا [كورنثيوس: 1: 16: 10]. ق-ك-م، ص: 159.
- 9 تيطس: رافق بولس، وكان ملازما له، وقد ولد من أبوين أمميين لم يذكر في أعمال الرسل، ولكن الرسول بولس أشار إليه في رسالته كأحد المبشرين، وقد وجه بولس إليه رسائله، قاموس الكتاب المقدس. - تيطس - ص: 158.



1 رسالة عامة غير جامعة: وهي الرسالة إلى العبرانيين، فقد أرسلت إلى جماعة معروفة لكنها غير محدّدة.

2 أما الرسائل الجامعة<sup>1</sup>: فهي أربعة: وهي رسائل يعقوب، ويهوذا (أخوي المسيح)، ورسالتا بطرس<sup>2</sup>.

وقد انتشرت رسائل بولس انتشارا واسعا، لما كان للرّسول من الشهرة، ومعما كان لتلك النصوص من الشأن، فقد اختلف في ثبوت بعضها وفي قدسيّتها طويلا، ثم غدت مصدرا أساسيا لأحكام الدّيانة لطابعها التعليمي الواضح.

## ثانيا: المصادر المختلف فيها.

### 1- المجامع المسكونية:

جاء في كتاب 'مجموعة الشرع الكنسي' وهو مؤلف جمع مقرّرات وقوانين المجامع الكنسية المسكونة أن المجمع المسكوني هو الذي تحضيّ تحديدهاته وقوانينه القبول في المسكونة كلها. وليس من الضروري أن يكون عدد الأساقفة الحاضرين وافرا بل يكفي أن يكون المجمع قد دعي وعقد على أن يكون مجمعا مسكونيا كما هي الحال في المجمع القسطنطيني الأول... وكلما يطلب لاعتبار المجمع مسكونيا أن يصير الاعتراف به في كل أنحاء العالم أنّه مجمع مسكوني<sup>3</sup>. وهذا التعريف أخذ فيه بالاعتبار التاريخي، ذلك أنّه قد التأمّت مجامع عامة

1 انظر: المدخل إلى العهد الجديد، صدر عن دار الثقافة المسيحية، مطبعة دار جبل للطباعة، القاهرة، ط1، 1980م، ص: 522 و683. وقاموس الكتاب المقدس، ص: 404، مصادر النصرانية، د. عبد الرزاق آلارو، ص: 572-573-574-575.

2 بطرس: اسم يوناني معناه "صخرة أو حجر" كان يسمى سمعان واسم أخيه أندراوس. كانت مهنته الصيد، وبرز اسمه كالمتمقدم من التلاميذ من البداية (في التجلّي وفي البستان.. إلخ). ذهب إلى رومية ومات مصلوبا هناك. وقد ذهب بعض الطوائف إلى جعل بطرس رئيسا للكنيسة وجعلوا من أنفسهم خلفاء له وفي رسالتيه يحذر بطرس المسيحيين من التعاليم الزائفة ويحثهم على التمسك بالإيمان والخلاص المسيحي. ق-ك-م، ص: 122-123-124.

3 مجموعة الشرع الكنسي؛ وقوانين الكنيسة الجامعة التي وضعتها المجامع المسكونة والمكانية المقدسة؛ جمع وترجمة الأرشمندريت: حنايا إلياس كساب؛ منشورات التّور؛ بيروت- لبنان، ط2؛ 1998؛ ص: 10.

مسيحية كثيرة، لكن لم يعتبر المسيحيون أن هناك أكثر من سبعة مجامع مسكونية. أمّا العمومية فقد سقط الكثير منها بحسب المؤسسة الكنسية الرسمية في البدع. وبحسب تعليم الكنيسة فإنّ اتفاق الأساقفة على رأي وإجازة البابا ومندوبيه لمراسيم هذه المجامع يحتم على المسيحيين التقيد بأوامرها؛ لأنّ اتفاقهم يعتبر منزّها عن شبهات الضلال والخطأ، وهذا هو معنى كلمة كاثوليكي في إثبات عصمة المجامع المسكونية<sup>1</sup>. وقد كانت تلك المقرّرات بمثابة المفصل التاريخي للمسيحية... وقد أعتبر أن كلّ كنيسة تخرج عن المقرّرات الإيمانية لتلك المجامع لا تعدّ أرثوذكسية (أي مستقيمة الرأي)... ومما لا بدّ من توضيحه هو أن لا خلاف جوهريا في المعتقد بين الكنيستين الأرثوذكسية البيزنطية وفروعها، والكنيسة الرومانية وفروعها، فالكنيستان تعترفان بمقرّرات المجامع المسكونية السبعة الأولى وتعملان بموجبها. وأن الخلافات بينها هي في الحقيقة خلافات على السلطة انتجت مقرّرات لكل منهما عبر مجامع<sup>2</sup>.

## 2- عصمة البابا في الفكر الديني المسيحي:

يقول الأب رفائيل نخلة اليسوعي في كتابه 'أربعة آلاف من الوعاظ وأساتذة التعليم المسيحي': 'التقليد هو تعليم المسيح الذي نشره الرّسل في أنحاء العالم، وإن لم يكتب شيء كثير منه في أسفار العهد الجديد. والحال أنّ الكنيسة الكاثوليكية وحدها قد حفظت على

1المصدر السابق، ص: 11 بتصرف. وانظر: مصادر النصرانية دراسة ونقدا د. عبد الرزاق آلاو، ص: 734 وما بعدها. ومحاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص: 122.

2موسوعة عالم الأديان (كل الأديان والمذاهب والفرق في العالم). تأليف مجموعة من كبار الباحثين بإشراف ط. ب. - مفرج، ج 10، ص: 14-15 بتصرف؛ والمجامع المسكونية السبعة هي: مجمع نيقية (325م). وفيه أعلن قانون الإيمان المعروف بالقانون البيقاوي، مجمع القسطنطينية الأول (381م). مجمع أفسس (431م). مجمع خلقيدونية (451م). مجمع القسطنطينية الثاني (553م). ومجمع نيقية الثاني (787م)، المصدر السابق، ص: 15. وانظر: موسوعة الأديان في العالم (المسيحية)، إشراف جميل مدبك بالتعاون مع البروفسور، جون ماري كريتاس، دار كريستيانا شيونال د. ت، ص: 264، وما بعدها.

توالي الأجيال ذلك التقليد المقدّس بدون أدنى زيادة جوهرية ولا نقصان. ثم يضيف: في الحقيقة أقدم النصارى هم رسل السيّد المسيح، والكنيسة الكاثوليكية وحدها رسوليّه، لأنّ جميع باباواتها خلفاء القديس بطرس رئيس الرّسل، وكلّ تعليمها مقتبس من تعليم الرّسل دون أدنى تغيير جوهرى" وهذا ادعاء يناهى الحقيقة فادعاء الوحدة العقائدية المزعومة واتصال السند بالحواريين والرّسل وهم لا دليل عليه<sup>1</sup>. وقد كانت المسيحية في الغرب خاضعة لنظام كنسي واحد هو الكنيسة الكاثوليكية وكانت إمبراطورية كنسية مترامية الأطراف، عاصمتها روما ورئيسها البابا، وكانت أوروبا مقسمة إلى مناطق كنسية على رأس كل منها رئيس أساقفة، والمنطقة مقسمة بدورها إلى دوقيات يرأس كل منها أسقف ثم على رأس كل أبرشية كاهن. وهكذا كانت هناك شبكة من النظام الكنسي، تغطي بخيوطها كل أوروبا ويمسك بها البابا وكرادته<sup>2</sup>.

وقد جعل المسيح حسب هؤلاء بطرس رئيسا لكنيسته حين سأل تلاميذه: "ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب سمعان بطرس: أنت المسيح ابن الله الحي، فأجابه يسوع: طوبى لك يا سمعان بن يونا، فليس اللحم والدم كشف لك هذا بل أبى الذي في السموات. وأنا أقول لك: أنت صخر، وعلى الصخر هذا سأبني كنيسي... وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فما ربطته في الأرض ربط في السموات. وما حللته في الأرض حلّ في السموات [متى: 16/16-20]، "وتستند الكنيسة الكاثوليكية إلى هذا النص وتبني عليه تعليمها القائل بأن خلفاء بطرس يرثون رئاسته. ويعتقد التقليد الأرثوذكسي بأن جميع الأساقفة المعترفين بالإيمان القويم في أبرشياتهم هم خلفاء بطرس وخلفاء سائر الرسل"<sup>3</sup>.

1 الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، د. عبد المجيد الشرفي، ص: 40. وقد اعتمد في تقرير هذا على: كتابي

et le christianisme –M- Simon et A. Benoit. «Le judaïsme Nouvelle histoire de l'église; E. Trocne

2 انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، د. أحمد علي عجيبة، ص: 14- الهامش، تاريخ المسيحية في عصر الإصلاح، ود. عزت زكي، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، ص: 13-14. وموسوعة الأديان الحية، ج 1، ص: 198-199.

3 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 2127، الهامش.

أمّا مفسرو الإصلاح<sup>1</sup> فلا ينكرون ما كان لبطرس من مكانة، "لكنهم يرون أنّ يسوع لا يستهدف هنا إلا شخص بطرس... وتظهر هذه السلطة في مغفرة الخطايا وتمكّن من دخول ملكوت الله".

إنّ عصمة البابا جزء من العصمة العامة التي تدعيها كنيسة روما وقد انتقلت هذه العصمة للبابا لأنه رئيس الكنائس جمعاء وهو الأب الرّوحي والمعلم للنصارى أينما كانوا وهو خليفة المسيح ونائبه في الأرض. وإن كان الثابت عن المسيح تحذيره لتلاميذه من طلب الرياسة أو الاختصاص بمزيد فضل "إذا أراد أحدكم أن يكون أولاً فليكن آخر الكل وخادماً للكل" [مرقس: 33/9-35] وهم متساوون في هذا الفضل إن وجد، إذا لا دليل عليه [متى: 18/18]<sup>2</sup>، وهذه الفكرة بالرغم من هيمنتها على الكنيسة الكاثوليكية إلا أنها متأخرة، إذ أن أول من أدعى العصمة بهذا المعنى هو البابا أغاثو (678-681م). بعد فشو ظاهرة رمي الباباوات اللاحقين أسلافهم، بالكفر والهرطقة والحكم عليهم بالحرمان، لكن الظاهرة استمرت، ومنه على سبيل المثال لا الحصر، حكم البابا إيوغني الرابع على جان دارك بأن تحرق حية لأنها ساحرة، بينما أعلن البابا بينديكت الخامس عشر في عام 1919م بأنها قديسة وكذا الحكم على اليسوعيين بالحرمان والطرده من حظيرة الكنيسة بأمر البابا سنة 1773م وثم إعادتهم إليها بأمر من البابا أيضاً سنة 1814م<sup>3</sup>.

1 مفسرو الإصلاح: هم أصحاب المذهب البروتستنتي.

2 انظر: مصادر النصرانية دراسة ونقدا، د. عبد الرزاق آلارو، ص: 918، إلى 939، وقد أفاض في ذكر هذه المسألة عرضاً ونقداً. وقد جاء في الأناجيل والرّسائل ما ينفي عصمة بطرس نفياً صريحاً على لسان المسيح، [متى: 23/16]، [مرقس: 14/66-71]، وعلى لسان بولس [غلاطية: 2/11-12] مما يأتي على هذا الأصل بالنقض بالإضافة إلى إنكار كثير من رجال الكنيسة له.

3 جان دارك: Jean-D'arc بطلة قومية فرنسية، قادت الفرنسيين ضد الإنجليز في حرب الأعوام المئة. وحكم عليها بالموت حرقاً في 1819م، وقد طوبت كقديسة سنة 1920م. انظر: الموسوعة الكبرى، ج: 5، ص: 167 إلى 170، أما اليسوعيون فهم طائفة أسسها في (ق 16م) "أغناطيوس لويولا"، وقد التزمت الفقر والعفة والطاعة: مصادر النصرانية،

وهكذا فمع سيطرة المجمع على سلطة تقرير العقيدة وادعاء العصمة للبابا كجزء من العصمة العامة للكنيسة، فقدت المسيحية المصدر الإلهي، وقد استغنى الكاثوليك عن المجمع وعن الكتب المقدسة، فانتقلت سلطة إصدار القرارات وغيرها إلى 'الحبر الأعظم' بابا روما، الجالس على كرسي خلافة بطرس<sup>1</sup>، وبحجة هذه العصمة الموهوبة من الله، عدت أحكامه قطعية وواجبة التنفيذ.

دراسة ونقدا، ص: 930-931 الهامش. نقلا عن دائرة الأخلاق والدين ج 7، ص: 500-501 والدائرة البريطانية 356/10.

1 انظر: الإنجيل والصليب: عبد الأحد داوود، ص: 42. والمسيحية، د. أحمد شلبي، ص: 228-235. وموسوعة الأديان الحية؛ ج: 1، ص: 211-212، ورسالة في التسامح، جون لوك، ت: منى أبو سنة: المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 1997م، ص: 28-29-30.

## المبحث الثاني: القيم في الديانة المسيحية.

## المطلب الأول: مصدر القيم في الديانة المسيحية.

تقوم المسيحية بجوهرها على الإيمان بأبوة الإله وأخوة البشر، وترى أنّ الله واحد في ثلاثة أقانيم، هي الأب والابن وروح القدس. وقد جاء (يسوع) ببشارة الخلاص في ملكوت الله، وأنّ كل شيء يفسر بمشيئة الله، وبالإعداد لنهاية العالم، وملكوت السموات... إنّ الله هو منطلق القيم. وعلى الإنسان أن ينجز من أعماق قلبه ما يراه مشيئة الله. فقد نقش الله قانونه في قلب الإنسان. "كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل"<sup>1</sup>.

ذلك أن وظيفة القيم الدينية المتجسدة هي إقامة صلة لا تنفصم بين الإنسان والله والمجتمع؛ وأن طريق الإنسان إلى الإنسان تمرّ عن طريق الإله المتجسد.. إذ تنزع به وثبة لا تقهر لتجاوز ذاته بذاته، والتطلع الى القيم العليا، فبدون القيم الدينية المتجسدة يزداد انحراف الحياة الإنسانية شطر التجريد والأثرة... شطر الأزمة المستمرة وإبادة البشرية<sup>2</sup>.

وبحسب الفهم المسيحي للإنسان والكون فإنّ الأبدى اقتحم الزمن، والكل احتجب وراء الجزء، والله اتخذ وجه إنسان... والإنسان مدعو إلى أن يكون على مثال صورة الابن بالمحبة ومجد الله يتألق في وجه الإنسان بالرغم من انتسابه إلى تراب الأرض...، وهذا ما نوه به القديس إبريناوس في عبارته المأثورة: "مجد الله هو الإنسان الحي"<sup>3</sup>.

1 العمدة في فلسفة القيم، د: عادل العواص، ص: 543-544.

2 العمدة في فلسفة القيم، د: عادل العواص، ص: 546 نقلا عن: مارسيل دي كورت: فلسفة العادات الأخلاقية المعاصرة، ص: 429 بتصرف.

3 بحوث في نظام القيم المعاصر الإسلام والمسيحية، النظرة إلى الإنسان كمحور لحركة الوجود والرسالات، د: الأب يوسف مؤنس؛ معهد الدراسات الإسلامي للمعرف الحكمية، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص: 122-123. وانظر:

## المطلب الثاني: الإنسان في الديانة المسيحية:

## أولاً: الإنسان روح وجسد:

يستقي المسيحيون قصة الخلق وأصل الإنسان من التوراة (العهد القديم)، وهي القصة التي تتوافق الأديان إجمالاً عليها. وهي خلق آدم من تراب والنفخ فيه من روحه. "وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة الحياة، فصار آدم نفساً حيّة" [سفر التكوين: 2/7]. فالإنسان جوهرياً هو الكائن القائم باتحاد الروح والجسد معاً في كيان واحد. فإذا انفصلت الروح عن الجسد، فلا يصدق اسم الإنسان على أي منهما بمعزل عن الآخر<sup>1</sup>. ويميز جمع من النصارى بين النفس والروح، فإذا كانت الروح جوهرًا باقياً فإن النفس عرضٌ فإن يفنى بفناء الجسد<sup>2</sup>.

ويعتبر آدم محورياً أساسياً في دراسة المسيحية، حيث أن الجهل بآدم يعتبر جهلاً لقضية الإنسان، وجهلاً لفلسفة الدين وسره. ففي خلق آدم أصبح الوجود له وجوه ثلاثة لا تعبر إلا عن وجه واحد فهو مظهر للوجود الذي انبثق من حلول الروح في المادة وهو مبدأ الخلق، ثم تأتي قصة سقوط آدم في الخطيئة، والتي يتأسس اللاهوت المسيحي برمته عليها، "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد (آدم) دخلت الخطيئة العالم وبالخطيئة الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع" [رسالة بولس إلى أهل رومية: 12/5]<sup>3</sup>.

l'avenir des droits humains ;approchetheologique du moyen agechretien et droits divin.felicienRousseau.editions Anne sigier.les presses de l'universiteLavale 1996 Canada.p 331.

1 انظر: موسوعة الروح: الروح في الديانات الكتابية والوضعية؛ د: علي بن سعيد العبيدي، مؤسسة الدرر السنية، ط1، 1434هـ: المملكة العربية السعودية. ص: 48-49 نقلاً عن: عالم الروح، الأنبا غريغوريوس، ج1، ص: 10.  
2 المصدر السابق، ص51.

3دراسة في مصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية؛ د: طارق خليل السعدي، ص: 129-130.

"وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى الأرض، وعلى جميع الدّبابات التي تدبّ في الأرض، فخلق الله الإنسان على صورته" فالإنسان: هو رأس المخلوقات الحية وسيدها" [تك: 1/26-27].

ويعلمنا الكتاب المقدس أنّ النَّاس في الأصل من دم واحد، غير أنهم تفرقوا فيما بعد إلى أمم وقبائل عديدة يتميّز بعضها عن بعض في اللون واللغة والعادات... وخلق الله الإنسان من تراب وخلق على صورته تعالى مميزاً إياه عن سائر الكائنات الحية بما أودع فيه من روح حية تُؤهله ليكون مشابهاً صورة خالقه... وقد جاء في [التكوين: 2/7]، أنّ الله نفخ في أنفه نسمة حياة، ولا يراد بنسمة الحياة هذه عملية التنفس الطبيعي، وإنما المراد منها هو أنّ الله أعطاه تلك القوى العقلية والروحية مقترنة بالنفس الحيّة... ثم انحرفت طبائعه عما كانت قد فُطرت عليه... وانتقلت الخطيئة عنه بحكم الوراثة إلى نسله... وقد أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم لينقذ الإنسان... وأحتمل عقاب التعدي على الشريعة... وهكذا هو صالحنا مع الله... وأرسل لنا الرّوح المعزي ليوجه قلوبنا إليه مجدداً ويثبت نفوسنا فيه مقوماً لها. وهو لا يزال يشفع فينا لدى الآب في السموات<sup>1</sup>.

وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثيوس: "فإن الرجل لا ينبغي أن يُغطّي رأسه لكونه صورة الله ومجده" [كورنثيوس الأولى: 1/7]، وقد فسّر الأنبا غريغوريوس<sup>2</sup> معنى كون الإنسان على صورة الله، ومثاله: بأنّ المراد في كيانه الروحي والعقلي، وليس على صورته في الجسم وأعضاء الجسم، لأن الله روح عاقل والصورة تعني الخيال أو الظل، فالروح الإنسانية ظل الله، تشبّهه ولا تساويه، وهي على مثاله... وقد ساق الأنبا بعض وجوه الشبه بين روح الإنسان وبين الله تعالى. وملخصها أنّ روح الإنسان على صورة الله وشبّهه في الروحانية، وفي العقل والحكمة

1 قاموس الكتاب المقدس: مادة-إنسان- آدم.

2 أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية (الكنيسة الأرثوذكسية).



والعلم، والحرية، والخلود وعدم الفناء، وفي القداسة ومحبة الخلق والبر، وفي السيادة على الطبيعة ويفسر الأنبا معنى النفخة الإلهية بأنها: ليست قطعة من الله أو جزء منه انفصل عنه... ولكنها قوة أو طاقة منه... دفعت في الإنسان قوة وحياة<sup>1</sup>. وفي حديث الفاروقي عن تأثير الفكر الإسلامي في اللاهوت المسيحي يذهب إلى أن هذا التأثير كان من خلال النظر إلى الإنسان بوصفه كائنا عقليا قابلا للتعليم... والنظر إلى أن صورة الله في الإنسان تكمن في عقلايته الطبيعية<sup>2</sup>، بخلاف نظرة اليهود التشبيهية.

### ثانيا: عيسى - عليه السلام - في الفكر المسيحي:

إنّ النظر إلى الإنسان على أنّه "صورة الله" يمثل سببا كافيا لفعل الله الرحيم، المتمثل في إرسال المسيح. "لذلك لا تفهم المسيحية سير الإنسان إلا من خلال سر الكلمة المتجسدة"<sup>3</sup>. وقد شبه النصارى اجتماع جوهرين هما الروح والجسد في الإنسان، باتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح - عليه السلام - "لقد رأى آباء الكنيسة في هذه الطبيعة الواحدة في الإنسان، المتكونة من اتحاد الروح والجسد وهما في الأصل من طبيعتين مختلفتين، صورة لاتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح، ومع أنّ الطبيعتين مختلفتان اختلافا جوهريا، ومتمايزتان تماما، لكنهما اتّحدا في المسيح منذ الحبل به في بطن العذراء مريم. وصار المولود منها... الإله المتأنس... باتحاد فريد من نوعه... اتحاد حقيقي وكامل مع احتفاظ كل من اللاهوت والناسوت بخصائصه المميزة له"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> موسوعة الروح: الروح في الديانات الكتابية والوضعية؛ د: علي بن سعيد العبيدي؛ ص: 44-45-46- بتصرف، نقلا عن: في عالم الروح؛ الأنبا غريغوريوس، ج 1؛ ص: 141-142.

<sup>2</sup> انظر: قراءة في كتاب الأخلاق المسيحية؛ نحو علم مسيحيات إسلامي، د. عامر عدنان الحافي، إسلامية المعرفة، السنة التاسعة عشر، العدد: 74، خريف 1434هـ/2013م. [https:// platform.almanhal.com](https://platform.almanhal.com).

<sup>3</sup> النظرة إلى الإنسان كمحور لحركة الوجود والرسالات؛ د: الأب: يوسف مؤنس؛ ص: 121.

<sup>4</sup> موسوعة الروح: الروح في الديانات الكتابية والوضعية؛ د: علي بن سعيد العبيدي؛ ص: 53. نقلا عن: في عالم الروح؛ الأنبا غريغوريوس، ج 1؛ ص: 22-24.

وهكذا فقد أضيفت المسيحية على الإنسان بعداً إضافياً، فبعد أن كان الإنسان صورة الله غير المنظورة أصبح "المسيح صورة الله المنظورة بتجسده. ويجسد الإنسان صورة المسيح بمحبته إخوته وخدمتهم وبالقيم التي يعيشها، فيصبح أخاً للمسيح وابتناً لله"<sup>1</sup>. وهكذا "صار آدم الإنسان الأول نفساً حية، وادم الأخير روحاً محيياً" [كورنثيوس: 1/15].

### المطلب الثالث: القيم التي دعا إليها المسيح:

إنّ القيم التي جاء بها المسيح تختلف عن القيم اليهودية إذ تقوم على أسس جديدة تماماً، وهي نقيض المثال الذي تضمنته الشريعة اليهودية، الذي يقوم على الرباط الاجتماعي، فهي تقوم على النتائج الملموسة، أما المسيح فقد رأى أن المكانة العليا ليست للتأثير المادي للفعل، وإنما للمقصد الأخلاقي للفاعل، فالنية هي التي تعطي للفعل سمته الأخلاقية<sup>2</sup>. "من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً" [متى: 16/7.23].

### أولاً: الاهتمام بمقاصد الأعمال:

لقد كان تعويل المسيح على بناء منظومة من القيم تكون كفيلة بتطهير الشريعة الموسوية من الممارسات العابثة، وتقديمها نقية للناس: "ويل لكم أيّها الكتبة والفريسيون المراءون، لأنكم تعشرون بالنعنع والشبب والكمون، وتركتم أثقل التاموس؛ الحق والرحمة والإيمان" [متى: 23/23].

فشريعة موسى تمزج بين العنصر الأخلاقي وعنصر العبادة، إنها تقول: إنك لن تقتل أبداً... وهي تعاقب بالموت من يلعن أباه، ولكنها تعاقب بالعقوبة ذاتها من ينتهك السبت. إنّها تأمر السارق الذي دُنس بسرقة أن يتطهر بقربان؛ وهي كذلك تأمر الأبرص الذي دنسه

1 النظرة إلى الإنسان كمحور لحركة الوجود والرسالات؛ د: الأب: يوسف مؤنس؛ ص: 121.

2 انظر: قراءة في كتاب: الأخلاق المسيحية، نحو علم مسيحيات إسلامي ص: 19-20-21، نقلاً عن: Cristian ethics:p 94، وانظر: الأخلاق في الأديان السماوية؛ السيد أبو ضيف المدني، ص: 37-38.

البرص، بأن يُقدم قربانا...، لكن اليهود اعتنوا بالطقوس وأهملوا المقاصد، لذلك ألغى المسيح عند بعثته كثيرا من الطقوس القديمة وأعلن تناقضها مع جوهر العبادة، فخالف اليهود في السبب؛ ومن يخالف السبب عندهم يستحق الموت، وأعلن عدم تمجيده للهيكل على طريقة الفريسيين ودعا إلى الإعلاء من شأن الفعل الأخلاقي الإنساني على حساب الطقوس<sup>1</sup>.

"إنما جعل السبب لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبب" [مرقس: 2/23] و[متى: 12/1]، [لوقا: 6/1]. وأعلن أن "الشريعة القديمة لا تصلح الا للزق القديم، أما في الزق الجديد فتوضع الخمر الجديدة" [متى: 9/14] و[مرقس: 2/19]، و[لوقا: 5/17].

فالأخلاق التي جاء بها المسيح هي رد على الأخلاق اليهودية العنصرية، وكان أحد أهداف المسيح أن يحدث اختراقا أخلاقيا، فقد ارتكزت تعاليمه حول الذات الخاصة وشخصية الفرد، ومنه تحقّق الإنسانية الشاملة.

وبالنظر مقابل شريعة التوراة، التي كان اليهود يرون فيها تعبيرا عن هويتهم وتفوّقهم، لفت المسيح الانتباه إلى قانون آخر أعمق غوراً وأكثر أهمية، وهو القانون الأخلاقي، الذي يتخذ النفس والوجود الداخلي للإنسان موضوعاً له، فقد حاول نقل التركيز من الإرادة الجماعية إلى الإرادة الشخصية لتحقيق الخلاص، وقد دعا بني إسرائيل إلى البحث عن الخلاص في مملكة الله وليس مملكة إسرائيل، وأكد أن الأفضلية تتحدد بالأخلاق: "ليس أحد صالحاً إلا واحداً وهو الله" [متى: 17/19].

"لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه" [إنجيل مرقس: 8/37]<sup>2</sup>.

1 انظر: أخلاق الإنجيل؛ ألبيرباييه؛ ص: 11-16.

2 انظر: قراءة في كتاب: الأخلاق المسيحية، نحو علم مسيحيات إسلامي، نقلا عن: Ismail، Cristianethics، RagiAlfaruqui، 76-77-50-59-53، p. وانظر: الأخلاق في الإسلام مع مقارنتها بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية؛ د: يعقوب الميليجي؛ مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر؛ 1985م؛ ص: 221.

فحقيقة الاختلاف بين القيم التي جاء بها المسيح، والأساس الذي اعتمده المسيح لإحداث اختراق للقيم اليهودية؛ لذلك فالتحوّل الذاتي الذي دعا إليه المسيح، هو تحوّل ديني وأخلاقي في الوقت ذاته "أن تحب الله من كل قلبك ومن كل روحك ومن كل عقلك"، هذه هي الوصية الأولى العظمى، فهي دينية بقدر ما هي إعادة توجه كامل نحو الله، وأخلاقية بقدر ما تكون إعادة التوجه متركزة على محبة الله... والحب ليس شيئاً آخر غير هذه الدعوة من الله؛ لتقرير الأخلاق، والطاعة والاستجابة لقرارات تلك الإرادة... فالأولى التي أشار إليها المسيح ليست أولى منطقية أو ترتيبية، وإنما هي أولى قيمة، لأن من طبيعة القيم أنها لا تحتاج ثانياً ولا ثالثاً فهذه الوصية هي الأساس الكافي لجميع الأديان والأخلاق؛ لأن مضمونها يشتمل على كل ما هو ضروري لإحداث التحوّل النفسي الجذري المطلوب. لذلك فإنّ الفاروقي يرى أنّ: "أن تحب قريبك كما تحب نفسك" غير ضرورية لأنها متضمنة في الوصية الأولى، وهو متوافق مع ما ذكره بول رامسي من أن النظر إلى الوصية الثانية على أنها وصية؛ ناتج عن سوء فهم لما جاء به المسيح من تغيير أخلاقياً المقصود بالأولى عند المسيح هو الفرادة. وهناك من اعترض على هذا الرأي بأن الوصية الثانية لا تقل أهمية؛ فهي تُوجّه نحو تحقيق الوصية الأولى وإعطائها بعداً تطبيقياً<sup>1</sup>.

فجوهر المسيحية هو الرسالة الأخلاقية الروحية؛ لذلك فقد تجاوزت تعاليم المسيح في الأناجيل، ما كان مقرّراً في الشريعة الموسوية وكان في أغلبه متسقاً مع الطبيعة والفطرة، إلى التركيز على ما من شأنه أن يحرك الإرادة ومباشرة الفعل المنهي عنه. يقول القس إبراهيم سعيد: "لسنا نجد في الموعظة على الجبل عقائد لاهوتية كعقيدة التثليث أو التبني، أو التبرير، أو التمجيد، لكننا نجد مبادئ روحية سامية... ولست أحسبني مبالغاً إذا قلت: إن شرّ الأيام التي

<sup>1</sup> انظر: قراءة في كتاب: الأخلاق المسيحية، نحو علم مسيحيات إسلامي نقلا عن: Cristianethics، 53-59: p  
50-77-76. وانظر: الأخلاق في الإسلام مع مقارنتها بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية؛ د: يعقوب الميليجي؛ ص: 211-212.

مرّت بالمسيحية هي تلك الأيّام التي انصرفت فيها عن تقويم الحياة الروحية العملية إلى تقديم العقائد اللاهوتية<sup>1</sup>.

وفي التطويبات "دعا المسيح إلى تغيير شامل في النفس الإنسانية يؤثر على السلوك الفردي والاجتماعي لأتباعه<sup>2</sup> وبين أثر السلوك وثمرته في العاجل والآجل. "طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض طوبى للجوع والعطاش إلى البرّ لأنهم يشبعون؛ طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون" [متى: 5/5-6-7].

لقد بين المسيح بجلاء تام بأن الدنّس الحقيقي هو الدنّس الأخلاقي. حين أكل بعض تلامذته خبزا بأيدي غير نظيفة، فدهش الفريسيون، وأنكروا عليهم هذا الصنيع لكن المسيح "دعا كل الجمع وقال لهم: اسمعوا مني كلكم وافهموا؛ ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر إن ينجسه. لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الإنسان" [مرقس: 7/1-16]. ولما فوجئ تلاميذه قال لهم: "أفا أنتم أيضا هكذا غير فاهمين؟ أما تفهمون إن كل ما يدخل الإنسان من الخارج لا يقدر أن ينجسه لأنه يدخل لا إلى قلبه بل إلى الجوف، ثم يخرج إلى الخلاء... إن الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجس الإنسان، لأنه من الداخل؛ من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنا، فسق، قتل... تجديف، كبرياء، جهل، جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان"<sup>3</sup> [مرقس: 1/1-23] و[متى: 15/16].

وفي لوقا نرى أن المسيح نفسه هو الذي يجلس إلى المائدة ويخاطب مضيفه الفريسي بقوله: "أنتم الآن أيها الفريسيون تُنقون خارج الكأس والقصعة، أمّا باطنكم فملؤه اختطافا وخبثا. يا

<sup>1</sup> انظر: الأخلاق في الأديان السماوية؛ السيد أبو ضيف مدني؛ ص: 31، 32، 33 و 39.

<sup>2</sup> انظر: الأخلاق في الإسلام مع مقارنتها بالأديان السماوية والأخلاق الوضعية؛ د: يعقوب المليجي؛ ص 213، وانظر: الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية؛ كريمة دوز؛ ص: 130 و: أخلاق كونية لثقافات متعددة؛ بيير سيزاري بوري وسانيرومارشينو، ت: أحمد عدوس، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط (2007م)، ص: 176-177 وقد استخدم بعض المترجمين بدلا من "طوبى" بالسعادة، مما يبين أن السعادة والنجاة منوطة باتباع هذه الاخلاق.

<sup>3</sup> أخلاق الانجيل؛ ألبيرايه؛ ص: 17.

أغبياء أليس الذي صنع الخارج صنع الدّاخل أيضاً؟ بل أعطوا ما عندكم صدقة، فهو ذا كل شيء يكون نقياً لكم" [لوقا 11/39]، ولذلك لم يبق يسوع يهودياً حسب رينان فقد أسس ديانة الإنسانية لا على الدم، بل على القلب. وقد تجاوز موسى ولم يبق للهيكل ما يسوغ بقائه<sup>1</sup>.

### ثانياً: الإنسان الجديد في الديانة المسيحية.

بعكس التوراة أولت الأناجيل وباقي الرسائل العالم الذي يحيا فيه الإنسان ببعدية، عالم الشهادة أو الدّنيا وعالم الملكوت أو الآخرة، أهمية كبيرة، لكن من منظور أن الإنسان مخير بين الفوز بملكوت الرب. أو الابتعاد عنه والانغماس في الحياة الدنيا.

"ما من أحد يستطيع إن يعمل لسيدّين، لأنه إما إن يبغض أحدهما ويحب الآخر، وإما أن يلزم أحدهما ويترك الآخر لا تستطيعون أن تعملوا لله وللمال" [متى: 6/24-25].

لذلك فإنّ المتتبع لشراح العقيدة المسيحية يعرف أنّ للإنسان المسيحي ميلاداً ثانٍ؛ والذي يعني دخول الفرد المسيحي في الحياة الروحية حتى يكون له الحق في دخول ملكوت السماء؛ ويكون ذلك بالتعميد، فينال الفرد البنوة والولادة الجديدة. تماماً كما يعني الميلاد الأول من أب وأم بشريين دخول الفرد في الحياة الدنيا ويستلزم هذا الميلاد الثاني أن يكون الله أباه والكنيسة أمه<sup>2</sup>.

فلا يصح في المسيحية شطر الطاقة الإنسانية إلى اتجاهين متعاكسين، اتجاه السماء واتجاه الأرض، وقد ألغى المسيح قانون موسى واستبدل -يهوه- إله العدالة ومنقذ العالم المادي بإله الحب الذي يعد بعالم الغيب اللامرئي<sup>3</sup>.

1 أخلاق الانجيل؛ ألبيراييه؛ ص: 18.

2 انظر: نقلا عن: الإنسان والدين، د. محمد الحسن إسماعيل، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 2004م، ص: 67.

3 انظر: أخلاق الانجيل، ألبيراييه، ت: سليم العوا، ص: 275.

وفي نصوص كثيرة تذكّرنا بمخطوطات البحر الميت، في التركيز على الثنائيات الخير والشر، النور والظلام، يوصى بولس أهل أفسس أنّ: "تقلعوا عن سيرتكم الأولى فتخلعوا الإنسان القديم الذي تفسده الشهوات الخادعة، وأن تتجددوا بتجدد أذهانكم الروحي فتلبسوا الإنسان الجديد، الذي خلق على صورة الله في البر وقداسة الحق... بالأمس كنتم ظلاما، أما اليوم فأنتم نور في الرب فسيروا سيرة أبناء النور، فإن ثمر النور يكون في كل صلاح وبرّ وحق. تبنوا ما يرضي الرب ولا تشاركوا في أعمال الظلام العقيمة" [رسالة إلى أهل أفسس: 20-4/19 و 5/6-7].

وفي رسالته إلى أهل قولسي: "فقد خلعتكم الإنسان القديم وخلعتم معه أعماله ولبستم الإنسان الجديد، ذاك الذي يتجدد على صورة خالقه ليصل إلى المعرفة" [إلى أهل قولسي: 2/5].

"فالعهد الجديد يبشر بتجديد الإنسان تحت تأثير الروح الذي يهبه قلبا جديدا قادرا على معرفة الله. وبفضل خلق جديد يتم في المسيح (صورة الله)، يرشد الإنسان إلى إنسانيته الحقيقية: إنه مخلوق على صورة الله في البر والقداسة"<sup>1</sup>.

وهكذا جعلت المسيحية كل قيم الحياة الدنيا لا تساوي شيئا بجانب القيم الخالدة في الحياة الخالدة<sup>2</sup>، وقد أثمرت هذه التعاليم اتجاها عاما نحو الزهد، وقيم التضحية، والمشاركة في الجماعة المسيحية الأولى، فقد جاء في أعمال الرسل: "وكان جميع المؤمنين معا وكان كل شيء مشتركا بينهم، وكانوا يبيعون أملاكهم وأمتعتهم ويوزعونها على الجميع على حسب حاجة كل واحد" [أعمال الرسل: 2/44، و 5].

1 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 2672- الهامش. وانظر: في نفس المعنى وبألفاظ مشابهة [رسالة يوحنا الأولى: 13-2/10].

2 الأخلاق في الإسلام مع مقارنتها بالأديان السماوية والأخلاق الوضعية؛ د: يعقوب المليجي؛ ص: 212. وانظر أيضا: الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية؛ كريمة دوز؛ ص: 133.

وقد قال المسيح-عليه السلام-: "لا تجمعوا النفائس حيث السوس والصدأ يتلفان كل شيء وحيث اللصوص ينقبون ويسرقون، ولكن اجمعوا وأكثروا النفائس في السماء، حيث السوس والصدأ لا يتلفها وحيث اللصوص لا ينقبون ولا يسرقون".

"لا تقلق على حياتك، فتقول ماذا ستأكل وماذا ستشرب"، "إذا أوقعتك عينك اليمنى في الزلل فاقتلعها، وإذا أوقعتك يدك اليمنى في الزلل فاقطعها" [متى: 28/5] و [29/5].

"إنه الأسهل أن يدخل الجمل ثقب الإبرة من أن يدخل غني ملكوت السموات" [متى: 19/5].

وقد انعكست هذه الأخلاق أيضا على المنظومة العقديّة والفكرية للديانة المسيحية، وقد عزاها كثير من العلماء المتخصصين إلى التأثير بالفلسفة الأخلاقية اليونانية واللاتينية، فقد ظهر أثره في إنتاج القديس كليمان الاسكندري (150م - 215م)، والقديس أوغسطين<sup>1</sup>، وفي مرحلة لاحقة من خلال الشروح العربية، وبشكل خاص ابن رشد، حيث تكوّنت مدرسة ألبير الكبير وتوما الاكوييني<sup>2</sup>، حيث صهّرت القيم الأخلاقية المسيحية مع تلك المذاهب والفلسفات<sup>(3)</sup>.

1 من أشهر آباء الكنيسة، ومن أبرز مؤسسيها، كان من أصل أمازيغي، ولد بسوق أهراس (الجزائر) وعاش بين سنتي (354-430م) لكن أسرته تروّمت، فكانت اللاتينية بالنسبة إليه أكثر من لغة ثقافية كان أبوه متشبها بالوثنية القديمة وأمه مسيحية كاثوليكية؛ من أهم مؤلفاته مدينة الله، والاعترافات. الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان، د: سليم إلياس، ج: 5، ص: 47، 48.

2 القديس توما الاكوييني من أكبر فلاسفة القرون الوسطى، ولد في 1225م تتلمذ على يد ألبير "الكبير" من مؤلفاته: الخلاصة ضد الكفار، والخلاصة اللاهوتية، وشروحا على أرسطو: موسوعة الفلسفة د: عبد الرحمن بدوي، ج: 1، ص 426 - 431.

3 الأخلاق في الإسلام مع مقارنتها بالأديان السماوية والأخلاق الوضعية؛ د: يعقوب المليحي؛ ص: 212- بتصرف. وانظر: موسوعة الأديان الحية؛ المسيحية: فرانسيس ديفر؛ ج: 1؛ ص: 278.



## المبحث الثالث: الأصل المؤسس الأول: 'عقيدة التثليث'.

## تمهيد:

لم يعرف التاريخ شخصية اختلف حولها الناس في طبيعتها ونشأتها، وكل ما اكتنفها واحتفّ بها من أحداث، منذ بدء الخلق إلى ما بدا للبعض أنّه النهاية، كعيسى بن مريم أو يسوع الناصرة، أو يسوع، أو المسيح.

ويترجم هذا الاختلاف التباين بين أقطاب الديانة المسيحية أنفسهم في تفسير مواقف المسيح وأقواله، وبيان القيم التي انطوت عليها ودعت إليها.

## المطلب الأول: الجذور التاريخية لنشأة فكرة التثليث:

إنّ عيسى-عليه السلام- لم يقصد تأسيس دين جديد، بحسب كثير من العلماء والمؤرخين وبعض الفرق المسيحية أيضا. والحال أنه أصبح محور عقيدة مرتكزة عليه، وكنيسة منسوبة إليه، ولم يكن التلاميذ يفكرون مطلقا في مهاجمة الدين اليهودي أو الخروج عن أطره، فالمسيح لم يترك لا نصًّا مدونا ولا مجموعة منظمة ولا حتى رسالة يمكن نقلها وروايتها، ولكن أتباعه كانوا متعلقين فقط بتأويل خاص للأمل المسيحاني، فاعتقدوا أن صلبه المنكر لم يكن سوى الوسيلة التي رفعه الله بها وسيبعثه بين الأموات، ويبدو أن التأثيرات الأسينية قد لعبت دورها في تكيف هذه المجموعة، فاستعارت منها بعض النظريات، وحاكت مؤسساتها في بعض النواحي (القوانين الكنسية)، واختار أتباعه بعض النصوص وخصوصا من المزامير ومن أشعياء، وهي النصوص التي اعتمد عليها اللاهوت المسيحي بعد ذلك.

وكان العمل الأساسي الذي قامت به الكنيسة الأولى هو التأكيد على أن عيسى هو المسيح، وقد استهدف بدعوته اليهود خاصة. لكن مع تطاول الأزمان وعدم تحقق العودة، لم يروا بدًّا -للحفاظ على إيمانهم- من تضخيم عيسى الناصري التاريخي ورسالته للمسيح المخلص الموعود، ومن هنا بدأت المسيحولوجيا في التشكل كأساس للمسيحية ومحور لها.

وتلقف يهود الشتات هذه الفكرة التي ترفع عنهم عبء مسؤولية العودة إلى القدس والدفاع عن الهيكل، فرفعوه إلى مقام الألوهية<sup>1</sup>.

فاستنادا إلى مبدأ الاختيار نتج مفهوم جديد، وهو عقيدة المخلص عند اليهود الذين وجدوا أنفسهم والبلاء ينزل بهم والنكبات تحل عليهم... فاتجه تفكيرهم في عصورهم اللاحقة إلى منقذ ومخلص لينقذهم... ويرفعهم إلى المكانة التي أرادوها وأطلقوا على هذا المخلص المسيح المنتظر، وتأتي هذه الفكرة مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب، أو فكرة العهد الجديد لتصبح أمة الله جديرة بالله، ويقوم الرب على جبل صهيون، ويتجمع المشردون من بني إسرائيل في أورشليم، وقد وصفغينبرت Guignebert المسيح المنتظر بأنه ليس إنسانا عاديا، بل هو سماوي وكائن معجز، خلقه الله قبل الدهور، ويبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله، وهو يحمل لقب ابن الإنسان، وإن كانت طبيعته تجمع بين الله وبين الإنسان. وفي أشعيا "العدراء تحبل وتلد ابنا" [أشعيا:7/15]، "يولد لنا ولد، ونعطى ابنا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا، ويكون إلهها قديرا، أبا أبديا، رئيس السلام..." [أشعيا:9/6-7]<sup>2</sup>.

وتظهر هذه العلاقة أشد وضوحا وأكثر جلاء في المرحلة التي سبقت ظهور المسيح مباشرة مع القمرايين -جماعة بحر الميت- ففي كتاب أخنوخ الموسوم برحلات

1 انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع العاشر، د. عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط 1، 1986، ص 40-45؛ ولذلك فقد اعتبرت هذه المجموعة فرقة من الفرق اليهودية، عند كثير من العلماء واليهودي القرائي منهم يعقوب الفرسانتي في القرن العاشر الذي ذكرهم مع الفريسيين والصدوقيين والسامرة وغيرهم في كتابه: الأنوار والمراقب، ولولا تبلور اللاهوت المسيحي والانفصام الذي حدث بين الجماعة الأولى ودعوة بولس وتبني منهج خاص ونظام عبادة وطقوس مميز لسارت نحو الاضمحلال مثل كثير من الفرق اليهودية. انظر: المصدر السابق، ص: 43-44.

2) دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية؛ د. طارق خليل السعدي؛ دار العلوم العربية للطباعة والنشر، لبنان: بيروت ط 1، 1425 هـ - 2005 م، ص: 112، بتصرف نقلا عن: C R: Guignebert le monde juif vers le temps de jésus p: 140.

'أخنوخالرؤيوية' ورد ذكر كلمة المسيح ولقب المصطفى ابن الإنسان العارف والعاقل، ويذكر دم البار الذي صعد من الأرض باتجاه ربّ الأرواح.

إنّ ابن الإنسان هو القاضي في الآخرة، كما أنه موجود قبل الوجود، وأن اسمه لفظ قبل خلق الشمس وعلامات البروج، وهو ينبوع العدل الذي لا ينضب، معطي روح الحكمة والقدرة، وفي خاتمته يصف صعوده وتوليته كابن للإنسان<sup>1</sup>. وقد اشتبه بعضهم أنها كتابات مسيحية، لكن تبين بعد فحصها أنها ليست كذلك لوضوح أسلوبها الأسيني، كما أنها تذكر بالاضطهاد العنيف الذي تعرض له أعضاء الملة من خصومهم من الفريسيين والصدوقيين.

كما أن فكرة الأبوة بين الله والناس، أي فكرة أبوة الله للبشر، فكرة يهودية خالصة<sup>2</sup>. ويوجد لبعض الأقوال الخاصة بأواخر الأيام في العهد الجديد ما يقابلها في سفر أخنوخ. وقد اقتبس بعض آباء الكنيسة في العصور المسيحية الأولى بعض أقوال هذا السفر. ومن بين هؤلاء جاستين الشهيد وأوريجانوس، ولكن قادة الكنيسة فيما بعد أنكروا هذا الكتاب ورفضوه، ومن بين هؤلاء يوحنا فم الذهب وأوغسطينوس<sup>3</sup>.

1 انظر التوراة كتابات ما بين العهدين (مخطوطات قمران، البحر الميت حققت بإشراف أندريه دويون وسومر، مارك فيلونكو ت: موسى ديب الخوري، دار الطليعة الجديدة، سوريا- دمشق - ط 1، 1998، ج 2، ص: 11، 12.

2 انظر دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية؛ طارق خليل السعدي. ص: 163.

3 قاموس الكتاب المقدس؛ تأليف مجموعة من علماء اللاهوت مادة "كتاب أخنوخ" هو سفر من الأسفار غير القانونية وهو عبارة عن مجموعة من الأسفار اليهودية. والكتاب لا علاقة له بأخنوخ ابن يارد من نسل شيث وهو من رجال الله عند اليهود، وانظر: ق. ك. م. مادة لفائق البحر الميت، ص: 116.

## المطلب الثاني: مصطلح 'ابن الإنسان' و'ابن الله' في المصادر المسيحية:

## أولاً: مصطلح ابن الإنسان في المعاجم المسيحية.

1- ورد في قاموس الكتاب المقدس في مادة ابن الإنسان أن هذه العبارة تطلق للدلالة على المسيح القائم من الأموات والممجد... وهذا الشخص الشبيه بابن الإنسان قد أُعطي سلطاناً أبدياً وملكوته لا ينقرض، ويوجد في الأربعة الأناجيل ثمانية وسبعون مثلاً يستخدم فيها يسوع المسيح هذه العبارة عن نفسه، كرأس للجنس البشري وممثله ولذا فإنّ هذه العبارة تدل على الإنسانية الحقة، وتدل في مواضع أخرى على أنه المسيا عندما ينبئ بمجيئه الثاني وبمجده ودينوته لجميع البشر... وربما استخدم المسيح هذه العبارة كثيراً... للإشارة إلى حياته المتواضعة على الأرض كالإنسان الكامل<sup>1</sup>. ثم يضيف الكاتب أنه مما يستحق الملاحظة أن هذا التعبير. ابن الإنسان لم يستخدم عن المسيح بعد القيامة سوى مرة واحدة، وأن الكتاب المقدس يستخدم ألقاب أكثر تمجيدياً كالربّ وغيرها<sup>2</sup> "الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء" [متى: 16/62] ثم يضيف، لذلك فإذا استثني [أعمال الرسل: 56 / 7] و[رسالة رومية: 1/13، و14/14]. لا ترد عبارة "ابن الإنسان" إلا في الإنجيل وعلى لسان يسوع، في المرحلة التي وجدت فيها الجماعة المسيحية الأولى، وهي إحدى العبارات المميّزة ليسوع الناصري، وقد فضّلها على سائر الألقاب: كالربّ، المسيح، ابن الله. ويعزو شارح الكتاب المقدس ذلك إلى اشتهار المسيح بالتورية والرّمزية في أسلوبه لكنه يضيف: إن يسوع استعمل كلمة ابن الإنسان حتى لا يغلو فيه أتباعه بالنظر إلى المعجزات التي أجريت على يديه<sup>3</sup>.

1 قاموس الكتاب المقدس، مادة: ابن الإنسان وانظر: دائرة المعارف الكتابية مادة ابن الانسان.

2 انظر: ن-م-س؛ مادة ابن الانسان.

3 انظر: الكتاب المقدس: النسخة اليسوعية: ج 2؛ ص 58- الهامش. ويُردُّ هذا التوجيه لكثرة تردد هذه العبارة-ابن الإنسان- على لسان المسيح، ولا يفهم قصد الكاتب بكلمة - الغلو، أو تواضع المسيح في النص السابق وهو في الآن ذاته يصفه، بأنه كان قبل الزمان وأنه كلي القدرة، وأنه مساو للآب... إلخ.

وبعكس ابن الله فقد ترددت كلمة ابن الإنسان كثيرا على لسان المسيح، ففي متى: "فدنا منه كاتب وقال لها معلم اتبعك حيث تمضي: فقال له يسوع: إن للتعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكارا، وأما ابن الإنسان فليس له ما يضع عليه رأسه" [متى: 8/19-20-21]، ولم يرد على لسان عيسى ابن مريم عبارة صريحة لشرح هذه الكلمة، وتحميلها المعاني التي حملها إياها أتباعه من بعده، والتي قد تكون استلهمت من نصوص سابقة في كتب الأنبياء، أو من مخطوطات البحر الأسود وهو ما يبيّن بجلاء الخلفية اليهودية للديانة المسيحية، وكذا استلهام بولس ومدرستهما اعتبروه إشارات للتثليث في العهد القديم.

### ثانيا: مصطلح 'ابن الله' في المعاجم المسيحية:

تعدّ كلمة ابن الله العبارة المحورية في اللاهوت المسيحي، فعليها مدار عقائدهم واختلافاتهم وسجلاتهم مع أهل الديانتين السماويتين اليهودية والإسلام. وقد جاء في القاموس: أباً (abba) وهي مثل المرادف لها في المؤنثأما-ماما (Imma) وهي كلمة آرامية الأصل، وقد اشتقت من لغة الطفل مثل بابا... وتستخدم (abba) في التعابير الآرامية. كلقب للأبوة أيضا لدى الأبناء والبنات البالغين، ولا نجد في أي مكان في الأدب التبدي لليهود القدماء. رغم ثرائه أي استخدام لهذه الكلمة كلقب لله، فاليهودي التقي أدرك عمق الفجوة بين الله والإنسان... وقد خاطب يسوع الله في صلواته بكلمة أبي وحين قام بذلك استخدم التعبير المؤلف الدافئ أباً (abba) وهو نفس التعبير المستخدم في الحياة اليومية للعائلة<sup>1</sup>. وكان الاستثناء الوحيد حين بكى عند الترك على الصليب [مزمو 1/22].

وقد تولت الكنيسة الأولى أمر استعمال كلمة (abba) في الصلاة... وهكذا، عندما أعطى يسوع تلاميذه الصلاة الربانية، أعطى لأتباعه سلطان مخاطبة الله بـ (abba) ومنحهم مشاركة في منزلته كابن [يوحنا: 1/12]. ووفقا لذلك يرى بولس أن استخدام هذه الكلمة في الصلاة دليل

1 القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 1، 2، مادة (أبا).

واضح لتبنينا كأبناء من خلال المسيح، والملكية الأخروية للروح، وتحقيقا لوعده الله "وأكون لكم أبا وانتم تكونوا لي بنين وبنات" [لوقا 7/14]<sup>1</sup>.

ف:آب لفظ يطلقه المسيحيون على الله؛ لأنه الآب السماوي، وهي اسم مستعار من لغة البنوة للتعبير عن ثقة الأبناء القصوى ومحبتهم العميقة للآب، والآب بالمد تختلف عن أب بالهمزة التي وردت في الكتاب المقدس بمعان كثيرة منها: السلف المباشر للإنسان أي والده، وعلى الجد، والأسلاف، وعلى الأب الروحي الذي ينفث من روحه في غيره، سواء كان تأثيره سيئا أم طيبا؛ لذلك فقد دعي إبراهيم (أبو المؤمنين)، كما دعي إبليس (أب الأشرار)، "أنتم من أب هو إبليس" [يوحنا: 8/44].

ويطلق على مصدر الشيء "أبو المجد، وعلى الشخص الذي تظهر فيه خصائص الأبوة أبو اليتامى وتطلق أيضا على الخالق"<sup>2</sup>.

وقد كانت كلمة ابن اللهلا تطلق عند اليهود على الأنبياء وحدهم، بل على مجموع بني إسرائيل، ففي يوحنا "أجابه اليهود: لا نرجمك للعمل الحسن، بل للتجديف، لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك الله، أجابهم يسوع: ألم يكتب في شريعتكم: قلت إنكم آلهة؟ فإذا كانت الشريعة تدعو آلهة من ألقيت إليهم كلمة الله -ولا ينسخ الكتاب- فكيف تقولون للذي قدسه الآب وأرسله للعالم: أنت تجدّف، لأنني قلت أنني ابن الله" [يوحنا: 10/21-25].

وقال اليهود: "لنا آب واحد وهو الله" [يوحنا: 8/41] ويؤيد هذا المعنى: "والآن يارب أنت أبونا نحن الطين وأنت عاملنا وكلنا عمل يديك" [أشعيا: 64/8].

والله يعتبر في الديانة المسيحية "أبا" للمؤمنين، فيقال: "أبانا الذي في السماوات" [متى: 6/9-14-26]، وقد أعلن الله في العهد القديم كأب للشعب

1-م-س، ص: 2-3. مادة (آب).

2 قاموس الكتاب المقدس، تأليف مجموعة من اللاهوتيين والأساتذة ذوي الاختصاص: مادة "أب".

المختار [خروج:4/22]، وتظهر أبوته في ترأفه "كما يرأف الأب على البنين يتراءف الربّ على خائفه" [مزمو:103/13]، ونستخلص من كلمات وحياة يسوع أنه دعا الله "أبا" ليس لأنه الخالق أو الحاكم أو بسبب عهده مع إبراهيم ولكن لأنه يحبنا، وقد وردت كلمة "أب" تسعين مرة في إنجيل "يوحنا" وخمس مرات في "مرقس"، وسبع عشرة في "لوقا"، وخمسا وأربعين في "متى".

وأبوة الله تسيّر في اتجاهين في الديانة: الأول أبوته للبشر بالخلق حيث خلق الإنسان على صورته، والثاني: أبوته للمؤمنين بالنعمة وهذه لا يمكن تحقيقها إلا بالفداء بعد خطيئة آدم<sup>1</sup>.

فجلّ النصوص التي اعتمد عليها النصارى في إثبات بنوة المسيح لله بالمعنى الحقيقي غير صحيحة، بل إن الاعتبار المجازي فيها بناء على ما سبق هو الأقرب والأقوى.

### المطلب الثالث: عقيدة التثليث في الفكر الديني المسيحي:

قد يتبادر إلى الذهن أن التثليث مصطلح إسلامي دال على إيمان النصارى، وهو ذلك المصطلح التقليدي الدال على أن الله ثلاثة أقانيم<sup>2</sup>. وهو وإن كان حادثا إلا أنه تعبير مسيحي. ذلك أن المسيحيين لم يعرفوا عبارة الثالوث قبل نهاية القرن الثاني، فأقدم استعمال لها وصلنا، إنما كان عند ثيوفيلس (Théophile) الأنطاكي مما يدل على حداثة عقيدة التثليث. وهو ما يؤكده كثير من علماء اللاهوت وينسب مؤلفو قاموس: (ك- م) أول استعمال لها إلى ترتليان في ق 2، ويؤكد متيوس (Dean.W.r.Mattheus) وهو لاهوتي أنجليكاني،

1 قاموس الكتاب المقدس، مادة "أب" بتصرف.

2 الأقانيم هي شخصيات متساوية الأب، الابن، الروح القدس: وهي متميزة الواحدة عن الأخرى لكنها متحدة في جوهر واحد، اتحادا ليس مؤقتا أو ظاهريا بل أبدي وحقيقي، انظر: قاموس الكتاب المقدس مادة (الثالوث الأقدس، تثليث).

وبـرنير (E. Brenner)، وهو كذلك من أعمق اللاهوتيين تأثيراً في البروتستانتية، أنّ عقيدة التثليث ليست جزءاً من الرسالة المسيحية الأصلية أو البدائية<sup>1</sup>.

وبالرغم من هذا فإن التثليث هو العقيدة الرسمية للديانة المسيحية وحوله تتفق الفرق الأساسية الكبرى لهذه الديانة وحتى إذا نظرنا لبعض الفرق الثانوية، فإننا نجد أنها لا تختلف أساساً حول هذا المبدأ؛ وتأثير بقايا الموحّدين في هذه الديانة لا يكاد يذكر.

### أولاً: المسيح في الأناجيل الأولى:

وقد نقلت الأناجيل الأولى أن بنوة المسيح للآب، تحمل معنى مباينته له في القدرة والطبيعة، وأنها كانت تدل على القرب والمحبة.

"السماء والأرض تزولان، وكلامي لن يزول فأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فما من أحد يعلمهما، لا ملائكة السموات ولا الابن، إلا الآب وحده" [متى: 24/35-36].

يقول Maior: "ينبغي أن يلاحظ أن عيسى لم يدّع أنه ابن الله من الناحية الحسيّة الجسمانية، ولا من الناحية الفكرية العقلية، وإنما من الناحية العامة التي تضع كل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب في التعلق به، والاعتماد عليه والحاجة إليه"<sup>2</sup>.

1 انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، عبد المجيد الشرفي، ص: 197 و204- في الهامش ويذكر د. عبد المجيد شرفي أن كثيراً من الفرق النصرانية، الموحدة وعلى رأسها "الأريوسية" كانت وفيه للتوحيد اليهودي، وهؤلاء هم الممثلون لمسيحية ما قبل المؤسسة على حد تعبير د. رضوان السيد، وأنها لما طغت عليها الفرق "المثلثة" دخل أتباعها في الإسلام عند ظهوره أما في العصر الحديث، فهم متواجدون كتيار هامشي في البروتستانتية ويقدر معجم لاروس الموسوعي « Le grand la rousseencyclopédie » عددهم ب: 250.000 موزعين بين الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبية أخرى كالنرويج، والمجر ورومانيا وخصوصاً إنجلترا.

2 دراسة في عقائد مصادر الأديان السماوية: د. طارق خليل السعدي نقلاً عن: Maior ;islamicreview. 7- 276. وانظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينسيبر، ت: د. عبد الحكيم محمود، المكتبة العصرية، بيروت، ص: 209 و205.



وفي الأناجيل نصوص واضحة تدل على بشرية المسيح ونبوته ففي متى: "هذا يسوع النبي من ناصرة الجليل"[متى:21/11] وجاء في إنجيل لوقا: "قد خرج فينا نبي عظيم"[لوقا:7/16].

ويروي يوحنا: "إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم [يوحنا:6/14-7]" إن الحياة الأبدية هي في أن يعرفوك أنت الإله الحق الأوحده وأن يعرفوا عيسى المسيح الذي أنت أرسلته [يوحنا:17/3].

ولذلك فإننا عند قراءتنا للمصادر المسيحية الأولى لا نلمس اهتماما كبيرا بعقيدة التثليث، كما هو الشأن عند الكنائس الناشئة، بل إن المسيحولوجيا قد بنيت على عقيدة الصلب والفداء كما سنرى.

ويشير أحد العلماء المسيحيين المعاصرين إلى التأثير الأوروبي في هذا التحول الجوهرى للديانة المسيحية، وقد استهدفهم الرسول بولس بدعوته، والسبب أنهم كانوا أقل نضجا وتطورا في تصورهم لفكرة الله الواحد، "إن الغربيين لم يفهموا العقائد المسيحية في العصور القديمة قط، كما أنهم لم يصلوا إلى إدراكها في العصور اللاحقة، وأن الديانة التي أنشأوها... كانت مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها عن المسيحية الشرقية، ديانة مختلفة نبعت قبل كل شيء من رصيدهم الفكرى والروحى... وان صبت في قوالب تبشيرية لا توافقها تمام الموافقة"<sup>1</sup>.

وفي مقدمة برنابا لإنجيله يوضح سبب كتابته لهذا الإنجيل بقوله: "أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيّه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد للكفر،

1 المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينسبير، ت:د. عبد الحكيم محمود، المكتبة العصرية، بيروت؛ ص: 209؛ بتصرف، وهو يشير إلى الزعامة الدينية الأوروبية على الأمم المسيحية.

داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائما. مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضا "بولس" الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونه الله<sup>1</sup>.

وقد أكد على الجذور الوثنية لمعتقد الثالوث وأن هذا لم ينقل عن المسيح ولم يعرف في جماعته الأولى، وأن ذلك حدث في حياة المسيح بسبب المعجزات الباهرة التي حدثت على يديه: "وكان جيش الرومان في ذلك الوقت في اليهودية لأن بلادنا كانت خاضعة لهم بسبب خطايا أسلافنا. وكانت عادة الرومان أن يدعوا كل من فعل شيئا جديدا فيه نفع للشعب إلها ويعبدوه. فلما كان بعض هؤلاء الجنود في نابين وبخّوا واحدا منا بعد آخر قائلين: لقد زاركم أحد ألهمتكم وأنتم لا تكثرثون له... فوسوس الشيطان بهذا الأسلوب من الكلام حتى أنه أثار شغبا بين الشعب فقال قوم منهم: "إن الذي زارنا إنما هو إلهنا"، وقال آخرون: "إن الله لا يرى، فلم يره أحد حتى ولا موسى، فليس هو الله بل بالحري ابنه وقال آخرون" إنه ليس الله ولا ابن الله، "لأنه ليس لله جسد فيلد بل هو نبّي عظيم" [إنجيل برناب: 1/47-48]<sup>2</sup>.

### ثانيا: المسيح في الفكر اللاهوتي المسيحي.

إنّ جل المسيحيين يتفقون على أن بنوة المسيح لا يقصد بها المعنى السالف الذكر، إنما يدل على الاشتراك مع الآب في خصائص الألوهية، فمصطلح ابن الله أطلق هذا اللقب

1 محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، شركة الشهاب، الجزائر، د- ت: ص 138-139 وبرنامج اسم أرامي معناه "ابن الوعظ، وهو لاوي اعتنق المسيحية في زمان الرّسل... وبرنامجا كان ضمن من استجابوا للشركة المسيحية الأولى ففي عدد [37 من أعمال الرسل]" إذ كان له حقل باعه وأتى بالدرهم ووضعها عند أرجل الرسل وكان كبير القلب كثيرا فهو الذي رحب ب: "بولس" بعدما قبل المسيح وعرف التلاميذ عليه وقد أخذ بولس في سفراته التبشيرية الأولى ونجح نجاحا عظيما، وقد اختلف مع بولس في مسائل أهمها الشريعة كما يذكر بولس في رسائله، أما الإنجيل الذي يزعم البعض أن برنامجا كتبه فهو مؤلف كتب في القرون الوسطى ونسب إليه باطلا: قاموس - ك - م - برنامجا.

2 قاموس الكتاب المقدس، ص: 78، مادة ابن الله.

على المسيا، وهو يدل على العلاقة القوية المكيّنة بين الأب السماوي والابن الأزلي، وقد استعمل هذا اللقب في العهد الجديد ما يقرب من 44 مرة عن يسوع المسيح، والمسيح بما أنّه ابن الله فهو إله بكل الكمالات غير المحدودة التي للجوهر الإلهي، والابن مساوٍ لله في الطبيعة، والمسيح فريد في هذا، والبراهين على أن المسيح ابن الله الأزلي كثيرة في العهد الجديد، فعند معمودية المسيح جاء صوت من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب [متى: 6/17]، وقد جاء الصوت بنفس هذه الكلمات عند تجلّي المسيح، وأن أخلاق الرسل وأعمال المسيح المعجزة لبراهين قوية على أنه ابن الله بواسطة القيامة من الأموات ... وبصعوده إلى السماء<sup>1</sup>. كما ينسب بعضهم هذا الاعتقاد للمسيح نفسه، بالرغم من غياب أي نص له يتحدث عن فكرة الثالوث. فيما يتعلق بفهم المسيح نفسه لمهمته (رسالته)، وهو مفهومه لعلاقته مع الله.

ومع ذلك نجد كثيرا من المفكرين يؤكدون أنه بالرغم من أنه لم ينخرط علنا في أمور لاهوتية فيما يتعلق بشخصه. "فلا شكّ أنه من الواضح أنه كان يعتبر نفسه في علاقة توحد مع الله. ويسوع قد أكدّ حقا أبوة الله له، لكنه من لم يدع الناس لهذه الفكرة، وإنما -فقط- كان يتحدث عنها بين والحين والآخر بين حواريه... وسبب هذا التحفظ أن تجربته مع الأب كانت أمرا عميقا جدا؛ وفعالا جدا حتى أنها لا تتحمّل أن تكون مجالا للحديث إلا مع الذين أثبتوا أنهم جديرون بسماعها"<sup>2</sup>.

وفي إنجيل مرقس: "ثم دخلوا كفر ناحوم وللوقت دخل المجمع في السبت وصار يعلم، فبهتوا من تعليمه؛ لأنّه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" [إنجيل مرقس: 1/22] فبينما

1 انظر: موسوعة الأديان الحية؛ ج-ج-ديفر، ج 1، ص: 117.

2 موسوعة الأديان الحية؛ ج-ج-ديفر، ج 1، ص: 118، ونلاحظ هنا أيضا انه لا توجد قرينة قوية على أن المقصود بالنبوة من الناحية الفكرية العقلية أو من الناحية العامة، وقد ناقش الامام أبو حامد الغزالي في مباحث دقيقة ومن خلال نصوص الأناجيل هذه المسألة في كتابه المهم: "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل".

تحدث الأنبياء باعتبارهم رسلا أرسلهم الله، فان يسوع تحدث مباشرة "الحق أقول لكم"، وأكثر من هذا فقد أكد الحق في تجاوز العهد القديم في تعاليمه، ورفض التراث المقبول المنقول شفاهة، بل حتى لقد تدخل في الهيكل، ولا يكاد يكون هذا مفهوماً إلا على أساس التأكيد على بنوته، وفي ضوء هذه الاعتبارات قد يمكننا إن نقبل المسألة كما هي معزوة إليه (يسوع)، "في تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال أحمذك أيها الأب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء، نعم أيها الأب لأنه هكذا صارت المسرة أمامك، والتفت إلى تلاميذه وقال كل شيء دفع إلي من أبي، وليس هناك من أحد يعرف من هو الابن إلا الآب، ولا من هو الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له..." [لوقا: 10/21-22].

لذلك فقد اتفقت جميع الفرق المسيحية على التصور الذي وضع في مجمع نيقية كعقيدة رسمية للديانة "نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق كل شيء، ما يرى وما لا يرى؛ ورب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب ومن جوهر الآب، إله من إله، نور من نور اله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء ما في السماء وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد وتأنس، وتألم وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب وسيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات.

ونؤمن بالروح القدس وكل من يقول أنه كان وقت لم يكن فيه ابن الله، أو أنه قبل إن يولد لم يكن، أو أنه خلق من العدم، أو أنه من جوهر يختلف عن جوهر الآب وطبيعته، أو أنه مخلوق أو أنه عرضة للتغير والتبدل فالكنيسة الرسولية الجامعة تبسل كل من يقول هذه الأقوال" [10/21-22]<sup>1</sup>.

1 مجموعة الشرع الكنيسي، جمع وترجمة الأرشمندريت إلياس كساب، منشورات النور، 1998، ص: 43، 44، وقاموس الكتاب المقدس -مادة- تثليث، وقد جاء في ما نشرته جريدة المنار عن أعمال هذا المجمع أن هذا الدستور وقعه أوسيواس الاسباني رئيس المجمع وسائر الكهنة والأساقفة حسب درجاتهم ماعدا ثلاث أساقفة صدر الأمر بنفيهم ثم تابوا،

وقد ذكر اثناسيوس أن الأرثوذكسيون قد اقترحوا عبارات كانوا يرون أن لهم فيها مخرجا من قيود معناها، لكن محاولاتهم تلك باءت بالفشل إذ القصد حسبهم كان الوصول إلى وحدة حقيقية في الإيمان، لذلك وجب أن تكون العبارات واضحة ودقيقة ولا يمكن أن تفسر بما يضيّع معناها.

وقد تبلور الإيمان الأثناسيوسي على يد أوغسطينوس في القرن الخامس.

والمسيح يجمع كل مقومات الألوهية، ففي إنجيل يوحنا: "لكن يسوع أعظم من إبراهيم ووجوده يسبق وجود أي إنسان، كما أن الله أعطاه سلطانا أن يمنح الحياة الأبدية ويستمر يسوع في القول: أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح" [يوحنا: 8/56]، ثم تأتي الجملة الحيوية: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" [يوحنا: 8، 58]. إن كلمة الله كانت وستظل إلى الأبد، لذا فالمسيح أبدي أزلي أما إبراهيم فعاش ومات<sup>1</sup>.

"في البدء كان الكلمة والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله، كان في البدء لدى الله، به كان كل شيء وبدونه ما كان شيء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة نور للناس" [يوحنا: 1/1-7].

فليس المقصود "بالبدء" أوائل زمن العالم، "بل البدء المطلق، فالكلمة حسب كائن على نحو سام أزلي وهذا ما يشير إليه أيضا استعمال فعل كان بمعناه التام من غير خبر"<sup>2</sup>.

ويقول بولس: "هو صورة الله الذي لا يرى وبكر كل خليفة ففيه خلق كل شيء مما في السموات ومما في الأرض، ما يرى وما لا يرى أصحاب عرش كانوا، أم سيادة أم رئاسة أم سلطان كل شيء خلق به وله. هو قبل كل شيء وبه قوام كل شيء... فقد حسن لدى الله أن

أما أريوس فقد حكم عليه وعلى بدعته بالإبسال ونفاه الملك مع كل أتباعه وأمر بحرق كل مؤلفاته ومؤلفات مشايخه، انظر ن-م-س-ص: 60 والإبسال هو: الحرمان من الانتماء إلى الكنيسة، ومن الحقوق المدنية أحيانا.

1 القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 3، -مادة- خير - صلاح.

2 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية ج2؛ ص: 289- الهامش و318.

يحلّ به الكمال كله وأن يصلح به ومن أجله كل موجود مما في الأرض ومما في السموات وقد حقق السلام بدم صليبه" [إلى أهل قولسي: 1/11-19].

وفي رسالته إلى العبرانيين يقارن بولس بين موسى والمسيح بقوله: "فإنّ المجد الذي كان أهلا له-أي المسيح-يفوق مجد موسى بمقدار ما لباني البيت من فضل على البيت" [2/6] إحياء واضح بالوهية المسيح.

### المطلب الرابع: عقيدة التثليث عند الفرق المسيحية.

تباينت آراء المسيحيين واختلفت مذاهبهم حول طبيعة المسيح، فمن القائل بالطبيعة الواحدة، ومنهم من قال بطبيعتين إلهية وإنسانية، ومن القائل بالمشيئة المتحدة، والقائل بمشيئتين، لكنهم يتفقون حول التثليث.

فقد ذهب النساطرة<sup>1</sup> إلى أنّ المخلوق لا يلد الخالق، وعلى هذا فمريم والدة المسيح الإنسان لا الإله، وأن عيسى مخلوق اتحد بعد الولادة بالأقنوم الثاني مجازيا، فمنحه الله المحبة والنعمة وذهب إلى قريب من هذا الرأي أتباع مقدونيوس وهي من الفرق القديمة.

أمّا الكنيسة الأرثوذكسية، فتقول بطبيعتين للمسيح إله تام وإنسان تام، ولكنه شخص واحد؛ لأنّ ابن الله ضم الطبيعة الإنسانية إلى اللاهوتية فاتحدا في الإله المتجسد بدون تحول واختلاط؛ ولكن أيضا بدون انقسام أو انفصال، وقد كان هذا التدبير الإلهي ضروريا للخلاص، وهذا القول بالطبيعتين حدده المجمع المسكوني الرابع المنعقد في سنة 451 في خلقيدونية (آسيا الصغرى)، والذي لم تأخذ به الكنائس الشرقية القديمة (السريان، الأقباط، الأحباش، الأرمن)<sup>2</sup>.

1 أتباع نسطور، وكان بطريك القسطنطينية سنة 431 وقد نتج عن آرائه؛ حرمانه ونفيه في مجمع "أفيسس" بمدينة الأناضول و"مقدونيوس" كان أيضا بطريكا على "القسطنطينية" في عهد ابن قسطنطين الثاني.

2 انظر دراسة في عقائد مصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية؛ د: طارق خليل السعدي، ص: 171 وما بعدها، وانظر محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص: 227 وما بعدها، وانظر: الفكر السامي في الردّ على النصارى إلى

وقد جاء في مؤلف للقس ثيودوروس البيان التالي عن طبيعتي المسيح ويعد من أدق الإيضاحات اللاهوتية في هذا الموضوع: "يعترف الأرثوذكسيون باتحاد الطبيعتين اتحاداً جوهرياً مع احترام الأقسام وصيانه من الانقسام والانفصال والاختلاط، وقد اتحدت الطبيعتان معاً بدون أن تتعرض إحداهما إلى تجديد أو تعديل أو تغيير، مهما كان نوعه بسبب هذا الاتحاد، وقد حفظت كل من الطبيعتين كيانهما الطبيعي تماماً بدون نقص، وهكذا ففي المسيح أقنوم واحد مؤلف من طبيعتين متميزتين: اللاهوت والناسوت، ويعني الآباء بقولهم أن الاتحاد طبيعي أو بحسب الطبع، أنه اتحاد حقيقي لا وهمي"<sup>1</sup>.

وفيما ذهب أصحاب المذهب الكاثوليكي وهو أكبر الفرق المسيحية، بعد مرحلة طويلة من الاختلاف والتكفير المتبادل مع بقية المذاهب إلى القول بطبيعتين ومشيتين للمسيح، فالمسيح أقنوم إلهي بحت، ولكن له ذاتان وكيانان هما الإله والإنسان. ومشيتان للمسيح إرادة إنسانية تتميز عن الإرادة الإلهية.

فالإرادة الإلهية للمسيح هي إرادة الأب عينها "أنا والأب واحد"، أما الإرادة الإنسانية فيه فقائمة بذاتها ولكن المسيح بحريته أخضعها طيلة حياته وحتى الموت باعتقادهم، لإرادة الأب. "لا أطلب مشييتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني" [يوحنا: 5/30]، وقد ظهرت مشيئة المسيح المستقلة عن مشيئة الأب بصورة واضحة في لحظة القبض عليه، "يا أبتاه إن شئت أن تعبر عني هذا الكأس،" ففيها توجس من الآلام المتوقعة منه قبل الصلب، ولكنه أردف قائلاً: "ولكن

---

نهاية القرن الرابع العاشر، د. عبد المجيد الشرفي؛ الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986م، ص: 198 وما بعدها، في شرح هذه العقيدة والنقد والردود التي تأسست لدحضها على يدي كبار مفكري الإسلام من معتزلة وأشاعرة وغيرهم. واعتقادات فرق المسلمين والمشركون، لفخر الدين الرازي، ص: 131 وما بعدها. 1 مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس كساب، ص: 369، وانظر: رسالة كيرلس أسقف الإسكندرية إلى يوحنا أسقف أنطاكية التي تسمى الدستور الأفسسي، ص: 363، وما بعدها.

لتكن مشيئتك وليس مشيئتي " [متى: 26/39] وهو ما اعتمده المجمع المسكوني في القسطنطينية سنة 680 م.

والبروتستانت أو الإصلاحيون لا يختلفون عن الكاثوليك والأرثوذكس في عقيدة التثليث، ولا في الصلب والفداء. فالحركة الإصلاحية كانت إصلاحاً للكنيسة لا للمسيحية، وثوراتهم لم تكن سوى على ما ابتدعتها الكنيسة في عهد متأخر، كعصمة البابا في الكاثوليكية، وصكوك الغفران، وعقيدة الاستحالة، والأسرار المقدسة، واستئثار الكنيسة بتفسير الكتاب المقدس<sup>1</sup>.

ويشرح توما لاكويني هذه العقيدة: "إن الأقانيم الثلاثة هي أقانيم ذات واحدة وإن لم يرد في الكتاب المقدس بهذه الألفاظ لكنه ورد بهذا المعنى"، فقد قيل في يوحنا [10:30] "أنا والآب واحد"، وفيه [يوحنا 1:28] "إن الآب في وأنا في الآب".

"وابن الآب مساو للآب في العظمة" ففي الآب والابن ذاتاً واحدة بعينها وشرفاً واحداً بعينه إلا أنهما في الآب بحسب إضافة المعطي وفي الابن بحسب إضافة الآخذ... وأن خروج الابن من الآب إنما هو بحسب طريقة الصدور الداخلي كما تخرج الكلمة من القلب وتبقى فيه. فإذاً هذا الخروج في الله إنما هو بحسب الإضافات فقط لا بحسب بون ماذاتي، فالابن مساو للآب في العظمة أي في كمال الطبيعة فإذا لم أن الابن مساو للآب في القدرة وكذا يقال في الروح القدس بالنسبة إليهما، كما أن الآب يشارك الابن في علمه كما يشاركه في ذاته<sup>2</sup>.

ويضفي القديس أغسطينوس على فكرة الثالوث بعداً صوفياً فلسفياً في تعلقه بالخلق، فقد نقل عنه توما لاكويني قوله: "إن أثر الثالوث واضح في المخلوقات... فصدور أقنومين

1 انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، د: أحمد علي عجيبة؛ دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2004 م، ص: 68، ومحاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص: 226، ومقارنة الأديان المسيحية؛ د: أحمد شبلي، ص: 261.

2 الخلاصة اللاهوتية: القديس توما الأكويني؛ ترجمه من اللاتينية إلى العربية؛ الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية؛ بيروت، لبنان، 1887، ج 1، ص: 387.



لإلهين يعتبران بحسب فعل العقل وفعل الإرادة... لأن الابن يصدر ككلمة العقل والروح القدس يصدر كمحبّة الإرادة. فإذا المخلوقات الناطقة الحاصلة على العقل والإرادة تمثل الثالوث بطريق الصورة من حيث يوجد فيها الكلمة المتصوّرة والمحبة الصادرة، وأما المخلوقات بأسرها فتمثل الثالوث بطريق الأثر... لأن كل خليفة هي قائمة بنفسها في وجودها ولها صورة تخصيصها بنوع ونسبة إلى شيء آخر فبحسب كونها جوهرًا مخلوقًا تمثل العلة والمبدأ وهكذا تدل على أقنوم الآب الذي هو مبدأ لا من مبدأ. وبحسب أن لها صورة ونوعًا تمثل الكلمة... وبحسب أن لها نسبة تمثل الروح القدس من حيث هو محبة، لأن نسبة المعلول إلى شيء آخر إنما تحصل عن إرادة الخالق"<sup>1</sup>. وبهذه الطريقة يمكن تقريب فكرة ثالوث الأقانيم الإلهية.

### المطلب الخامس: استغلاق عقيدة التثليث عن الفهم وظهور فكرة التسليم.

هذه هي عقيدة المسيحيين على اختلافهم، ففي اللاهوت ثلاثة يُعبدون، وعباراتهم تفيد بمقتضاها أنهم متغاïرون، وإن اتحدوا في الجوهر والقدم والصفات، والتشابه بينهم كامل، وهي جميعًا أقانيم لشيء واحد، ولم ينكر النصارى على امتداد تاريخ هذه الديانة مصادمة هذه العقيدة للعقل واستعصائها على الفكر، لذلك جاءت جلّ مؤلّفاتهم مطبوعة بصفة التبرير وأساليب الدفاعات الأدبية واستدعاء مكامن العاطفة المجردة؛ بل إن في بعض النصوص إدانة واضحة لمجرد محاولة استكناه معنى هذا الثالوث بالعقل. "وقد اعترف المطران أثاناسيوس وهو المطران الذي صاغ معتقد الثالوث بأنه كلما كتب أكثر حول هذه المسألة أصبح أقل قدرة على التعبير بوضوح عن أفكاره بخصوصها"<sup>2</sup>.

وقد أجاب القديس أوغسطين كونسيانسيوس (consentius) وهو رجل كان يسعى لتعلم اللاهوت، "عندما تفكر في الثالوث أطرّد عنك كل صورة مجسدة يمكن أن تأتي إلى ذهنك،

1 المصدر السابق، ج: 1، ص: 554، 555.

2 نظرة عن قرب في المسيحية، بربارا براون، ت: مناف حسين الياسري، دار التوحيد للنشر. د. ت، ص: 38.

ردها أنكرها، أرفضها، أهرب منها لأن المبادرة بمعرفة الله لن تكون صحيحة، لو أننا قبل معرفة كنهه بدأنا بمعرفة ما ليس هو، العقل ليس هو المبتغى بما يخص معرفة الله، وإنما حجة القديسين هي التي ينبغي إتباعها. إن اعتماد التفكير العقلي يقع له تزييف بسبب تدخل الخيال الذي يقود إلى تمثل الثالوث غير المرئي غير المتجسد، غير المتعين في شكل ثلاث كتل حية موضوعة جنباً إلى جنب، أو في شكل مثلث<sup>1</sup>، ويقول الأب القسيس بوטר بعد بيان عقيدة التثليث: "قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاءً في المستقبل، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات وما في الأرض، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية"، أي إن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها إلا يوم تتجلى كل الأشياء لها يوم القيامة<sup>2</sup>.

وسبب هذا التعقيد - كما يقول ولز - وقوع المسيحية تحت تأثير العقائد المختلفة، "حتى إذا وقعت الكنيسة في معمعان هذا التطاحن الذي لا مفر منه بين هذه المتفرقات المتناقضة، اضطرت أن تصبح اعتقادية (دوغماتية) تأخذ بالمذهب الاعتقادي الحتمي... وأصبح قساوستها وأساقفتها على التدريج رجالاً مكيفين وفق مذاهب واعتقادات حتمية، وإجراءات مقررة وثابتة"<sup>3</sup>.

1 أنظر: أعمال الملتقى الدولي الأولي: أوغسطين افريقية وعالمية: محبة في الذكاء، أوغسطين، الرسالة 120 لكونساسوس: الايمان، العقل، الذكاء؛ د: غولفان ماداك: (Goulven-Maadec)، مدرسة الدراسات الأوغسطينية، باريس، فرنسا- عنابة: 2001؛ منشورات المجلس الإسلامي الأعلى - الجزائر، ص: 16 - 18 - 19.

2 دراسة في عقائد مصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية، ص: 177 - 178، نقلا عن رسالة الأصول والفروع، الأب القسيس بوטר، ص: 43 - 45.

3 انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، أحمد علي عجيبة، ص: 11 نقلا عن معالم تأريخ الإنسانية، ولز، ت: عبد العزيز توفيق جاويد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 3، 1972، ج 3، ص: 902، وانظر أيضا الأناجيل: النصوص الكاملة، د: سهيل زكار، ص: 25، وما بعدها. وقد اختلفت آراء المؤرخين حول تحديد تاريخ بداية العصور الوسطى، لكن أغلبهم يرون أن سنة 476 م وهي آخر عهد للإمبراطورية الرومانية القديمة في العرب هي الأصح، أما نهايتها فقد حددها البعض بنهاية الحرب بين انجلترا وفرنسا وانتقال القسطنطينية إلى يد الأتراك العثمانيين 1453م، بينما رأى البعض الآخر أنها تنتهي مع بداية ظهور حركات الإصلاح في القرن الرابع عشر.

وهو ما أدى وفق كثير من كبار المؤرخين إلى ظهور محاكم التفتيش في العصور الوسطى والخصام النكد الذي وقع بين الكنيسة والعلم وانسحب حكمه على جميع الأديان<sup>1</sup>.

### المبحث الرابع: الأصل المؤسس الثاني: 'عقيدة الصلب والفداء'.

#### تمهيد:

بسبب تعاضم البلاء وشدة الياس أصبح جزء من الشعب اليهودي يائسا من ظهور مسيح دنيوي مسحه (يهوه)، أو ملكًا من ذرية داوود، بل إنهم أصبحوا "يميلون إلى إظهار المسيح بمظهر كائن من الملائكة الأعلى أقرب إلى الله منه إلى البشر، ويطلق عليه اسم ابن الإنسان، ولكنه يظل في جوهره وجها سماويا ليس له صلة حقيقية بالناس وغير قابل للألم"<sup>2</sup>. وأنه يأتي فيخلصهم من الخطيئة التي هي ملابسة لكل الجنس البشري بسبب بنوتها لآدم. ولأن النصارى قد ورثوا هذه العقيدة من ضمن ما ورثوه من العهد القديم<sup>3</sup>. فقد كان صلب المسيح فداء للبشرية هو تحرير للإنسانية من هذا العبء.

وفقد انبثق عن عقيدة الفداء عند النصارى الايمان بعالمية المسيحية لان الفداء في تفسيرهم اللاهوتي لم يكن فداء لبني إسرائيل قوم المسيح دون غيرهم، بل يشمل العالم أجمع،

1 انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ت: محمد بدران- لجنة التأليف الترجمة والنشر، ط 3، 1973م، ج 1، ص: 105، والأناجيل: النصوص الكاملة؛ د: سهيل زكار، ص: 81-86.

2 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ج 2، ص: 19.

3 وقد ساد هذا الاعتقاد عند بني إسرائيل حتى جاء عصر الأنبياء فأكدوا على المسؤولية الفردية، وحاولوا دحض فكرة الخطيئة الأصلية "في تلك الأيام لا يقولون بعد، الآباء أكلوا حصرما وأسنان الأنبياء ضرست بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه" [سفر ارميا: 29/31-32].

وإلا عُدَّ هذا تحيِّزا وظلما... وهو محال<sup>1</sup>، "فصفة العدل من صفات الإله الثابتة في الديانة المسيحية".

ولولا أن قضية صلب المسيح اكتست هذا البعد العقائدي وانبثقت عنها جل المسائل في هذه الديانة وترتبت عنها أحكام، كإسقاط الشريعة الموسوية والشفاعة، والديونية... إلخ والأهم أنه كشف سرّ التثليث. لاعتبرت مما اعتاده الناس وشاع عن بني إسرائيل من قتلهم الأنبياء.

### المطلب الأول: تعريف الصلب والفداء:

إننا لا نكاد ننظر في نص مسيحي إلا ونجد كلمات محورية هي: الخطيئة، والصلب، والفداء والخلاص فهي بمثابة المفاتيح لكل مسائل الديانة، بما في ذلك العقيدة الأولى عندهم، وهي التثليث، لذلك فقبل الشروع في بيان هذه العقيدة، لابد من شرح مصطلحاتها.

### أولا: المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة: الصليب:

يشترك المعنى اللغوي مع التعريف الاصطلاحي للصلب صلب - يُصلبُ - صلبا - صليب: صلب الضحية تعليقها على صليب تنفيذاً لحكم الإعدام فيها، وكان يتم ذلك بربط اليدين والرجلين به، أو بصورة أضع بتسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية وكانت طريقة القصاص هذه معروفة لدى أمم كثيرة، فقد حكم الإسكندر الكبير على ألف "صوري" بالصلب وصلب الإمبراطور انطيوخنسأبيفانس يهوداً أتقياء رفضوا إن يُذعنوا لأمره بترك دينهم. وأما عند الرومان فكان الصلب قصاصا للعبيد أو لمن يرتكب أقبح الجرائم.

وقد عفى القانون المواطن الروماني العادي من هذا القصاص:.. وكثيرا ما يسبق الصلب التعذيب بالجلد، ثم كان على الضحية حمل الصليب إلى حيث يصلب... ولما كانت اليدين والرجلان مسمرتين بالمسامير فكثيرا ما كان المصلوب لا يقضي إلا بفعل الجوع والعطش...

1 انظر: الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د: أميمة أحمد الجلاصمة، ص:150.

ولفظة الصليب غير واردة في العهد القديم، وقد كان الصليب الذي صُلب عليه المسيح من الشكل المعروف بالصليب اللاتيني، وهو بشكل السيف<sup>1</sup>. وكان خشبا وثقيلا؛ والى موت المسيح وحتى بعده كان الصليب علامة الذل والعار وحمله كان يعني حمل الإهانة، ولكن بعد آلام يسوع، صار أتباعه ينظرون إلى الصليب نظرة مختلفة بالكلية؛ فقد افتخر بولس بصليب المسيح الذي تم فيه الفداء<sup>2</sup>.

## ثانيا: المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الفداء.

### (1) الفداء لغة:

فدى، يفدي، فداء، يدفع فدية، يفندي.

فداء: إطلاق سراح، تحرير، سواء قصد بها المعنى الحرفي كتحرير العبيد مقابل عوض مادي، أو التحرر من الخطيئة فكلمة فداء تحمل معنى الاستنقاذ بمال أو غيره...<sup>3</sup>.

### (2) الفداء اصطلاحا:

وتستعمل كلمة فداء في العهد القديم وفي الأدب الراباني بشكل أساسي للدلالة على الخلاص بالخروج من أرض مصر فبافتداء إسرائيل أصبحت هذه الأخيرة خادمة (يهوه)، ثم إنَّ (يهوه) أعطى إسرائيل الأرض واستخدم قدرته ومحبته باعتباره رباً للتاريخ في خدمة إسرائيل. أما في أشعياء فالفداء بالمقام الأول: هو تحرير إسرائيل من سبي بابل. كما استخدمت في القرايين الكفاربية عن الخطيئة أو السهو.

1 للصلبان نماذج ثلاثة: أحدهما المدعو صليب القديس أندراوس وهو على شكل (x) وثنانيهما بشكل (+) وثنائهما بشكل السيف.

2 قاموس الكتاب المقدس، ص: 373، 374، بتصرف. وانظر: ايضا الكتاب المقدس النسخة اليسوعية، ج 2، ص: 174 والأناجيل: النصوص الكاملة، د: سهيل زكار ص: 55-56-57.

3 القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 406، مادة: فداء. وانظر الخطيئة الأصلية بين اليهودية والمسيحية والاسلام، ص: 135.

لكن مع العهد الجديد اكتسبت هذه الكلمة بعداً إنسانياً يقول بولس: "يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع" إن الكلمة "لأجل الجميع" تشير إما لتأثير موت يسوع المتاح للجميع أو بأنه فدية لكل أصناف البشر... لتتضمن ليس فقط الأمميين الذين تجاوزوا مع الإنجيل، بل أيضاً الذين كانوا معادين له<sup>1</sup>. وقد استعمل الرسول بولس كلمة "فداء" باستعارة المعنى القرباني لها في العهد القديم... "المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم"... وفي نص آخر "عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفتنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس"<sup>2</sup>.

وقد عرف هنري أبو خاطر الفداء مبيناً أهميته بالنسبة للديانة المسيحية بقوله: "الفداء خلاصاً للبشرية، وهو من صلب العقيدة المسيحية، والعقيدة تنهار والفداء يفقد معناه إن لم يتجسد الله ويخلص البشرية من شوائب الخطيئة الأصلية"<sup>3</sup>.

وفي القاموس الموسوعي للعهد الجديد.

يقابل الكاتب بين الفعل الأحادي الكامل للمسيح، وتقديمات الذبائح المتكررة الوقئية وغير الكاملة في العهد القديم، معتبراً أنها مجرد ظل للذبيحة الكاملة المستقبلية للمسيح ويوضح أن هدف نظام الذبائح وطبيعته ليست في التطهير مرة وإلى الأبد، لكن في الإشارة إلى الذبيحة النهائية والتطهير الكامل في المسيح الكاهن العظيم والذبيحة في نفس الوقت، فقد كان الكاهن الأكبر يقوم بهذا بشكل منتظم مرة سنوياً، إذ بعد تقديم الذبيحة يدخل إلى قدس الأقداس بدمها نيابة عن شعب الله؛ لكن المسيح دخل مباشرة إلى حضرة الله بدم نفسه من

1 ن-م-س؛ ص: 407، مادة: فداء.

2 القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 408، مادة: فداء.

3 القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 67، بتصرف.

خلال تمجيده السماوي ليمثل شعبه أمام الله، ويجلب لهم خلاصاً أبدياً [لوقا: 9/14 و 10/19-25]<sup>1</sup>. وهذه المقابلة معهودة في النصوص المسيحية وبشكل أخص عند بولس.

### المطلب الثاني: عقيدة الصلب والفداء في الديانة المسيحية:

لقد سبق في المبحث الأول من هذا الفصل أن حدثت صلب المسيح قد كانت السبب في تأسيس البنية اللاهوتية للمسيحية، وقد اعتمدت فكرة المسيح المخلص كأساس للمسيحولوجيا ومحورها لها، ولا شك إن الخطيئة الأصلية هي المقدمة الكبرى لهذا العقيدة. وقد انطلقوا من أنه لا يمكن لكائن أن يلد آخر مغاير له... وبما أن آدم الذي ولد منه البشر جميعاً كان قد فقد بعصيانه حياة الاستقامة التي خلقه الله عليها وأصبح خاطئاً قبل أن ينجب نسلاً، لذا كان أمراً بديهياً أن يولد أبناؤه جميعاً خطاة بطبيعتهم نظيره، لأننا مهما جلنا بأبصارنا في الكون لا نجد لسنة الله تبديلاً أو تحويلاً"<sup>2</sup>.

يذكر بولس الرسول بأن الخطيئة دخلت إلى العالم "بآدم"، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، وفي رسالة إلى أهل كورنثوس، يدعو الرسول المسيح آدم الأخير قائلاً: "صار آدم الأول نفساً حية، وآدم الأخير روحاً محياً" [كورنثوس: 1/51-45]<sup>3</sup>. فقد أدخل إثم وعدم إيمان شخص واحد آدم عدم إيمان والخطية إلى العالم، والنتيجة هي سقوط جميع البشر تحت دينونه الله. لكن الآن، العمل البار للإنسان الواحد المسيح، وثقته المطلقة في الذي يبرر الشرير، أبطل اللعنة والخطية... النتيجة في ظهور المسيح هي

1 الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص: 135 نقلاً عن نظرات في الحتمية والجبرية والحرية؛ ص: 135.

2 الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام؛ د: أميمة أحمد الجلاهية؛ ص: 141، نقلاً عن: فلسفة الغفران في المسيحية، عوض سمعان، القسم الأول، ص: 116، 117.

3 انظر: قاموس الكتاب المقدس: تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، ص: 5.

تبرئة كل اللذين هم أعضاء في البشرية الجديدة. لذلك فإن الفداء لم يأت كحدث عارض بل كضرورة إلهية واكتسبت آلام المسيح مغزاها الخلاصي من حقيقة أنها نيابية في طبيعتها<sup>1</sup>. وقد اختار كاتب القاموس الموسوعي للعهد الجديد عبارة مجازية في وصف أثر الخطيئة وضرورة الفداء بتشبيهه إياها بحائط الانفصال الغير مرئي (قياسا على فناء الأمميين في الهيكل)، وان صليب المسيح قد أزاح هذا الحائط بين الله وبين البشرية بإزالة لطخة خطيئتنا، لقد حول بدمه حق الانتقام إلى حق الغفران<sup>2</sup>. ففي متى: "وبينما هم يأكلون، أخذ يسوع خبزا وبارك ثم كسره وناوله تلاميذه"، وقال: "خذوا فكلوا، هذا هو جسدي ثم أخذ كأسا وشكر وناولهم إياها قائلا: اشربوا منها كلكم فهذا هو دمي دم العهد يُراق من أجل جماعة الناس لغفران الخطايا"<sup>3</sup> [متى: 26/22 - 24].

"أن يسوع ببذل دمه على الصليب، يحقق العهد الذي قطع قديما ويخبر ضمينا بتحقيق العهد الجديد الذي تنبأ به الأنبياء، ويعلن ما للذبيحة من قيمة شاملة من أجل جماعة الناس"<sup>3</sup>. ومثلما هو الشأن بالنسبة لعقيدة التثليث؛ فانه بالرغم من أهمية عقيدة الصلب والفداء في الديانة المسيحية فقد جاء في شريعة الايمان المسيحي: "... الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد وتأنس، وتألّم ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب وسيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات". فإننا نلاحظ أن هذه العقيدة لم تنل حظا كبيرا من التفصيل في الأناجيل الأولى إذا ما استثنينا رسائل الرسول بولس، ويفسر صاحب كتاب (المسيحية نشأتها وتطورها) هذا الإشكال بأن هذا الاعتقاد لم يكن

1 القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 524.

2 انظر: المرجع السابق، ص: 430. وانظر أيضا: l'avenir des droits humains ;approche theologale du moyen age chretien et droitsdivin.felicienRousseau.p 362-363.

3 الكتاب المقدس - النسخة اليسوعية-، ج 2، ص: 110، الهامش.



سائدا بين أعضاء المسيحية الأولى، مثلما هو الشأن بالنسبة للتثليث "إن موت عيسى في نظر الاثني عشر ليس بالتضحية التكفيرية"<sup>1</sup>.

"وهذا بخلاف القول بأن المسيح قد فسر موته بأنه وسيلة لإجازة حاجز الخطيئة بين الله والبشر، ومن ثم فقد، اعتقد إن موته سيحمل معنى الانتصار على قوى الشر. وهذا سيؤسس الظروف الأخلاقية لإتمام حكم الله (العدالة). أما هو نفسه (المسيح) فسيعود في الوقت المناسب لإكمال المهمة بشكل نهائي"<sup>2</sup>.

**المطلب الثالث: الاختلاف في عقيدة الصلب والفداء وأثرها في الفكر المسيحي.**

**أولا: اختلاف علماء المسيحية في تفسير حادثة الصلب.**

لقد كان لاختلاف علماء المسيحية في تفسير حادثة الصلب وما اكتنفها من أحداث، والقيامة وصعود المسيح إلى السماء أثر بالغ في الفكر المسيحي، إذ ينقل لنا موريس بيكاي نصا عن أحد كبار شراح الأناجيل الأب روجية في تبريره اضطراب الرواية المسيحية في نقل أحداث هذه المرحلة -على أهميتها- وفي تفسيرها أيضا: "هنا كما في كثير من الأحوال المماثلة لا تبدو المسألة مستعصية على الحل، إلا إذا تناولنا حرفيا وماديا تأكيدات الكتابات المقدسة ناسين معانيها الدينية، فليس المقصود من الأمر إذابة حقيقة الوقائع في رمزية مائعة، ولكن الحصول على القصد اللاهوتي لأولئك الذين يكشفون لنا الأسرار وهم يبلِّغوننا الأحداث الحساسة للأمارات المناسبة"<sup>3</sup>.

ولا يقتصر هذا التخبط في تفسير هذه الحادثة عند المعاصرين فالبرغم من مكانته كأحد أساطين المسيحية يقول القديس أغسطينوس في رسالته التاسعة عشرة لأرنيموس: "إنني قد

1 انظر: الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د: أميمة أحمد الجلاهمة؛ ص: 136-137 نقلا عن المسيحية نشأتها وتطورها: شارل جنير، ص: 91.

2 موسوعة الأديان، ج- ج- ديفر، ج 1، ص: 117، 119.

3 التوراة والإنجيل والقران والعلم موريس بيكاي، ص: 128.

تعلمت أن أسدي الورع والاحترام لتلك الكتب التي تسمى قانونية حتى أني أو من مصدقا أن الذين كتبوها لم يَعشوا في شيء مما كتبوه، وأما إن كنتُ ألاحظ أنّ في تلك الكتب شيئا مناقضا؛ فإنني لن أرى شيئا آخر في ذلك سوى أنه قد يكون وقع سهواً من النّاسخ، أو أنّ المترجم لم يفهم ما قد قيل، أو أنني لم أفهم ذلك<sup>1</sup>. فإنه لا يمكن أن نجد نظرية واحدة لتفسير الخلاص-الفداء- مقبولة بشكل كاف ولا مفهومة بشكل كاف، أو تضم بين جنباتها الحقيقة كاملة فتجربة التكفير وآلام المسيح وموته كانت معقدة جدا، حتى إن أيا من النظريات التي طُرحت لجعلها مقبولة لم تكن وحدها كافية رغم احتوائها على نظرات ذوات قيمة، فأخيرا تم اعتبار كل هذه النظريات ضرورية للفهم المسيحي للخلاص<sup>2</sup>.

لذلك قال بولس: "فإنّ المسيح لم يرسلني لأعمّد بل لأبشر، غير معوّل على حكمة الكلام، لئلا يبطل صليب المسيح. فان لغة الصليب حماقة عند الذين في سبيل الهلاك، وأما عند الذين في سبيل الخلاص أي عندنا، فهي قدرة الله. فقد ورد في الكتاب: سأبذل حكمة الحكماء وأزبل فهم الفهماء. فأين الحكماء؟ وأين عالم الشريعة؟ وأين المباحك في هذه الدنيا؟... فلمّا كان العالم بحكمته لم يعرف الله في حكمة الله، حَسُن لدى الله أن يخلّص المؤمنين بحماقة التبشير" [رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس: 1/15 - 22]. إذ يبدو التبشير بالصليب لأول وهلة عكس ما ينتظره الناس حجر عثرة بدل أن يكون علامة قدرة الله، وحماقة بدل أن يكون حكمه لكن إذا تغلّب الإنسان على هذا الغموض، وقبّل ذلك بإيمان بداله الصليب أسمى تحقيق لهذا الانتصار. إن حكمة العقل البشري المعجبة بنفسها، والتي تريد أن تكون القاعدة المطلقة فتطلب الضمانات البشرية أو عقيدة ترضي العقل، مستنكرة في نظر

1 ميراث الخطيئة؛ محمد أحمد الطاهر، ص: 50 - 51، نقلا عن كتاب: علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، للعلامة القمص ميخائيل مينا- مدير كلية اللاهوت بحلوان.

2 انظر: موسوعة الأديان الحية، المسيحية، نيكولوسزرنوف، ج 1، ص: 166.

بولس؛ لأنّ هذه الحكمة تقابلها الحكمة العامة في التدبير الإلهي. وقد تجسّدت في يسوع المسيح<sup>1</sup>.

"فلا يخدعن أحد نفسه، فإن عدّ أحد منكم حكيماً من حكماء هذه الدنيا، فليصر أحمق ليصير حكيماً، لأنّ حكمة هذا العالم حماقة عند الله"، فقد ورد في الكتاب "إنه يأخذ الحكماء بمكرهم" [رسالة بولس إلى أهل كورنتس: 9/3].

"وعقيدة الخلاص هي أيضاً مثار خلاف بين الكنائس الشرقية (الأورثوذكسية) والكنائس الغربية، ففي الغرب يسود تفسيرها بأنها تحرير الفرد من ربة عبودية الخطيئة؛ إذ يُنظر لموت المسيح على الصليب كذروة لهذا الخلاص (العفو أو الصفح). أما في الشرق فالخلاص يعتبر منحة خلود وقداسة وهبها الروح القدس المسيح على قوى الظلام بقيامته الباهرة (قيامته من بين الأموات)، ومهما يكن من أمر الخلاف بين الكنيستين، فإن المشترك بينهما، هو اشتراك الإنسانية -عندها- في هذا الحدث، وتقديم السيد المسيح كقربان افتداءً للخطاة"<sup>2</sup>.

### ثانياً: الاختلاف حول آلام المسيح وانفصال إرادته عن إرادة الله أو اتحادها:

وقد طرحت إشكالية تعارض آلام المسيح مع فكرة لاهوته، بل إن الأناجيل تذكر موقفاً لبطرس يظهر صعوبة التوفيق بين فكرة آلام وعذابات المسيح وموته، بين فكرة ألوهيته "وبدأ يعلمهم أن ابن الإنسان يجب عليه أن يعاني آلاماً شديدة وأن يرذله الشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة وأن يقتل... فانفرد به بطرس وجعل يعاتبه" [مرقس: 8/22-26].

وقد اختلف المسيحيون حول آلام المسيح هل كانت بحسب الجسد أم بحسب الروح، وحول الإرادة المنفردة أو المتعددة، بل إنّ الاختلاف يسجل حتى عند أصحاب المذهب الواحد في هذه المسألة.

1 انظر: الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ج 2، ص: 511، 112، الهامش وانظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 422.

2 موسوعة الأديان الحية، المسيحية، نيكولوسزرنوف، ج 1، ص: 199.

ففيما يرجح أصحاب الكتاب المقدس الألم الروحي في تفسيرهم لنص 'متى': و"الويالوي لما شبقنتني؟ وهذه كلمات آرامية نطق بها المسيح وهو على الصليب... ومعناها: إلهي إلهي، لماذا تركتني؟ وقد وردت هذه العبارة في [متى: 27/46] على هذه الصورة: "إلي إلهي، لما شبقنتني"... وتظهر هذه العبارة مقدار الألم الروحي الذي عاناه المسيح على الصليب وقد قال بعضهم بأن المسيح كان في تلك اللحظة يحمل خطية العالم بأسره، ولذا فقد شعر بالانفصال الوقتي عن الأب السماوي"<sup>1</sup>.

وفي متى: "ثم جاء يسوع معهم إلى ضيعة يقال لها بسانية، فقال للتلاميذ: أمكثوا هنا، ريثما أمضي وأصلي هناك. ومضى ببطرس وابن زبدي، وجعل يشعر بالحزن والكآبة فقال لهم: نفسي حزينة حتى الموت، أمكثوا هنا واسهروا معي ثم أبتعد قليلا وسقط على وجهه يصلي فيقول: يا أبت، إن أمكن الأمر فلتبعد عني هذه الكأس، ولكن لا كما أنا أشاء، بل كما أنت تشاء، ثم رجع إلى التلاميذ فوجدهم نائمين فقال لبطرس: أهكذا لم تقووا على السهر معي ساعة واحدة، اسهروا وصلوا لئلا تقعوا في التجربة، الروح مندفع وأما الجسد فضعيف"[متى: 26/33]. وقد تكرر المشهد الحزين والدعاء ذاته ثلاث مرات. يصف حالة الحزن والألم النفسي، مع طاعة تامة وتسليم ورضى كامل بقضاء الله، "وقال يا أبا كل شيء مستطاع لك، فأجز عني هذه الكأس وليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت"[مرقس: 14/36].

ويصف لوقا العناء الذي كابده المسيح قبل حادثة الصلب: "وانفصل عنهم رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً: يا أبتني إن شئت إن تجيز عني هذه الكأس. ولتكن لا إرادتي بل إرادتك... وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض" [لوقا: 22/41-42].

1 قاموس الكتاب المقدس، ص: 79، ولاحظ هذا الوصف مع تأكيد نفس محرر هذا القاموس بأن المسيح إله بكل الكمالات غير المحدودة التي للجوهر الإلهي، وأنه أزلي... فكيف يجتمع هذا، مع شعور المسيح بالألم، وبأنه ينوء بخطايا العالم، وبأن الله قد تخلى عنه؟

ويذكر أصحاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس بوضوح فكرة في غاية الأهمية: "... ليس من خطأ على الإطلاق أن نُعبّر له عن مشاعرنا الحقيقية، وقد عبّر يسوع عنها في هذه العبارات لكنه أيضا أكّد التزامه بعمل ما يريدّه الله... والآلام الفظيعة التي يعرف أنه سيتجرعها... ليست فقط عناء الصلب لكن أيضا، وهو الأسوأ الانفصال التّام عن الله الذي كان عليه أن يجتازه حتى يموت من أجل خطايا العالم"<sup>1</sup>.

ويؤكد حنانيا إلياس كساب: "أن إيمان الكنيسة ثار ضد فكرة ناسوت المسيح المشوّه والناقص؛ لأنّ هذه الفكرة تؤدي إلى أنّ عمل الفداء كان جزئيا، فالتجسّد في العقيدة الأرثوذكسية هو اتحاد الطبيعة البشرية كاملة ماعدا الخطيئة، فالمسيح لكي يكون فاديا كاملا يجب أن يكون إنسانا تاما... لأن الخطيئة دخلت وشوّت كل عناصر الإنسان"<sup>2</sup>.

في حين يؤكد القمص ميخائيل مينا في كتابه: 'علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية' أيضا على اتحاد المشيئين وعدم انفصالهما وأن ذلك كان لفظيا فقط: "أما قول سيدنا" ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت"... لا يستدل منه أن إرادة الابن غير إرادة الآب، وإنما قال هذا لأنه في ذلك الوقت أقام نفسه مقام الخليقة نفسها. فكأنه نطق بلسانها لأنه تحمل خطايانا كلها، والدليل على أن إرادتهما واحدة قولـــــــه: "صدقوني إني في الآب والآب في" [يوحنا: 14/11]<sup>3</sup>.

1 التفسير التطبيقي للكتاب المقدس؛ كتبه وراجعه مجموعة من علماء اللاهوت ونخبة من الأساتذة، ص: 2151، وإنجيل لوقا هو الإنجيل الوحيد الذي وصف قطرات عرق المسيح بأنها صارت كقطرات دم.

2 مجموعة الشرع الكنسي؛ حنانيا إلياس كساب، ص: 260، 261، ويقصد بفكرة ناسوت المسيح الذين تبناوا "رأي أريوس" وكانوا أشد تطرفا -حسب الكتاب- من الذين أنكروا طبيعة المسيح اللاهوتية أو قالوا أنه نصف لاهوت ونصفه ناسوت فشبهوه بالمخلوقات الميتولوجية العجيبة كالمينوثور وهو مخلوق له رأس ثور على جسم إنسان (في الأساطير الوثنية) وقد كان مصير كل هؤلاء الأساقفة الطرد والنفي والحرمان.

3 انظر: ميراث الخطيئة؛ محمد أحمد الطاهر، تقديم: د: محمد عمارة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1429هـ - 2008م، ص: 103.

فكلمة الله غير قابل أن يتألم حتى عند إتمامه بملء حكمته هذا السر العظيم فيظهر كأنه ينسب لنفسه الآلام التي احتملها في جسده. ولهذا السبب عينه قال بطرس الكلي الحكمة عندما كتب عن المسيح "أنه تألم بحسب الجسد"، وليس بحسب طبيعة لاهوته التي يتعذر وصفها ولكي يمكن أن نؤمن به أنه مخلص الكل احتمل آلام جسده بحسب تدبيره الخاص<sup>1</sup>. وهكذا تم إثبات الآلام مع عدم وصف الكيفية.

وفي نص ملتبس للقديس أوغسطينوس، يذكر في مناجاته لله فكرة انفصال المشيئين ويربط بينها وبين المساواة بين الأب والابن، وهي مسألة تتعلق بالأقانيم الثلاثة.

"كم أحببتنا أيها الأب الطيب، إنك لم تنج ابنك الوحيد، بل ضحيت به من أجلنا؛ ذلك الابن الذي لم يعتقد أنه من التطاول عليك أن يكون مساويا لك، فأطاعك حد الموت على الصليب، الوحيد الحر بين الأموات، ذو القدرة على التخلي عن روحه، وذو القدرة على استرجاعها من بعد... الجاعل منا أبناء لك، بعد أن كنا عبيدك، المولود منك ثم الخادم لنا"<sup>2</sup>.

#### المطلب الرابع: آثار عقيدة الصلب والفداء على المجتمع البشري:

لقد تبين لنا أن الأساس الذي بنيت عليه العقيدة المسيحية هو فكرة الفداء أو الخلاص؛ لذلك تمحور تفسيرهم وتبشيرهم على الحقائق التالية، فإن وظيفة المسيح بالتفاصيل المقررة في أعمال الرسل في نظر المسيحيين، أن موضوع تبشير الرسل كان محيطة بالأقسام الآتية: وهي: أن الله أقام يسوع مخلصاً، وأنه ينبغي أن ينظر إليه وحده لأجل غفران الخطايا، ولأجل تبريرهم من خطاياهم أمام الله، ولأجل القيامة إلى الحياة الأبدية، وأن كل هذه البركات

1 مجموعة الشرع الكنسي؛ رسالة كيرلس أسقف الإسكندرية إلى يوحنا أسقف إنطاكية التي تسمى الدستور الأفيسي، ص: 383. ونقل الرازي هذا الاختلاف حيث ذكر أن الملكانية، وهي إحدى كبرى الفرق المسيحية القائلة بالتثليث، يقولون بأن اتحاد الله تعالى بعيسى كان باقيا حال صلبه، في حين قال السطورية أن اتحاد الله بعيسى لم يكن باقيا حين صلبه، انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين؛ الرازي، ص: 131، 132.

2 اعترافات القديس أوغسطينوس، ص: 219.

مشتراهاً بآلامه، وبدمه، وأن الرب وضع عليه إثم جميع البشر، جاعلاً نفسه ذبيحة عن الخطية، وأن الخلاص يكون حظ الذين يؤمنون بالمسيح، وهو يختتم عمله العظيم كوسيط بأن يكون دياناً للبشر<sup>1</sup>.

### أولاً: التكفير عن الذنوب والتبرير من الخطايا:

فالمعاني الأولية للصلب والفداء "هي أن موت يسوع للتكفير عن ذنوب البشر أو للمصالحة بينهم وبين الله وعلى هذا فهو وسيلة أو واسطة... لتأسيس مجتمع بشري جديد وخالد، مبرراً من الخطيئة مع ربه. وأكثر من هذا ففي قوله: "... الحق أقول لكم إنني لا أشرب بعد نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم، حينما أشربه جديداً في ملكوت الله، ثم سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون" [مرقس: 14 / 25، 26]... فحتى تحت التهديد بالصلب كان واثقاً أن الملكوت قد بدأت بالفعل... وهذا لا يعني سوى أنه كان يعتقد أن موته خطوة ضرورية نحو تأسيس مملكة الملكوت<sup>2</sup>. وبالرغم من أن يسوع لم يقل أنه سينقض الهيكل كما ادعى اليهود، لكنه بموته، نقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة، إنه لم ينقض حائط هيكل أورشليم الذي يجرم بعقوبة الموت، أي أممي يتجرأ على دخوله، لكنه أزال حائط التقسيم بين المؤمنين اليهود وغير اليهود<sup>3</sup>.

### ثانياً: التحرر من قيد الشريعة الموسوية:

جاء في رسائل بولس: "الآن... تحررنا من الشريعة" [رسالة بولس إلى أهل رومية: 7/6]. لقد تمحورت دعوة بولس أساساً حول اعتبار دم المسيح صار كفارة عتقت البشرية به من لعنة الشريعة الموسوية وأسرها، فالرسول بولس: "ينظر إلى شريعة موسى نظره إلى شريعة أخلاقية تصدر عن الله وتُلزم من الخارج وما يقوله فيها يسري على كل أخلاقية تكتفي بدل الإنسان

1 مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس، ط 3، بيروت، 1869، ج 2، ص: 260، 259 بتصرف.

2 موسوعة الأديان الحية، ج- ج ديفر، ج 1، ص: 116.

3 انظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 140.

على الطريق الذي يجب أن يسير فيه، دون أن تمدّه بالقوة اللازمة... فترك الإنسان في شقائه"<sup>1</sup>. "مادامت الشريعة قائمة فالخطيئة ترتكب، ولكن المسيح أبطل الشريعة فبطل ارتكاب الخطيئة"، وفي [رسالة بولس لأهل رومية: 20 / 3] ويسوق الرسول بولس نتائج أقيسته كلها في هذا المركز، أما الحقيقة فهي على الوجه الذي اعترف به بولس نفسه أولاً، إن الإنسان باعتباره موجوداً ناطقاً خلوقاً تابعٌ لثلاث شرائع:

- فالأولى هي الضمير والوجدان الذي يسوق الإنسان إلى جلب الخير والاستقامة.  
- والثانية هي القانون البشري الحيواني الطبيعي الذي يسوق الإنسان إلى الأهواء النفسية والمنفعة الشخصية.

- والثالثة هي شريعة الله وهي رضاؤه وإرادته التي بيّنها على ألسنة الأنبياء بالوحي والإلهام إذاً؛ فهادي الوجدان ومديره هو الشريعة سواء أكانت الشريعة مكتوبة أم غير مكتوبة... فبالخير والشر يتميّز الإنسان عن سائر المخلوقات، ولولاهما ما عرفت الإنسانية قدر العافية ولا مزية الرقي والشريعة ليست مولدة الخطيئة ومسببتها، ولكن معيارها المعين لها، وعلّة الخطيئة الفاعلة هي إرادة الإنسان الجزئية<sup>2</sup>.

"وحقاً لا أدري ما أفعل: فإذا كنت أفعل ما لا أريد، فاني أوافق الشريعة على أنها حسنة... فأنا الذي يريد فعل الخير أجد أن الشر باستطاعتي... ولكنني أشعر في أعضائي بشريعة أخرى تحارب شريعة عقلي وتجعلني أسيراً لشريعة الخطيئة" [الرسالة إلى أهل رومية: 7 / 13-14-16-17]، لكنّه الآن وقد تحرّر من ريقه الخطيئة فإنه في المسيح يحيا بحسب الروح لا بحسب الجسد. وهنا تكمن حكمة الفداء فإنّه لا يمكن أن يتبرر أحد بأعمال الناموس على أساس الطاعة الكاملة له، لأن البرّ لو كان بهذا، لما كان ينبغي على المسيح أن يموت... فعبر المسيح

1 الكتاب المقدس: النسخة اليسوعية، ج: 2، ص: 481 و482، الهامش، وانظر: الإنجيل والصليب، عبد الأحد داوود، ص: 180-181.

(2) انظر: الإنجيل والصليب، عبد الواحد داوود، ص: 176-178.



فقد الناموس شرعيته المطلقة... لأن الذي لم يعرف الخطية جعل خطية لأجلنا. ويناقض بولس بهذا الإعلان القول بأن "الذي يعملون بالناموس هم يبررون" فإننا يمكن أن نتبرر بالإيمان بالمسيح فقط... ويتبرر اليهود والامميون بنفس الطريقة، إنه ظاهر بالفعل إنه يدل على عدالة الله لأنه يمكننا أن نمارس الثقة المؤمنة وبذلك ندخل في تجديد الحياة<sup>1</sup>.

لقد مات ولم يكن يستحق الموت؛ لأنه لم يخطئ، فهو حَمَلُ الله الذي لا عيب له، الطاهر الكامل الذي حضر مع تلاميذه عشية الفصح-التضحية بالخروف- عند مغيب الشمس<sup>2</sup>.

وهكذا عرض بولس الخيار الذي يُلزم الإنجيلُ جميعَ الناس باستعماله، ثلاثة أزواج من الألفاظ المتضادة، والزوجان الأولان هما الإيمان والشريعة، وفيهما التضاد بين مرحلتين من تاريخ الخلاص، وبين نظامين دينيين؛ نظام الشريعة الذي يفصل بين اليهود والوثنيين، ولا قيمة له سوى أنه تمهيد لنظام آخر، أي نظام الإيمان؛ فإنّ مجيء المسيح ينهي النظام الأول. والثاني الروح والجسد، فالزوجان الروح والجسد مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالروحين: الحرية والاستعباد، والإنجيل ينقذ الإنسان من هذا الموقف. إذ يكشف له عن دعوته على أنه ابن الله، ويدعوه إلى موقف إيمان يجعله يستقبل الروح ليحيا بفضل حياة ابن الله<sup>3</sup>.

فالمسيح صُلب باسم شريعة موسى فحرّر البشرية من سطوتها عليهم. "لأنني بالشريعة مت عن الشريعة لأحيا لله، وإذا كنتُ أحيا الآن حياة بشرية؛ فأنّي أحيها بابن الله الذي أحببني

1 انظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 179، 180، وفي هذا يناقض بولس أقوال وأفعال كل الأنبياء السابقين الذين دعوا إلى الجمع بين الإيمان والعمل، كقول يعقوب: "ترون أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده" وهو مناقض أيضاً لأقوال المسيح في وصاياه لتلاميذه.

2 انظر: الدر الثمين في إيضاح الدين، بقلم الأنبا ساويرس، ص: 90-91، والاتلاف والاختلاف بين المسيحية والإسلام: د: أحمد خديري، منشورات كارم الشريف، تونس ط 1، 2012، ص: 150.

3 (الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية: مدخل إلى الرسالة إلى أهل غلاطية؛ ج 2، ص: 567-568، بتصرف.

وجاد بنفسه من أجلي... فإذا كان البر يُنال بالشرعية، فالمسيح إذا قد مات سدى "[رسالة بولس إلى أهل غلاطة 28/14/16].

ويؤكد بولس هذه الحقيقة بقوله: "فالذي يختار أن ينال البر بأعماله فيتم ما تفرضه الشريعة يجعل موت المسيح باطلا، أما الذي يقبل تلقي البر من المسيح، ويتخلى من كل مزعم أنه يخلص نفسه بنفسه، فهو يظهر أن موت المسيح مثمر فيه وأنه يحيا من حياة حب ابن الله"<sup>1</sup>. وقد كان أوغسطينوس مقتنعا بالفساد المتأصل في الطبيعة البشرية التي نخرتها الخطيئة الأولى، مما جعله يقبل على ملاحظة يقظة الميول الشريرة حتى في أغوار نفس الطفل، وهي نظرة متطرفة، بحث لها عن تجليات في مراحل الطفولة المبكرة للإنسان: "من يذكّرني بخطيئة طفولتي، بما أنه لا أحد منزه عن الخطيئة أمامك حتى الطفل الذي لم يعيش على وجه الأرض إلا يوما واحدا"، ومن صور هذه الخطيئة -في رأيه- سورات الغضب الجامحة، وادعاء الضعف والابتزاز، حسد الإخوة لبعضهم وإلحاق الأذى المتعمد. "وهكذا فإن براءة الأطفال تكمن في ضعف أعضائهم، أما أرواحهم فأثمة"<sup>2</sup>. وقد وافقه كثير من كبار علماء اللاهوت المعاصرين، فالخطيئة في نظر كالفن جزء من الطبيعة الإنسانية: "حينما يقال أننا استحققنا العذاب الإلهي من أجل خطيئة آدم، فليس يعني ذلك أننا بدورنا كنا معصومين أبرياء، وقد حملنا -ظلما- ذنب آدم... الحقيقة إننا لم نتوارث من آدم العقاب فقط، بل الحق أنّ وباء الخطيئة مستقر في أعماقنا على سبيل الإنصاف الكامل، وكذلك الطفل الرضيع، تضعه أمه مستحقا للعقاب، وهذا العقاب يرجع إلى ذنبه هو وليس من ذنب أحد غيره"<sup>3</sup>.

1 ن- م- س؛ ج 2، ص: 569.

2 المرجع السابق.

3 انظر: قراءة في كتاب الأخلاق المسيحية: نحو علم مسيحيات إسلامي، نقلا عن، Christian ethics al faruki،

194- 196.

لذلك يؤكد الفاروقي إلى أنّ البديهة القطعية في الوعي المسيحي التي تبدأ بها العقيدة المسيحية، هي وجود الخطيئة، وهي في نظره المقدمة الكبرى ونقطة البداية للإيمان المسيحي برمته؛ لأنّ الشرّ إذا لم يكن ذا قدرة كلية، لم يكن هناك سببا للفداء أو حاجة للتدخل السماوي، بل إنّ نوع من التأكيد على أهمية هذا الأصل بالنسبة لهم، يقول: "أنّه في الوقت الذي تتفق فيه العقائد التوحيدية على أساس أول: أن الله موجود، تضيف العقيدة المسيحية أساسا ثانيا، وهو أنّ الخطيئة موجودة"<sup>1</sup>.

### المبحث الخامس: الأصل المؤسس الثالث: فكرة العالمية في الديانة المسيحية.

#### تمهيد:

تمثل الديانة اليهودية الخلفية الدينية التوحيدية للديانة المسيحية فدعوة عيسى-عليه السلام- دعوة توحيدية مرتبطة بديانة بني إسرائيل باعتباره آخر أنبياء بني إسرائيل واعتبار دعوته، دعوة لتصحيح الأوضاع الدينية اليهودية التي أدت إلى إصابة اليهود بالجمود الديني والجفاف التشريعي، والتركيز على الاتجاه الدنيوي المادي على حساب الروحانية الدينية، وكذلك البعد عن التسامح والمحبة تجاه الشعوب الأخرى والإحساس بالتميز والأفضلية وترجمة الاختيار الإلهي ترجمة عرقية وتفسير العهد المقطوع مع الرب تفسيراً إثنيا قومياً. وقد أتت دعوة عيسى عليه السلام بمفاهيم دينية إصلاحية مضادة لهذه الأوضاع الدينية اليهودية لكنها لم تكن لغيرهم ولا كانت ناسخة لشريعتهم<sup>2</sup>. بحسب كثير من المتخصصين في الديانة المسيحية وحتى كثير من المذاهب-الهامشية- عندهم. لكن هذا لا ينفي المسار الذي اتخذته هذه الديانة ولا الاتجاه الذي اختاره تلاميذ المسيح وأساطينها نحو العالمية.

1 انظر: الخطيئة الأولى بين اليهودية المسيحية والاسلام؛ أميمة أحمد الجلاهية، ص: 140- 141 نقلا عن التجسد

والصلب بين الحقيقة والافتراء، د: محمد علي حماية، ص: 27.

1 انظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، ص: 15.

## المطلب الأول: دعوة المسيح خاصة ببني إسرائيل.

## أولاً: الأدلة المثبتة لهذا الرأي في الأناجيل:

يحمل النص الذي جاء في [إنجيل متى] إشارة واضحة للدلالة على هذا الرأي، فبعد أن نبأ المسيح تلاميذه بآلامه وصلبه وقيامته، كما جاء في [متى] وبعد ستة أيام مضى يسوع بطرس ويعقوب وأخيه يوحنا، فانفرد بهم على جبل عال وتجلى بمرأى منهم، فأشع وجهه كالشمس، وتألأت ثيابه كالنور وإذا موسى وإيليا قد تراءيا لهم يكلمانه... وإذا صوت من الغمام يقول: "هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت له اسمعوا" [متى: 17-1/7]، لكن أكثر الفرق المسيحية تنكر هذا، وتحصر حضور موسى وإيليا في البشارة والشهادة "ويظهر موسى وإيليا هنا بمظهر الشاهدين للعهد، أكثر منهما ممثلين الواحد للشرعة والآخر الأنبياء"<sup>1</sup>.

وقد انتصر لهذا الرأي كثير من العلماء المتخصصين في اللاهوت المسيحي، والمهتمين بسيرة المسيح والمسيحية الأولى. وحسب هؤلاء فإن المسيح يكمل تاريخ إسرائيل. وقد لجأ [متى] لإظهار ذلك الأمر، إلى البرهان الكتابي فقد ملأ نصه بشواهد تظهر أن تصرف يسوع ينال إيضاحه من الكتاب المقدس "وكان هذا كله ليتم ما قال الرب بلسان النبي" [متى: 22/1]... فيسوع في الحقيقة المسيح الذي ينتظره اليهود<sup>2</sup>.

لذلك جاء إنجيل [متى] وهو أول الأناجيل الأربعة المعتمدة، مشددا على التزام شرعية موسى والكتاب المقدس (العهد القديم)، كما أنه يذكر عادات اليهود وشعائهم، وقراهم دون استشعار الحاجة إلى الشرح أو البيان، خلافا لمن أتى بعده، وهو كمعلمه (المسيح) ينتقد التدين الفريسي الذي يركز على الطقوس وعلى مظاهر العبادة دون مقاصدها. ولذلك وُصف في

1 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ج 2، ص 84 الهامش.

2 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ج 2، ص 31 بتصرف.

مقدمة إنجيله بأنه "طويل الباع في علم الكتاب المقدس، والتقاليد اليهودية، وبأن جميع صفاته توافق صفات يهودي مثقف أصبح مسيحياً"<sup>1</sup>.

وكان قصد تبشير [متى] بكتابة إنجيله أن يجهز لأجل إفادة المؤمنين من اليهود على الخصوص كتابا متضمنا خبرا أكيدا عن حياة المخلص وتعاليمه...؛ ولذلك تراه يمتاز في أسلوب كتابته عن مرقس ولوقا الذين كتبا للمتصرين من الأمم، في رعاية ذوق اليهود واحتياجهم الخاص، وإنجيله مشحون بذكر عوائدهم ومدنهم وأماكنهم المشهورة... وقد افتتح كلامه بذكر تسلسل المسيح من نسل إبراهيم وداوود وهما الشخصان الشهيران الاعتباران عندهم جدا. ويذكر أيضا ولادة المخلص في بيت لحم، كما تنبأ بذلك ميخا النبي لأن معرفة هذا الأمر كان شائعا عندهم... ويتفق معه 'مرقس' و'لوقا' خصوصا بترصيع أخبارهما بنصوص الأنبياء وكثرة الإشارة إلى أقاويلهم؛ لأن ذلك كان من أقطع البراهين عند اليهود<sup>2</sup>.

بستثناء إنجيل 'يوحنا' الذي كتب للأمم كلها، جاءت الأناجيل الثلاثة متفقة في توجيه خطابها لليهود "متى" ليهود فلسطين، 'مرقس'، لليهود المسيحيين الرومان، و'لوقا' لليهود المسيحيين اليونان". ويستنكر جورجى كنعان هذا الضم الذي جعل المسيحي مؤمنا بالعهد القديم إيمانه بالعهد الجديد، وأن المسيحية هي استمرار لليهودية<sup>3</sup>.

### ثانيا: الأدلة على اقتصار دعوة المسيح على اليهود من سيرته:

إن كون المسيح لم يرسل إلى غير الأمم الموسوية حقيقة تثبتتها الطبقات القديمة من المواعظ الأربعة، فلا هو وعظ الأمم وأرشدهم، ولا تلاميذه، حتى أنه نهى تلاميذه الذين أرسلهم ليبشروا باقتراب ملكوت السموات<sup>4</sup>، أوصاهم قائلا: "إلى طريق الأمم لا تمضوا، وإلى مدينة

3 الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ج 2، ص 35.

1 المرشد الثمين إلى الكتاب المقدس، ج 2، ص: 217-218.

2 انظر: نقد الدين اليهودي، جميل خرطيل، ص: 81، نقلا عن إسرائيل في أرض كنعان، جورجى كنعان ص: 25

3 الإنجيل والصليب، عبد الأحد داوود، ص: 93، ويضيف الكتاب أن الآيات الأخرى المضادة لها إما محرفة أو زائفة.

السامريين لا تدخلوا، بل بالخزي اذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وفيما أنتم ذاهبون إكروزوا (عظوا) قائلين أنه اقترب ملكوت السموات" [متى: 5/10-7].

وفي مقطع معروف حول شفاء البنت الكنعانية، عبّر يسوع بأسلوب أوضح عن هذا الأصل حيث يروي [مرقس: 26/7] أن كنعانية من أصل سرياني - فينيقي، أتت وركعت عند قدمي يسوع حتى يشفي لها ابنتها، فلم يجبها المسيح، لكن رسله رَقَوْا لحالها وأصْرَوْا حتى تعود، ثم قال لها: "أنا لم أرسل إلا للخراف الضائعة من بني إسرائيل، وعندما أصرت أجابها يسوع مقارنة اليهود بالأولاد وغير اليهود بالكلاب إنه ليس جيدا أن نأخذ خبز الأولاد ونرميه للكلاب"<sup>1</sup>. عندها خضعت المرأة، وأعلنت ليسوع: "نعم سيدي، لكن الكلاب الصغار يأكلون الفتات الذي يسقط من طاولة أسيادهم" [متى: 21/5-28]، عندها شفى يسوع لها ابنتها [مرقس: 29/7]<sup>2</sup>.

ويستدل أصحاب هذا الاتجاه بجواب المسيح - عليه السلام - للفريسي حين سأله ممتحنا إياه: أي وصية هي العظمى في الشريعة؟" فقال له عيسى: "هي التي لله، لتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل روحك ومن كل فكرك"، هذه هي الوصية الأولى والعظمى، والثانية مثلها: "لتحب جارك كنفسك"، بهاتين الوصيتين تتعلق الشريعة كلها والأنبياء [متى: 22/34-40]، بهذا فسر المسيح الشريعة وتصديقه لأنبياء بني إسرائيل، أما الجار فلاّ السائل كان يهوديا، فلا يمكن أن يكون الجار إلا يهوديا، أما الآخر فلا يكون إلا ظالمه أو أسيره، وهو مكلف بأن لا يحبه، فعيسى لم يبطل شريعة موسى أو غيرها، بل فسرها بمعنى روحي، وقد رحل عنها وهي غير نافذة، وعندما أعلن أن الكراهية أساس القتل، وأن الشهوة منبع الزنا، وأن

1 تردفي الأناجيل أمثال هذه العبارات - غير المهذبة - على لسان المسيح عليه السلام وهو من المستبعد أن يرد على لسان نبي.

2 انظر: اليهودية والغيرية، د: ألبرتو دانزول، ص: 22.

الرحمة والإحسان أكثر قبولاً من تقديم القرابين، ومن مراعاة السبت، فإنه نهى عن العمل بمنطوق الشريعة الموسوية الحرفي وإهمال معناه الروحي<sup>1</sup>.

وقد أمر الأجدم الذي أبراه بتتفيذ جميع مواد القانون الموسوي المتعلق بالأجدم<sup>2</sup>، مع ما تحمله من نفقات ثقيلة وإخلال بالكرامة، مما يبين أن شريعة موسى بالنسبة له واجبة التنفيذ" اذهب أر نفسك للكاهن وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهادة لهم"<sup>3</sup>. لذلك فإن الآيات المروي صدورها من فم المسيح المبارك؛ في الكتب الثلاث (متى - مرقس - لوقا) تخبر بأن المسيح -عليه السلام- لم يسعى لتأسيس كنيسة أو دين؛ وكان يكتفي بتفسير كل أقسام الشريعة ويشرح ماتشتمل عليه من المعاني الحقيقية، فالمسيح لو كان مأموراً بتأسيس دين لسار فيه على منهج واضح وخطة منظمة، ولا يوجد شيء في الأناجيل الأربعة نبأ بشكل صريح عما إذا كان للمسيح منهج معين أم لا، كما انه لم يعط الحواريين إنجيلاً مرقوماً في كتاب، بل انه لم يتسن له إفهام جل كلامه الذي كان من قبيل المعميات والألغاز لحوارييه الإثنا عشر الذين كانوا من الصيادين والعشارين في ثلاث أو أربع سنين<sup>4</sup>. فضلاً عن الأمر بالتبليغ للأمم.

لذلك كان اليهود الذين امنوا به "أولي غيره على الناموس" [أعمال الرسل: 20/21]، أي أنهم يختنون أبنائهم ويحافظون على قواعد الطهارة وعلى راحة السبت وعلى الصلوات التي

1 الإنجيل والصليب؛ عبد الأحد داوود؛ ص: 101، بتصرف.

2 طقوس التطهير من الجذام، الذي كان يعتبر عقاباً من الله على اقتراف خطيئة، مبنية في مبحث الطهارة والنجاسة في الديانة اليهودية.

3 دراسة في عقائد مصادر الأديان السماوية؛ د: طارق خليل السعدي، ص: 204، نقلاً عن: Mohammed in the David keldani، bible، p، 139، والكاتب المشار إليه: دفيد بنجامين الكلداني، كان قسيساً أسلم واتخذ اسم عبد الواحد داوود ولد عام 1867 وكان قسيساً للروم الكاثوليك.

4 انظر: الإنجيل والصليب، ص: 122، و108-109.

تؤدي كل يوم في الهيكل. وكان بطرس ويوحنا يصعدان إلى الهيكل معا لصلاة الساعة التاسعة [أعمال الرسل: 1/46، 3/2] <sup>1</sup>.

وقد جاء في إنجيل متى نص لا لبس فيه يبين طبيعة دعوة المسيح وأهدافها على لسانه: "على كرسي موسى جلس الكتبة الفريسيون، فكل ما قالوه لكم أن تحفظوه فاحفظوه... ولكن بحسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون" [متى: 2/39-3].

ويعتبر اليهود - مسيحيين أو الإنجيليين أنفسهم أقرب إلى نهج المسيح، وهم يناقضون العالمية والفردية لبولس، فبحفاظهم على التبرئة بالشرعية يحافظون على نهج الطاهر وغير الطاهر، المقدس والمدنس وهم يلتزمون بالاتفاق الذي انعقد في الفصل الخامس عشر من أعمال الرسل وهو الامتناع عن دنس الأوثان والزنى والميتة والدم. فقد ابتعدوا عن اليهودية الرسمية ورفضوا مؤسسة المعبد والتزموا دعوة الشعوب للخلاص بالمسيح لكن بالنسبة للاهوتيين المسيحيين تمثل اليهودية والعهد القديم تهيئة للمسيحية والعهد الجديد <sup>2</sup>.

جاء في متى: "لا تظنوا أنني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأبطل بل لأكمل الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء أو تزول السماء والأرض، فمن خالف وصية من أصغر تلك الوصايا وعلم الناس أن يفعلوا مثله، عُذ الصغير في ملكوت السموات. وأما الذي يعمل بها ويعلمها فذاك يُعَدُّ كبيرا في ملكوت السموات" [متى: 5/17-18، 16-18]، وفي "متى" أيضا نص صريح لا يحتمل التأويل يؤكد كل ما سبق ذكره. "لا تسلكوا طريقا إلى الوثنيين ولا تدخلوا مدينة السامريين بل اذهبوا للخراف الضالة من بيت إسرائيل، واعلنوا في الطريق إن قد اقترب ملكوت السموات" [متى: 10/7-8] <sup>3</sup>.

1 الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، عبد المجيد الشرفي، ص: 11، الهامش.

2 انظر: اليهودية والغيرية، د: البيروتودانزول، ص: 100 - 101.

3 انظر: اليهودية والغيرية، د: البيروتودانزول، ص: 100 - 101.



## المطلب الثاني: العالمية في النصوص الإنجيلية:

لقد أعلن المسيح دون أدنى لبس أن عنوان الإيمان ووراثة الحياة الأبدية هو في محبة الله: "أن تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك"، وترجمان هذا الحب وأثره: "وقريبك مثل نفسك: ... افعل هذا فتحيا" [لوقا الإصحاح العاشر].

وعندما سأله الفريسي: "من هو قريبي" أجاب المسيح: "إنسان كان نازلا من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت، فعرض أن كاهنا نزل في تلك الطريق فرآه وجاز مقابله وكذلك لاوي أيضا إذ صار عند المكان جاء وجاز مقابله، ولكن سامريًا مسافرا جاء إليه ولما رآه (تحنن)، فتقدم وضمده جراحاته وصب عليها زيتا وخمرا وأتى به إلى فندق واعتنى به... وعقب نهاية القصة طرح السيد المسيح السؤال التالي: أي هؤلاء الثلاثة ترى صار (قريبا) للذي وقع بين اللصوص؟ فقبل له الذي صنع معه الرحمة، فعقب المسيح: اذهب أنت أيضا واصنع هكذا. لقد وضع السيد المسيح الأساس الفكري لما ينبغي أن تكون عليه العلاقات الإنسانية ناقضا لقواعد التعامل التي أسست عليها الحاخامية اليهودية والفريسية<sup>1</sup>. فقد اختار السامري كموضوع للبر والخير وهو بالنسبة لليهود أممي، كما أن علاقاتهم مع السامريين قد عرفت عداوات تطاولت أزمانها، أما الذين كان ينبغي لهما صنع المعروف، فهما من زبدة الطبقات الاجتماعية في المجتمع اليهودي كاهن ولاوي، لكنهما لم يرتفعا إلى مستوى فهم وتمثل الوصية. "أن من يحب الله يحب أخاه أيضا" [رسالة يوحنا: الأولى 20/4-21]. فالمحبة إذا كان مصدرها الله تهب الإنسان قدرات تتجاوز النسبي وتكسر المعايير والتقاليد التي وضعها البشر، فلا تقف عند الفروقات والحواجز الأثنية والعرقية والطبقية.

1 انظر: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، سمير مرقص: ص: 133 إلى 137، والمصدر السابق د: كريستيان فان نيسين، ص: 86-87.

إن عمل الخير يجب أن يكون لكل إنسان فيما تحتاجه الطبيعة الإنسانية فالقريب في تفسير السيد المسيح لا ينحصر في جنس معين<sup>1</sup>.

وهو دليل واضح أن المسيح قد جاء مصححاً للانحرافات التي وقع فيها بنو إسرائيل والتي كان أهمها حصر الدعوة والخيرية في اليهود خاصة، كما أن إشارة يسوع فيها خلاف للفكر اليهودي الذي يميل للبحث عن مبدأ فردي؛ والرّبط بين الشخصي والعام، وكل الأعمال التي قام بها يسوع والأعمال الأعظم التي سيقوم بها التلاميذ يجب فهمها كربط بين هذه المحبة لله ومحبة الناس الآخرين. فوفقاً ليسوع تكون المحبة في شكل خدمة والتي جعلت فيما بعد أساساً للمسيحية بكل مذاهبها<sup>2</sup>.

لقد كتب رينان في مؤلفه 'يهودية ومسيحية' أن: "يسوع قد أسس الديانة الأزلية الأبدية للإنسانية، سهلة البلوغ إلى كل الأعراف، وفوق كل الطبقات المغلقة، فهو واضح أولى غرسات العالمية"، وهو يعلن: "عندي خراف أخرى ليسوا من داخل هذا السور هذه أيضاً يجب أن أقودها، وسوف تسمع صوتي، حتى يكون قطع واحد وراع واحد" [يوحنا: 16/10].

### أولاً: الحكمة الإلهية في رفض بني إسرائيل لدعوة المسيح:

اعتبر كثير من شراح الكتاب المقدس واللاهوتيون أن رفض جلّ بني إسرائيل ليسوع، كان تديراً إلهياً لتعم دعوته البشرية، "إني أوليت كل سلطان في السماء والأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به، وها أنا ذا معكم طوال الأيام إلى نهاية العالم" [متى: 16/28-20].

فقد نبذ اليهود يسوع وفقاً لما جاء في الكتب، لكي يتيسر نقل البشارة إلى الوثنيين، وذلك ما يوضحه إنجيل متى، فليس المراد رواية أحداث طفولة يسوعياً للتعبير عما لمصير الذي قام

1 المصدر السابق، ص: 138.

2 انظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد؛ ص: 423.

بين الأموات من معنى في حياته على الأرض، فالطفل الذي حُبل به بالروح القدس، وولد من مريم العذراء، سرعان ما زاره المجوس وهم مثال للوثنيين، كما أنّ أورشليم وعظماء الكهنة وهيرودس نبذوه جميعاً، واضطهدوه، وسعى هيرودس إلى قتله وقتل أطفال بيت لحم معه بدل أن يسجد له، ولكن يسوع يفلت ويلجأ إلى الجليل، وهو رمز لأرض الوثنيين، وقد آلت آخر الأمر إلى إعلان الإنجيل للوثنيين أنفسهم، فبالرغم من أنّ المسيح جاء ليكمل تاريخ إسرائيل، إلّا أنّ الدعوة التي جاء بها كانت للعالم<sup>1</sup>. وفي القصة التي تروي حادثة الصلب في (مرقس) يقول: "وصرخ يسوع صرخة شديدة ولفظ الروح فانشقَّ حجاب المقدس شطرين من الأعلى إلى الأسفل، فلما رأى قائد المئة الواقف تُجاهه أنّه لفظ الروح هكذا، قال: كان هذا الرجل ابن الله حقاً" [مرقس: 14/32، 29]، والمراد بهذا النص "أهمية موت يسوع لتاريخ الخلاص، فانشقاق الحجاب المسجل أمام قدس الأقداس، يحمل رمزية الدخول الحر للأمم لحضرة الله، واشتراك الوثنيين في الخلاص، ويمثل قائد المئة هنا عالم الوثنيين؛ لأنّ الرومان كانوا يتخذون منهم قادة وجنوداً، وقد كان قوله ابن الله إشارة إلى ذلك، وكان (مرقس) من أشد المتحمسين إلى فكرة عالمية التبليغ المسيحي"<sup>2</sup>.

أمّا لوقا فإنّه يذكر خلافاً لمتّى ومرقس، أنّ قائد المئة مجد الله وقال: حقاً كان هذا الرجل باراً [لوقا: 23/29-30]، وهو بذلك يتجنب المعنى الملتبس الذي قد يكون لعبارة "ابن الله" على لسان رجل وثني.

وقد كانت هذه القناعة راسخة لدى أتباع المسيح، بما في ذلك الرسول (بولس)، والدليل على ذلك قول (بطرس) والرسول لعظيم الكهنة وحاشيته: "إن اله آبائنا أقام يسوع الذي قتلتموه

1 انظر: الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ج 2، ص: 31، 32 بتصرف.

2 انظر: الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 275 - الهامش.

إذ علقتموه على خشبة وهو الذي رفعه الله يمينه وجعله سيدا ومخلصا ليهب لإسرائيل التوبة وغفران الخطايا" [أعمال الرسل: 31-32].

وفي رسالة بولس لأهل رومية "ليهودا أولا، ثم لليونانيين بعد ذلك" [رومية: 1/16]. وقال بولس وبرنابا لبني إسرائيل "إليكم أولا كان يجب إن تبلغ كلمة الله، أما وأنتم ترفضونها، ولا ترون أنفسكم أهلا للحياة الأبدية، فإننا نتوجه الآن إلى الوثنيين. فقد أوصانا الرب، قال: جعلتك نورا للأمم لتحمل الخلاص إلى أقصى الأرض" [أعمال الرسل: 13/31-33]، لكنه في الوقت ذاته لا يفتأ يذكر في رسائله بأنه يهودي فريسي. لقد حاول بولس تبديد شكوك اليهود وتأليف قلوبهم، لذلك فأنه من المجانبة للصواب القول بأنّ تبشيريه نحو الأمم حجب تأثيره عند اليهود، بل هو بالأحرى ما ذكره جوزي إ. يزنبيرغ أنه اتجه نحو الأمم لأنّ تبشيريه لم يلق صدى لدى اليهود<sup>1</sup>.

### ثانيا: العالمية في تعاليم بولس.

سواء أخذنا بالرأي الذي يقول إنّ رسالة عيسى كانت قاصرة على دعوة وإصلاح بني إسرائيل، أو بأدلة الذين يذهبون إلى أنّ دعوته كانت تنطوي على بعد عالمي، فإنّ المسيح - كما قال أحد الكتاب-: "مثّل أحد نقاط التماس بين الديانتين".

لقد كان عيسى وقد ظل كذلك أبدا، ولكن شاؤول (بولس) هو في الحقيقة مؤسس المسيحية الحالية وقد قال ويلز Wells<sup>(2)</sup>: "إن يسوع الناصري كان نواة المسيحية أكثر منه

2 انظر: اليهودية والغيرية، ص 22 و 97. نبه د. عبد المجيد الشرفي أنه بالرغم من كثرة تردد عبارة 'علم اللاهوت البولسي' عند الدارسين المسيحيين مما يبنى بنظام لاهوتي شامل ومتكامل لدى بولس. غير أنّ الأمر ليس كذلك، فقد بقي تفكير بولس يهوديا في العديد من جوانبه... فمفهومه لله الذي جعل من إسرائيل شعبه المختار هو مفهوم أي حبر يهودي، ومفهومه للكتاب المقدس وللتأويل الذي يستخرج به المعنى الباطن مفهوم يهودي كذلك، وإن تسربت إليه تأثيرات اليهودية اليونانية أو الأسينية كما بقيت نظرتة إلى الخطيئة وتصوراته الرؤيوية شبيهة بالقوال المعهودة في الأدب اليهودي، ومعلوم أن بولس لم ينكر قط انتسابه إلى اليهودية. (الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص: 52).

2 انظر: اليهودية والغيرية، د: البيروتودانزول؛ ص: 102.

مؤسساً"، وقد طور بولس فكرة المسيح من الناحية اللاهوتية والإنسانية وجعلها متناسب مع فكرة الإنقاذ القديمة واستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة (فيلون) Philo فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة ولم ينفر من الطقوس الوثنية، بل اقتبس كثيرا منها، وهكذا حقق لها انتشارا بين شريحة من اليهود، وانتشارا أوسع بين الوثنيين وأصبحت ديانة عالمية<sup>1</sup>.

لقد أحدث بولس أمورا كثيرة في المسيحية، ابتداء من اللاهوت إلى الطقوس والأعياد، أنتجت صراعاً احتدم بينه وبين بقية الحواريين، بل إن آثاره امتدت بين الفرق المسيحية إلى يومنا هذا؛ وإن كان مجمع نيقية المسكوني قد حسم هذا الصراع لصالح أنصار بولس. وقد عكست جل رسائله طبيعة هذا الخلاف الذي جعل أقرب الناس إليه (برنابا) -الذي عرّف به وقدمه على أنه شخص موثوق- يبتعد ويتخلى عنه، بسبب آرائه لا بسبب آخر. كما أنفض عنه كثير من تلاميذه وأنصاره<sup>2</sup>، مما حدا ببولس أن يقول: "حتى برنابا، أيضا انقاد إلى رياء الآخرين" [رسالة بولس إلى أهل غلاطية: 13/2].

وفي حديثه عن الأساليب والمجادلات الربانية اليهودية، يصرُّ بولس بأنّ بركة الله لا تنتج عن الختان، الذي اعتبرته اليهود علامة لتحقيق ناموس الله والابتعاد عن التعدي، فقد كان إبراهيم مبررا من قبل أن يختن. لذلك يعد إبراهيم أب المؤمنين الذين يأتون من الأمم، لقد أكّدت هذه الرؤية بشكل حاسم، بأنّ إبراهيم دعى لكي تشارك فيه جميع قبائل الأرض [تكوين: 12-3]، وترتبط هذه الكلمات بمفهوم معاداة القومية<sup>3</sup>.

وهكذا فقد وظّف بولس وأتباعه تركيز المسيح في تعاليمه على الجانب الأخلاقي، وإصلاح النفس لتبرير التخلي عن الشريعة، وإسقاط تكاليفها عن الناس، وقد جعلها بولس

3 انظر: دراسة في عقائد مصادر الأديان السماوية والوضعية، د: طارق خليل السعدي، ص: 164، 165: نقلا عن wells: out line of history: 679.

2 انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص: 51، 52 بتصرف وانظر: أعمال الرسل: [14/13]، و[28/15]-[29].

3 انظر: قراءة في كتاب الأخلاق المسيحية: ص: 11-12.

عالمية بفضل تعاليمه؛ بالرغم من اعتراض تلاميذ المسيح المتكرر عليه، إذ أسقط عن الأميين من الوثنيين أعباء الشريعة، وابتدأها بالختان الذي كان العنصر الأشد وطأة وتنفيرا لهم، فقال: إنَّ إبراهيم كان صالحا قبل أن يختن واستبدله بالتعميد، وهو الرش بالماء، ثم أعفاهم من النظم الغذائية الصارمة، التي كانت تفرضها الشريعة، وهكذا اختفت تعاليمها وطقوسها الواحد بعد الآخر. وقد تأكد نجاح مهمة بولس في انضمام الأمم الوثنية إلى -المسيحية- رزاقات ووحدا، بعد أن ركز على أن الخلاص يكون بالإيمان بيسوع وحده، فحتى الأعمال الصالحة لا تكفي للخلاص، إنّما يكون ذلك فقط بقوة الإنقاذ في عيسى-عليه السلام- وهكذا جنبهم كل القواعد والأنظمة الموجودة في الشريعة الموسوية، ولا دليل على ذلك في كل أقوال المسيح وأفعاله<sup>1</sup>.

ولكن المسيحية سارت على هذا النهج الذي رسمه بولس وأتباعه؛ وأكثر المسيحيين لا يعرفون لهم نهجا غيره.

### ثالثا: العالمية في الفكر المسيحي المعاصر:

وقد تبنت الفرق المسيحية بمختلف اتجاهاتها في العصر الحديث، ما أطلق عليه بعض المفكرين المسيحيين بفكر التجسّد. فالمطلوب من المسيحي عندهم هو الحوار من خلال فكر التجسّد، وهو يعني تمثيل إيمان الآخر، وفهمه والتجسد فيه لأجله، وهو مسلك بولس في الدعوة، يقول بولس الرسول: "صرت لليهودي كاليهودي وللذين تحت الشريعة كأني تحت الشريعة وللذين بلا شريعة كأني بلا شريعة صرت لكل كل شيء لأريح على كل حال قوما". [رسالة كورنثيوس الأولى 9 / 22].

فبعكس المسيرة المصهّرة لليهو- المسيحيين التي تتعارض مع المسيرة الافرادية لبولس؛ لأنّ الأولى تقويّ شعبا يعاد تثبيت قداسته، والثانية تؤسس كنيسة عالمية، وتذيب إسرائيلي في البشرية، ظل بولس يكرر بدون كلل ولا ملل أنه لم يعد هناك يهودي أو يوناني وأن الجميع

3 انظر: نظرة عن قرب في المسيحية، باربارا بروان، ص: 51، 53، 52.

يمكن أن يكونوا مختارين، وحطم الجدار الذي كان يفصلهم عندما الغي شريعة الوصايا والقرارات ولم تتأخر الكنيسة حتى أصبحت بفضل جهوده كنيسة الأمم التي أذابت فروق الأصل في جسد المسيح<sup>1</sup>. وبهذا ألغي العهد القديم كله، وأثبتت العلاقة بينها وبين الدين اليهودي . فبولس بحسب هذا الاتجاه هو أبو المسيحية الحقة<sup>2</sup>. لكن ما لبث أصحاب هذا النهج أن سلكوا سبلا للتبشير بالمسيحية لم يتخذها بولس ذاته، ولم تُعرف في المسيحية الأولى. حيث ألبست لباس الجبر والإكراه. واستندوا في ذلك على أقوال تُسبب للمسيح: "إذهبوا في العالم كله، وبشروا بالإنجيل والذي يؤمن ويعمد سوف يُخلص: أما الذي يرفض الإيمان فسوف يُدان. والذي ليس معي فهو ضدي" وهو ما تفنّده الكنائس المعاصرة، حيث تؤكد أنّ الدخول في الإيمان المسيحي هو خيار شخصي<sup>3</sup>.

1 انظر: اليهودية والغيرية، ألبيرتودانزول، ص: 101-102-بتصرف.

2 انظر: نقد الدين اليهودي، جميل خرطبيل، ص: 102، نقلا عن إسرائيل في أرض كنعان، جورج كنعان، ص: 25.

3 انظر: [مرقس: 16/15-16]، و[لوقا: 27/19]، [متى: 19/7] وتفصيل هذه المسألة سيأتي في مبحث: قيمة الحق في الديانة المسيحية.

# الفصل الثالث: الأصول المؤسسة للقيم في الإسلام ومصادرها.

المبحث الأول: القيم في الإسلام: مفهومها، ومصادرها.

المبحث الثاني: الأصول المؤسسة للقيم في الإسلام.



## المبحث الأول: القيم في الإسلام مفهومها، ومصادرها.

## تمهيد.

القيم في الإسلام جزء من منظومة متكاملة، يقصد بها إضفاء معاني أخلاقية في الحياة الناس، بما يتوافق مع فطرة الإنسان، والغاية التي خلق من أجلها الإنسان، تستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، إنّ على المستوى الفردي أو على المستوى الاجتماعي أو على المستوى العلاقات الدولية في وقت السلم والحرب على حد سواء، وهياً أيضاً تمثل خطاب التكليف المتعلق بالمكلفين، بحيث يترتب عليها الجزاء الأخروي. وهذا ما يجعل القيم في الإسلام تتفرد بخصائص، كما سنرى في هذا المبحث.

## المطلب الأول: مفهوم القيم في الإسلام وأنواعها.

## أولاً: مفهوم القيم.

إنّ علماء المسلمين الأوائل لم يستخدموا مصطلح القيم بالمعنى الدلالي المعاصر، وإنّما استخدموا مصطلحات أخرى كالشمائل والفضائل والأخلاق والآداب، وخصوصاً بمؤلفات، وهي تشمل مجالات كثيرة من مجالات الحياة.

وقد وجدتُ تعريفات للقيم الإسلامية لباحثين معاصرين، وكلّ نَظَر إليها من زاوية معينة، وأجمع تعريف -في نظري- يستوعب معاني واسعة هو: "مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة. الطبعة: الرابعة. (د.ت) 76/1.

فالقيم بهذا المعنى هي محددات وضوابط لسلوك الإنسان، وهذا ما يميّز النوع الإنساني عن غيره من المخلوقات، ولذلك كانت القيم مرتبطة بمتطلبات الاجتماع الإنساني، والعيش المشترك، كما ترتبط بوظيفة الإنسان في هذه الأرض، بصفته خليفة، يقوم بعمارته.

### ثانياً: أنواعها:

إنّ الأساس الذي تقوم عليه منظومة القيم الإسلامية هو الاعتقاد والإيمان، الذي يقرر أنّ الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، ليعمر هذه الأرض ويكون مستخلفاً فيها، وسخر له كل ما يحتاج إليه، وتأتي القيم التي تمثل المبادئ والمعايير لضبط السلوك البشري وتوجيهه لتحقيق هذا الاستخلاف على الوجه المطلوب.

لذلك صُنفت القيم باعتبارات مختلفة بحسب معايير متعددة، فهناك قيم عليا، كالحق والعدل... وهناك قيم فرعية كالوفاء والعفو، وهناك تقسيم للقيم باعتبار ما جاء الأمر بها أو النهي عنها. وهناك تقسيم باعتبار مجالها، قيم اجتماعية وقيم سياسية، وقيم تتعلق بالتزكية النفسية للأفراد كالعلم والصدق.

وقسمها بعضهم إلى قيم ذاتية وقيم ذرائعية، ومنهم من قسمها إلى القيم الغايات، القيم الواسائل.

وهناك تقسيم آخر باعتبار وجود قيم مطلقة ثابتة ومستمرة لا تتغير بتغير الزمان والأحوال، ولا مجال للاجتهاد فيها إلا الفهم والتنزيل على الواقع، وهي التي تستند إلى نص قطعي الدلالة، فلا يجوز فيها التغيير أو التبديل، كالقيم العقديّة، والقيم المتعلقة بالعبادات، وقيم نسبية، وهي التي تعتمد على ظني الدلالة، فإن مجال الاختيار فيها واسع، وهي تخضع للاجتهاد الذي لا يتعارض مع نص صريح، وهي مرنة مرونة كافية لمواجهة ما يتولد في حياة الناس من مواقف وحوادث، وما تصير إليه الأمور في المجتمعات، وهي مما يحتاج إلى نظر وتأمل واستنباط.

فالقيم الثابتة والقواعد القطعية الواجبة لا يجوز فيها التبديل، أما ما يستحدث من مواقف وما يجوز فيه الاجتهاد ويستجد من قيم بحسب اقتضاء المصلحة زمانا ومكانا وحالا، فتلحقها

الحركة والمرونة، وبهذه الميزة استطاعت القيم الإسلامية الحفاظ على المجتمع الإسلامي بالرغم من التغيرات التي أصابته والتي واجهته على مرّ الزمن<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: مصادر القيم.

إنّ مصادر القيم في الإسلام، هي نفسها مصادر الإسلام في الاعتقاد والتشريع والأخلاق، فهي تستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية؛ ولأنّ القيم الإسلامية جزء من خطاب الشارع الذي تعلق بأفعال المكلفين.

#### أولاً: القرآن:

وهو كلام الله عزّوجلّ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو كلية الشريعة وعمدة الملة، وهو المصدر الأول للهداية، وللتشريع والأحكام والقيم والمعرفة، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

والقرآن الكريم حوى أم الفضائل والمحاسن التي تسمو بالإنسان، وترتقي بالحياة، فأمر بها وحثّ عليها، ورغب فيها ونهى عن أضدادها، وحذّر منها.

### حجية القرآن الكريم<sup>2</sup>:

اتفق المسلمون قاطبة على حجية الكتاب العزيز، إذ هو منقول إلينا بالتواتر، الذي يفيد العلم اليقيني القطعي الذي لا يحتمل غيره.

<sup>1</sup> انظر علم الأخلاق الإسلامية: مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض. الطبعة الثانية 1424هـ-2003. ص: 328، والتأصيل الإسلامي لمفهوم القيم: د. فتحي حسن ملكاوي، مجلة إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية محكمة، يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة الرابعة عشرة، رقم 54، سنة 1429هـ 2008م. عمان، الأردن. ص: 5 وما بعدها. ونضرة النعيم 86/1. وما بعدها.

<sup>2</sup> الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، تعليق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت: 244/3.

وجاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد أن هذا الكتاب هو كلام الله تعالى، أنزله

على محمد ﷺ ليبلغه للناس جميعاً. من ذلك قوله تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ

الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: 17]. فهو معجزة الله الخالدة على صدق نبوة

محمد ﷺ.

### أنواع الأحكام التي اشتمل عليها القرآن الكريم:

حاول بعض العلماء تصنيف الأحكام التي اشتمل عليها القرآن الكريم:

- الأحكام الاعتقادية، وهي الأحكام التي تتعلق بما يجب الإيمان به من أركان

الإيمان، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

- الأحكام الأخلاقية، وهي الأحكام التي تتعلق بتزكية النفس والتحلي بالفضائل في

السلوك. وهذا القسم له تعلق مباشر بموضوع القيم.

- الأحكام العملية، وتنقسم قسمين:

القسم الأول: أحكام العبادات التي تنظم علاقة الإنسان بالله عزّ وجلّ، وهي أحكام

الصلاة والزكاة والصوم والحج والكفارات والنذور والأضاحي وغيرها مما تكفلت كتب الفقه

ببيانه.

القسم الثاني: أحكام المعاملات التي تنظم علاقة الناس فيما بينهم ويندرج تحتها أحكام

كثيرة موزعة على أبواب فقهية مختلفة.

**1 - أحكام الأحوال الشخصية:** وهي الأحكام المتعلقة ببناء الأسرة، من زواج وما يتفرع

عنه من علاقات بين الأفراد.

**2 - الأحكام المدنية أو المالية:** وهي الأحكام التي تنظم العلاقة المالية بين الناس،

كالبيع وعقود التوثيق والكفالة والرهن وعقود التعاون بين الأفراد كالشركة والقرض والوديعة

والإعارة.

**3 - الأحكام الجنائية:** وهي الأحكام التي نص عليها القرآن الكريم لبيان الأفعال التي حرمها الإسلام، ووضع لها عقوبة من أجل الحفاظ على حياة الناس وأعراضهم وأموالهم وحقوقهم، وتعرف بالحدود والقصاص والتعازير.

**4 - أحكام المرافعات:** وهي الأحكام التي تتعلق بنظام القضاء والإثبات لإقامة العدل بين الناس، ودرسها العلماء في باب أدب القضاء.

**5 - الأحكام الدستورية:** التي تتعلق بنظام الحكم وأصوله، وتبين علاقة الحاكم بالمحكومين، وحقوق الأفراد والجماعات، ودرسها العلماء في الأحكام السلطانية والسيير.

**6 - الأحكام الدولية:** وهي التي تتعلق بمعاملة الدولة الإسلامية لغيرها من الدول في حالتها السلم والحرب، وتنظيم علاقة الدولة بأهل الذمة المستأمنين المقيمين على أرضها، وفي هذه الأحكام نجد مجموعة كبيرة من القيم تضبطها وتسيجها.

**7 - الأحكام الاقتصادية والمالية:** وهي التي تنظم الموارد والمصارف في الدولة الإسلامية، وهذه الأحكام موزعة في أبواب متفرقة من كتب الفقه<sup>1</sup>، وهذه الأحكام لا تخل من قيم، وقد أفرد بعض الباحثين المعاصرين القيم الإسلامية في المجال الاقتصادي بكتاب مستقل. ولا تخلو هذه الأحكام من هذه الأقسام-في مجملها- من آداب وأخلاقيات لها ارتباط بموضوع القيم الذي هو محل دراستنا.

### دلالة آيات القرآن على الأحكام:

إنّ القرآن الكريم قطعي في ثبوته، إذ ورد إلينا متواترا، جيلا عن جيل، محفوظا في الصدور ومكتوبا في السطور، وحظي باهتمام وعناية الأمة من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، درسا وتمثلا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

1 علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف: مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر، الطبعة الثامنة، مصر. (مصورة عن دار القلم، الكويت). ص: 37 وما بعدها.

أمّا دلالة الآيات على الأحكام، فمنها ما هو قطعي الدلالة، أي أنّها لا تحتل إلا معنى واحدا متعينا، ولا يحتل تأويلا، كما هو الشأن في بيان الأعداد والأنصبة في المواريث والحدود...، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ [النساء:12]، فهذا النص قطعي الدلالة على أنّ فرض الزوج في هذه الحال النصف لا غير.

ومنها ما هو ظني الدلالة، أي أنّها تدل على معنى وتحتلمعنى آخر، مثل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 228]، فلفظ القرء في اللغة مشترك بين معنيين، فهو يطلق على الطهر ويطلق على الحيض، فالنص يحتل ثلاثة أطهار كما يحتل ثلاثة حيضات، فهو ليس قطعي الدلالة على معنى واحد من المعنيين<sup>1</sup>. وفي هذا مجال خصب لتعدد الاجتهادات في فهم النص.

### النزعة الإنسانية في القرآن الكريم:

وتميز القرآن الكريم بالنزعة الإنسانية، في كل من موضوعه وأسلوبه، إذ لم يتأثر من حيث مبادئه وأفكاره، بنزعة البيئة أو القبيلة أو الإقليم أو القوم الذين ظهر بينهم وجاء بلغتهم، فهو في كل ما تضمنه من عقيدة وأخلاق وتشريع وعظات، إنما أخذ طابعا إنسانيا.

### 1- النزعة الإنسانية في القرآن من حيث الموضوع<sup>2</sup>:

تتجلى النزعة الإنسانية في عامة موضوعات القرآن:

أ- ففي العقيدة: أوضح القرآن وحدانية الله جلّ جلاله ومالكيته للعالم كله، فهو ربّ العوالم كلها، دون تمييز بين رقعة وأخرى منه، ودون أن يخصّ بخطابه في هذا البيان فئة

1 علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف: ص:35.

<sup>2</sup> من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل: محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة - بيروت: 1420 هـ - 1999 م. ص: 216-217، بتصرف.

معينة. في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، وقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: 36].

وأوضح بعثة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام إلى البشر كلهم، في بقاع الأرض، وفي كل الأزمنة التالية، دون أي نظرة خاصة في ذلك إلى الذين بعث من بينهم أو البيئة التي ظهر فيها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158] وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

وقرر عبودية الإنسان لله عز وجل، لا فرق بين عرق وآخر أو بيئة وأخرى، ولم يلاحظ في ذلك أي خصوصية أو امتياز بين العرب الذين كان الرسول منهم وبين أي جماعة أخرى من الناس، فقال: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93].

### ب- التشريع:

فإن التشريع في كل أمة أو دولة أو جماعة من الناس، إنما يعكس طبيعتها وأعرافها ويتجاوب مع ظروفها. غير أن التشريع القرآني لا نجد فيه أي منزع إلى عرق أو طائفة أو جماعة... وإنما هو ينبثق عن أسس ومبادئ إنسانية مطلقة، بحيث تأتي عامة فروعها متطابقة معها في دقة واطراد. فسورة النساء مثلاً، من السور التي تفيض بالأحكام التشريعية المتعلقة بتنظيم الأسرة وحقوق المرأة، ونظام الحكم، وتقويم العدالة وضبط حقيقتها. فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: 1]، بيّنت السورة في بدايتها أن المنطلق لتقرير كل الأحكام والتشريعات إنما هو الرحم الإنسانية العامة<sup>1</sup>.

### ج- الأخلاق والمبادئ<sup>2</sup>:

<sup>1</sup> من روائع القرآن، ص: 219.

<sup>2</sup> المرجع السابق ص: 220.

الأخلاق والقيم والفضائل التي قررها القرآن الكريم، هي مجموعة الاعتبارات والمناهج السلوكية التي تتلاءم مع الفطرة الإنسانية الصافية من جانب وتساعد في إرساء قواعد السعادة الإنسانية للفرد والجماعة من جانب آخر. ومن ثَمَّ فهي لا تختلف أو تتغير بين بيئة وأخرى، لأنّها لم تنشأ من أعراف بيئية، ولكنها انبثقت عن الفطرة الإنسانية الشاملة.

فمن المبادئ الخلقية في القرآن، اعتبار الناس كلهم، مهما اختلفت أعراقهم وأنسابهم وبيئاتهم، في مستوى واحد من الكرامة والحرية الإنسانية، ولا يتفاضلون بعد ذلك إلا بما يحرزه كلّ منهم من السبق بسعيه الخاص في ميدان الجهد الإنساني المفيد المشرف. ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ﴾ [الحجرات: 13].

## 2- النزعة الإنسانية في القرآن من حيث الأسلوب:

يركّز الأسلوب القرآني، فيما يعبر عنه من الموضوعات والمعاني، على السمة الإنسانية الشاملة؛ ويحاذر أن يأتي في خطابه للناس أو في شيء من تعليقاته على الأحداث، بما ينبّه فكر القارئ إلى خصوص بيئة أو عرق أو إقليم أو جماعة معينة من الناس. فالخطاب القرآني يتجه إلى المخاطبين، مستعملاً كلمة: يا أَيُّهَا النَّاسُ، يا بَنِي آدَمَ، أو يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا. ولم ترد ولو مرة كلمة العرب أو قريش. أو أهل كذا، أو ما يشابه ذلك من صيغ الخطاب الخاصة بفئة معينة من الناس.

ثم إنّ بعض الآيات من القرآن الكريم نزلت في مناسبات مرتبطة بوقائع، وأحداث وأشخاص، بعينهم، ومع ذلك لم يسجل أيّ اسم من أسماء أولئك الذين نزلت في حقهم آيات وأحكام، وإنما نزلت الآيات موضوعية عامة، دون أن تذكر اسم شخص أو تنزل إلى مستوى الحادثة بخصوصها. وذلك كي يبقى القرآن في كلّ من أسلوبه وموضوعه كتاباً إنسانياً يضع المبادئ والمناهج للبشر كلهم، ويشرّع الأحكام والأنظمة للإنسانية جمعاء<sup>1</sup>.

1 انظر مزيد بيان من روائع القرآن، للدكتور البوطي رحمه الله. ص: 222





### ثانيا: السنة النبوية:

أ- تعريف السنة لغة: هي الطريقة والعادة، حسنة كانت أم سيئة<sup>1</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: 77]، ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»<sup>2</sup>، ومن قوله صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع»<sup>3</sup>.

ب- تعريف السنة اصطلاحاً: عرف العلماء السنة بأنها: "ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية"<sup>4</sup>.

وهي كل ما صحَّ عن النبي من الأقوال والأفعال والتقريرات، وهي الترجمة الصحيحة لتعاليم القرآن وتوجيهاته، فقد «كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن»<sup>5</sup>. وتمثل السنة النبوية البيان العملي لما جاء به القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، فهي تفصيل لما أجمل في القرآن الكريم، وتقييد لما أطلق وتخصيص لما هو عام.

<sup>1</sup> القاموس المحيط: 4 ص: 236.

<sup>2</sup> رواه مسلم عن جرير باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، رقم 4959، سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، رقم: 2537.

<sup>3</sup> رواه البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم» رقم: 6928.

<sup>5</sup> أصول الحديث، د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، 1395هـ/1975م. ص: 19، البحر المحيط: بدر الدين الزركشي، حققه وخرَّج أحاديثه لجنة من علماء الأزهر، دار الكتبي، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م، 5/6.

<sup>5</sup> رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل 512/1. بلفظ "فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن.

## حجية السنة:

قد اتفق العلماء على أن السنة النبوية الصحيحة حجة وضرورة دينية، ومصدر تشريعي، والدليل في ذلك نصوص واضحة بيّنة، من القرآن الكريم في وجوب طاعته ﷺ واتباعه، والأخذ بما جاء به والانتهاه عما نهى عنه، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُرُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]. فقد قرن الله تعالى طاعته بطاعة رسوله في هذه الآية، والآيات في هذا المعنى كثيرة، ووجوب الرد إليه عند التنازع، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

وأجمع الصحابة رضي الله عنهم على وجوب اتباع سنته ﷺ في حياته وبعد وفاته والعمل بها، وامتنال ما فيها من أوامر، والانتهاه عما فيها من نواهٍ، فكانوا لا يفرقون بين الأحكام المنزلة في القرآن الكريم، وبين الأحكام الصادرة عن رسول الله ﷺ، والأمثلة كثيرة بعد وفاته، وذلك أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا وابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة كانوا إذا أعوزهم أمر، أو نزل بهم حادث، أو تعرضوا لقضاء، بحثوا عن الحكم في القرآن الكريم، فإن لم يجدوا فيه، بحثوا عن ذلك في السنة، وسأل بعضهم بعضًا عن حفظ عن رسول الله ﷺ في ذلك شيئًا، وقد تعددت الأحوال، ولم يستنكر واحد منهم ذلك، وسار على هذا المنوال التابعون، ومن بعدهم حتى يومنا هذا<sup>1</sup>.

فالسنة النبوية مثل القرآن الكريم من حيث حجيتها، ومصدريتها للتشريع وتأصيلها للقيم. ذلك أنّ السنة النبوية وحي غير متلو، القرآن متلو ومتعبد بتلاوته، وكلاهما يعدّ مصدرًا للأحكام والقيم، قال ﷺ: «ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> انظر: حجية السنة للشيخ الدكتور عبدالغني عبدالخالق، تقديم د. طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص: 245، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، د. محمد الزحيلي: (1/ 217).  
<sup>2</sup> رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: لزوم السنة، رقم الحديث: 4604.

## علاقة السنة النبوية بالقرآن الكريم.

لما كانت السنة النبوية بيانا للقرآن الكريم، فإنّ هذا البيان يكون على أوجه:

1- أن تكون السنة مقررة ومؤكدة حكماً جاء في القرآن الكريم، ومن ذلك ما ورد في الأحاديث النبوية في الأمر أو النهي، سواء تعلقت بالعبادات كالصلاة وغيرها أو المعاملات أو السلوكات، فالله تعالى أمر بالصدق، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:119].

وقوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»<sup>1</sup>، فالحديث تأكيد لما جاء في القرآن الكريم.

2- أن تكون السنة مُبَيَّنَّةً حكماً ورد في القرآن الكريم، وهذا البيان على ثلاثة أنواع:

أ- أن تكون السنة مفسرة لحكم جاء في القرآن مجملاً، مثل قوله تعالى: "أقيموا الصلاة"، "وآتوا الزكاة"، "ولله على الناس حج البيت" ولم يبين القرآن الكريم كيفية إقامة الصلاة، ولا مقدار الزكاة، ولا مناسك الحج، فصلى رسول الله ﷺ وقال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»<sup>2</sup>، وحج: وقال: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»<sup>3</sup> وغير ذلك من أحكام المعاملات وغيرها.

ب- أن تكون السنة مقيدة لحكم جاء في القرآن مطلقاً، مثل قوله تعالى: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا" فاليد مطلقة، ولم توضح الآية الحد المطلوب في القطع، فجاءت السنة وبينت أن القطع من رسغ اليد اليمنى.

1 مسلم، كتاب البرِّ، والصِّلَةِ، وَالْأَدَابِيبِ فُتِحَ الْكَذِبِ، وَحُسِّنَ الصِّدْقِ، وَفُضِّلَهُ. رقم: 4727.

2 البخاري، في أكثر من موضع، منها كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة الخبر الواحد، رقم: 6819.

3 مسلم كتاب الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا وبيان قوله ﷺ لتأخذوا مناسككم، رقم: 1297.

ج- أن تكون السنة مخصصة لحكم عام في القرآن الكريم، مثل قوله ﷺ: «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها»<sup>1</sup>، مع قوله تعالى في الآية التي عددت المحرمات من النساء في النكاح: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ.." الآية ثم قال تعالى: "وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ" فلفظ "ما" من ألفاظ العموم، فيفهم من الآية جواز النكاح من غير ما ذكرت الآية، ثم جاءت السنة وخصصت هذا العموم بأنه ما عدا العمة والخالة.

3- أن تكون السنة منشئة لحكم جديد لم يتعرض له القرآن الكريم، مثل قضائه عليه وسلم صلى الله بالشاهد واليمين،، والتحریم من الرضاع لكل ما يحرم من النسب، بقوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»<sup>2</sup>، بينما اقتضت الآية على تحريم الأمهات والأخوات فقط من الرضاع.

قال الإمام الشوكاني: "اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام"<sup>3</sup>. وفي جميع هذه الوجوه حفلت السنة النبوية بمجموعة كبيرة من القيم، من ذلك ما جاء في القرآن الكريم من الأمر بالوفاء بالعقود وكتابة الدين، وغير ذلك، وما ورد من الأحاديث النبوية مثلاً، في بيانما ينبغي أن تكون عليها العلاقة بين البائع والمشتري، أو بين المقرض والمقترض، يؤصل لقيمة التسامح في المعاملة فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى سَمَحًا إِذَا افْتَضَى»<sup>4</sup>، وغير ذلك من الأحاديث.

1 البخاري، كتاب النكاح، باب: لا تنكح المرأة على عمتها، رقم: 4819.

2 أبوداود، كتاب النكاح، باب: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، رقم: 2055. الترمذي كتاب الرضاع، باب: ما جاء يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، رقم: 1147، وقال: حديث حسن صحيح، بلفظ: "... ما يحرم بالولادة".

3 إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى: 1419هـ - 1999م. ج 1، ص: 96.

4 البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، رقم 1970.

4- أن تكون السنة ناسخة لحكم ورد في القرآن الكريم، وهذه المرتبة اختلف فيها العلماء<sup>1</sup>.

وتنقسم السنة باعتبار وصولها إلينا وعدد نقلتها إلى: متواتر، وهو رواه جمع عن جمع تحيل العادة تواطؤ طم على الكذب، وكان مستندهم الحس. وآحاد وهو ما لم يجمع شروط التواتر، ويندرج تحتها المشهور والعزير والغريب<sup>2</sup>.

كما تنقسم السنة النبوية باعتبار القبول والردّ، إلى مقبول وهو يشمل الصحيح والحسن بنوعيه، لذاته ولغيره. وأما المردود فيشمل الحديث الضعيف وأنواعه<sup>3</sup>.

فصوص الكتاب الكريم ضم أمهات الفضائل والمكارم، والسنة النبوية حفلت بمجموعة من القيم والفضائل لموزعة على أبواب مختلفة في دواوين السنة؛ وجسدتها إلى سلوك وممارسة، ذلك إن القيم هي جزء من خطاب الشارع للمكلفين، وإنما اختلفت عن باقيها يطلق عليها الأحكام من حيث مجالها.

### ثالثاً: الإجماع:

وهو ثالث المصادر الأصلية في الشريعة الإسلامية، وقد اتفق المسلمون على كون الإجماع حجة شرعية، وعليه فإذا تم الاتفاق على اعتبار سلوك ما أنه قيمة من القيم، وجب الالتزام به. ولا سبيل إلى مخالفته.

<sup>1</sup> انظر أصول الفقه، محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي، (د.ت.ط)، ص: 112 وما بعدها، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، د. محمد الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا. الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م. 1/ 222-223.

<sup>2</sup> منهج النقد في علوم الحديث: الدكتور نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة: الثالثة، 1401 هـ - 1981 م. ص: 404.

<sup>3</sup> انظر: نزهة النظر في توضيح بخر الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني، تحقيق د. نور الدين عتر، الطبعة الثالثة، 1421 هـ/ 200 م مطبعة الفلاح، دمشق. ص: 76 و80 وما بعدها.

تعريفه: هو اتفاق المجتهدين من أمة - محمد ﷺ - على حكم شرعي بعد وفاة النبي

ﷺ<sup>1</sup>.

واستدلوا على حجية الاجماع بالقرآن الكريم والسنة والمعقول<sup>2</sup>.

ومن تلك الآيات قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ

جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115]. فالآية الكريمة تتوعد من يخالف سبيل المؤمنين، كما

تتوعد من يشاق الرسول ﷺ، بمصير واحد، مما يدل حرمة مخالفة الطريق التي سلكها

المؤمنون.

وقوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

وغير ذلك من الآيات، أما الأدلة من السنة على حجية الاجماع فأظهرها قوله ﷺ: «لَنْ

تَجْتَمِعَ أُمَّتِي عَلَى الضَّلَالَةِ»<sup>3</sup>، وفي رواية: «لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُّ اللَّهُ مَعَ

الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شَدًّا إِلَى النَّارِ»<sup>4</sup>.

واختلف العلماء في حجية الاجماع بين القطعية والظنية، وفي المسألة تفصيل<sup>5</sup>.

رابعاً: القياس.

القياس اصطلاحاً هو "إلحاق فرع- لم يرد فيه نص - بأصل لاشتراكهما في علة الحكم"<sup>6</sup>.

1 البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، قام بتحريه، د. عبد الستار أبو غذه وراجعته الشيخ عبد القادر عبد

الله العاني، ط2 1992/1413، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت: 379/6.

2 انظر ارشاد الفحول للشوكاني: 1/193 وما بعدها والوجيز في أصول الفقه الإسلامي: 1/229 وما بعدها.

3 الترمذي من حديث ابن عمر، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم: 2167.

4 انظر ما قيل في دلالة هذه النصوص وغيرها على حجية الاجماع في ارشاد الفحول: 1/206 وما بعدها.

5 انظر ارشاد الفحول: 1/209.

6 البحر المحيط للزركشي: 5/7.

أي أنّهما يشتركان في الوصف الذي أناط الشارع الحكم به. وبناءً على ذلك يمكن اعتبار سلوك أو موقف قيمة من القيم قياساً على ما ورد في الشرع، لكونهما يشتركان في الوصف.

وجمهور العلماء يعتبرون القياس أصلاً من أصول التشريع ودليلاً من الأدلة الشرعية التي يرجع إليها في معرفة الأحكام الشرعية العملية، وعليه فما يستفاد من القياس في اعتبار سلوكيات أو مواقف... قيم، يتعين الالتزام بها. والقياس مصدر خصب للأحكام ودليل على ثراء الشريعة ومرونتها وقدرتها على استيعابها لكل جديد، بما في ذلك ما يتعلق بمعاني التي ترقى بالحياة.

### أركان القياس وشروطه<sup>1</sup>.

أركان القياس - كما وردت في التعريف - أربعة، وهي: أصل، وفرع، وحكم الأصل، والعلة.

**1 - الأصل:** وهو محل الحكم، ويشترط فيه أن يكون شرعياً وغير منسوخ، وألا يكون

فرعاً من أصل آخر.

**2 - الفرع:** وهو الواقعة التي نريد معرفة حكمها، ويشترط في الفرع أن يساوي الأصل

في العلة، وأن يساوي حكمه حكم الأصل، وألا يكون حكمه متقدماً على حكم الأصل.

**3 - حكم الأصل:** وهو الحكم الشرعي، ويشترط فيه أن يكون ثابتاً بنص أو

بإجماع، ويشترط أن يكون الحكم معقول المعنى.

**4 - العلة:** وهي الوصف الجامع بين الأصل والفرع. أن تكون وصفاً ظاهراً منضبطاً معرفياً

للحكم بحيث يدور الحكم معها، وأن تكون مطّردة. وغير ذلك من الشروط.

### حجية القياس:

<sup>1</sup> البحر المحيط الزركشي: 5/7 وما بعدها، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي: 1/ 241.



ذهب الجمهور إلى اعتبار القياس حجة ومصدرًا شرعيًا، وأصلًا من أصول الشريعة، واستدلوا على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة، والإجماع والمعقول<sup>1</sup>.

أ-: نصوص الكتاب الكريم: قوله الله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2] الاعتبار هو القياس، والآية أمرت بالاعتبار، والأمر يفيد الوجوب، فيكون القياس واجبًا على المجتهد، وإذا كان القياس واجبًا على المجتهد فيجب عليه أن يلتزم بالحكم الذي وصل إليه اجتهاده، وأنه هو حكم الله تعالى في اعتقاده.

ب- السنة: ما ثبت أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «كيف تقضي إن عرض لك قضاء؟» قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟» قال فبالسنة رسول الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: «أجتهد رأيي ولا آلو»<sup>2</sup>، والاجتهاد هو القياس. والاتفاق قائم عند الأمة على حجية الاجماع إلا من شد<sup>3</sup>.

#### خامسا: العرف.

أحد المصادر التبعية للأحكام الشرعية، وهو "ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول"<sup>4</sup>. فكل ما اعتاده وألفه أهل العقول الرشيدة والطباع السليمة من قول أو فعل تكرر مرة بعد أخرى حتى تمكن أثره من نفوسهم واطمأنت إليه طباعهم فهو عرف في الاصطلاح.

#### أنواع العرف.

العرف نوعان: قولی وعملي، وكل منهما قد يكون عامًا وقد يكون خاصًا.

<sup>1</sup> انظر: إرشاد الفحول للشوكاني: 89/2 وما بعدها، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، د. الزحيلي. 1/ 244 وما بعدها.

<sup>2</sup> سنن أبي داود، كتاب الأفضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء، رقم: 3592.

<sup>3</sup> إرشاد الفحول 102، 2.

<sup>4</sup> الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، الدكتور محمد مصطفى الزحيلي 1، 265.

**1 - العرف العملي:** وهو ما تعارف عليه الناس من أمر عملي معين، كتقسيم المهر إلى معجل ومؤجل.

**2 - العرف القولي:** وهو تعارف عليها الناس من إطلاق لفظ على معنى معين، بحيث لا يتبادر إلى الذهن عند سماعه غيره (2)، كإطلاق لفظ اللحم على الحيوان وعدم إطلاقه على السمك والطيور.

**3 - العرف العام:** هو الذي يتفق عليه جميع الناس في البلاد أو معظمهم، كالتعارف على بيع الاستصناع.

**4 - العرف الخاص:** هو العادة التي تكون لفرد أو طائفة معينة أو بلد معين، كعادة شخص في أكله وتصرفاته، وتعارف التجار على تسجيل.

والإنسان يتشرب منظومة القيم من البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها، ويتقبلها بطريقة سهلة، لأنّ هذه القيم تتسق مع الفطرة البشرية، وهي مكون من مكوناتها<sup>1</sup>.

ومما يجدر الإشارة إليه أنّ العلماء قسموا العرف إلما هو مقبول، ومنه ما هو مرفوض، والعبرة في ذلك عدم المخالفة للنصوص الشارع.

كما أنّ العرف قد يكون سائعا في بيئة ما، ويحتكم إليه، وله سلطانه على الناس، بينما قد يكون في بيئة أخرى غير مستساغ. وكذلك قد يكون عرف صالحا في فترة زمنية، ولا يكون صالحا في فترة أخرى فليس لهحكم الاطراد.

1 التأسيس الإسلامي لمفهوم القيم، فتحي حسن ملكاوي، ص: 18.

## المبحث الثاني: الأصول المؤسّسة للقيم في الإسلام.

### المطلب الأول: التوحيد.

#### الفرع الأول: معنى التوحيد لغة واصطلاحاً.

##### أولاً: التوحيد لغة.

وهو لغة جعل الشيء واحداً غير متعدّد، مصدر قولهم: «وحد يوحّد» وهو مأخوذ من مادة (و.ح.د) التي تدلّ على الانفراد، ويقال للواحد: المنفرد<sup>1</sup>.

وقال الراغب: الواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتّة، وإذا وُصف الله تعالى بالواحد فمعناه: هو الذي لا يصحّ عليه التجزؤ ولا التكرّر، ولصعوبة هذه الوحدة قال تعالى:

﴿وَإِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا دُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: 45]<sup>2</sup>.

##### ثانياً: التوحيد اصطلاحاً.

أورد العلماء تعاريف كثيرة للتوحيد، وكلها تتفق على أنّ التوحيد هو الإيمان بأنّ الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له في ملكه وتدييره، وأنّه وحده المستحق للعبادة فلا تُصرف لغيره. واختلفت تعبيراتهم، ولم يتعد المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، ففي لسان العرب " التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له. وَمِنْ صِفَاتِهِ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ؛ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْأَحَدَ بُنِيَ لِئِنِّي مَا يَذْكَرُ مَعَهُ مِنَ الْعَدَدِ، تَقُولُ مَا جَاءَنِي أَحَدٌ، وَالْوَاحِدُ اسْمُ بُنِيِّ لِمُفْتَتِحِ الْعَدَدِ، تَقُولُ

<sup>1</sup> معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م. 91/6.

<sup>2</sup> المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم. (ط) الأول، 1412هـ دمشق. ص: 514.

جَاءَنِي وَاحِدٌ مِّنَ النَّاسِ، وَلَا تَقُولُ جَاءَنِي أَحَدٌ؛ فَالْوَاحِدُ مُنْفَرِدٌ بِالذَّاتِ فِي عَدَمِ الْمِثْلِ وَالنَّظِيرِ، وَالْأَحَدُ مُنْفَرِدٌ بِالْمَعْنَى؛ وَلَا يَجْمَعُ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ<sup>1</sup>.

قال الجرجاني: "التوحيد ثلاثة أشياء معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة"<sup>2</sup>.

### ثالثا : الواحد والأحد من أسماء الله تعالى الحسنی، وصفاته:

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى «الواحد»: وهو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، وقيل الواحد: هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل<sup>3</sup>. وقال القرطبي: معنى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]: أي الواحد الوتر الذي لا شبيه له ولا نظير ولا صاحبة، ولا ولد ولا شريك<sup>4</sup>.

### الفرع الثاني: التوحيد أصل الدين كله.

توحيد الله تعالى فطرة في الإنسان، تولد معه، وهو جزء أساسي في تكوينه ذلك أن وحدانية الله مركوزة في أصل الخلقة الإنسانية ويتمثل ذلك في الاعتراف بالألوهية والوحدانية، فحقيقة الإنسانية تتقوم بمعرفة الله والإذعان لوحدانيته كمكون من مكوناتها مثلما تتقوم بالعقل والفكر والتميز، وقد أشار القرآن الكريم في قصة خلق الإنسان إلى مستويين من الخلق، وأن ماهية الإنسان سبقت وجوده العيني زمنيًا، فالأولى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة 30] والثانية آية العهد في قوله

<sup>1</sup> لسان العرب: محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، 3/450-451.

<sup>2</sup> التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى 1403 هـ - 1983 م. ص: 69

<sup>3</sup> النهاية في غريب الحديث والاثر مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزائري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979 م. ص: 159.

<sup>4</sup> الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد الأنصارى القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م. 20/244.

تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الاعراف: 172]. ومن ثمّ تتبين أنّ الماهية الإنسانية تقوم بعنصر لا يوجد له نظير في المذاهب والفلسفات<sup>1</sup>.

ويُعدّ التّوحيد عند المسلمين أصل الدين كله، ومحور العقيدة الإسلاميّة، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، وبه أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه وهي دعوة الأنبياء لأقوامهم: ﴿قَالَ يَتْلُوا صُورًا تُقْرَأُ وَيَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ وَمَنْ أَدْبَرَ الْوَجْهَ إِلَىٰ آلِهَاتِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ يَفْتَرِ عَلَىٰ اللَّهِ كُفْرًا مِمَّا جَاءَهُ بِالْحَقِّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [هود: 50، 61]. وهو الأساس الذي تبنى عليه جميع أركان الإيمان، كما تمثل كلمة التوحيد أحد ركني الشهادتين، وهي شرط لقبول الأعمال، وفي ترتيب الثواب عليها، وبها يُحرم عن النار. ففي الصحيحين عن عتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهِ»<sup>2</sup>.

وفي الصحيح أيضاً عن عبادة بن الصّامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»<sup>3</sup>.

ومعنى أنّه لا إله إلا الله، أنه ليس في الوجود شيء يشبهه بأي درجة كانت ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، وهو بالتالي لا شريك له البتة. فهو

1 انظر: مبدأ الإنسان، د. عبدالمجيد النجار، دار الزيتونة للنشر المغرب ط الأولى، 1996/1417م. ص: 39 وما بعدها.

2 البخاري كتاب: أبواب استقبال القبلة باب: المساجد في البيوت، رقم: 425. وأخرجه مسلم في الإيمان باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة. وفي المساجد، ومواضع الصلاة باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر رقم 33.

3 كتاب الأنبياء، باب: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق، حديث رقم: 3435.

سبحانه المتفرد بخلق كل ما هو كائن، وهو المالك لكل شيء، والمنعم، والرزاق، والحكم، والفعال لما يشاء . وإرادته هي القانون الحاكم للطبيعة، والمعيار للسلوك الإنساني، وهي الخير الأسمى<sup>1</sup>.

فجملته "لا إله إلا الله" عبارة في غاية الإيجاز، تحمل أعظم المعاني، تلخص الإسلام كله، وتحدد وجهة الإنسان في الحياة، وتضبط علاقاته بمن حوله بالمنهج الرباني بحيث تكون متناغمة مع كل ما في الكون، وهي المنطلق الأساس لعمارة الأرض والقيام بوظيفة الاستخلاف على منهاج العبودية لله عزّوجل<sup>2</sup>.

### الفرع الثالث: التوحيد والقيم.

التوحيد هو حجر الأساس للقيم التي جاءت بها خاتم الرسالات السماوية، والتي بها يصير الإنسان صاحب رسالة كونية في هذه الحياة، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ وَكَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

والإنسان هو وحده من يملك القابلية لتحقيق الرسالة الإلهية، لكونها مبنية وجوداً وعدمًا على إرادته الحرة المسؤولة، وبما أن كل مخلوق ميسر ومؤهل لما خلق له، فإن الإنسان قادر على تحصيل المعرفة الكافية بالإرادة الإلهية المتعلقة بالمستوى القيمي الأخلاقي بالوحي المنزل وبالفطرة، قال تعالى:

<sup>1</sup> انظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة د. إسماعيل ناجي الفاروقي، ترجمة: د. السيد عمر، طبع: مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر. الطبعة الثانية، ربيع الأول 1435 هـ / يناير 2014 م. ص: 230.

<sup>2</sup> انظر: أزمة العقل المسلم. عبد الحميد أحمد أبو سليمان المعهد العالمي للفكر الإسلامي فيرجينيا طبع دار الهدى عين المليلة الجزائر، الطبعة الثانية 1992/1413. ص: 119.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾  
قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: 32-33]<sup>1</sup>.

والتوحيد الخالص لله تعالى، يجعل المسلم يرفض أن يكون توجيه الحياة الإنسانية بغير الناظم الأخلاقي الرباني، ويرى أن الله تعالى وحده، وليس الطبيعة ولا أي مخلوق، هو مصدر إمداده بالمعيار، ولا إرادة مع إرادته سبحانه وتعالى<sup>2</sup>.

ثم إنّ التوحيد هو الوشيحة التي تربط بين مختلف مكونات الحضارة، على نحو يشكل منها جسدا عضويا متكاملا، ويربط بين العناصر المتباينة، ويصبغها بصبغته، ويعيد صياغتها على نحو تتناغم فيه مع بعضها البعض، ويشد بعضها أزر بعض. والقيم تمثل روح الحضارة التي تستمد هويتها من التوحيد<sup>3</sup>.

لذلك كان التوحيد هو الذي يحدد قيمة الإنسان على حقيقته، وينزله منزلته اللائقة به، فهو تحترم الإنسان بصفته إنسانا مخلوقا، دون تأليه أو تحقير، ويبدأ تقيّمه له من نقطة إيجابية لتسليمه باستواء الفطرة التي فطر الله كل البشر عليها

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: 30]. وذلك لإعدادهم للقيام بمهمتهم النبيلة. وهي

الوحيدة التي تحدد فضائل ومثاليات الحياة الإنسانية بمحتوى مماثل للحياة الفطرية، وليس بالتنكر لها، مما يجعل إنسانيتها غير زاهدة في الحياة وأخلاقية في آن واحد. ويستحيل في نظر الإسلام الفصل بين الأخلاق والدين. فالأخلاق مؤسسة بالكلية على الدين. ولا يعرف العقل المسلم أية ثنائيات متقابلة، مثل: الديني والعلماني، أو ما بين المقدس والديني والمدنس،

1 انظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، مقدمة المترجم، ص 16.

2 المرجع السابق، ص: 57.

3 انظر التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ص: 63.

أو ما بين الكنيسة والدولة، - كما هو الشأن في بعض الديانات- ويؤكد هذه الحقيقة خلو مفردات اللغة العربية التي هي اللغة الأم للدين الإسلامي، من مثل تلك الشائيات<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: التكريم.

#### الفرع الأول: تعريف التكريم لغة واصطلاحاً.

##### أولاً: التكريم لغة:

مصدر قولهم: كَرَّمْتَهُ أَكْرَمَهُ، وهو مأخوذ من مادّة (ك. ر. م) التي تدلّ على معنيين:

- أحدهما: شرف الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق، يقال: رجل كريم، ونبات كريم، وأكرم الرجل: إذا أتى بأولاد كرام، واستكرم: اتخذ عرقاً كريماً. والكرم في الخلق: يقال: هو الصّفح عن ذنب المذنب.

- والآخر: الكرم، وهو القلادة، وسمّي العنب كرماً لأنّه مجتمع الشعب، منظوم الحب<sup>2</sup>. ومن المعنى الأوّل أخذ تكريم الإنسان في معنى تشريفه وتعظيم شأنه.

والإكرام والتّكريم: أن يوصل إلى الإنسان إكرام، أي: نفع لا يلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئاً كريماً، أي: شريفاً، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: 24] وقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26]؛ أي: جعلهم كراماً، وقال: ﴿كِرَامًا كَتِينًا﴾ [الانفطار: 11]، وقال: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: 15-16]. ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: 27]، وقوله: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، منطو على المعنيين<sup>3</sup>.

1 المرجع السابق، ص: 129.

2 معجم مقاييس اللغة: 5، 171 - 172.

3 المفردات في غريب القرآن: 707.



وكل شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم، قال تعالى ﴿فَأَبْتَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: 10]، ﴿وَرَزُقُوا وَمَقَامٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: 26]، ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 77]، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23]<sup>1</sup>.

### ثانياً: التكريم اصطلاحاً:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، فقد جاء في كتب التفسير في بيان معنى التكريم كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

هو تكريم الإنسان (بني آدم) هو تسليط الله عز وجل إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم<sup>2</sup>.

فالتكريم يتضمن عنصرين: تسليط الله تعالى الإنسان على سائر المخلوقات بما وهبه من قدرة على التفكير، والعنصر الثاني تسخير الله للإنسان ما في الوجود للقيام بوظيفته.

هذا التكريم المذكور في الآية، هو عام للنوع الإنساني من حيث هو إنسان، لا فرق فيه بين من آمن ومن كفر، لأنه راجع للخلقة الإنسانية التي يتساوى فيها الجميع، والتمكين من أسباب المنافع الذي هو ثابت لجميع النوع، بما عنده من عقل وتفكير. وهذا هو مقتضى العموم المستفاد من لفظ (بني آدم) ومثل هذا التكريم في العموم الحمل في البر والبحر والرزق لأنها من جملة التكريم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> م س ص: 707 .

<sup>2</sup> جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م. 17,501.

<sup>3</sup> آثار ابن باديس 1,304، ذكر ذلك في معرض تفسيره الآية 70 من سورة الإسراء من آثاره.

### ثالثاً: الكريم من أسماء الله عزّ وجلّ وصفاته:

"الكريم" اسم من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَبَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6]، وهو "الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على مُنتهى الرجاء، ولا يُبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفي عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذّ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق؛ وذلك لله سبحانه وتعالى فقط"<sup>1</sup>.

وإذا وُصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، نحو

قوله: ﴿فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40]<sup>2</sup>.

### الفرع الثاني: مظاهر التكريم الإنساني.

تكريم الله تعالى للإنسان كثيرة، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى بعض مظاهر التكريم: في قوله: "تكريم الله للإنسان يتجلّى في خلقه له على أحسن الهيئات وأكملها، وفي أن جعل له سمعا وبصرا وفؤادا، يفقه بذلك كلّ ويتنفع به ويفرّق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصّها ومضارّها في الأمور الدنيوية والدنيوية"<sup>3</sup>. وسأقتصر على بعض مظاهر التكريم من خلال ما ورد في القرآن الكريم، ومن هذه المظاهر:

أولاً: خلقه في أحسن تقويم:

<sup>1</sup> المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي،

الناشر: الجفان والجابي - قبرص. الطبعة: الأولى، 1407 - 1987. ص: 117

<sup>2</sup> مفردات ألفاظ القرآن، 1، 707.

<sup>3</sup> تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة:

الثانية 1420هـ - 1999 م. 5، 97.

خصّ الله تعالى الإنسان بالتكريم دون سائر المخلوقات، إذ خلقه في أحسن صورة وفي أحسن تقويم قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4]، وقوله أيضاً: ﴿وَصَوَّرَكُمُوهَا أَحْسَنَ صُورًا﴾ [التغابن:3] وليس هذا التكريم بسبب عنصره ولا بقوة الجسم وطول العمر... وإنما بما خصّه الله به وهو المعنى الذي ضمنه فيه، والأمر الذي رشحه له وهذا ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: 72]، وقوله: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: 75]. فكان ذلك تكريماً للكائن البشري وتمييزاً له عن سائر المخلوقات<sup>1</sup>. ومن تمام التكريم الإلهي للإنسان أن خلقه خلقاً مستقلاً مكتملاً، وهذا الوجود المستقل ينفي كل معنى من معاني الوجود المنخرط في سلسلة المخلوقات السابقة على سبيل التطور والترقي<sup>2</sup>.

#### ثانياً: خلافته في الأرض:

تشريف الله تعالى للإنسان وتكريمه بأن يجعله مستخلفاً في الأرض، لعمارتها وفق منهاج الوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].

#### ثالثاً: تفضيله على المخلوقات:

ومن مظاهر التكريم الله تعالى للإنسان، التصريح بتفضيله على كثير من المخلوقات، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا هُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

#### رابعاً: تسخير المخلوقات له:

<sup>1</sup> انظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين: أبو القاسم الحسين، الراغب الاصفهاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1985. 45-46.

<sup>2</sup> انظر: مبدأ الإنسان، د. عبدالمجيد النجار، ص: 132.

ومن مظاهر التكريم الله تعالى للإنسان، تسخير ما في الكون له، وتمكينه من استغلاله على الوجه الذي ينتفع به، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَاكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجمعة:13]. وقال أيضا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [القمان: 20].

**خامسا: صيانة حق الإنسان في الحياة:**

ومن مظاهر تكريم الله عزوجل للإنسان أن صان حقه في الحياة، فلا يجوز لأحد أن يسلب حياة إنسان آخر إلا بحق، قال تعالى: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]. وإذا ما أزهق روح إنسان متعمدا فالنفس بالنفس، كما هو مقرر في الشريعة الإسلامية.

**سادسا: تكريم الله تعالى للإنسان بتحميل الأمانة.**

ومن مظاهر التَّكْرِيمِ الإلهي للإنسان تحميله الأمانة، ووظيفة عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]، وبهذا التكريم يكون الإنسان مسؤولا عن نفسه، وعن خياراته، وأعماله، وسينال جزاء أعماله في الآخرة، وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان، في احترام إرادته، واختياراته.

**سابعا: تزويده بمؤهلات.**

ومن مظاهر تكريم الإنسان منحه نعمة العقل، وأن ذلك يعد مناط التكريم الإلهي للإنسان، وكذا تعليمه القراءة والكتابة و البيان، وقد جاء توضيح ذلك في معرض الإمتنان، قال عزوجل: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۙ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۙ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۙ ۝٤﴾ [الرحمن: 1-4]. وقوله: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۙ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۙ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۙ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۙ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 3، 4]. وبهذا التكريم للإنسان أمكنه القيام بوظيفة الاستخلاف في الأرض.

ولا عجب في ضوء ما سبق ، أن يعتبر الإنسان في منظور الإسلام، أكرم مخلوق ، وأسمى مقاما في الوجود، ومردّد ذلك على وجه التحديد هو رسالته ومصيره الأخلاقي الفريدين<sup>1</sup>.

### الفرع الثالث: التكريم والقيم.

إنّ الكرامة التي يقرها الإسلام للشخصية الإنسانية ليست كرامة مفردة ، ولكنها كرامة مثلثة : كرامة هي عصمة وحماية، وكرامة هي عزة وسيادة، وكرامة هي استحقاق وجدارة... كرامة يستغلها الإنسان من طبيعته، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، وكرامة تتغدى من عقيدته، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]، وكرامة يستوجبها بعمله وسيرته ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الاحقاف: 9]، ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: 3].

وأوسع هذه الكرامات وأعمقها وأقدمها وأدومها الكرامة الأولى المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]. وهذا التكريم يناله الفرد منذ ولادته ، بل منذ تكوينه جنينا في بطن أمه ، كرامة لم يؤد لها ثمنا ماديا ولا معنويا. وهي ممنوحة لجميع بني آدم دون تمييز بين أبيض وأسود ، ولا بين غني وفقير ، ولا بين ذكر وأنثى، وبصرف النظر عن ملته ومعتقده، ولكنها منحة الخالق جل جلاله للإنسان<sup>2</sup>.

ولمّا كان الإسلام هو المنهج الرباني المتكامل والمناسب للفطرة الإنسانية، لأنه جاء من عند الخالق - عز وجل - لصياغة شخصية الإنسان صياغة متوازنة متكاملة، لا ترفعه إلى مقام الألوهية، ولا تهبط به إلى درك البهيمية، وإنما لتجعل منه خير نموذج على الأرض؛ فقد خصه

<sup>1</sup> انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد. دار الوسيلة للنشر و التوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة. 1135/4. وانظر أيضا: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ص: 125.

<sup>2</sup> انظر نظرات في الاسلام د. محمد عبدالله دراز، مصر- طبعة: 1392هـ/1972م، ص: 111-112.

الله تعالى بتكريم يليق به لكونه جُعل في الأرض خليفة ليعمرها على منهج العبودية لله عزّ وجلّ وينشر القيم التي بها يرقى بها الإنسان. ذلك أن الإنسان وحده ينفرد بإمكانية تحقيق القيمة الأخلاقية، لأنه هو الوحيد من بين المخلوقات المتمتع بالحرية المطلوبة لذلك. وهو الوحيد الذى قد يسعلتحقيق منظومة القيم بكليتها، لامتلاكه العقل والرؤية المطلوبتين لمثل هذه المهمة. فلقد أنعم الله عليه من لحظة خلقه له، وأعطاه نصيباً من الحكمة<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث: الاستخلاف.

#### الفرع الأول: تعريف الاستخلاف لغة واصطلاحاً.

##### - أولاً: الاستخلاف لغة:

أصل الكلمة "خلف"، قال الراغب: خَلْفٌ: ضِدُّ الْقُدَامِ، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: 255]، وقال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الرعد: 11]، وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: 92]، وخَلْفٌ ضِدُّ تَقَدَّمَ وسلف، والمتأخّر لقصور منزلته يقال له: خَلْفٌ، ولهذا قيل: الخلف الرديء، والمتأخّر لا لقصور منزلته يقال له: خلف، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: 169]

و"الخِلفَةُ" يقال في أن يخلف كل واحد الآخر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: 62]، وقيل: أمرهم خليفة، أي: يأتي بعضه خلف بعض، وخَلَفَ فلانٌ فلاناً، قام بالأمر عنه، إمّا معه وإمّا بعده، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ [الزخرف: 60].

<sup>1</sup> انظر التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، د. الفاروقي، ص: 126.

والخلافة النيابة عن الغير، إمّا لغيبة المنوب عنه، وإمّا لموته، وإمّا لعجزه، وإمّا لتشريف المستخلف. وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: 39] ، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 165]، وقال: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [هود: 57].

و"الخلافة": جمع خليفة، وخلفاء جمع خليف، قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: 26]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً﴾ [يونس: 73]، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: 69]<sup>1</sup>.

### ثانيا: الاستخلاف اصطلاحاً:

المراد بـ: "الاستخلاف": أن الله جعل الإنسان خليفة في الأرض، وأوكل إليه مهمة إعمارها، وفق الشروط والضوابط التي جاءت بها الشرائع السماوية<sup>2</sup>. وهذه الشروط والضوابط هي ما أنزله الله تعالى على لسان رسله -عليهم السلام- فالاستخلاف جزء من مهمة الإنسان في هذه الأرض.

### الفرع الثاني: مفهوم الاستخلاف في القرآن.

صيغة الاستخلاف وما اشتق من لفظة "خلف" وردت في نصوص القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ، ودلت على معاني حسب سياقاتها، فقد ورد بصيغة "خليفة" في موضعين، من ذلك قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>3</sup> وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

<sup>1</sup> مفردات غريب القرآن 293/1.

<sup>2</sup> الأصول المشتركة للأديان، د.حسن السيدعزالدين بحر العلوم، المعارف للمطبوعات، النجف-العراق، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2013م.ص:51.



الْمَلَكَةَ فَقَالَ ابْنُ عَدْنٍ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ  
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٤﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ [البقرة: 30-33].

قال الإمام القرطبي في تفسيره: "والمعني بالخليفة هنا آدم - عليه السلام -، وهو خليفة  
 الله في إمضاء أحكامه وأوامره، لأنه أول رسول إلى الأرض" <sup>1</sup>.

وتبّه الفخر الرازي إلى الخلاف بين المفسرين في المراد بالخليفة في الآية قال: "الخليفة  
 من يخلف غيره ويقوم مقامه قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس:  
 14]، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ﴾ [الأعراف: 69]، فأما أن المراد بالخليفة من؟ ففيه قولان:  
 أحدهما: أنه آدم عليه السلام، والثاني: أنه ولد آدم. أمّا الذين قالوا المراد ولد آدم فقالوا: إنما  
 سمّاهم خليفة؛ لأنهم يخلف بعضهم بعضاً، ويؤكّده قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَةً  
 فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 165]، والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى <sup>2</sup>.

وهذا الذي اختاره الإمام الطبري قال: "فكان تأويل الآية على

هذا: ﴿وَأَذْكَرُ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] مني، يخلفني في الحكم  
 بين خلقي، وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين  
 خلقه" <sup>3</sup>.

1 تفسير القرطبي: 264/1.

2 تفسير الرازي (مفاتيح الغيب): أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء  
 التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ، 388/2 - 389، بتصرف.

3 تفسير الطبري: 449/1.

وهذا المعنى هو الذي استظهره الحافظ ابن كثير في تفسيره حينما: "وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ آدَمَ عَيْنًا إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا حَسُنَ قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: 30]. فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنَّ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ"<sup>1</sup>.

فالآية على ضوء هذا التفسير أنّ الخلافة منوطة بالنوع الإنساني وليس بالشخص، أعني آدم - عليه السلام -، وإذا كانت هذه الآية الكريمة تحتمل الوجهين المذكورين. فقد دلت آيات أخر على الوجه الثاني، وهو أنّ المراد بالخليفة: الخلائف من آدم وبنيه لا آدم نفسه وحده<sup>2</sup>.

وذهب العلامة ابن عاشور - رحمه الله - إلى أنّ المراد بـ"الخليفة" في الآية المعنى المجازي وهو الذي يتولى عملاً يريد المستخلف، مثل الوكيل والوصي، أي جاعل في الأرض مدبراً يعمل ما نريده في الأرض فهو استعارة أو مجاز مرسل؛ لأنّ الله تعالى لم يكن حالاً في الأرض ولا عاملاً فيها العمل الذي أودعه في الإنسان وهو السلطنة على موجودات الأرض؛ ولأنّ الله تعالى لم يترك عملاً كان يعملهُ فوكلهُ إلى الإنسان، بل التّدير الأعظم لم يزل لله تعالى، فالإنسان هو الموجود الوحيد الذي استطاع بما أودع الله في خلقه أن يتصرف في مخلوقات الأرض بوجوه عظيمة لا تنتهي خلاف غيره من الحيوان.

والاحتمال الثاني أن يُراد من "الخليفة" معناه الحقيقي، وهذا يتوقف على صحّة ما ورد من أنّ الأرض كانت معمورة من قبل بطائفة من المخلوقات كما جاءت في بعض الروايات، ولكنها كلها ضعيفة لم يثبت بطريق تقوم به الحجة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> تفسير ابن كثير: 216/1.

<sup>2</sup> انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة: 1415 هـ - 1995 م. 20/1.

<sup>3</sup> التحرير والتنوير من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ. 398/1. ما ذهب إليها العلامة ابن عاشور في حمل الآية يزيل الإشكال الذي أثاره بعض العلماء قديماً وحديثاً من استخدام عبارة "خليفة الله". وقد أشار ابن القيم إلى ذلك في قوله: أن أريد بالإضافة إلى الله انه خليفة عنه، فالصواب

والموضع الثاني الذي وردت فيه لفظة "ال خليفة" قوله تعالى في حق داوود -عليه السلام: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: 26].

والخليفة: هو الذي يخلف من تقدمه من الأنبياء في عمل ، فإن كان مع وجود المخلوف عنه قيل: هو خليفة فلان، وإن كان بعد ما مضى المخلوف قيل: هو خليفة من فلان. والمراد هنا: المعنى الأول بقرينة قوله: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾. فالمعنى: أنه خليفة الله في إنفاذ شرائعه للأمة المجعول لها خليفة مما يوحي به إليه، ومما سبق من الشريعة التي أوحى إليه العمل بها.

وخلافة داوود عليه السلام تختلف عن خلافة آدم -عليه السلام- لأن خلافة آدم -عليه السلام- شاملة، في الأرض كلها، بينما خلافة داود -عليه السلام- محصورة في بقعة من الأرض<sup>1</sup>.

ووردت لفظة " خليفة" ، بصيغة الجمع "خلفاء" ، في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، من ذلك قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62]. وقوله: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذَكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً فَأَذَكُرُوا ۗ آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69]. وقوله: ﴿وَأَذَكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ

قَوْلُ الطَّائِفَةِ المَانِعَةِ مِنْهَا، وَإِنْ أُرِيدَ بِالإِضَافَةِ أَنَّ اللّٰهَ اسْتَخْلَفَهُ عَنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَتْ قَبْلَهُ، فَهَذَا لَا يَمْتَنِعُ فِيهِ الإِضَافَةُ وَحَقِيقَتُهَا خَلِيفَةُ اللّٰهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللّٰهُ خَلِيفًا عَنْ غَيْرِهِ. انظر التفصيل: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية - بيروت، 1/152، ومقاله. يوسف الزيوت. "مدى صحة القول أن الإنسان خليفة الله في الأرض" مجلة جامعة دمشق، المجلد السابع عشر، العدد الثاني - 2001م ص: 265-288.

1 التحرير والتنوير: 242/23.

خُلْفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿[الأعراف: 74].

ففي الآية الأولى فيها إضافة لفظة خلفاء إلى الأرض، و﴿وَجَعَلَكُمْ خُلْفَاءَ

الْأَرْضِ﴾. أي: يخلف بعضهم بعضاً، أُمَّةً بَعْدَ أُمَّةٍ، وَجِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، وَقَوْمًا بَعْدَ قَوْمٍ<sup>1</sup>.

والمعنى أي يجعلكم تعمرون الأرض وتجتنون منافعها، فضمن الخلفاء معنى المالكين

فأضيف إلى الأرض على تقدير: مالكين لها، والملك يستلزم الانتفاع بما ينتفع به منها. وأفاد

خلفاء بطريق الالتزام معنى الوراثة. وهذا كقوله تعالى حكاية لقول نوح: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ

الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]<sup>2</sup>.

كما جاءت بصيغة "خلائف" في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، من ذلك قوله

تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ

رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 165] وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ

مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 14]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ

كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا

خَسَارًا﴾ [فاطر: 39].

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [يونس: 73] وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي:

جعلكم تعمرون الأرض جيلاً بعد جيل، وقرنا بعد قرن، وخلفاء بعد سلف. قاله ابن زيد وغيره،

كما قال: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ [الرَّحْمَنُ: 60]، وكقوله

1 تفسير ابن كثير: 6/ 205.

2 التحرير والتنوير: 15/20.

تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: 62]، وقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدْوَكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129]<sup>1</sup>.

كما ورد بصيغة المضارع المؤكد ومن غير تأكيد كما في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَيَمَلُؤُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]، فقوله تعالى: "لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ" أي: ليجعلنهم يخلفون من قبلهم، والمعنى: ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها<sup>2</sup>.

وقوله: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدْوَكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129].

وقوله تعالى: "وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ"، في هذا الاستخلاف قولان:

أحدهما: أنه استخلاف من فرعون وقومه.

والثاني: استخلاف عن الله تعالى، لأن المؤمنين خلفاء الله في أرضه.

وفي الأرض قولان: أحدهما: أرض مصر، قاله ابن عباس<sup>3</sup>.

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم

مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ [الأنعام: 133]، وقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ

<sup>1</sup> انظر تفسير ابن كثير: 384/3

<sup>2</sup> زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ. 304/3.

<sup>3</sup> زاد المسير 146/2.

أَبْلَغْتُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾ [هود: 57].

وقوله: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: 7]. أي وأنفقوا مما حوّلكم الله، من المال الذي أورثكم عن من كان قبلكم، فجعلكم خلفاءهم فيه في سبيل الله<sup>1</sup>.

كما وردت أحاديث نبوية استخدم فيها النبي ﷺ لفظة "الاستخلاف"، من ذلك ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ خَصِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ»<sup>2</sup>.

ومعنى "مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا" جعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم<sup>3</sup>. وهذا الكم الهائل من ورود هذه اللفظة ومشتقاتها تأكيد على المهمة التي حُمّلها الإنسان ذلك أنّ الإنسان هو وحده من هياه الله للخلافة في الأرض وما سخره الله له في الكون، والخلافة هي المهمة الوجودية للإنسان لتنفيذ مراد الله تعالى في الأرض واجراء أحكامه فيها<sup>4</sup>.

وفي هذا الاستخلاف إعلاء من شأن الإرادة في الإنسان فهي مناط العهد مع الله، وهي مناط التكليف والجزاء.. إنه يملك الارتفاع على مقام الملائكة بحفظ عهده مع ربه عن طريق تحكيم إرادته، وعدم الخضوع لشهواته. بينما يملك أن يشقي نفسه ويهبط من عليائه،

1 تفسير الطبري: 171/23.

2 صحيح مسلم، كتاب الرقاق رقم الحديث 2742.

3 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، 1392. 55/17.

4 انظر: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، د. عبدالمجيد النجار ص: 61.

بتغليب الشهوة على الإرادة، والغواية على الهداية، ونسيان العهد الذي يرفعه إلى مولاه. وفي هذا مظهر من مظاهر التكريم لا شك فيه، يضاف إلى عناصر التكريم الأخرى<sup>1</sup>.

وبمقتضى هذا الاستخلاف، حمّل الله تعالى الإنسان، فيما بيّنه القرآن الكريم، الأمانة التي لم تطق السموات والأرض حملها، وأشفقن منها. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

والتكليف هو أساس إنسانية الإنسان، وهو لب معناها ومحتواها. وقبول الإنسان تحمل هذا العبء، يضعه في مكانة أسمى من بقية المخلوقات، بما فيهم الملائكة، لكونه المخلوق الوحيد المؤهل لذلك. ومن هذا التكليف تتشكل الأهمية الكونية للإنسان. وشتان بين إنسانية الإسلام هذه، وبين غيرها من الرؤى الإنسانية<sup>2</sup>.

### الفرع الثالث: دور الوظيفة الاستخلافية في ترسيخ القيم.

#### أولاً: مرجعية الاستخلاف.

ولمّا كان الإنسان خليفة الله في الأرض، وأنّه مستخلف على إمضاء أحكامه، وأوامره، وتحقيق العدل بين خلقه - كما قال الإمام الطبري- يندرج تحت هذه الوظيفة تحقيق القيم التي تأسست على تعاليم الوحي ونشرها؛ لأنها جزء من خطاب التكليف. ومن هنا كانت من وظائف الاستخلاف في القرآن نشر القيم وتمثلها في شُعب الحياة المختلفة. وبهذا الاعتبار فإن الوظيفة الاستخلافية لا يتحقق مقصودها إلا إذا استندت في مرجعيتها إلى أصل التكليف،

<sup>1</sup> في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ، ص: 61/1. بتصرف.

<sup>2</sup> انظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، للفاروقي، 127.

وعليه فاستبدال هذا الأصل بقيم أخرى تستند إلى مرجعيات خارجة عن الوحي، أيا كانت أو إلى العقل المجرد كما هو الشأن في الحضارة الغربية فإنّه يتنافى مع طبيعة الاستخلاف.

ومن هنا استبان الفرق بين مفهوم الاستخلاف من المنظور القرآني، الذي يعتبر الإنسان سيّدا في هذه الأرض، وعبدا لله عز وجل، ومسؤولا بين يديه عن أعماله، وبين من يعتبر الإنسان سيّدا في الأرض، ولا يلتفت إلى الجهة التي استخلفته، ولا يرى نفسه مسؤولا أمام من أوكل إليه عمارة الأرض.

ويزيد هذا المعنى وضوحا صاحب الظلال حينما قال: "...أن الإنسان سيد هذه الأرض، ومن أجله خلق كل شيء فيها، فهو إذن أعز وأكرم وأعلى من كل شيء مادي، ومن كل قيمة مادية في هذه الأرض جميعاً. ولا يجوز إذن أن يُستعبد أو يستذل لقاء توفير قيمة مادية أو شيء مادي.. لا يجوز أن يُعتدي على أي مقوم من مقومات إنسانيته الكريمة، ولا أن تُهدر أية قيمة من قيمه لقاء تحقيق أي كسب مادي، أو إنتاج أي شيء مادي، أو تكثير أي عنصر مادي.. فهذه الماديات كلها مخلوقة -أو مصنوعة- من أجله. من أجل تحقيق إنسانيته. من أجل تقرير وجوده الإنساني. فلا يجوز إذن أن يكون ثمنها هو سلب قيمة من قيمه الإنسانية، أو نقص مقوم من مقومات كلامته"<sup>1</sup>.

### ثانيا: استخلاف من أجل قيم إنسانية:

إنّ وظيفة الاستخلاف التي حملها الإنسان - كما بينتها الرسالة الخاتمة- تتمثل في عمارة الأرض ماديا ومعنويا؛ ذلك أن فكرة الاستخلاف تنطلق من كون الإنسان لم يخلق عبثا ولم يترك سدى من دون وظيفة أو دور، أو غاية في الأرض قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]، بل خلق لتحقيق معنى العبودية -في الأرض-

1 في ظلال القرآن بتصرف 61/1، وانظر: استخلاف الإنسان في الأرض، د. فاروق أحمد دسوقي، ص: 11 وما بعدها دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية - مصر. وخلافة الانسان بين الوحي والعقل، د. عبدالمجيد النجار ص: 65.



بمعناها الواسع ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات:56] <sup>1</sup>.

فالاستخلاف هو ائتمان على قيم إنسانية رفيعة، لأنها صادرة من الله سبحانه الخالق لجميع عباده، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]، وذلك بإقامة العدل بين القريب والبعيد ، ومع العدو والصديق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَاقِرًا فَإِنَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135]. وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:8].

الحكم بين الناس إنما يكون بالحق، قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص:26]، وتجسيد المساواة بين جميع الناس، بحيث لا يتميز عربي على عجمي ولا أبيض على أسود ولا لسيد على مسود ولا لغني على فقير... إلا بالقوى والعمل الصالح النافع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13].

فالإنسان حينما يقوم بوظيفة الاستخلاف على هذا الوجه إنما يحقق مفهوم العبودية لله عزّوجلّ بكل معانيها.

ثم إنّ الاستخلاف عهد بين الله تعالى والإنسان، من أجل إعلاء القيم والفضائل الخلقية، وتكبير قيم الإيمان والصلاح والإخلاص في الأرض. فهذه هي القيم التي يقوم عليها

1 انظر: الأصول المشتركة ص: 56.

عهد الاستخلاف، وهذا ما ألمحت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]، وهذه القيم أعلى وأكرم من جميع القيم المادية، هذا مع أنّ من مفهوم "الخلافة" تحقيق هذه القيم المادية أيضاً، فهي جزء من عمارة الأرض، التي يتعين على الإنسان القيام بها، بحيث لا تصبح هي الأصل، ولا تطغى على تلك القيم العليا<sup>1</sup>.

وفحوى هذا الاستخلاف المتضمن حمل الأمانة الإلهية هي الوفاء بالشق الأخلاقي من المشيئة الإلهية، والإنسان هو الكائن الوحيد المفطور على نحو يؤهله لفعل ذلك. ولا يرقى إلى مصاف القيمة الأخلاقية إلا بتحقيق تلك الإرادة في شقها الأخلاقي. فممارسة الإنسان لحرية الإرادة في التعامل مع الأمر الإلهي التكليفي، هي التي تجعل سعيه أخلاقياً وتتجسد القيم المنزلة من السماء في عالم السلوك والممارسة<sup>2</sup>.

1 انظر في ظلال القرآن: 61/1.

2 انظر التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ص: 13.

## الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في الأصول المؤسسة لليهودية والمسيحية والإسلام ومصدرها.

المبحث الأول: أوجه الاشتراك بين الأديان الثلاثة في الأصول المؤسسة.

المبحث الثاني: أوجه التباين في الأصول المؤسسة للأديان ومصدرها.

## المبحث الأول: أوجه الاشتراك بين الأديان الثلاثة في الأصول المؤسسة.

### المطلب الأول: الاشتراك في مصدر المعرفة القيمة.

إنّ مصدر المعرفة القيمة والإلزام الأخلاقي في الديانات السماوية الثلاث، هو الله عز وجل، بعكس الفلسفات الأخلاقية المختلفة التي تتراوح بين اللذة والمنفعة والعقل والواجب. فالدين في نظر المؤمنين، هو ينبوع معرفة قيمة، وهو صادر عن الإله عن المطلق، ومخاطبا الذين تتوفر فيهم أهلية تلقي هذا الخطاب، الذي تترتب عن تلقيه، وتمثله تجسيدا قيما في سلوك ينتج صلاحا في لحال وفلاحا في المال<sup>1</sup>. ويكاد يكون هذا الفهم للدين مشتركا بين المتدينين من الديانات السماوية الثلاث؛ فهو بيان لعلاقة المطلق الإلهي (الله) بالنسبي (البشر)، التي تنتج القيم السلوكية التي تترتب عن هذا الاختيار للوصول إلى الخير.

لذلك ربط موسى وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- بين الإيمان بالله والإنسانية فقد اختصر أحد أكبر علماء اليهودية الناموس في الوصية التي جاءت في التوراة "أن تحبّ الله من كل قلبك، ومن كل روحك، ومن كل عقلك، وأن تحبّ قريبك كما تحبّ نفسك". وهي الوصية التي وصفها المسيح بأنها الوصية الأولى والعظمى مع اختلاف في تعريف القريب؛ ثم جاء محمد ﷺ فقال في الحديث الذي رواه أنس بن مالك: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: الاشتراك في الوظيفة الوجودية للإنسان.

من تمام المكرمة الالهية للإنسان أن خلقه الله خلقا مستقلا مكتملا، وقد انتظمت الموجودات عند وجوده في نسب تفاضلية، وسخرت سائر الكائنات لخدمته ونفعه، وهذا

1 انظر العمدة في فلسفة القيم، د. عادل العوا، ص: 547، 548، ومحاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والاسلام، د. غسان سليم سالم دار الطليعة، بيروت ط1 2004، ص 172.

2 أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: 13.

الوجود المستقل ينفي كل معنى من معاني الوجود المنخرط في سلسلة المخلوقات السابقة على سبيل التطور والرقى، وحينما يقع في نفس الإنسان الإيمان في مبدئه بالصورة التي قدرتها المشيئة الإلهية، فإن ذلك يكون له أثر تربوي يوجه النفس والفكر، كما يوجه السلوك والعمل<sup>1</sup>. فالشعور بقيمة الذات وكرم النفس يورث تطلعا لتحقيق الغاية من الاستخلاف، ورفضاً لتشيء الإنسان، ولانحصاره في حيز المادة. وتشارك الديانتان اليهودية والمسيحية الإسلام في هذه الرؤية، فهي صادرة من مشكاة واحدة؛ أما الاختلاف الموجود بينها فمردّه إلى ما هو خارج عن الوحي، ولأسباب الفهم والتأويل البشري<sup>2</sup>؛ ولذلك وجدنا العقلاء من أصحاب الديانات السماوية يتفقون - مع ما بينهم من خلاف مستحکم - على مواجهة الإلحاد، لأنه مفض إلى الإخلال بتوازن الكون. فأكثر آفات الملحد، - كما قال العامري -، هو استحباب اللذات الحسية التي تعميه عن تأمل العواقب، وتدعوه إلى إمراج النفس فيما يشتهي طبعه<sup>3</sup>. وقد دعا الأمير عبد القادر الجزائري إلى مواجهة الإلحاد من خلال القيم المشتركة التي تحملها الأديان السماوية، فيكتاب المقراض الحاد في مواجهة أهل الإلحاد.

### المطلب الثالث: الاشتراك في أصل الفطرة.

تتقوم إنسانية الإنسان بعنصر أساسي في تكوينه وبه تكمل ماهيته، وهو الإيمان بوحداية الله، وحقيقة الإنسان في الإسلام تُتقوم بمعرفة الله وتوحيده، مثلما تتقوم بالعقل والتمييز وسائر

---

1 مبدأ الإنسان، د. عبد المجيد النجار ص 133 و 132، وانظر الإنسان في التوراة والانجيل، دراسة من منظور نوري، د. عبد العزيز شهير، المؤتمر العلمي الخامس لبيدع الزمان سعيد النورسي، ص 102-103، وانظر: تفعيل الحرية بين نسقين، من التطبيع التنظيمي إلى التنويه التكريمي، د. سعيد خالد الحسن ندوة سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر، رابطة علماء المغرب، ص 437-436.

2 موقع الإنسان بين القيم الدينية والقيم المعاصرة، الشيخ علي جابر، الإسلام والمسيحية، بحوث في نظام القيم المعاصرة، ص 98.

3 الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري، ص: 166.

العناصر التي تشكل الحقيقة الإنسانية<sup>1</sup>، وذهب الفاروقي إلى أن اللاهوت المسيحي تأثر بشكل أساسي بالفكر الإسلامي من خلال النظر إلى الإنسان بوصفه كائنا عقليا قابلا للتعليم بخلاف نظرة اليهود التشبيهية وتجسد فيما بعد قيمها، فقد جاء في آية العهد ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف 172]، فالعهد شامل لبني آدم جميعهم، وقد كان في بدء الخليقة، وهو يحمل معنى التكريم العام والاستخلاف.

ولذلك جاءت المضامين الدلالية للخطاب القرآني، منطبقة على مقتضيات الفطرة، أي الطبيعة الأخلاقية التي تتأسس عليها القيم الإنسانية الثابتة<sup>2</sup>. وفكرة الوجود في عالم الذر، ووجود الخلاق في صلب آدم، وإشهاد الله الخلق على أنفسهم، موجود في التوراة أيضا، وقد حاول "جولد تسيهر" أن يثبت أن الكثير من العقائد الإسلامية مأخوذة منها، فقد ذكر أن هذه الفكرة يهودية بحتة، على أن الإسلام لم ينكر إطلاقا أنه أخذ من هؤلاء بل إن القرآن يعلن في كثير من سوره وآياته أن محمدا جاء متمما لما جاء بها الأنبياء والرسل قبله<sup>3</sup>.

1 انظر: مبدأ الإنسان ود. عبد المجيد النجار ص: 39-42، والتدافع القيمي بين المد العولمي والتأصيل العلمي، د. محمد بل كبير ص: 138، ضمن ندوة سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر.

2 انظر: الأخلاق والقيم في الإسلام د. عبد الله السيد ولد أباه، ص: 376 - 380، ندوة سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر، رابطة علماء العرب ويراجع كتاب تحديد المنهج في تقويم تراث المركز الثقافي العربي ط 2، ص: 97، د. طه عبد الرحمان.

3 نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، د. علي سامي النشار، ج 1، ص: 48.

## المبحث الثاني: أوجه التباين في الأصول المؤسسة للأديان ومصدرها.

### المطلب الأول: التباين في تصور الألوهية.

لقد وصف القرآن الكريم التوراة المنزلة على موسى -عليه السلام- بقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَوْا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: 44]. لذلك فإننا نجد فينصوص التوراة آثار التوحيد وتنزيه الباري بكل ما تحمله من أبعاد، عقديّة وأخلاقية واضحة وبارزة، إلى جانب ذلك فإنّه يوجد فيها اضطراب صورة الإله، بما تحمله أيضا من أبعاد عقديّة (التشبيه والثنية)، وأبعاد أخلاقية ظلّت هي المسيطرة والمستحكمة فيه. كما أنّه لا توجد في المسيحية فكرة واضحة عن الله، فقد أدّت عقيدة التثليث إلى سلسلة من الصّور المختلطة، غابت فيها فكرة التوحيد الخالص، بخلاف الإسلام الذي احتفظ بعقيدة التوحيد بنقائها ووضوحها، بالرغم من اختلاف المدارس العقديّة، وتنوع البيئات التي انتشر فيها الإسلام.

وبسبب هذا الوضوح في المبادئ، والانسجام مع الفطرة؛ فإنّ هذا الدّين يصل مباشرة للإنسان أيّاً كان مركزه أو مستواه، فالإسلام مؤسس على مبادئ عقلية في العقيدة وقيما عليا ومعايير مطلقة مما يعطي للحياة معنى شاملا<sup>1</sup>.

1 انظر: المسيحية والإسلام من الجوار إلى الحوار، السيد محمد الشاهد، ص: 21 ، 35 ، 72 نقلا عن وجهات انظر إسلامية، محمد ﷺ، نبوءة ووحى، جوزف فان إس وهو مستشرق ألماني ولد سنة 1934، كان مدير معهد والعلوم الشرقية، وأستاذ كرسي في جامعة توينجن، له مؤلفات كثيرة أكثرها في علم والتصوف والفلسفة، ن.م.س، ص: 32.

### المطلب الثاني: الاختلاف في تمثيل القيم عند الأنبياء في النصوص المؤسسة.

ذكر الأنبياء في القرآن الكريم لم يأت تقديسا للأشخاصهم، وإنما لما يحملونه من مفاهيم وقيم إنسانية، بغرض تحقيق القدوة من خلالها، وتعميمها لتشمل الإنسانية، لذلك خلا ذكرهم في النص القرآني من أي بعد قومي أو سياسي، كما أنه لم يحمل أي معنى للتقديس، إلا أنه جاء مفعما بالتوقير، فهذا صاحب الرسالة محمد ﷺ الذي أثنى الله على خلقه في أكثر من آية من القرآن الكريم، يأت النص محذرا أتباعه من النكوص أو التحول عن المبادئ والقيم التي دعا إليها في حالة وفاته؛ قال

تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران/144-145].

بخلاف الديانتين اليهودية والمسيحية، أما الأولى فقد جاء وصف الأنبياء في التوراة بصفتهم آباء، وأبطالا قوميين وملوكا؛ ولذلك وجدنا أنّ أهمّ القيم التي حملتها الأحداث، وصنعها الأنبياء، غابت لحساب قصص الملاحم والبطولات.

كما تمحورت الديانة المسيحية كلها على شخصية المسيح، وأغرقت في إضفاء أبعاد عقائدية غريبة عن الديانات التوحيدية -التثليث، والصلب والفداء- على قصته بدل الاقتداء، وتفسير القيم التي حملها في رسالته التصحيحية للديانة اليهودية، مع استثناء بعض النصوص الإنجيلية من هذا.

لذلك فبخلاف الأسفار الأخرى، فقد تجسدت في القرآن في موسى وعيسى ومحمد امكانات مبدئية لكل ما هو إنساني<sup>1</sup>.

فموسى -عليه السلام- الذي تصوره التوراة والتراث اليهودي بشكل عام كبطل قومي يهودي، خلقت سيرته من أي بعد إنساني، إلا إذا تعلق الأمر ببني إسرائيل، يضعه القرآن الكريم

1 الاسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفيتش ص: 271.



في نسق الأنبياء الإنسانيين، الذين تمثلت في قصصهم أجمل المعاني النفسية والروحية، فمن قصة "الخضر وموسى" و"موسى الكليم"، كما أثارت هذه الوقائع التي ذكرها القرآن الكريم الكثير من المعاني الصوفية بـ ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: 84]. إلى منزلة "خلع النعلين في واد المقدس" وإلى مقام "الن تراني"، وفيه قصة ابنتي شعيب، وذوده عن الحياض. فإن قصص موسى ومواقفه تثير الكثير من المعاني الإنسانية والمعاني الروحية التي تتمثل فيها كمال العبودية.<sup>1</sup> ووصف القرآن الكريم المسيح بقوله:

﴿إِنَّهُوَ الْأَعْبَدُ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: 59].

### المطلب الثالث: التباين بين الإسلام والمسيحية في تقسيم التاريخ البشري.

تقع عقيدة الصلب والفداء في القلب من مسألة العدالة والرحمة الإلهية، في حين أنّ الرّد الإسلامي عليها قد اعتمد ذات القيم لتفنيدها، ويمكن أن نتبين من مختلف الردود على النصراني في عقيدة الفداء عاملين أساسيين دفع المفكرين المسلمين إلى رفض هذه العقيدة: -العامل الأول: أن وضعية الخاطئ هي الوضعية العادية لدى المسيحي<sup>2</sup>، بينما ينكر الإسلام هذا الشعور بالإثم إنكاراً مطلقاً، ويوفر على الإنسان المركبات الناتجة عنه في سائر مجالات الحياة.

-العامل الثاني: إنّ التصور الإسلامي لله يقوم على أنّه تواب غفور رحيم فلا مجال فيه لإله فاد، وبالتالي إله حقوق يؤخذ عباده على خطيئة ما ارتكبت في حقه.

1 انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار ج 1، ص: 43 وما بعدها.

2 انظر: اعترافات القديس أوغسطينوس، ص: 20، 21.

كما أن دعوة المسيح كما نقلتها الأناجيل التي أرخت للمسيحية الأولى كانت منصبه على النفس الفردية وبعدها الداخلي، واستهدفت إحداث تحول جذري في النفس وفي الأخلاق، بخلاف المسيحية البولسية<sup>1</sup>.

ومفهوم التاريخ في الإسلام يحتوي على فترات ممتازة هي التي يبعث فيها الله أنبياءه ورسله، ولكنّه يرفض تقسيم التاريخ إلى عهدين متقابلين- ما قبل المسيح وما بعده- تختلف فيها المنزلة البشرية اختلافا جذريا، كما هو الشأن في التصور المسيحي، ولذا لا تبلغ المقابلة بين الجاهلية والإسلام رغم أهميتها في الضمير الإسلامي درجة واحدة مع تلك التي تتميز بهما المقابلة بين وضع البشر قبل صلب المسيح وقيامته، ووضعهم بعد سلوكه الفادي<sup>2</sup>، فالفارق نوعي وليس في الدرجة فحسب.

---

1 انظر: قراءة في كتاب الاخلاق المسيحية، محو علم مسيحيات إسلامي نقلا عن:

.Christian ethics faruki ; p : 311

2 انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، عبد المجيد الشرفي، ص: 401

## الباب الثاني: قيمة الحق في اليهودية

### والمسيحية والإسلام. وأثرها

تمهيد

الفصل الأول: قيمة الحق في الديانة اليهودية وأثرها.

الفصل الثاني: قيمة الحق في الديانة المسيحية وأثرها.

الفصل الثالث: قيمة الحق في الإسلام وأثرها.

الفصل الرابع: أوجه الاتفاق والتباين في قيمة الحق في الأديان الثلاثة.

## الفصل الأول: قيمة الحق في الديانة اليهودية وأثرها

المبحث الأول: الحق في الديانة اليهودية

المبحث الثاني: أثر قيمة الحق في الديانة اليهودية

## المبحث الأول : قيمة الحق في الديانة اليهودية

## المطلب الأول : معنى الحق ومكانته في الديانة اليهودية.

## أولاً : معنى الحق في اللغة والإصطلاح.

الحق في اللغة: هو نقيض الباطل، وهو مصدر حقّ الشيء يحقُّ، أي: وجب، وثبت، ومن باب ضرب. والحق: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، والشيء الحق الثابت حقيقة. (1) ،

أما عندما تطلق بالمعنى الحقوقي ؛ فإنّ كلمة 'الحقّ' : تدل على ما يمكننا أن نطالب به غيرنا، وبوسعنا أن نستدعي تنفيذه ،وهو يتقابل مع الواجب الذي يدلّ على ما يمكن لغيرنا أن يطالبنا به. وهو عادة أضيق من الواجب. (2)

أما في الفلسفة وعلم الأخلاق: فهو مطابقة الحكم للواقع ومطابقة الواقع له.

قد ميّز الفلاسفة وعلماء الاجتماع (كجان جاك روسو، وهوبز وسبينوزا) بين " الحقّ الطبيعي " : وهو الحقوق الملازمة لطبيعة الإنسان كإنسان ،وهي التي تؤسس لقواعد أخرى يتبناها العقل، وتحمل طابع الإلزام، والحق الوضعي " : و هي الحقوق المنصوصة في القوانين المكتوبة أو العادات والدين وغيرها(3).

1- . لسان العرب:49/10، القاموس المحيط مجد الدين الفيروزآبادي ،تحقيق:مكتب تحقيق التراث ،في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،(ط)1426هـ/2005م.بيروت -لبنان.: 228/3.

2- الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي الاجتماعي (عربي - إنجليزي)، د. كميل الحاج، لبنان، ناشرون، ط. 1، 2000م، ص: 206.

3- انظر: الموسوعة الميسرة، د/كميل الحاج،ص:207.

، 1956، édi. Sociales، Jean Jack-ransseau،Discours sur l'origine ET les font de l'inégalité parmi les hommes p. 64-65.

ويقابل الحق في الإعتقادات الباطل ، وفي المجتهادات الخطأ (1).

والشعور بالحق أسمى من كل القوى، وهو دافع حيوي يدفع الإنسان إلى ما يجب عليه أن يفعله، والحقيون يفعلون الحق ويقضون به. فالحق لا ينبغي أن يقتصر على من هو داخل الجماعة، وإنما هو شامل لكل إنسان، بما في ذلك الذين لا يحملون نفس مفاهيمنا عن الحق والعدالة. (2)

ثانيا : معاني الحق في اليهودية ، والكلمات ذات الصلة.

تأتي لفظة " الحق " في التوراة مقترنة بـ "لفظة"العدل" لكنهما قد تتحدان في المعنى، وقد تفترقان. بحيث تدل على معاني منها:

## 1 - الأمانة

يرى كثير من الباحثين في التوراة أن فكرة الحق بالنسبة للكاتب العبرانيين ترد قريبة من الأمانة في المعنى، وتحمل فكرة الإستقرار "، أو الرُسوخ أو الوثوق. وقد تستخدم فتعني المعنى الأول (الحق) أو المعنى الثاني (الأمانة) ومن ذلك، قول الملك حزقيا في صلاته: " أذكر يارب، كيف سرت أمامك بالحق وسلامة القلب"، وقد جاء في سفر التكوين، قول اليعازر: " مبارك الرب إله سيدي إبراهيم الذي لم يمنع لطفه وحقه عن سيدي " [تكوين : 49/24] ؛ بمعنى أن الله ظل على أمانته ووفائه لوعوده التي قطعها لإبراهيم (3)، وفي الأصحاح [16/34] في سفر

1 - انظر المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط. 3، 1420هـ - 2008م، ص: 304.

2 انظر : الحق والعدالة، إعداد وترجمة، محمد الهاللي وعزيز لوزق، ص: 16 والمعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د. عبد المنعم الحفني، ص: 304.

3- القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 39 - بتصرف وانظر : قاموس الكتاب المقدس : الحق - العدل، دائرة المعارف الكتابية - ن-م-س. المسيحية WWW.ST-Takla.org.

لخروج، ترد الكلمة (الأمانة - الحق) بمعنى شديد الوضوح [اشعيا : 2/26]. وتأتي بذات المعنى ومعبرة أيضا عن الصدق واليقين الثابت الراسخ في [الثنية : 4/32]، و[الفضة : 15/9].

## 2 - الصدق

وتأتي أيضا بمعنى الصدق الذي يتمثل في تجاوب طبيعة الإنسان تجاوبا كاملا مع المطلوب منه، وهي صفة يُمدح الإنسان بها متى وجدت، ويُدان إن غابت. ويظهر هنا الحق الإنساني في العلاقات والمسؤوليات الاجتماعية، ليس بالقول فقط بل في إستجابة الإرادة للالتزامات الأساسية.<sup>(1)</sup> وهنا يلتقي الحق الإلهي مع الحق الإنساني. [إرميا : 28/7، 3/9].

### ثالثا : مكانة الحق في الديانة اليهودية

تتبوأ قيمة الحق مكانة محورية في الديانة اليهودية، ففي التوراة "إني أنا الرب المجري الرحمة والحكم والعدل في الأرض، لأنني بهذا إرتضيت"، وبيّن الرب أن تلك الأفعال هي التي يجب أن تعرف وتتقبل، وهي : الإحسان والحكم " الحق " والعدالة : وزاد معنى آخر توكيدا وهو قوله في " الأرض " وقوله " بهذا إرتضيت "، يعني أن هذا هو غرضي منكم، فمن حصل له إدراك هذا القصد، حُقّ له أن يفتخر حقيقة؛ لأنه تشبهه بأفعاله تعالى، لذلك فقد جعله إرميا " غاية الكمالات الأربعة. وهو القمين بأن يكون مصدرا للفتخر "، هكذا قال الرب : لا يفتخر الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغني بغناه، بل بهذا فليفتخر المفتخر، بأنه يفهمني ويعرفني " أي أن الإفتخار هو بإدراكي ومعرفة صفاتي يعني أفعاله<sup>(2)</sup>. وقد اكتست

1- القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 39 - بتصرف وانظر : قاموس الكتاب المقدس : الحق - العدل، دائرة المعارف الكتابية المسيحية WWW.ST-Takla.org.

2- دلالة الحائرين، موسى بن ميمون، ج. 3، ص: 737-738 و740-741 - بتصرف.

هذه المعرفة لفظاً حقوقياً هو " العهد " الذي أمر شعب إسرائيل بأن يُخضع وجوده كلية له وللشريعة الناتجة عنه.(1)

وللحقّ مكانة بارزة في مزامير الشكر و في مخطوطات البحر الميت ، فالله هو إله الحقّ، والجماعة هم " شهود الحق من أجل الدينونة " ؛ لذلك فهم يؤكّدون على الحق كسمة للسلوك الأخلاقي، فالدخول إلى جماعة قمران هو تحوّل إلى الحق، ويقيد المبتدئون أنفسهم بقسم حتى يدخلوا مجال نفوذ " روح الحق" (2). ويستخدم المؤرخ اليهودي الشهير يوسفوس (37-95م) كلمة "حق" بمعان مختلفة :

فالحقّ هو الذي يتوافق مع حقائق الأمور. والحقّ أيضا هو الذي يثبت أنّه كذلك من خلال الأحداث التاريخية، مثل : أن يثبت صدق كلمات نبي ، واستخدام فيلون كلمة حقّ في مواطن كثيرة، و رأى أن حق الإلهي تحقق في الأحداث التاريخية في العهد والخروج وغيرها(3).

وفي "أجداه التلمود" تُبين قصة الخلق، وحوار الملائكة مع ربّ العزة، أهمية الحق في الديانة اليهودية، فقد اختار الله " ملاك الحقّ " ، دوناً عن غيره من الملائكة، كي يصل بين الأرض والسماء، حتى يتحقق التوازن والثبات في الكون ؛ "ثم سكت الجميع، ومن قلب الصمت صدر الوحي الإلهي ، فإلى الأرض تنزل معه يا ملاك الحقّ، لكنك تبقى مقيماً في أحواز السماء، متردداً بين السماء والأرض، محكما بينهما الوصال"(4).

1- انظر الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية (مدخل إلى العهد القديم)، ص: 29.

2- انظر : القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 40.

3- القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 38-39.

4- التلمود : كتاب اليهود المقدس، ص: 351.





## المطلب الثاني : التعاليم اليهودية بين الحق النظري والحق العملي.

يمثل " الحق " في التوراة عنصرا جوهريا في علاقة الرب مع الكون، الذي هو خالقه وحافظه، والإنسان الذي يمثل الغاية من الخلق<sup>(1)</sup>. وهو في الغالبية العظمى من النصوص التوراتية، ليس مدركا نظريا ومعنويا فحسب ولا يحمل معنى ذهنيا مجردا، فإن الله إله إسرائيل، يعلن حقه ليس فقط في كلماته بل أيضا في أفعاله، وهذا الحق يثبت عمليا من خلال ممارسات شعبه. وبالمثل لا يعبر الشعب عن احترامه لهذا الحق بتصوّر نظري ؛ لكن بشهادته اليومية وتعاملاته الشفهية والتجارية، لذلك ليس من المستغرب أن تجد في التوراة ما يدعونه اليوم بالنظرة الوجودية للحق، حيث يظهر التاموس كسراج يظهر للمؤمن مواطن الحق<sup>(2)</sup>. [مزمو: 18/45]. فالقاعدة في استخدام كلمة " الحق " في التوراة هي ابراز الهدف العملي في العلاقة بين الله والإنسان<sup>(3)</sup>.

وقد امتدحت التوراة : " السالك بالكمال، والعامل بالحق، والمتكلم بالصدق في قلبه " [مزمو: 2/15]. وأجمل إشعيا القيم الأخلاقية في عبارة موجزة : " هكذا قال الرب : احفظوا الحق واجروا العدل " [إشعيا: 1/56]. لذلك جاءت النصوص مبينة أن ضمان الثبات والدوام، الذي هو أساس اليقين والثقة في علاقات الله مع شعبه وفي تحقيق عهده، لا يتحقق إلا بتمثل هذه القيمة، ففي إرميا: " يقول الرب أنه لو وجد شخص واحد فقط يعمل بالحق في أورشليم، لما كان السبي<sup>(4)</sup>، ولصفح الله عن أورشليم لأجله "طوفوا في شوارع أورشليم، وانظروا واعرفوا، وفتشوا في ساحاتها، هل تجدون إنسانا عاملا بالعدل، طالبا الحق، فأصفح عنها" [إرميا

1- قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية، موقع الأبياتكلا. WWW.St-Takla.org مادة - الحق - بتصرف.

2- قاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 39.

3- انظر : قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية، مادة - الحق.

4- انظر : الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، ريمة شريف الصياد، ص: 215.

: [2-1/5]. لذلك، فعندما تستقيم إسرائيل وتصلح اعتقاداتها تتحقق الوعود الإلهية، فالذي يتبارك بهذا الإسم على الأرض، يتبارك بإله الحق، والذي يقسم به على الأرض يقسم بإله الحق " (1).

### أولاً : قيمة الحق في الأخلاق الإجتماعية والسياسية في التوراة.

دعت النصوص التوراتية والتقليد اليهودي إلى تحري الحق والأمانة في الشهادة، وفي المعاملات التجارية، وفي الحكم والتقاضي: " لا ترتكبوا جوراً في القضاء، لا في القياس، ولا في الوزن، ولا في الكيل. ميزان حق، ووزنات حق وإبفة حق، وهين حق يكون لكم " [لاويين : 36-35/9]، وفي التثنية: " وزن صحيح وحق يكون لك، ومكيال صحيح وحق يكون لك، كل من عمل غشاً مكروه لدى الرب إلهك " [تثنية : 16-15/20].

وقد عدّ الحق القيمة الأساسية التي من شأنها تثبيت دعائم الحكم، لذلك دعت إليه النصوص وحذرت من خلافه " الملك لحاكم بالحق للفقراء يثبت كرسيه إلى الأبد " [أمثال: 14/29]، و جاء في التوراة على لسان الملك حزقيا في صلاته: " اذكر يارب كيف سرت أمامك بالحق وسلامة القلب "، وفي سفر الأمثال: " مكرمة الملوك فعل البر؛ لأنّ الكرسي يثبت بالبر، مرضاة الملوك شفتا حق، والمتكلم بالمستقيمات يُحب " [أمثال : 13-12/16]. فالمقصد الأول من إنزال الشرائع والأحكام في التوراة، هو تثبيت الحق والعدل بين الناس، وهو ما أكد عليه أنبياء بني إسرائيل.

1- دلالة الحائرين، موسى بن ميمون، ص: 366. الوزنة جمعها موازين، والأبفة مقدارها: 45 لتر، والهين: 7.5 لترا. والمراد كما هو واضح من هذه الدقة في المكيال والموازين الترغيب في الحق والزجر من نقيضه (الكذب والغش) حتى فيما يبدو من الصغائر انظر في تفصيل هذه المكيال والقياسات؛ الكتاب المقدس؛ النسخة اليسوعية، ص: 37.

وقد سبق ابنُ ميمون العلماءَ المعاصرين إلى التأكيد على دور الأنبياء في الإضطلاع بمهمة تصحيح الإنحراف الديني والأخلاقي، الذي وقع فيه بنو إسرائيل؛ "لأنَّ أول الأمر جاء بعد الخروج من مصر، وهو قوله لنا هناك: إن أطعت أمر الرب إلهك إلخ، ثم وضع له فريضة وحكما، وجاء في التقل الصحيح فرضت السبت والقوانين، فالحق المشار إليه هو القوانين وهو رفع التظالم بين الناس وهذا هو القصد الأول، والتشريع الأول لم يكن فيه أمور المحرقة والذبيحة، فهي على جهة القصد الثاني وهذا المعنى بعينه الذي قاله "إرميا"، هو الذي قيل في "المزامير" على جهة التوبيخ للملة كلها في جهلها حين لم تفرق بينه وبين القصد الثاني"<sup>(1)</sup>. وفي سفر عاموس: "بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتدُّ بآعتكافاتكم... ليجر الحق كالمياه، والبر كنهر دائم،" [عاموس: 21/5]، لكنه يعود ويؤكد أنَّ هذه القيم هي خاصة بالجماعة اليهودية، كما دعا إلى ذلك الأنبياء مما يؤكِّد أنَّ الديانة اليهودية، قد عرفت ولا تزال إتجاهات إصلاحية حاولت الرجوع بها إلى القيم الإنسانية الجامعة، لكنها ظلت للأسف إتجاهات هامشية.

ولا تخلو التوراة من نصوص تقرّر ما للضعفاء والفقراء من حقوق سواء كانوا يهودا أم غرباء، ويذكر المتخصصون أن جلّها ينتمي إلى المصدر الألوهيمي الذي يحتوي على خصائص أخلاقية وإنسانية ميّزته عن باقي المصادر. ففي تعليق تقديس السبت، نجد في سفر الخروج (يهوي)، أن السبت هو يوم راحة؛ "لأنَّ في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقَدَّسه" [الخروج: 11/20]، بينما نجد في سفر التثنية (الألوهيمي) بُعدا إنسانيا واضحا، وحثّا على رعاية حقوق المستضعفين، فالسبب هو "لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك وأذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة، وذراع ممدودة، لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت" [تثنية: 14/5-15]. وفي سفر التثنية أيضا، "نهى الرب عن هضم

1- دلالة الحائرين، ج. 3، ص: 242-243 بتصرف.

حقوق المستضعفين من الأجراء ، وسوى في ذلك بين اليهودي والغرباء : " لا تظلم أجيروا مسكينا من إخوانك، أو من الغرباء الذين في أرضك في أبوابك، في يومه تعطه أجرته " [تشبيه : 15-14/24]، كما أن من جملة حق الإنسان على أخيه المعاملة بالحسنى ما لم يبادر بشر (1) : " لا تخاصم إنسانا بدون سبب، إن لم يكن صنع معك شرًا " [أمثال : 30/3].

### ثانيا : من صور الحق في الأخلاق اليهودية مع القريب والآخر.

رغب كثير من الحاخامات في الجمع بين حقوق الله وحقوق العباد، حيث ذكروا بأن من الأشياء التي ينبغي التنافس فيها لعظيم ثوابها " ركن الحقل، وبواكير الثمار، وقرابين الحج، والإحسان، وتعلم التوراة، وهذه هي الأشياء التي يجني الإنسان ثمارها في الدنيا. واحترام الأب والأم والإحسان لهما ، وإحلال السلام بين الرجل وقريبه وتعلم التوراة يُعادلها جميعا " (2).

**1- وركن الحقل :** هو الركن الذي يجب أن يتركه اليهودي عند حصاد حقله للفقراء، كما ورد في اللاويين [22-23-9/19]. وهناك تفصيل طويل في مسألة ركن الحقل في التلمود. وقد قضت التوراة بترك لقاط المحصول، أي ما يقع من الحاصدين خطأ، والغلال المنسية للفقراء والأرامل والأغراب، وبعدم جواز إلتقاطها، وجعلته من الحقوق المتعينة لهم، ولا منة للأغنياء عليهم<sup>3</sup>. وتشمل أحكام الزكاة عند اليهود كما وردت في التوراة، ترك جزء من المحاصيل ولقط السنابل للغرباء واليتامى والأرامل، "وعندما تحصدون حصيد أرضكم لا تكمل زوايا

1- انظر : التلمود : عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخامين حول الأخلاق، الآداب، الدين، التقاليد، القضاء، آ. كوهن (دكتور في الفلسفة في جامعة لندن)، وحاخام كنيس برمنغهام ، نقله إلى العربية، د. سليم طنوس، دار الخيال، بيروت، ط. 1، 2005، ص: 291-292-293.

2- ترجمة متن التلمود (زرعيم)، ص: 62.

3- انظر العبادات في الأديان السماوية اليهودية، المسيحية، الإسلام، عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، ص 95، 96

حقلك وكرمك لا تعله ونثار كرمك في الحصاد، ولقاط حصيدك لا تلتقط للمسكين والغريب تتركه، أنا الرب إلهكم" سفر اللاويين [9/19-23-22].

وقد تولّى الحاخامات تنظيم هذه الحقوق، وبيان أحكامها وحدودها، فقد قرّروا أن " من يضع سلّة تحت الكرمة عند جنيه للعنب فإنّه سلب الفقراء حقهم"، كما أن الحكم ذاته يقع على " من لا يدع الفقراء يلتقطون المحصول، أو يدع واحدا ويمنع الآخر، أو أنه يساعد أحدهم" (1).

**2 - العشور** " وتقابل الزكاة عند المسلمين، وإن كانت لا تعد ركنا من أركان الدين، إلا أن منعها يترتب عنه وعيد وزجر شديد، والعشور: هي عبارة عن مجموعة محددة من المحاصيل أوجبتها التوراة لضروريات مختلفة، وهي وفقا لرأي الحاخامات لا تجب إلا في الحبوب والزيت، مع خلاف بينهم في ذلك. وقد قضوا بالثلث من المحصول حقًا للفقراء، فإن لم يفرز فإن المحصول يظل دون عشر، ويحرم للأكل (2).

كما أننا نجد في سدر (نازكين) الذي تعالج فيه قضايا الجروح والجنايات، تأكيداً على رعاية الحقوق عامة ويركز على الآداب والأخلاق، وهي من الحقوق المعنوية. كحقوق الوالدين والجار، والأبناء والأغراب وما يترتب عن إهمالها<sup>(3)</sup>، لكنها لا تخلو من تفرقة بين ما يعتبر حقاً لليهود والأغيار. وقد جعل اليهود من " يوم الغفران" أو " يوم الكفارة"، وهو عيد من أعيادهم، يوماً يعلنون فيه نقضهم للعهد والمواثيق التي قطعوها لغير اليهود. وأفتى فقهاؤهم بأن الدّاعي

1- ويتم تقدير ركن الحقل تبعاً لمساحة الحقل، ولكنة الفقراء ولكثرة المحصول، أما إذا حصد " الجويم" حقلاً، أو حصده اللصوص أو قرض محصوله النمل أو حطمته الريح أو البهيمه، فإنه يعفى من حكم ترك الركن"، ترجمة متن التلمود - زراعي - ص: 67 و72-73.

2- انظر ترجمة متن التلمود (زراعي)، ص: 81-82.

3- انظر: الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان، (كتب الشريعة اليهودية - التلمود)، ص: 15 إلى ص: 33.

إلى ذلك كان إكراه اليهود على تغيير دينهم، وشاع بين عوام اليهود أنه يجوز في هذا اليوم أكل الدّيون ونقض العهود والوعود التي قطعها اليهودي على نفسه إلى الأغيار طوال العام، وإنكار جميع حقوقهم عليهم.

ويدّعي هؤلاء بأنهم يستندون في ذلك على ما جاء في التلمود، من أنّ الله جعل أموال باقي الأمم لبني إسرائيل، لما رأهم قد خالفوا السّبع وصايا المختصة بعبادة الأوثان، والرّبا، والقتل، والسرقة، وأكل لحم الحيوانات غير المذبوحة، وخصاء الإنسان، وإيلاد الحيوان من غير جنسه.<sup>(1)</sup> وقد جرّد هؤلاء قيمة الحق من كل بعد إنساني وحصروها في حدود الجماعة اليهودية، وسلبوا منها البعد المطلق، وهو إرتباطها بالله وبصفاته.

وقد ردّ كثير من رجال الدين اليهودي المعاصرين هذه البدعة، منهم حاخام بروكسل " دافيد برمان " الذي يقول في ذلك " أنه يكون من الخطأ الجسيم أن تفهم من هذا النص<sup>(2)</sup> إمكانية متاحة للإسرائيلي من عدم التمسك بما قطعه على نفسه من وعود وحقوق، فلا يمكن أن يكون هذا النصّ التعبدية ملغيا لما جاء في الشريعة - التوراة، [سفر التثنية 24/23]. " وأما ما خرج من شفتيك فحافظ عليه."<sup>(3)</sup>.

1- دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، ص: 246.

2- النص المقصود في هذه العبارة هو نص يتعبد به اليهود - باللغة الآرامية - يبدأ العبارة: "كل نذري وأساري وشبوعي... إلخ) التي معناها " كل النذور والتحريمات والأيمان ... فإنها ملغاة، وأن النذور ليست نذورا والتحريمات ليست تحريمات والأيمان ليست أيمانا.

3- انظر: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، د. حسين طاطا، ص: 169. نقلا عن David Berman، initiation، au Judaisme، Paris 1937-1938، p. 148،

## المبحث الثاني: أثر قيمة الحق في الديانة اليهودية.

## المطلب الأول: اليهودية بين قيمة الحق والنزعة البراغماتية

تميزت القيم والأخلاق في الديانة اليهودية بالبراغماتية، وهذا ما أكدّه كثير من الدارسين، فمنهج العهد القديم قد رسّخ الأنانية والانتهازية على مستوى الفرد والجماعة اليهودية، بحصر القيم العليا والأخلاق في دائرتها، حتى في التعامل مع الله، ففي سفر التكوين: "ونذر يعقوب نذرا قائلاً: إن كان الله معي وحفظني.. يكون الربّ لي إلهًا.. وكل ما تعطيني فأني أعشره لك" [سفر التكوين 28 / 20 / 22]، ولذلك أيضا لم يجد كثير من أحبار اليهود غضاضة من رفض غضب يهوه على داود، بسبب ما فعله لأوريا الحثي<sup>1</sup>؛ لأنّه لم يكن مجرد نبي من أنبياء بني إسرائيل، بل هو الملك الذي على يديه تأسست لبني إسرائيل مملكة قوية استطاعت أن تهيمن على ما جاورها من قبائل، وبرّروا ذلك بأنّ الله هو مصدر الشر، كما أنّ مصدر الخير، وإنّه أعطى الإنسان طبيعة رديئة، وسنّ له شريعة، لولاها لما كان يخطئ. وقد أجبر اليهود على قبولها<sup>2</sup>.

ومن النصوص التي تؤكّد هذه النزعة الانتهازية التي تجد لها تبريرا في التوراة، ولا تستثني منها حتى أكبر أنبياء بني إسرائيل شأننا إبراهيم عليه السلام، فهو الجد الأكبر لبني إسرائيل، وإليه ينسب العهد والميثاق. ومع ذلك تنسب التوراة لهذا النبي، التحايل وعدم تحري قول

1 "وكان في وقت المساء أن داود قام من سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا... فأرسل داود رسلا وأخذها فاضطجع معها، وهي مطهّرة من طمثها.. وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوب، و أرسله بيد أوريا و كتب في المكتوب يقول: .. اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت.. فلما سمعت امرأة أوريا أنّه قد مات رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له امرأته، وولدت له ابنا، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عين الربّ"، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح [١١، من ١ إلى ٢١، ٢٦، ٢٧]، وأوريا هو أحد القادة في جيش داود.

2 انظر: الكنز المرصود، ص: ٥٧، والخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص: ٧٩.



الحق، بهدف الإبقاء على نفسه وما قد يناله من بعض الرزق، "وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: إنني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك، قولي إنك أختي، ليكون لي خيرا بسببك، و تحيا نفسي من أجلك... فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى إبرام خيرا بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأثن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة، بسبب ساراي امرأة إبرام، فدعا فرعون إبرام وقال: ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي، والآن هي امرأتك، خذها واذهب، فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته و كل ما كان له". [سفر التكوين: 11/12 - 20]، وفي السفر نفسه نجد سيدنا إبراهيم، يكرر الصنيع ذاته، مع تبرير لا يغير من شناعة الفعل مع أيمالك.<sup>1</sup>

وهكذا غاب عن إبراهيم اليقين في الله والتوكل عليه، وهو من أولي العزم من الرسل، الذين هم الأولى بتمثل الحق في القول وفي الفعل، بل مما يستطيعه من هم دونه شأنًا، وكان غاية ما يهدف إليه هو حفظ روحه، و لعاعة من الدنيا ينالها، وتذكر التوراة أنّ إسحاق قد قام بنفس الصنيع مع زوجته 'رفقة' في قصة مشابهة<sup>2</sup>. وبدلا من تمحيص تلك الأخبار ونقدها، يلجأ أكثر علماء اليهود وحاخاماتهم إلى التأويل والتبرير، فمثل هذه القصص تتعارض مع مقاصد الأديان السماوية كلها، والأخلاق التي نصت عليها، ودعت إليها كتبهم، بل إنه يترفع عن اتيان تلك الفواحش كل من أوتي فطرة سليمة.

1 أيمالك: اسم عبري، ومعناه [أبو ملك] أو [الأب ملك]، وقد ورد اسم لأيمالك في فلسطين، عاش في عصر إبراهيم، وجاء أيمالك آخر في فلسطين عاش في عصر إسحاق، وتكرر معه أمر مشابه لما حدث لأبيه إبراهيم وأمه سارة، وكان كريما لطيفا في معاملته كسابقه، وجاء اسما آخر للملك الذي هرب إليه داوود من وجه شاول، ويبدو أنه كان لقباً لملوك فلسطين، قاموس الكتاب المقدس -أيمالك-، ص19، انظر: [سفر التكوين 6/1].

2 سفر التكوين، الإصحاح، 20 من 6 إلى 14].

وفي ظاهرة تبيّن عدم اغتراب اليهودي المعاصر مع القيم التي تحملها هذه النصوص، يذكر المفكر الفرنسي روجيه غارودي أنّ الإحصائيات حتى الإسرائيلية منها، تشير إلى أنّ 15 % من الشعب الإسرائيلي فقط متديّنون، ولكن هذا لا يمنع 90% من الإسرائيليين من التأكيد أنّ الأرض أعطاهم الربّ الذي لا يؤمنون به، كما أنّ المتديّنين تواطأوا مع الملحدين في إلزامية إدراج الدروس الدّينية في المناهج الدراسية، لما لها من دور في تعزيز فكرة الحق في الأرض والشعب الواحد المقدس<sup>1</sup>.

ولعله لهذا السبب، أنكر كانط أن تكون لليهود اتجاهات روحانية، وقال إنّهم معنيّون بالماديات. ولم يعتبر اليهودية ديانة؛ لأنّها لا تنطوي على أخلاق، ولا مكان فيها للخلود، ووصفها بأنّها عقيدة سياسية قومية<sup>2</sup>.

وقد حاول بعض العلماء تبرير هذه الظاهرة بقولهم إنّ تهمة النفعية، وإن كان لها صدى في الأخلاق اليهودية، إلّا أن ذلك يعدّ ضروريا لتطوير أي نظام أخلاقي، ويفرّق لازاروس Lazarus بين البسطاء من الناس وغيرهم، فالبسطاء لا يمكنهم تقييم الفعل إلّا بذكر الجزاء المترتب عليه، لأنّهم لم يتأهلوا للتعالم الأخلاقية المجردة، ولهذا تحقق التربية تدريجيا الاعتراف بالقيم العليا، والبحث عنها لذاتها<sup>3</sup>. وهذا أمر فطري ومسلم به. أمّا النفعية المذمومة فهي التي سبقت الإشارة إليها. وهي التي تحمل معنى إنكار الحق، وغمط أصحابه.

### المطلب الثاني : الحق الإلهي في أرض فلسطين.

1 الخرافات المؤسسة للأسطورة اليهودية، روجيه غارودي، نقله إلى العربية م.ع. كيلاني، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ودار الكتاب دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص: 163، 164.

2 الموسوعة التقديّة للفلسفة اليهودية، د.عبد المنعم الحفني، ص:9.

3 انظر: الأسس الأخلاقية في العهد القديم، مع مقارنتها بالقرآن الكريم، ص 334، 335، نقلا عن:

m.lazarus ethics of Judaism، 173، p171

يعتمد اليهود بشكل دائم على الحجّة التوراتية في إثبات شرعية احتلالهم لـ "فلسطين"، ونزعتهم التوسّعية المتزايدة، وعلى فكرة الحقّ الإلهي في تملك فلسطين، وما حولها"، وقد قال بن غوريون -رئيس وزراء الكيان اليهودي في المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرين 1961م- " منذ أن قامت دولة إسرائيل وفتحت أبوابها لكلّ اليهود الرّاعبين في القدوم إليها، فكّل يهودي متديّن يعصي -كلّ يوم ببقائه في الشتات- تعاليم يهوديته وتوراة إسرائيل ... إنّ اليهود خارج إسرائيل لا ربّ لهم؛ وصرحت " غولدماير " رئيسة وزراء (إسرائيل) عام 1972م في مقابلة صحفية: " لقد قام هذا الوطن إنجازا لوعده قطعناه لنا الله نفسه، ومن المضحك حقا أن يطلب أحد تبريرا شرعيا لوجود هذا الوطن(1).

ففي النص التوراتي إتجاه تأسيسي يضيف الشرعية على اغتصاب الحقوق، واغتصاب أمم وشعوب، وسلب أراضيها، "وصلّى إسحاق إلى الرّب لأجل امرأته لأنّها كانت عاقرا، فاستجاب له الرّب فحبلت رفقة امرأته. وتزاحم الولدان في بطنها ... فقال لها الرّب في بطنك أمّتان ومن أحشائك شعبان، شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير " [تكوين: 20/25-25].

ويبدو هنا النص الذي أسس لمفهوم " شعب الرّب وأرض الميعاد " مكرسا للمشيمة الإلهية المدّعاة، التي يجب أن تخضع لها الشعوب الأخرى تحت شعارات وتفسيرات لاهوتية، و تجعل من أولئك الذين كانوا أصحاب الأرض الشرعيين أجنب وأغراب، " تعطيتها للغريب

1- انظر اليهودية بين النظرية والتطبيق مقتطفات من التلمود والتوراة، علي خليل، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1997م، ص: 157-158، نقلا عن، فلسطين أرض الرسالات السماوية، روجيه غارودي، ت. قصي أتاسي، ص: 303-304-305 وانظر أيضا: الموسوعة الفلسطينية " مدخل إلى دراسة القضية الفلسطينية"، محمد الفراء، (المجلد الخامس)، قسم: 2، ط. 1، بيروت 1990، ص: 267 وما بعدها.

الذي في أبوابك"<sup>(1)</sup>. وتؤكد الرواية التوراتية دوماً أن موسى سعى " لأن يجمع أتباعه في إطار الوحدة السياسية -الدينية؛ لذلك خلت توجيهاته من أية نزعة إنسانية، واعتبر أن أية شفقة أو رحمة بطفل أو شيخ هي مخالفة صريحة للتشريعات وإحباط لجهوده<sup>(2)</sup>. وقد جاء في سفر العدد الأصحاح الثالث والثلاثون: " إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم، وتبيدون كل أصنامهم وتخربون جميع مرتفعاتهم، تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم ". ويضيف: " وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين يُستبقون منهم أشواكا في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقوكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها ".

فجمع الوعد بالأرض، بين إنكار حق السكان الأصليين في أرضهم لصالح بني إسرائيل "؛ لأنهم بنو إسرائيل، لا لسبب إنحراف السكان الأصليين ووثنتهم فقط، - لأنهما عارضان -؛ ولأن اليهود استمروا في إدعاء هذا الحق، حتى بعد أن " سكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم وأعطوا بناتهم لبنينهم وعبدوا آلهتهم "[القضاة: 5/3]. وحاد الشعب عن طريق الرب؛ لذلك فقد اعتبر الحاخام " برجر " الزعيم الروحي لجماعة اليهود الإصلاحيين أن الفترات التي تشكل منها اليهود كشعب ذي سيادة -على قتلها -هي فترات منبوذة بالمفهوم الأخلاقي<sup>(3)</sup>.

1- الحقيقة والأسطورة في العهد القديم، قراءة كتابية في جذور الأصولية الغربية، محمود يوسف الكبرا، ص: 45-46 و73-74 - بتصرف

2- اليهودية بين النظرية والتطبيق، علي خليل، ص: 45-46 - بتصرف.

3- انظر: اليهود واليهودية في العصور القديمة (بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات) ترجمة وتأليف، د. رشاد الشامي عن كتاب: السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين، فون باجوت كلوب، المكتب المصري للطباعة والنشر، القاهرة، 2001، ص: 06.

وبناء على ما سبقت الإشارة إليه من نظرية تعدّد مصادر التوراة " ، فإن العلماء يتفقون على أن وعود إبراهيم لم تكتب لفترة إمتدت قرابة تسعمائة عام، وأنها اكتملت بعد وفاته بنحو ألف وخمسة مائة عام، وعندما كتبت كانت مملكة داود تتطلع في ذلك الوقت، إلى حكم فلسطين كلها، ومن ثم يثور إحتمال بأن المدونين الذي جمعوا و صنفوا سفر التكوين كانوا هم الذين نسبوا أطماعهم إلى إبراهيم "(1). وهو ما عبّر عنه المسيري بتحويل النزعة الأرضية أي الإرتباط بالأرض والدينيوية أي الإرتباط بالدنيا " وهما من الأمور المادية إلى قيمة مطلقة دين (2). ويربط المفكر الصهيوني الروسي أحاد هعام بين فلسفة نيتشه في الإنسان الأعلى ؛ وفكرة شعب الله المختار فيبين أنّ المقولة الأساس النيتشوية الخاصة بتفوق النموذج الإنساني الأعلى على بقية البشر هي مقولة يهودية ، وإذا كان الهدف من الحياة هو الإنسان الأعلى، فيجب أن نقبل بإرتباط ظهوره بظهور الأمة الممتازة ، أو الأمة العليا. وفي هذه المنظومة تبرز فكرة الحقّ الإلهي، فهناك من ناحية اليهود وهم أصحاب القوة المطلقة ، ومن ناحية أخرى الأغيار وهم الفلسطينيين بشكل خاص، الذين لا حقوق لهم، وهذه الحقوق اليهودية المقدسة المطلقة تجبّ حقوق الآخرين(3).

كثيرا ما يطفو في مثل هذه القضايا، علاقة الحق بالقوة، إذ غالبا ما تُسقط القوة " القيمة الأخلاقية " ، وتجسّد الديانة اليهودية هذا الصّراع في تاريخها القديم والحديث، ففي القديم تغلبت عنصرية عزرا على اليهودية الإصلاحية للأنبياء، وفي العصر الحديث نجحت الصهيونية في إستيعاب معظم التيارات " بما فيها الدينية على حساب التيار الإصلاحي، الذي حاول

1- اليهود واليهودية في العصور القديمة، ص: 15-16 - بتصرف.

2- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ج. 2، ص: 459.

3- انظر : موسوعة اليهود واليهودية، ج. 2، ص: 461-462-463. ويقرّر المسيري أنه لا يمكن فهم الفلاسفة الدينيين اليهود المحدّثين " كمارتن بوبر " وأحاد هعام " وغيرهما إلا من خلال " نيتشه " ولا يمكن فهم " الصهيونية " إلا من خلال النازية والداروينية.

أن يطبع الديانة بطابع أخلاقي إنساني؛ لذلك اعتبر بن غوريون أنّ الجيش الإسرائيلي، هو خير مفسر للتوراة، وهم لا يتحدثون عن طرد الفلسطينيين، إنّما " تهجيرهم أو دمجهم في المجتمعات العربية " ولا عن " الإستيلاء " على القدس وإنما عن " توحيدها "، ولا يتحدثون عن " إحتلال فلسطين "، وإنّما " عن إستقلال إسرائيل " أو " عودة الشعب اليهودي إلى أرض أجداده(1).

وتجدر الإشارة هنا إلى حقيقة في غاية الأهمية، وهي أنّه بالرغم من أنّ الديانة اليهودية سعت لتثبيت فلسطين في الوعي والتراث الديني، باعتبارها حقا إلهيا مشروعاً، إلا أنّ اليهود، منذ السبي البابلي (6 ق. م.) وحتى يومنا هذا فضّلوا الشتات على العودة إلى أرض الميعاد، ما عدا قلّة منهم، إذ تذكر كتب التاريخ أنه لما إستولى قورش الفارسي سنة (539 ق. م.) على إمبراطورية بابل، وأعلن التسامح الديني العام، وعزم على ترميم الهيكل في أورشليم (القدس)، عادت جماعة صغيرة إلى القدس وبقي كثير من اليهود في بابل<sup>2</sup> لأنهم آثروا ألا يتركوا ممتلكاتهم(3)، وكذلك كان الأمر في كل مكان استوطنوه.

وفي القرون الوسطى، نَعِم اليهود بهامش كبير من الحرية، ومنها حرية التنقل في ظل الحكم الإسلامي، ففضّل يهود سوريا، والعراق، ومصر، البقاء في أوطانهم. وقد حصل الأمر ذاته في العصر الحديث، فإنه بالرغم من الإمتيازات والمغريات التي رافقت إنشاء هذا الكيان (إسرائيل)، وبالرغم من معارضة قادتهم الصهاينة للإندماج، ومنح اليهودي أي حقّ إلاّ الهجرة إلى " الوطن القومي اليهودي "، إلا أن أغلب اليهود في العالم فضّلوا البقاء في أوطانهم، واكتفوا

1- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ج. 2، ص: 458.

2 - انظر : اليهود واليهودية في العصور القديمة، فون باجوت كلوب،ت: رشاد الشامي، ص: 137-138. نقلا عن فلافيوس يوسيفوس، آثار اليهود، الكتاب الحادي عشر.

3- انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج: 2، ص: 456.

بترديد تحية "السنة القادمة في أورشليم". مما يدل على أن الذي حافظ على اليهود هو "الدين"  
وليس الإستقلال السياسي والوطن المشترك.

### المطلب الثالث : الحق في الحرية الدينية في الديانة اليهودية.

الحق في الحرية الدينية هو حق الأفراد في اختيار معتقداتهم الدينية، وممارسة هذه الطقوس التي تستلزمها هذه المعتقدات، وكذا الشعائر الخاصة بدينهم<sup>1</sup>.

لم تعرف الديانة اليهودية على مدار تاريخها أحداثا حاول اليهود من خلالها إنكار حق الغير في عبادة آلهة متعددة، أو إجبارهم على الدخول في اليهودية، - إلا نادرا -، فالديانة اليهودية كانت في جل مراحلها غير هدائية؛ لذلك فقد حملت فكرة الدخول في الدين اليهودي، أو الخروج منه دلالة غير مستقرة تراوحت بين الإلتزام الديني والإلتزام القومي، ومع ما حفل به تاريخ اليهود من أحداث ردة عن دينهم، وثقتها كتبهم، في مراحل متعددة من تاريخهم:

- أولها الردة الجماعية التي حدثت، بعد الخروج من مصر، حيث عبد بنو إسرائيل العجل أسوة بالمصريين، كما تحولوا في مرحلة لاحقة إلى عبادة البعل " إله المؤابيين، كما عرف اليهود تحولا جماعيا إلى المسيحية، ثم إلى الإسلام بعد ذلك.

وقد قضى موسى في حالة الجماعة الأولى بالقتل الجماعي لكل أولئك الذين بدّلوا دينهم وفارقوا جماعة بني إسرائيل، وأصبح - هذا الحكم مبرما وساريا بعد ذلك، "إن سمعتم عن إحدى مدنكم التي يهبها الرب إلهكم لتسكنوا فيها أن بعض الفاسقين قد خرجوا من بينكم، وضلّوا سكان مدينتهم قائلين : لنذهب ونعبد آلهة أخرى غريبة عنكم، فافحصوا الأمر أولا، وتحققوا منه بدقّة، فإن تبين لكم صدقه ... فاقضوا قضاء على سكان تلك المدينة وعلى

<sup>1</sup> حقوق الإنسان في القرآن والسنة: محمد بن أحمد بن صالح الصالح، د.ن، (ط) الأولى: 1423هـ-2002م. الرياض، ص: 150، وانظر: حقوق الإنسان في الإسلام (دراسة مقارنة مع الاعلان العالمي والاعلان الإسلامي لحقوق الإنسان): د/محمد الزحيلي، دار ابن كثير، (ط) الثانية: 1418هـ-1997م. دمشق سورية، ص: 171، ومقال الحرية الدينية في الشريعة الاسلامية، أبعادها. وضوابطها، د/محمد الزحيلي، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد 27، العدد الأول، 2011م، ص: 383.



بهائمهم واقتلوهم بحدّ السيف ... وأحرقوا المدينة مع كل أمتعتها كاملة إنتقاما للرّب، فتصبح تلا خرابا إلى الأبد لا تبنى بعد " [تشية : 12-17/13]. وفي هذا النص يتبين - دون لبس - أنّ القصد من العقوبة هو زجر الجماعة اليهودية، وتحذيرها من الوقوع في هذه المخالفة، لا الفعل ذاته، إذ ما هي الحكمة في قتل الأطفال، و حرق البهائم وإتلاف الأموال، ومنه أيضا تشدّد الحاخامات في الحكم بالقتل على سلوكيات بعيدة عن قضايا العقيدة، أو حقوق الغير، إنّما قد تحمل دلالة ثقافية أو قومية، كحلق أطراف الرأس، أو أكل اللحم مع اللبن<sup>(1)</sup>.

وفي التشية أيضا "إذا أضلك سرّا أخوك ابن أمك، أو ابنك أو ابنتك، أو زوجتك المحبوبة، أو صديقك الحميم قائلا : لنذهب ونعبد آلهة أخرى غريبة عنك وعن آبائك من آلهة الشعوب الأخرى المحيطة بك، أو البعيدة عنك من أقصى الأرض إلى أقصاها فلا تستجيب له ولا تصنع إليه، ولا يشفق قلبك عليه، وتترأّف به، ولا تتسرّر عليه، بل حتما تقتله، كن أنت أوّل قاتليه، ثم يعقبك بقية الشعب، إرحمه بالحجارة حتى يموت، فيشيع الخبر بين الإسرائيليين جميعهم، ويخافون، ولا يعاودون ارتكاب مثل هذا الأمر الشنيع بينكم ". [تشية : 6-11/31]. و في الفترة التي جمعت فيها الديانة اليهودية بين السلطة الدّينية والسلطة الزّمنية، لم تجعل هذه الأخيرة من أهدافها القضاء على الوثنيات التي كانت محيطة بها ولم تحرص على نشر التوحيد بينها.

أما الأمم السبع التي كانت الأرض الموعودة لإسرائيل في حوزتها، فقد إجتثت تماما، ولكن لم يكن ذلك بسبب وثنيّتهم، لأن تلك القوانين لم تطبق على البلدان الواقعة خارج حدود أرض الميعاد، على الرّغم من أنها أخضعت لهم ؛ فقد هزم " داود " و " سليمان " بلدانا عديدة خارج أرض الموعد حتى الفرات. ولم يجبر أي من تلك الأمم على اعتناق الدّيانة اليهودية وعبادة الإله الحق، أو أنهم عوقبوا على وثنيّتهم، ومن قام من هؤلاء بتغيير دينه طواعية ودون

1- انظر: دلالة الحائرين، موسى بن ميمون، ج: 3، ص: 689 وقد ورد النهي عن طبخ الجدي بلبن أمه في التوراة [تشية 14/]. وهي عادة كنعانية. ولا يزال أهل الشام يحتفظون بها إلى يومنا هذا.

اجبار، فقد فعل ذلك ليتحصل على إمتيازات، مادية أكثر منها دينية، فالوثنية لم تكن مرفوضة إلا في حدود أرض كنعان. وأما خارجها فليعبد من شاء ما شاء<sup>(1)</sup>؛ لذلك نلاحظ تساهلا في الأحكام التي تتعلق باختلاف الدين - ما لم يمس ذلك بوحدة الجماعة اليهودية ومصالحها، من ذلك حكم الحاخامات في كتاب الزروع بأنه: " إذا ورث الجوي - غير اليهودي والمتهود -أباهما الجوي، فيمكن لليهودي أن يقول للجوي: خذ لك الأوثان، وسأخذ النقود، خذ الخمر وسأخذ الثمار، وإذا دخلت هذه الأشياء في حيازة المتهود فإنها تحرم عليه<sup>(2)</sup> ". وأما الذين ولدوا في أحضان الطقوس الموسوية، ثم أنكروا فيما بعد عبادة إله إسرائيل. فقد إتهموا بالخيانة العظمى كحد أدنى. وسبب ذلك أنّ الدولة اليهودية، مؤسسة على تيوقراطية مطلقة. ولم يكن ثمة فارق بين الدولة، وقوانين عبادة الإله الواحد غير المنظور في قوانين الشعب اليهودي؛ فهي جزء من النظام السياسي حيث الله هو المشرع"<sup>(3)</sup>. ويذكر المسيحي أن لفظ مرتد قد حمل معنى الخيانة القومية باعتبار أن كل إله كان مقصورا على شعب واحد بعينه، فقد ظل هذا المصطلح يحمل بعدا إثنيا، فالمرتد ليس من ترك دينه، وإنما من ترك قومه؛ وقد عرفت 'الشريعة اليهودية' اليهودي بأنه: "من ولد لأُم يهودية"، فمن ارتد عن دينه فإنه سيظل كذلك، وهذا أمر مفهوم في الإطار الحلولي، حيث يحلّ الإله في الشعب تماما ويصبح موضع القداسة ومصدر المطلقية"<sup>(4)</sup>. ويتساءل د. " ستفي فيربلوسكي " : هل لا يصبح اليهودي يهوديا إن أنكر وجود الله، أو أنكروا خلود الروح... أم أنه حرّ في أن يفكر كما يحلو له؟ تم يجيب: بأنّ اليهودية يمكن فهمها جزئيا كعملية تاريخية مستمرة. تعتمد على حفظ العهد

1- انظر: رسالة في التسامح، جون لوك، ت: منى أبو سنة، مراجعة مراد وهبه، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط 1، 1997، ص: 48-49-50. وقد سبق التعريف بالأُمم التي أمرت التوراة بإجتنائها.

2- ترجمة -متن التلمود- كتاب الزروع، ص: 119. وفي الإسلام اختلاف الدين مانع من التوارث، وإن كان في ذلك تفويت مصلحة للمسلم.

3- رسالة في التسامح، جون لوك، ص: 48-49، بتصرف.

4 موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، عبد الوهاب محمد الميسري، ص: 343-344 بتصرف.

مقابل أن يكونوا مملكة كهنة وأمة مقدسة<sup>(1)</sup>. وقد عرفت اليهودية ظاهرة التكفير والأحكام بالحرمان والعزل بين المدارس الدينية والفكرية، ومن أمثلة ذلك، قضية تكفير "موسى بن ميمون"، بسبب آرائه الفلسفية والفكرية، وقد تزعم تيار الرافضين له "الحاخام سليمان بن إبراهيم" من موبلييه، وقد عللوا حكمهم عليه، بأنه جعل أرسطو في مرتبة المشرع الإسرائيلي، وأنه بالغ في تأويل نصوص التوراة<sup>(2)</sup>. وفي العصر الحديث؛ حكم اليهود بالكفر والطرده على أسبينوزا، وحاول بعض المتطرفين إغتياله<sup>(3)</sup>. بسبب آرائه وفلسفته. ويذكر المؤرخون أنّ هناك مراحل في التاريخ اليهودي، عرفت محاولات لإكراه غير اليهود على إعتناق الديانة اليهودية، حيث يذكر "فون باجوت جلوب" أنّ الحشمونيين الذين حكموا يهوذا (بين 166-38 ق. م.) وكانت بداية حكمهم قد إتخذت طابع الثورة الدينية، إلّا أن عهدهم تميز بإضطهادهم لليهود الأتقياء الذين كانوا يعرفون في ذلك الوقت باسم الفريسيين. ويضيف في مقارنة لذلك العصر بما حصل لليهود في التاريخ المعاصر، أنّه على نحو ميلاد إسرائيل الجديدة العسكرية العدائية من الإضطهاد النازي، أحالت المقاومة الأصيلة ضد أنطوخوس الرابع<sup>(4)</sup> "يهوذا" إلى ولاية عسكرية عدوانية متعصبة هاجمت كل جيرانها الذين كانوا يفتقدون إلى التنظيم العسكري. كما قام بغزو الأدوميين، وحتّى يزيد "يوحانان المكابي" (ت. 160 ق. م.) من أعداد جيشه حوّل

1- انظر : موسوعة الأديان الحية، ج. 1، ص: 102-103.

2- انظر : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط. 1، 1400 هـ - 1980م، ص: 39-40.

3- أسبينوزا - باروخ : فيلسوف هولندي الموطن، يهودي الديانة (1632-1677م) درس التلمود دراسة واسعة وأيضاً موسى بن ميمون وكتب القبالة، أتقن عدّة لغات. من أهم مؤلفاته: الأخلاق، ورسالة في اللاهوت، وقد أبعده الطائفة، اليهودية وحكمت عليه بالكفر والطرده وعائلته أيضاً بسبب آرائه، وعاش من صقل العدسات - موسوعة الفلسفة : عبد الرحمن بدوي، ج. 1، ص: 136-144.

4- إمبراطور يوناني، عرف بحرصه على ولاء الأقليات فحاول طمس شعائر اليهودية وقضى بعقوبات صارمة لكل من يحي سنة الأختتان، أو يحرم أكل الخنزير (169 ق. م.) وقد نصب تمثال جوبيتير في الهيكل.

الأدوميين قسرا للديانة اليهودية<sup>(1)</sup>. وهكذا فقد وقع المكابيون في نفس الأخطاء التي ثاروا ضدها، وخالفوا المبادئ التي ألتف حولهم الناس بسببها، فاعتمدوا القمع الوحشي للخصوم، والإكراه من أجل التغيير الجماعي للدين والتوسع في طرد الجيران من أراضيهم<sup>(2)</sup>؛ بالرغم من أنّ الهدف من ثورتهم كان التحرر من القيود التي فرضت على اليهود لممارسة شعائر ديانتهم والضغط التي مورست ضدهم للتخلي عن هويتهم.

1- اليهود واليهودية في العصور القديمة (بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات) ترجمة وتاليف ك. د. رشاد الشامي عن كتاب السلام في الأرض المقدسة " تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين "، فون باجوت جلوب، المكتب المصري للطباعة والنشر، القاهرة، 2001، ص: 154-155 - بتصرف.

2- انظر: - ن - م - س، ص: 1.

## الفصل الثاني: قيمة الحق في الديانة المسيحية وأثرها

تمهيد

المبحث الأول: معاني الحق في الديانة المسيحية.

المبحث الثاني: مصادر الحق في الديانة المسيحية.

المبحث الثالث: التعاليم المسيحية بين الحق النظري والحق العملي وأثرها على

المجتمع الإنساني.

المبحث الرابع: الحق في الحرية الدينية في المسيحية ومراحلها.

تمهيد

الحق في الديانة المسيحية قيمة عليا؛ يظهر ذلك في كثرة تردد هذه الكلمة في الأناجيل على لسان عيسى - عليه السلام - وعند التلاميذ؛ وهي لا ترد بالمعنى النظري المجرد، بل إن جل النصوص تجمع بين الحق النظري والحق العملي، لأن المسيحي كمدعو لبنوة الله ينبغي أن يتوق دوماً إلى تمثل هذه القيمة وتحقيقها. وباستقراء النصوص المسيحية، نجد أن الحق فيها ينقسم إلى ما هو حق لله، من طاعة وتعظيم وتبجيل وهو مقرر للمسيح - عليه السلام - بنفس القدر. ومنه ما هو مشترك بين حق الله وحق الإنسان، كحق الإشتراك في المنافع والأموال وغيرها، ومنه ما هو مقرر حقاً للإنسان كحق الحياة " لا تقتل، فإن من يقتل يستوجب حكم القضاء "، وهي في الواقع كلها حقوق فيها حق الله تعالى، لأنه هو الحق؛ مصدره والموجب له، ثم إن المسيحية بعد القرون الأولى اجترحت لنفسها من خلال المؤسسة الكنسية أنواعاً أخرى للحق من خلال تأويل النص الديني، سنتعرض لها بشيء من التفصيل في ثنايا هذا الفصل إن شاء الله.

## المبحث الأول : معاني الحق في الديانة المسيحية.

## المطلب الأول : معاني الحق في الديانة المسيحية.

## أولا : معاني الحق و الألفاظ ذات الصلة.

لم يسعفني ما بحثت فيه من مصادر من إيجاد كلمة مطابقة لكلمة الحق، لكن هناك ألفاظ تدل على بعض وجوهه ؛ ككلمة آمين أو صدق أو كلمة البارقليط أو روح الحق فهي تدل ضمنا على الحق دون ترادف. كما أنني لم أقف على تعريف إصطلاحي فيما أطلعت عليه منها، بالرغم من كثرة تردد هذه الكلمة في جل النصوص المسيحية.

1 - آمين : كلمة عبرية ومعناها " ثابت " أو " راسخ " أو " صادق " وهي تستعمل

أ - لتنفيذ التحقيق أو التأكيد في قسم أو عهد.

ب- في ختام الصلاة بمعنى " ليكون هكذا أو " ليتم هذا الأمر " أو بمعنى " استجب " [كولوسي 16/1:14].

ج - وقد استعملها المسيح كثيرا في فاتحة كلامه وترجمت الحق فوردت هذه العبارة " الحق أقول لكم " مرات كثيرة في الأناجيل، وهي في الأصل " آمين أقول لكم " أو " آمين آمين أقول لكم " <sup>1</sup>.

د - إستعملت إسما ليسوع المسيح كما في [رؤيا : 14/3] وصفة له كما في [كورنتس : 20/1] واستعملت أيضا اسما لله أوصفة له وترجمت " الحق " [إشعيا : 16/65].

1- قاموس الكتاب المقدس، تأليف مجموعة من اللاهوتيين والأساتذة ذوي الإختصاص، مادة " آمين"، ص: 6 - 7.

**2: الصدق :** وجاءت على لسان 'بولس' بمعنى " صدق " " أفقد صرت إذا عدوا لكم لأنني أصدق لكم " [غلاطية : 16/4]. وكلمة الحق في الرسائل الرعوية تحمل معنى الإعلان المسيحي الصادق والصحيح، في مقابل ناشري الأفكار والعقائد الكاذبة. ويصر بولس على أن كل شخص يجب أن يقول الصدق مع قريبه، " لأننا جميعا أعضاء في جسم واحد ؛ فالمحبة لديها من الشجاعة ما يكفي لتواجه الحق بما يستلزم نزاهة الحياة بجانب قول الصدق<sup>1</sup>. وقد قدم 'الفريسيون' في سؤالهم المسيح لإستدراجه بقولهم " يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق " ولم يخفِ يسوع الحق بدافع الخوف وصدقهم في جوابه<sup>2</sup> ] متى : 16-15/22].

**3: القانون:** وقد استعملت كلمة " القانون " في العبارات الدّينية، كمقياس " لدرجات الكمال المسيحي ، وأطلق " أيريناس " عبارة " قانون الحق " على دستور الإيمان المسيحي ؛ وكما استعمل ' أقليمس الإسكندري' (150م-215م) " عبارة " قانون الحق ". وفي شأن هذا " القانون " يقول ترتليانوس: " إننا نحن المسيحيين نعرف وندرك حقيقة ما نؤمن به ؛ فهو ليس فكرة غامضة. بل إن في وسعنا وضعها في حدود معينة وبها تفحص الأرواح إذا كانت من الله<sup>(3)</sup>. ويقابل هذا التأكيد، نفي كل إعتقاد يخرج عن ما قُدر في هذا القانون واعتباره باطلا.

**4: روح الحق - البارقليط - :** وقد توقف موريس بيكاي مطولا عند النصوص التي ذكرت " البارقليط " في إنجيل " يوحنا"، واستخدم الأدلة اللغوية واللسانية لإثبات أن البارقليط

1- القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 41-42 بتصرف.

2 - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 40.

3 - مجموعة الشرع الكنسي، قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة؛ حنانيا إلياس كساب ؛ ص: 47-48



الذي جاء ذكره في يوحنا لا يقصد به "الروح القدس"، كما جاء في كتب الشرح من مختلف المذاهب المسيحية،: "وعندما سيأتي روح الحق، فسيحملكم على الأرض بالحق كاملاً، لأنه لن ينطق عن الهوى، ولكنه سيقول ما يسمعه وسيُعرفكم بكل ما سيأتي، ولسوف يمجّديني... " [يوحنا : 16/13-14].

فبارقليط يوحنا كائن بشري مثل عيسى - عليه السلام - موهوب بطاقة السمع والكلام، هاتين الطائفتين اللتين يحتويهما نص يوحنا اليوناني بوضوح - وهو النص الذي كتب به يوحنا إنجيله - فيخبر بأن الله سيرسل بعد عيسى شفيعاً آخر " [14/16] كما كان هو، أما كلمة "الروح القدس" فهي حسب تقديره إضافة مقصودة وهادفة إلى تحريف المعنى الأساسي للمقطع الذي يخبر بمجيء رسول بعد المسيح لأنه يتضاد مع تعليم الكنائس المسيحية التي تريد أن يبقى المسيح آخر الرسل<sup>1</sup>.

**5: اليوم الآخر:** يذكر يوم الدينونة بأنه اليوم الذي يحكم فيه بالحق والعدل، فهو اليوم الحق على الذين آمنوا بالمسيح، والذين أنكروه، وفيه يكون الفرحة في الحق الذي لا يتحقق إلا بالانضمام إلى يسوع أو الشقاء الأبدي. وفي [يوحنا : 8/16] يضع الروح القدس الجماعة المسيحية في ضوء الدينونة التي يريد بها بوضوح اليوم الأخير<sup>(2)</sup>، حيث لا يستثنى في حكمه شيء؛ "أقول لكم: أن كل كلمة باطلة يقولها الناس يحاسبون عليها يوم الدينونة لأنك تزكّي بكلامك، وبكلامك يحكم عليك" [متى : 36/12-37]. ويفرق أغسطينوس بين الفرحة والسعادة التي سماها الفرحة في الحق، والتي يقصد بها - الجنة - لأنّ الفرحة يعطي للكفار وللمؤمنين، وأمّا السعادة الحقّة فلا نصيب فيها إلا للمؤمنين فالسعادة لا تكون إلا بالله ولله وبسبب الله. وفي نص يجمع بين الفلسفة والتصوف، يغوص فيه في متاهات ودقائق الجانب النفسي من

1 - انظر التوراة والإنجيل والقرآن والعلم؛ ص: 128-133.

2 - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 42. بتصرف.

الذاكرة إلى قصة الإنسان الأول آدم والخطيئة الأولى حيث يتساءل " ... أو ليست السعادة مطلب جميع الناس؟ أين عرفوها حتى يريدوها كهذا؟ ... هل كانت السعادة في ذلك الإنسان الذي كان أول مذنب ... والذي ولدنا منه جميعا بشقائنا؟ ... إذن فهي معروفة يعرفها الجميع وهي مطلب الجميع ... وما كان ذلك ليقع، لو لم تكن الدلالة عينها التي لذلك الاسم هو أنها محفوظة في ذاكراتهم ... إنه يمتلك عن كثير من المجردات تصورا باطنيا ثابتا ومدركا بالحواس، أما السعادة، فإدراكنا لها منفلت من قبضة الحواس.<sup>1</sup>

### ثانيا: الألفاظ المقابلة.

وقد اخترت من الألفاظ المقابلة للحق لفظتي: الكذب و الظلال اللتين لا تعدان في المسيحية مخالفة أخلاقية فحسب بل موقف مناكف ورافض للدين الحق.

1: الكذب: يقدم إنجيل يوحنا ثنائية الله والشيطان من جهة الحق والكذب، " فالشيطان كذاب وأبو الكذاب " [يوحنا: 44/8] " والكذب والموت يتعارضان مع الحق والحياة الملهمة، فالكذب هنا ببساطة ليس هو قول شيء غير صادق بل بالأحرى يعني الإرادة الموجهة ضد الله، وعدم الإيمان والعبث [يوحنا: 47-41/8] وهو يجمع بين البعدين اللاهوتي والإنساني.

والتضاد بين الحق والكذب، ليس العامل الوحيد الذي يقرر التمييز بين تلاميذ يسوع وأعدائه ... بل أيضا في التقدير الكاذب الذي يعطيه البشر لأنفسهم في علاقتهم مع الله ... والاعتراف بمعرفة المسيح بينما نعصي وصاياه، والاعتراف بالمحبة لله بينما نكره إخوتنا، إن الكذب ليس فقط خطيئة أخلاقية لكنه أيضا إظهار لحياة منفصلة عن الله ... لم يكن الكذب في نظر الأنبياء مخالفة أخلاقية، بل موقفا أخلاقيا أساسيا يرفض الله الواحد الحق.<sup>(2)</sup>

1 - اعترافات القديس أغوستينيوس، ص: 198-199-200، وص: 173-174 بتصرف.

2 - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 735 وانظر ص: 42.

وفي كتابات قمران يُنسب الكذب لإعداء الله وقوات الظلمة وهم الأشرار، والمستهزئون، والمنافقون والكاذبون والمفترون أما أعضاء جماعة الله فيدعون أولاد الحق، وتأتي أيضا بمعنى الحق كنقيض للضلال، أو الخداع أو الكتمان في العهد الجديد.(1)

2-الضلال: وقد ورد ما يقابل لفظة 'الحق' الضلال، إذ خاطب المسيح الذين حاربوه من بني إسرائيل بقوله: " أنتم أولاد أبيكم إبليس تريدون إتمام شهوات أبيكم . كان منذ البدء قتالا للناس ولم يثبت على الحق، لأنه ليس فيه شيء من الحق، فإذا تكلم تكلم بما عنده لأنه كذاب وأبو الكذب، أما أنا فلاني أقول الحق لا تؤمنون بي [ يوحنا : 8/25-28] ويقابل الحق هنا الضلال والخداع.(2)

1 - ن - م - س، ص: 734. بتصرف، وانظر ص: 38-40.

2 - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 42.

## المبحث الثاني : مصادر الحق في المسيحية

## المطلب الأول : الله هو الحق الأعلى.

## أولاً: الحق هو صفة من صفات الله.

الحق من صفات الله الثابتة له، وكل إتساق وتوازن في كل ما خلق وبرأ، هو تجلّ للحق الأعلى ولطبيعته " فالحق يوجد في العقل من حيث يتصور الشيء، كما هو في الخارج من حيث له وجود مطابق للعقل ... وهذا موجود في الله على غاية الكمال لأنّ وجوده ليس مطابقاً لعقله فقط بل هو عين تعقله أيضاً ؛ وتعقله مقدار وعلة لكل وجود آخر وكل عقل آخر. فإذا يلزم أن ليس الحق موجود فيه فقط بل هو نفس الحق الأعظم والأول<sup>(1)</sup>. والله قائم بنفسه، وكل شيء قائم به، وما عداه فان، وهو لا يتطرق إليه الفناء. فالحق يمثل عنصراً جوهرياً في طبيعة الله.

## ثانياً : المسيح تجلّ للحق.

الحق هو في نظر يوحنا حقيقة الله بصفته ملء الحياة الحقيقية وبصفته قادراً على أن يشرك فيها البشر الذين خلقهم، وهذا الحق يتجلى ويعطى في يسوع. ولذلك فالإيمان به هو أيضاً معرفة الحقّ وتقبّله<sup>(2)</sup> " إن الذي يأتي من السماء يشهد بما رأى وسمع وما من أحد يقبل شهادته من قبل شهادته ثبت أن الله حق " [يوحنا : 18/3-19].

ويقترّب يوحنا من الاستخدام الميتافيزيقي لكلمة الحق، ولكن مع عدم إغفال الهدف الديني العملي ؛ إن الحق هو الحقيقة بارتباطها مع خير النفس الجوهري، لكنه أمر ينبغي أن

1 - الخلاصة اللاهوتية، توما الاكويني، ج 1 ص: 224.

2 - الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 2360- الهامش.

لا يدرس ويعرف فحسب، بل أن يتحقق ويفعل، والحق في أوسع معانيه، هو طبيعة الله الظاهرة في خليقته، في إعلاناته وفي الرب يسوع المسيح الذي به " النعمة والحق صار " [يوحنا : 1/17]، وفي الإنسان الذي يتفهم ويتقبل ويحقق عمليا القيم الأساسية للحياة ومن ثم فإن يسوع هو الحق.<sup>(1)</sup> "أنا الطريق والحق والحياة " [يوحنا : 6/14].

ويقرر يوحنا أن المسيح كان التور الحق الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العالم ؛ "كان في العالم وبه كان العالم والعالم لم يعرفه ... أما الذين قبلوه وهم الذين يؤمنون باسمه فقد مكّتهم أن يكونوا أبناء الله " [يوحنا : 159/1] فالإنسان عاجز عجزا تاما عن الوصول بنفسه إلى معرفة الله مباشرة، لكنه يستطيع أن يصل إلى ذلك ؛ فقط بالإيمان بيسوع، فإنّ الابن الوحيد المشارك في حياة الأب على وجه مطلق هو وحده القادر على هداية البشر إلى المعرفة وإلى الحياة. ويقصد " بالنور " هاهنا الكلمة - المسيح - التي تجسدت في الواقع البشري والتي جعلت من " العالم " الذي هو البشرية التي تشكل الجزء الأعظم شأننا مما برأ الله، موضعا للحق وللمحبة.<sup>(2)</sup>

"لأن الشريعة أعطيت على يد موسى وأما النعمة والحق فقد أتيا على يد يسوع المسيح " [يوحنا : 25/1]. وفي واحدة من أهم هذه المعاني، نجد يسوع يعلن " أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الأب إلاّ بي " [يوحنا : 6/14] ... لذا فإن : الحق في المسيحية ليس مجردا ، لكنه معن فعليا في الحياة الشخصية للكلمة الذي صار جسدا فالمسيح بحسب الإعلان الإلهي هو الحق والحقيقة الواقفة ضد الضلال والخداع.

1- قاموس الكتاب المقدس، (الحق - العدل)، دائرة المعارف الكتابية المسيحية، موقع الأنبا تكلا- ST. www.TAKLA.org.

2 - الكتاب المقدس ؛ النسخة اليسوعية، ص: 2334-2335- بتصرف.

و يتسع مدى كلمة " حق " لجماعة المؤمنين؛ لأنها تنتمي لله ،ومؤسسة على كلمته ،فشرعية إرساليتها مثبتة.(1) " أنتم تعبدون مالا تعلمون ونحن نعبد ما نعلم لأن الخلاص يأتي من اليهود ولكن تأتي ساعة وقد حضرت الآن فيها العباد الصادقون يعبدون الآب بالروح والحق إن الله روح فعلى العباد أن يعبدوه بالروح والحق " [يوحنا : 22/4-23-24]

### المطلب الثاني: الوحي المنزل على المسيح هو الحق.

تأتي كلمة الحق في الأناجيل بمعنى الوحي المنزل على المسيح، والذي يثمر إتساقا تاما بين أعمال الإنسان وإرادة الله(2) "،وبعد فتقووا في الرب وفي قوته العزيزة، تسلحوا بسلاح الله ؛ لتستطيعوا مقاومة مكايد إبليس ... فإنهضوا إذا وشدوا أوساطكم بالحق وألبسوا درع البرّ ... فبه تستطيعون أن تخدموا جميع سهام الشرير المشتعلة " [أفسس : 5/6-9-12].

لذلك يرد الحق كأحد الأسلحة المسيحية ويندر العثور على الحق، كقيمة تحمل المعنى النظري الصرف (الحق النظري)، في العهد الجديد، ذلك أننا غالبا مانجده يقود لتحول الحياة التي تمكن من الإبتعاد عن الخدع القديمة، لذلك تقترن بعبارات مثل : " الحق والبر "، " قول الصدق " وهو يقود للخلاص(3) وتعني كلمة " الحق " في رسائل يعقوب وبطرس والعبريين وفي الرسائل الرعوية أيضا " قوام التعليم المسيحي(4)

1 - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 41 بتصرف.

2 - راجع [أفسس 13/1 و19،20 /4] ورسائل يوحنا الأولى والثانية والثالثة حيث يتكرر ذكر هذه الكلمة بالمعنى المشار إليه

3-القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 40 بتصرف، راجع أيضا : [رسالة كورنثيوس 2 : 7/6]، و [إفسس : 14/6].

4 قاموس الكتاب المقدس - الحق والعدل - دائرة المعارف الكتابية المسيحية، موقع الأبناتكلا www.ST-TAKLA.org

## المبحث الثالث: التعاليم المسيحية بين الحق النظري والعملي وأثرها على المجتمع الإنساني.

### المطلب الأول: الحق في تعاليم المسيح.

في وصايا المسيح لتلاميذه الإثنا عشر<sup>1</sup>: "لا تخافوهم إذاً فما من مستور إلا سيكشف، ولا من مكتوم إلا سيعلم. والذي أقوله لكم في الظلمات، قولوه في وضوح النهار، والذي تسمعونه يهمس في آذانكم، نادوا به على السطوح" [متى : 26/10-27]. وعمل للحق؛ عبارة يهودية تعني تكيف السلوك بالحق... ويظهر هذا الحق في الشريعة، ويبلغ يسوع بالشريعة إلى كمالها.<sup>2</sup> ولذلك فإن كلمة الحق في العهد الجديد في كثير من الأحيان تطلق كمرادف لإرادة الله المعلنة في كلمته.

"هوذا عبدي الذي اخترته، حبيبي الذي عنه رضيت، سأجعل روحي عليه فيبشر الأمم بالحق، لن يخاصم ولن يصيح ولن يسمع أحد صوته في الساحات، القصة المرضوضة لن يكسرهما والفتيلة المدخنة لن يطفئها؛ حتى يسير بالحق إلى النصر" [متى : 12/18-21]. والحق هنا يدل على التعاليم التي يلتزم بها المؤمنون فتكون عهداً بين الله وبينهم.

ولقد قرن المسيح بين التشبث بالحق وبين تحصيل المعنى الحقيقي للحرية "فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به إن ثبتتم في كلامي كنتم تلاميذي حقاً. تعرفون الحق والحق يحرككم.

1 - ويدعون أيضاً الرسل، وهم كما جاء في إنجيل متى : سمعان الذي يقال له بطرس، وأندراوس أخوه، فيعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه ففلبس وبرتلماوس، فتوما ومتى العشار، ويعقوب بن حلفي تداوس فسمعان الغيور ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه. والمقصود بالغيور (سمعان) أنه كان ينتمي لحركة الغيورين اليهودية التي كانت تحارب الرومان - الكتاب المقدس النسخة اليسوعية ص: 2108.

2 - الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 2341-الهامش.

أجابوه: نحن نسل إبراهيم، لم نكن يوما عبيدا لأحد فكيف تقول ستصيرون أحرار" [ يوحنا : 8/17-18-19] لذلك فقد علمهم الطريق الحقيقي لتحصيل الحرية والذي لا يتحقق إلا بالتمسك بالحق والصبر عليه ". ها أنا أرسلكم كغنم وسط ذئاب، فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام. ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم. وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم اللأمم. وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت، والأب ولده ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم ؛ وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص " [ متى : 10/16-23].

وفي نص آخر يؤكد المسيح أن التشبث بالحق مقدم على اعتبارات الأسرة، والانتماء بل على النفس أيضا : " لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاما على الأرض ما جئت لألقي سلاما بل سيفا. فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والإبنة ضد أمها والكنة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته، من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. ومن وجد حياته يضيّعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها. ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني ". [متى : 10/34-40].

ويذكر المؤرخون أن من أهم أسباب انتشار المسيحية في مراحلها الأولى هو التمسك بالأخلاق ووصايا المسيح، واحتمال أتباع المسيح الأذى والإضطهاد في سبيل ما كانوا يرون أنه الحق.



## المطلب الثاني: قيمة الحق بين القول والفعل وأثرها .

## أولاً: الحق بين القول والفعل في المسيحية .

الحق بالنسبة للمسيح وتلاميذه، هو موضوع توافق بين القول والفعل، لذلك فإن التوتّر بين إعلان الإيمان والممارسة الفعلية غير وارد مع الإعلان المسيحي، وأيضا مبدأ التخالّف مع النفس، لذلك فإننا إذا قمنا بتعداد كلمة الحق و حقيقي في يوحنا مثلا، نجدها بلغت تقريبا (خمسا وأربعين مرة). وردت أغلبها بهذا المعنى " وأما من يفعل الحقّ فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة " [ يوحنا : 21/3]، وفي يوحنا أيضا : " إن قلنا إن لنا شركة معه وسلطنا في الظلمة، نكذب ولسنا نعمل الحق " [يوحنا : 6/1] فالذي يمارس الحياة والإيمان المسيحي لن يكون لديه شيء يخفيه<sup>(1)</sup>. وتظهر هذه النصوص بعدا آخر؛ وهو الإعلان - للحقّ- في مقابل الباطل، ويتحدث " أغسطينوس " عن ثنائية " الحق والضلال "، وعن أثر الابتعاد عن الحق الذي لا يكون إلا بالابتعاد عن المسيح، حيث يتساءل عن سبب تولد الكراهية للحق. "لماذا أصبح الإنسان المبشر بالحق باسمك عدوا لهم ؟" ويجب أن ذلك يحدث " لأنهم يرفضون كونهم ضالين ويريدون تضليل الآخرين، يحبون النور عندما ينكشف في ذاته، ويكرهونه عندما يكشف أمرهم ... ذلك هو شأن القلب البشري ... ومع ذلك فهو يفضل أن يفرح في الحق عوضا عن الضلال. الحق الذي من ذاته تأتي كل الحقائق<sup>(2)</sup>، وهذا متطابق مع ما جاء في إنجيل يوحنا " فكل من يعمل السيئات يبغض النور، فلا يقبل إلى النور لئلا تفضح أعماله. وأما الذي يعمل للحق، فيقبل إلى النور لتظهر أعماله وقد صنعت في الله " [يوحنا: 12/3-13]

1 - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 40، -بتصرف .

2 - اعترافات القديس أوغسطينوس ، ص: 200-201-202، بتصرف.



## ثانيا: الحق بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية في الديانة المسيحية.

لقد اشتهر المسيح من خلال دعوته وسيرته بالنأي عن الشأن السياسي والفصل بين الديني والديني، ففي القصة التي نقلها مرقس أن اليهود " أرسلوا إليه أناسا من الفريسيين والهيروديسيين<sup>(1)</sup> ليصطادوه بكلمة - فأتوه وقالوا له : يا معلم نحن نعلم أنك صادق لا تبالي بأحد، لأنك لا تراعي مقام الناس، بل تُعَلِّم سبيل الله بالحق، أيحلّ دفع الجزية إلى القيصر أم لا ؟ أندفعها أم لا ندفعها ؟، ففطن لريائهم فقال لهم : لماذا تحاولون إخراجي ؟ هاتوا الدينار لأراه. فأتوه به. فقال لهم : لمن الصورة هذه والكتابة ؟ قالوا : لقيصر فقال لهم : أدوا ما لقيصر لقيصر، ولله ما لله " [مرقس: 12/5-10].

"إن استعمال مُحاورِي يسوع هذه العملة، وهي رمز السلطة الرومانية برهان على أنهم يقبلون الاستفادة من نظام سياسي معين، وإذا أرادوا أن يرفضوا دفع الجزية، وجب عليهم أن يعترضوا على جميع أشكال الوجود الروماني، الأمر الذي لا يعملونه، والأهم أنهم يخلطون بين بُعد وُبُعد ، فالواجبات نحو الله هي من نظام يختلف عن نظام الواجبات نحو قيصر، وليس للجزية التي تحق لقيصر ما لطاعة لله من طابع مطلق نهائي ".<sup>(2)</sup>

وقد توسع الرسول بولس بهذا المعنى فقال في رسالته إلى الرومانيين " أدوا لكلّ حقّه الجزية لمن له الجزية والجباية لمن له الجباية والمهابة لمن له المهابة. والكرامة لمن له الكرامة. لا يكن عليكم لأحد حق " [ رسالة بولس إلى أهل رومية : 13/7-8]. فالمسيح والمسيحية يعتبران

1 - الهيروديسيون : هم جماعة ، وليسوا طائفة دينية ولا حزبا سياسيا كما كان يظن الناس قبلا. وهم أتباع هيروودس الكبير وخلفائه في فلسطين وكان لهم نفوذ واسع. وقد تحالف معهم الفريسيون ضد المسيح رغم معاداة عموم الشعب لهم : انظر : قاموس الكتاب المقدس مادة : هيروديسيون ص: 675.

2 - الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 2207.

الحقوق أساسا للواجبات، والواجبات معبراً عنها بوصايا. والوصايا مجموعة في الناموس<sup>(1)</sup> الذي أكد على إلتزامه به، ونبّه إلى ضرورة العمل به ظاهراً وباطناً. بل إن المسيحية الأولى نهت عن مقاومة السلطة بشكل قاطع، فقد أكد الرسول بولس أن " كل سلطة تقوم بإرادة الله ومن يقاومها يعد مقاوما لهذه الإرادة ". ورغم دعوة السيد المسيح - عليه السلام - لحوارييه أن يتق - لدوا سيوفهم وهم يصطحبونه إلى حديقة الزيتون، إلا أنهم لم يستخدموها في صد طغيان الرومان وتسلطهم على رقاب المؤمنين.<sup>(2)</sup>

لكن بعد أن اشتد عود الكنيسة وقويت شوكتها، ابتعدت المسيحية عما كان يعد أمراً قطعياً، بالانفصال التام عن كل شؤون الحاكم، فاعتبرت مصالح الرعية شأناً من شؤونها، وتدخلت إيجاباً وسلباً فيما لم يعدّ أمراً دينياً صرفاً، ففرقت الكنيسة بين الملك الطاغية وحقوق الناس " وأخذ فقهاء القانون هذا التمييز فبينوا أن السلطان الذي يراعي في حكمه القوانين الإلهية يحكم بإدارة الله وسلطانه، أما السّفاح الجائر فإنه يحكم بإدارة الشيطان. لذلك بين الفقيه الكنسي " بوناكينز (1221-1274) أن الله لا يمنح السلطة دون قيد، وأن للرعية أن تنزعها منه ...، لأنّ جزاء التعسّف في مزاولة السلطة سحبها ممن أساء إستخدامها<sup>(3)</sup> وفي قوانين " باسيليسوس الكبير " الإثنان والتسعون، قرر في المادة التاسعة والعشرين أنه " لا يجوز لحاكم أن يقسم بأنه سينزل الأذى برعيته، ويجب أن يتوب إذا تسرّع وأقسم على ذلك، إذ لا

1 - الإنسان العادل ؛ غريغوريوس حداد ؛ ص: 98.

2 - حقوق الإنسان في الأديان، د : سعدون محمود الساموك، د : عبد الرزاق رحيم الموحى، دار المناهج لنشر والتوزيع، ط. 1، 2008 م ص: 108.

3 - حقوق الإنسان في الأديان، سعدون محمود الساموك، ص: 108-109.

عذر يقبل عن إنزال الشر والأذى بالناس من أجل المحافظة على قسم " (1) ويجيز " توما الأكويني " في حال وقوع الجور من السلطة وتجاوز الحاكم لحقوقه إسقاط حق الطاعة عنه بمقاومة سلبية لا تصل إلى حد الثورة عليه، أما إذا كان الجور مجافيا للقوانين الإلهية فإن المقاومة الإيجابية تصبح مشروعة (2) إلى أن يعدل عن سلوكه أو يسقط.

1- مجموعة الشرع الكنسي، ص: 894، وباسيليوس من كبار رجال الدين الأرثوذكس، كان أسقفا على فيصرية (البحر الأسود) ولد سنة (329م) ن. م. س - ص: 894. وانظر ترجمته في الموسوعة الكبرى للفرق والمذاهب والأديان، ص: 90.

2 - انظر : حقوق الإنسان في الأديان، ص: 109.

## المبحث الرابع : الحق في حرية التدين في المسيحية ومراحلها.

## المطلب الأول: حرية التدين في التاريخ المسيحي.

مرت الديانة المسيحية في تاريخها بمراحل ؛ حيث عرف أتباع المسيح التضيق والإستهزاء على يد المؤسسة الدينية اليهودية، سرعان ما تحول إلى إضهاد ديني كان أهم حدث فيه محاولة صلب المسيح - عليه السلام -، فقد اعتبره اليهود ساحرا ومارقا عن دينهم. وقد جاء في التلمود: " أن المسيح كان ساحرا ووثنيا فينتج أن المسيحيين وثنيون مثله " لذلك : " يلزم أن يقتل الإنسان اليهودي الكفرة مثل يسوع الناصري وأتباعه ويلقيهم في هاوية الهلاك " 1.

وتواصلت معاناة المسيحيين الأوائل مع الرومان، وقد ضربوا أمثلة رائعة للثبات على المبدأ فتحملوا العذاب والقتل والحرق، ولجأوا إلى المغارات والكهوف وكان من نتائج ذلك، إعتناق كثير من اليهود ومن غيرهم للمسيحية. ثم ما لبث المسيحيون أن وقعوا فيما وقع فيه اليهود من إضطهاد وقتل للمخالفين بعد إصدار الإمبراطور الروماني " قسطنطين " مراسيم التسامح واعتناقه للمسيحية، وأصبحت روما عاصمة للمسيحية. حيث بدأت موجة إضطهادات دامية، وجّهت أولها ضد الرومانيين الوثنيين أنفسهم، حيث قامت جمعية الصليب المقدس بمجزرة وصفت بأنها أفضع المجازر البشرية التي سجلها التاريخ. ثم انقلبت الكنيسة البابوية على المخالفين من نفس الديانة، حيث بدأت في القرن الرابع الميلادي بإضطهاد أتباع آريوس (336 م). في مسألة القول بألوهية المسيح وتتابع ذلك في مراحل مختلفة من التاريخ ؛ منها محاكم التفتيش

1 - حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، حسن مصطفى الباش، ص: 62 نقلا عن الإنسانية والصهيونية والتلمود، صالح محمود صالح، ص: 37 - و انظر مصادر النصرانية، عبد الرزاق عبد المجيد أيارو، ص: 88-89. وموسوعة الأديان في العالم المسيحية ص: 25-32.

<sup>1</sup> التي كانت مهمتها إكتشاف المخالفين للعقيدة والتي نكّلت باليهود والمسلمين، في الأندلس، وبالمسيحيين أنفسهم كما حدث في مذبحه باريس عام 1572م من قتل الآلاف من البروتستانت وهم نيام.<sup>(2)</sup> وقد استولت دول غربية على الأرض وأبادت شعوبا " كالهنود الحمر " بإسم المسيحية وبمباركتها.

أما في العصر الحديث، فإن المؤسسة البابوية قد قامت بخطوات نحو الاعتراف بحق الآخر في الديانة، وسجلت في موثيقها نصوصا تعترف فيها بالإسلام كدين من الديانات التوحيدية الإبراهيمية وهو تطور هائل في مواقفها.

### المطلب الثاني : الحق في حرية التدين في المسيحية الأولى.

وردت في الأناجيل نصوص كثيرة تثبت اعتراف المسيح باليهودية كدين، فقد بيّن أنّه جاء متمما للنّاموس، ومصححا للانحراف الذي وقع فيه اليهود - كما سلف - وبالرغم من أنّه لم ينقل تلاميذه عنه قولاً صريحاً يقرّ فيه الحق في اختيار الديانة، أو إدانة للإكراه في الدين ؛ إلا أنّ الثابت عنه أنّه استهدف اجتثاث مساوئ الأخلاق ، لا الملل التي كانت موجودة. وقد كان جل تركيزه على اليهود. لكن النصوص التي دعا فيها عيسى - عليه السلام - بالبداية بإصلاح النفس كثيرة : " وأنت متى تحولت إلى الإيمان، تثبت إخوتك " [ لوقا : 22 / 32 ] وتطهير الباطن من الآثام، " كونوا مقدسين كما أن أباكم الذي في السموات مقدس " ، فقد

1 - محاكم التفتيش : إصطلاح مشتق من كلمة لاتينية، بمعنى - يبحث - يتقصى - يفتش وقد أسسها البابا " لوسيوس الثالث " (1181-1185م) ولم تقتصر على قمع الفكر الديني المخالف وإنما تعدته إلى إدانة كل فكر كوني أو فلسفي آخر يخالف مقررات الكنيسة أو فاعات رجالاتها. لعدة قرون: انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ذ. أحمد علي عجيبة، ص: 8- الهامش -، ومحاكم التفتيش نشأتها ونشاطها، د. إسحق عبيد، ص: 93.

2 - انظر: حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، حسن مصطفى الباش، ص: 64-65. ولماذا مقاييس عالمية للأخلاق؟ الدين والأخلاق في عصر العولمة، هانس كنج، ترجمة: ثابت عيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى 2015م. ص: 172 و193.

حرص عيسى - عليه السلام - على تثبيت قواعد الفضيلة والتقوى، ودعا إلى عدم إدانة الناس وقد سار تلاميذه على نهجه، فتنازلوا عن أموالهم ومراكزهم، وحتى عن والديهم وأولادهم، وتحملوا العذاب؛ فلم يتطَّلَعوا إلى حيازة صلاحيات الحاكم ولا التقرب منه وحاولوا إلزام الناس بالحجة لا بالقوة.

فلا المسيح ولا تلاميذه سنوا قوانين للكنيسة؛ ويتساءل " جون لوك " كيف يمكن أن يسمى هذا المجتمع كنيسة؛ وأنى لهم أن يقرروا لها قوانين وكأنها ضرورية مطلقة للإيمان، تلك الأمور التي لا يرد ذكرها في الأناجيل أو على الأقل لم يطالب بها المسيح للحصول على الحياة الأبدية؛ إنَّ المسيح لم يبين هذه القوانين<sup>1</sup>. وقد بيّن لوك أنّ الديانة المسيحية تأسست على الفصل بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية، بعكس الديانة اليهودية، وأنّ وضع الحدود وتحصيل الحقوق هو من مهام السلطة الزمنية فالإنجيل لا يأمر بشيء من هذا، والكنيسة لا تحكم على من هو خارجها. [رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 12/ 13] فهي تقبل الناس بوصفهم ناسا طالما كانوا أمناء مسالمين.<sup>2</sup>

### المطلب الثالث: تضييق المؤسسة الكنسية المسيحية لحق التدين.

إنَّ إنكار حق الغير في الاعتقاد، أو التحول إلى المسيحية أو عنها، هو انحراف عن النص الأصلي، وعن سيرة مؤسسي الكنيسة الأولى، وهو لا يؤدي بحال من الأحوال إلى تأسيس كنيسة كتلك التي أرادها المسيح ودعا إليها؛ لأنّه لا يستقيم إدعاء الانتصار للدين الحق والدفاع عن كنيسة الله، مع استخدام أسلحة لا تنتمي إلى النضال المسيحي، فالمسيح تسليح

1 - رسالة التسامح، جون لوك، ص: 29-30.

2 - رسالة في التسامح، جون لوك، ص: 120.



بسلام العهد الجديد، والأسوة الحسنة ليخضع الناس ويضمهم إلى كنيسته ؛ لا بوسائل الإضطهاد والقمع والإكراه، ولا بالجيوش المدججة بالسلاح.<sup>(1)</sup>

فقد قال المسيح لتلاميذه " ملوك الأمم يسودونهم والمتسلطون عليهم يدعون محسنين وأما أنتم فلستم هكذا " [ لوقا: 26 / 25 ]. لذلك فإن المسيح لم يتوسل إلى نشر دعوته بأسباب القوة ولم يبد تطلعا أو طموحا إلى سلطة زمنية أو إلى أصحابها كي يحوّل الناس عما كانوا فيه من ضلال. وغاية ما يصل إليه هؤلاء هو تجمع ضخم عنوانه وحدة الإنتماء الظاهري. وقد أدى هذا التوجه إلى تجاهل الرذائل والشور التي هي متناقضة تماما مع المسيحية وتركها بلا عقاب، والتوجه بكل قوة نحو إقامة الطقوس والتّركيز على الآراء التي غالبا ما تدور على أمور دقيقة ومتشابهة والتي تفوق قدرة الفرد العادي على الفهم<sup>(2)</sup> وقد اقترحوا لهذه السلوكيات أسماء نسبوها للمسيحية، كالحرب العادلة على الوثنية، وخلص الأرواح واستخدمت جميع ألوان القوة، من تجريد من الممتلكات وإذاعة المخالفين الجوع وجميع صنوف العذاب، استنادا إلى مبدأ المحبة، وتخليص الأرواح من الضلال ؛ وقد كان من أنصار هذا الرأي القديس " أوغسطينوس " (354-470) والقديس " توما الأكويني " (1225-1274م) و " مارتن لوثر " (1483-1546م) وغيرهم<sup>(3)</sup> ؛ فقد أعلن توما الأكويني " أن كل من خالف الكنيسة من المارقين لا يستحقون بسبب خطيئتهم أن يطردوا من الكنيسة فحسب، بل يجب أن يطردوا بالموت من العالم كله ؛ وأضاف : أن أولئك الذين يفسدون الإيمان وهو حياة الروح يرتكبون

1 - انظر : رسالة في التسامح، جون لوك، ص: 21-22-23. وانظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، ص: 283.

2 - رسالة في التسامح، جون لوك، ص: 21. وانظر لماذا مقاييس عالمية للأخلاق؟ الدين والأخلاق في عصر العولمة، هانس كنج ص: 180 وما بعدها

3 - انظر : علمانية المدفع والإنجيل، د. محمد عمارة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، مصر، ط.1، 2007، ص: 29 و 23 وانظر لماذا مقاييس عالمية للأخلاق؟ الدين والأخلاق في عصر العولمة، هانس كنج ص 454.

وزرا أخطر من أولئك الذين يزيفون العملة التي لا تستخدم إلا في قضاء الحاجات الدنيوية، فإذا كان المزيفون لا يتردد أحد في إعدامهم، فمن باب أولى يجب أن يعدم المارقون<sup>(1)</sup>.

وأما قول الكنيسة المسيحية أنّها تستند في إنفاذ تلك الأحكام إلى الشريعة الموسوية التي تدعو إلى إجتثاب الوثنيين، فقد ردّ عليها جون لوك ؛ بأنه قول حق، ولكنه لا يلزم المسيحيين ؛ وسخر من التفرقة التي يقيمها هؤلاء بين القانون الأخلاقي والقضائي والطقسي دون دليل<sup>(2)</sup> فقوانين الشعب اليهودي لم تفرق بين ما هو دين وما هو من شأن الدولة، وقد أدار الأنبياء فيها شؤون الحكم والحرب بخلاف المسيح ؛ الذي لم يؤسس دولة ولم يدع إلى نظام محدد وقد سادت المسيحية بلدانا كثيرة كدين، لكنها لم تفرض فيها أي نظام للدولة، كما أنه من العصبي على التصديق أن مثل هذه الأفعال تصدر عن المحبة أو عن إرادة الخير.<sup>(3)</sup>

والواقع أن دافع كل هذا الجهد، هو تكوين مجتمع متلائم مع آراء رجال الدين وإمтиازاتهم التي بذلوا جهدا كبير في تحصيلها. وقد وقعت الكنيسة فيما جاء المسيح مصححا له من إنحراف المؤسسة الدينية اليهودية، حيث أدى الطموح الأناني والغرور بكبرائهم إلى وضع إعتبارات حول مركزهم الشخصي فاقت إعتبارات الحق، فأدى دفاعهم عن إدعاءاتهم والتأكيد عليها إلى الإبتعاد عن الحق، بل إنكاره لذلك تكثر في الأناجيل أقوال المسيح التي تهاجم الرياء وإدعاء الحق في الحكم على ضمائر الناس، مع تباين أقوال هؤلاء وأفعالهم.<sup>(4)</sup>

1- حقوق الإنسان في الأديان السماوية؛ د. عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، ص: 122، والغريب أن توما لاكويني نفسه قد حورب من طرف رجال الكنيسة وكفروه بسبب آرائه وتوجهاته في الجمع بين المسيحية والفلسفة الإغريقية.

2- انظر : رسالة في التسامح، جون لوك، ص: 48-22. و لماذا مقاييس عالمية للأخلاق؟ الدين والأخلاق في عصر العولمة، هانس كنج ص: 180 وما بعدها .

3- نظر : رسالة في التسامح، جون لوك، ص: 48-21-22.

4 -- انظر القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 40-42.

وتطرح هاهنا إشكالية علاقة الحق بالقوة، فالقوة تتميز بالطابع الإكراهي واللجوء للعنف المادي أو المعنوي، لكن القوة تنتهي بإنهاء الإكراه، أي أنها ظاهرة مؤقتة لا تملك الوسائل الضرورية لإدامتها؛ في حين يتبوأ الحق مكانته كقيمة عليا إذا تم بالإلتزام والسلوك الطوعي (1). و" جوهر الدين الحق وقوته، يكمنان في القدرة على إقتناع العقل إقتناعا جوانيا شاملا، فالإيمان لا يكون إيمانا دون إعتقاد. ومهما يكن إلتزام الفرد بتكاليف وواجبات الديانة. فإن هذا لا يفضي إلى الخلاص، إن لم يكن على قناعة تامة بصدق هذا الإعتقاد وهذه العبادة، بل إنها قد تضيف إلى خطاياها خطيئة الرياء والنفاق. (2)

### المطلب الرابع : آثار ممارسات الكنيسة على الديانة المسيحية

وبناء على مبدأ عصمة البابا، وما ينجر عنه من آثار تشريعية وقضائية، عرفت الكنيسة الكاثوليكية أحكاما لا يعرف لها نظائر في المسيحية الأولى، فبخلاف ما نسب للمسيح " أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله "، ادعت الكنيسة لنفسها سلطة زمنية، ترتبت عنها حقوقا لرجالها ولكنائسها، متعينة على معتنقي هذه الديانة حكاما ومحكومين ؛ فقد أصدر البابا نقولا الأول بيانا قال فيه : " ابن الله أنشأ الكنيسة بأن جعل الرسول بطرس أول رئيس لها، وأن أساقفة روما ورثوا سلطات بطرس في تسلسل مستمر متصل، ولذلك فإن البابا ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاما ومحكومين " (3)، وتمكنت هذه الكنيسة بموجب هذا السلطان من حيازة أكبر الإقطاعات،

1 - الحق والعدالة ؛ محمد المعلاي وعزير لزرق، دار توبقال للنشر ؛ ط: 1، 2014، م ص: 6-7 - بتصرف.  
2 رسالة في التسامح، جون لوك، ت : منى أبو سنه ؛ للنشر : المجلس الأعلى للثقافة ؛ ط 1، 1997م، ص: 27- بتصرف وانظر : في علاقة الحق والعدالة بالقوة : الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفتش، ص: 321.  
3 - أبحاث في الشرائع اليهودية والمسيحية والإسلام، د. فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1414هـ-1994م، ص: 181 نقلا عن، قصة الحضارة، ويل ديورانت، ج 14، ص: 352..

مما حدا بـ 'ويكلف' وهو من الذين ثاروا على الفساد الكنسي، وطالبوا بالإصلاح الشامل؛ إلى القول بأن الكنيسة تملك ثلث أراضي إنجلترا وتأخذ الضرائب الباهظة من الباقي. أما مصدر تلك الأملاك فيتم تحصيلها:

1 - من الأوقاف : حيث تملك الأراضي بوضع اليد لتنفق منها على الأديرة والكنائس وتجهز بها الجيوش للحروب الصليبية والحروب التأديبية للملوك الخارجين عن سلطانها.

2 - حق العشور : وهي ضريبة فرضتها على رعاياها يدفعون بموجبها عشر أموالهم، وهي لم تدع إلى هذا بوصفه عملا من أعمال البر، بل حقا للكنيسة يقابله التهديد من غضب الرب والحرمان عند الإمتناع عن آدائها.

3 - حق السنة الأولى : هو دفع دخل السنة الأولى لأنه وظيفة دينية أو إقطاعية وجوبا للكنيسة وقد فرضها البابا يوحنا الثاني والعشرون.

4 - الهبات : أما الهبات فلا تحمل طابع الوجوب والإلزام، لكن الكنيسة فرضت أن لا تكتب الوصايا إلا على يد القسيس، لذلك فقد دأب الناس عند كتابة الوصية أن يهبوا شيئا للكنيسة مراعاة للعرف العام.

5 - حق السخرة : والسخرة مفروضة على الرعايا، حيث يلزمون بالعمل يوما واحدا في الأسبوع مجانا في أراضي الكنيسة.<sup>(1)</sup>

6- حق التَّحِلَّة : وهو حق يعفي البابا بمقتضاه نفسه من الإلتزام بالأوامر والنواهي التي تفرضها الكنيسة على رعاياها في حالات فردية خاصة، يقول ويلز : " لقد قضت الكنيسة على

1 - انظر :أبحاث في الشرائع اليهودية والمسيحية والإسلام، د. فؤاد عبد المنعم، ص: 179-182، نقلًا عن، معالم تاريخ الإنسانية، ج:3، ص: 895. وانظر : موسوعة عالم الأديان، مجموعة من كبار الباحثين بإشراف، ط-ب-مفرج، ج:10، ص: 30 وما بعدها

هيبتها بعدم مراعاتها لتعاليمها ... بنظام التحلة وكان خاتمة حماقاتها في القرن السادس عشر بيع صكوك الغفران ... والتي كانت نكبة عليها.(1)

7- حق الغفران (صكوك الغفران) : لكن الأمر بلغ مداه بإدعاء الكنيسة حق غفران ما تقدم من ذنب المسيحي وما تأخر ! وبعد أن كان غفران القسيس للذنوب مقتصرًا على وقت الإحتضار والوفاء، تعداه إلى حق المغفرة للذنوب كبيرها وصغيرها حال حياة المسيحي بموجب صك بمقابل مالي يتحدد بناء على طبيعة الذنب وحال المستغفر، وهو ما قرره الكنيسة " في المجمع الثاني عشر.

وقد جاء في بيان قرار المجمع : " أنهى المجمع تعليمه فيما يتعلق بأمر الغفران فقال : إنّ يسوع المسيح لما كان قد قلّد كنيسته سلطان منح الغفرانات، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلا منذ الأيام الأولى. قد أعلم المجمع المقدس، وأمر بأن تحفظ للكنيسة هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحي والمثبتة بسلطان المجمع، ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون أن الغفرانات غير مفيدة أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها، غير أنه رغب في أن يستعمل هذا السلطان بإعتدال وإحتراز حتى لا يمس التهذيب الكنسي تراخ بفراط التساهل.(2)

وقد دفع هذا الوضع أوروبا " إلى حرب السلطة الدينية مدة ثلاثة قرون لا عن عدم إعتقاد، فإن المحاربين كانوا على معتقد واحد. ولكن أراد أفراد أممها أولا و لفيق شعوبها ثانيا، أن تكون الكلمة الأولى للسلطة المدنية ... وبين أن يكون للمعتقد حق الأدبيات الدينية بأن

1 - انظر : أبحاث في الشرائع اليهودية والمسيحية والإسلام، د. فؤاد عبد المنعم، ص:285.

2 محاضرات في النصرانية؛ محمد أبوزهرة، شركة الشهاب، الجزائر، د. ت.، ص: 242-243.

يعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله " (1) وقد عُدَّب وخرِّق علماء وثوار، ورجال دين مسيحي أيضا أنكروا بشكل خاص، فكرة الإستحالة (إستحالة الخبز لحم المسيح والشراب دمه) والغفران قبل ذلك.

فقد عقد في فرنسا مجمع في أوائل القرن الخامس عشر مجمع ضم 150 إسقفا و 1800 من رجال الدين، كان مصير مصلح كنيسة بوهيميا يوحنا " هوس " وتلميذه جيروم " الإحراق، ولقي أحد العلماء وإسمه " أبيلا " المصير ذاته، حيث أحرقت جميع كتبه وسجن حتى الموت بسبب رأي له في الصلب والفداء (2) وهو ما عجل بأولى بواكير إصلاح الكنيسة في القرن السادس عشر وظهور مذهب الإصلاحيين أو البروتستانت على يد مارتن لوثر (ولد سنة 1482) الذي صرح أنه لا يعرف أن شيئا يستر الذنب إلا الندم على ما كان، والإقلاع عنه فيما يكون، ورجاء رحمة الديان وعلق إحتجاجه على باب الكنيسة، وبعد إستدعائه قررت الكنيسة حرمانه، وبعد إحراقه أمر الحرمان الديني على الملا أعلن الإمبراطور حرمانه من حقوقه المدنية والسياسية ولكن أمير سكسونية حماه وظاهره بعد ذلك كثير من الوجهاء والعامه ثم حذا حذوه " رونجلي " (1484م-1531م) ودفع روحه ثمنا لدعوته وتلاهما " كلفن " (1509م-1564م). وبعد صراع مرير انفصل هؤلاء وأنشأوا الكنيسة الإنجيلية (3).

1 - الإسلام دين العلم والمدينة، الإمام الشيخ محمد عبده، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1409هـ - 1989م، ص: 51، والنص مقتبس من حوار أجراه صاحب جريدة الأهرام، مع الوزير الفرنسي هانوتو، وهو كاتب وسياسي رد فيه على الشيخ عبده في عدد جويلية 1900م.  
2- انظر : محاضرات في النصرانية؛ محمد أبو زهرة، ص: 239.  
3- انظر : ن - م - س، ص: 246-254.

### المطلب الخامس: الحق في حرية التدين في المسيحية رؤية معاصرة.

بعد ما ألبست فكرة العالمية المسيحية لباس الجبر، فاستخدم المبشرون على مر العصور أساليب متنوعة ، تراوحت بين -ما سبق الإشارة إليه -من فكرة التجسد ،إلى العنف الدامي والتصفيات مع الحروب الصليبية مثلا، إضافة إلى تشويه الإسلام بصفة خاصة لما يتميز به من قدرة على الانتشار والإقناع. أصدر المجمع الفاتيكاني الثاني الذي يعد أهم مرجع لمواقف الكنيسة الكاثوليكية في عصرنا وثيقة تضمنت أربعة نصوص مجتمعية تتناول رؤية الكنيسة إلى الإنسان والإنسانية عامة، وعلاقتها بالكنائس الأخرى ،ثم بالديانات السماوية الأخرى وأخيرا رؤيتها للحرية الدينية قررت فيه.

أن جماعة المسيحية تشعر بأنها متضامنة تضامنا أكيدا مع الجنس البشري، ومغزى هذا أنها ترى أن كل إنسان همومهم؛ لأنه إنسان، وهي ترى أن لهم حقوقا عليها ... من أجل ذلك، فإن المجمع المقدس إذ يعلن شرف دعوة الإنسان وسموها وما أودع الله فيها من بادرة إلهية ،يقدم تعاونه وتعاون الكنيسة المخلص مع الجنس البشري، من أجل إرساء الأخوة الإنسانية.

يريد الله، الذي يسهر بعناية أبوية على الجميع أن يؤلف جميع البشر أسرة واحدة ،وأن يتبادلوا العلاقات فيما بينهم بروح الأخوة، فالجميع خلقوا على صورة الله الذي صنع الجنس البشري كله ،من أصل واحد ليسكنوا على وجه الأرض كلها [أعمال الرسل : 26/17].

وفيما يتعلق بالحرية الدينية فقد جاء في توطئة المجمع الفاتيكاني الثاني في بيان المعنون "الحرية الدينية حق الفرد والجماعات في الحرية الدينية الإجتماعية والمدنية في ما يتعلق بالشؤون الدينية" بأن هذه المؤسسة تتجاوب مع الرغبات الجدّية للإنسان في هذا

الأصل، وأنه يسوق هذا التصريح لبيان مدى تطابقها مع الحق والعدل، بناء على فحص المجمع الفاتيكاني الدقيق للتقاليد المتعاقبة المباركة.<sup>1</sup>

وفي ما يتعلق بالحرية الدينية وعلاقة الإنسان بالله، تقرر أنه لا يجوز أن يُكره الإنسان على ما يُخالف ضميره، ولا يجوز أيضاً أن يُمنع من القيام بما يُملي عليه ضميره، وبنوع خاص فيما يمسّ شؤونه الدينية. وممارسة الدين في صميمها تتركز قبل كل شيء على أفعال باطنية اختيارية حرة، يقوم بها الإنسان ليتصل بالله مباشرة، ومثل هذه الأفعال لا تملك أية سلطة بشرية أن تفرضها أو أن تمنعه. طالما أن النظام العام العادل للمجتمع لا يُمسّ بسوء.<sup>2</sup> و أكد أن " الحرية والحماية من كل إكراه في الشؤون الدينية الخاصة بالأفراد يجب أن تكفلا بالصورة ذاتها إذا مارستها الجماعات فطبيعة الإنسان الاجتماعية كطبيعة الدين نفسه يتطلب مشاركة جماعية ... فمن حق هذه الجماعات التمتع بالحماية التي تمكنها من تعظيم الكائن الأسمى، وفقاً لمبادئها الخاصة (3) .

وعلى خلاف ما عرف عن الكنيسة من معاداة للإسلام بشكل خاص صدرت عن أمانة سر الفاتيكاني وثيقة موجهة إلى غير المسلمين؛ مصدرها بالعنوان التالي: "اتجاهات لحوار بين المسيحيين والمسلمين، تلح على مراجعة الموقف تجاه الإسلام، وعلى نقد أحكام المسيحيين

1 - انظر: <http://apostolica.me/arabic>

2 - انظر قرار المجمع الفاتيكاني رقم: 3-4242

(http://apostolica.me/arabic):

3 - انعقد المجمع الفاتيكاني الثاني كل سنة ما بين (1962م-1965م) واجتمع خلاله: أكثر من 3000، مطران وأسقف كاثوليكي من العالم كله تحت رئاسة بابا روما، تمخضت عنه ستة عشر وثيقة هي المرجع الأساسي لرؤية الكنيسة الكاثوليكية لهويتها ورسالتها وعلاقاتها مع جميع الجماعات البشرية. انظر: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، الأب د. كريستيان فان ينسبن، ص: 91-92-97. والموقع السابق.



وتدعو إلى التخلي قبل كل شيء عن الصورة الباهتة الموروثة عن الماضي، أو المشوهة بالمزاعم الباطلة والإفتراءات والإعتراف بالظلمات التي إجترحها الغرب بحق المسلمين.

وقد فندت في مئة وخمسين صفحة ما سمته " بأضخم مزاعمنا الباطلة، وتناولت بشكل خاص ما يسميه المسيحيون إله المسلمين، والنظام الأخلاقي في الإسلام، وفكرة الإكراه في الدين. وحسما للخلاف حول عالمية الخلاص؛ أكدت على أن غير المسيحيين من أصحاب الديانات الصالحة يقدرّون أن يخلّصوا إن كانوا مخلصين نحو نداءات ضميرهم وتجاوبوا مع نعمة الله ومحفته الفعالة في حياتهم. وإن " تدبير الخلاص يشمل أيضا الذين يعترفون بالخالق وفي طليعتهم المسلمون الذين يعلنون تمسكهم بإيمان إبراهيم ويعبدون معنا الإله الأوحد الرحيم الذي سيدين البشر في اليوم الأخير ".

وفي رسالتها إعلان الرب يسوع حول وحدانية الخلاص وشموليته، أكدّ الفاتكان أن الكنيسة الكاثوليكية لا تزدل شيئا مما هو حق ومقدس في هذه الديانات، بل تنظر بعين الإحترام إلى تلك القواعد والتعاليم، التي غالبا ما تحمل شعاعا من تلك الحقيقة... بالرغم من أنها تختلف في كثير من النقاط عن تلك التي تتمسك بها هي نفسها، بل أنها اعتبرت المرحلة الوثنية أي كل ما ظهر قبل تجلي الوحي كليا من أغنى تجليات البحث الروحي عن الذات الإلهية وأنها مرحلة إختلط فيها الوحي بالعناصر الأخرى (إعلان الرب يسوع)<sup>(1)</sup>.

1 - انظر : التوراة والإنجيل والعلم ؛ موريس بيكاي ؛ ص: 139-140-141-142-143. موسوعة عالم الأديان (كل المذاهب والفرق والبدع في العالم)، ت : مجموعة من كبار الباحثين، إشراف : ط-ب-مفرّج، ج.10، ص: 240-241-242. و مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، الأب، د. كريستيان فان نيسين ؛ ص: 107-110-112. و الإسلام والمسيحية، بحوث في نظام القيم المعاصر، معهد الدراسات الإسلامي للدراسات الحكيمة، و النظرة إلى الإنسان كمحور لحركة الوجود والرسالات، د. الأب يوسف مؤنس، ص: 118-119.

وهذه الوثيقة ونظيراتها تبيّن التطور الذي وصلت إليه الكنيسة فالإنضمام إلى الإيمان المسيحي لم يكن خياراً، وقد استند التبشير المسيحي على نصوص نسبت إلى السيد المسيح عليه السلام، فقد قال : إذهبوا في العالم كله وبشروا بالإنجيل ،والذي يؤمن ويعمّد سوف يخلص، أما الذي يرفض الإيمان فسوف يدان، والذي ليس معي فهو ضدي " <sup>1</sup> ، وإقرارها بأنّ الدخول في الإيمان المسيحي خيار، وليس ضرورة يتوسل لها بجميع الطرق الترغيب والترهيب هو اقتراب من المفهوم الإسلامي للدعوة القائم على التبليغ مع عدم الإكراه في الدين.

---

1 - انظر : [مرقس : 16-15/16] و [لوقا : 27/19] ، [متى : 19/7] و [30/12]

## الفصل الثالث : قيمة الحق في الإسلام وأثرها

المبحث الأول: قيمة الحق في الإسلام

المبحث الثاني: أثر قيمة الحق على المسلمين وفي علاقاتهم بغيرهم

## المبحث الأول: قيمة الحق في الإسلام

### المطلب الأول: مفهوم الحق في اللغة والاصطلاح.

- أولاً: الحق لغة: هو نقيض الباطل، وهو مصدر حق الشيء يحقُّ، أي: وجب، وثبت، ومن باب ضرب. والحق: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، والشيء الحق الثابت حقيقة. وفي التنزيل: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (المؤمنون/71) ويستعمل في الصدق والصواب، يقال: قول حق، وصواب. والحق: اليقين بعد الشك. والحق: الحظ والنصيب، ومنه قوله ﷺ: "إن الله أعطى كل ذي حق حقه"<sup>1</sup>. والحق: وجب ولزم ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]. والحق: الأمر المقضي، والعدل، والإسلام، والمال، والملك والموت، والحزم، والموجود الثابت.<sup>2</sup>

وجعل الراغب الأصفهاني أصل الحق: المطابقة والموافقة، وذكر للحق أربعة معاني: - الأول: يطلق الحق على موجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى: هو الحق، قال تعالى: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقُّ﴾ [يونس: 30]، وقال بعيد ذلك: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: 32]. - والثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالى كله حق، نحو قولنا: الموت حق، والبعث حق، وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ

1. رواه الترمذي، باب: ماجاء لا وصية لوارث: 434/4 تحقيق: أحمد شاكر.

2. القاموس المحيط مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، (ط)، 1426 هـ/2005 م. بيروت - لبنان. ج: 3، ص: 228، المفردات في غريب القرآن: ج1، ص: 246، التعريفات للجرجاني: 89. لسان العرب: 49/10.

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ [يونس:5]، وقال: ﴿وَيَسْتَدْعُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس:53]، وقوله عز وجل ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة:147] وقال ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [البقرة:149].

- والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق، قال الله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:213].

- و الرابع: للفعل والقول بحسب ما يجب وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حق وقولك حق، قال تعالى ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كِمَّتُ رَبِّكَ﴾ [يونس:3] وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة:13]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:71].

يصح أن يكون المراد به الله تعالى، ويصح أن يراد به الحكم الذي هو بحسب مقتضى الحكمة. ويقال: أحققتُ كذا، أي: أثبتته حقا، أو حكمت بكونه حقا، وقوله تعالى:

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ [الأنفال:8] فإحقاق الحق على ضربين :

أحدهما: بإظهار الأدلة والآيات، كما قال تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء:91] أي: حجة قوية.

والثاني: بإكمال الشريعة وبثها في الكافة، كقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:8].

وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [التوبة: 33].<sup>1</sup>

(حقيقة) على وزن "فعيلة" مشتقة من الحق، ومن معانيه الثبوت، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ ﴾ [يس: 7]، أي: ثبت، وحقيقة الشيء منتهاه وأصله المشتمل عليه.<sup>2</sup>

ويقال: حاقفته فحقفته، أي: خاصمته في الحق فغلبته، وحقيق أي: جدير، ومنه قوله تعالى: ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [الأعراف/105]. و"الحاقة": القيامة؛ لأنه يحق فيه الجزاء.<sup>3</sup>

### المطلب الثاني: لفظة "الحق"، صيغها ومعانيها في القرآن والسنة.

أولاً: في القرآن الكريم: الحق" من الألفاظ الأكثر وروداً في القرآن الكريم، ذكرت زهاء مائتي موضع من سور القرآن.<sup>4</sup>

الصيغ التي وردت بها لفظة "الحق" متنوعة، فقد جاءت معرفة بالألف واللام للدلالة على الاستغراق، كما جاءت معرفة بالإضافة للدلالة على البيان، كما جاءت نكرة للدلالة على العموم، وفي صورة المصدر المنصوب على المفعولية للدلالة على التأكيد، ومن الصيغ التي جاءت لفظة "الحق" في القرآن الكريم، المعنى الاسمي الدال على معنى القائم بذاته بغير افتقار إلى غيره، أو على ذات قائمة بنفسها.

<sup>1</sup> المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط: 1، 1412هـ، دمشق. ج 1، ص: 246 وما بعدها.

<sup>2</sup> المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت. مادة: (حقيق).

<sup>3</sup> مفردات غريب القرآن : ج 1، ص: 247.

<sup>4</sup> انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: طبع : دار الكتب المصرية: 1364هـ/1945م.(تصوير: دار الفكر). ج: 1، ص: 208-212. حيث جاءت بصيغ متعددة وبمعاني واسعة، وانظر: القاموس المحيط : الفيروزآبادي. ج: 3، ص: 228 وما بعدها.

كما وردت لفظة الحق بالمعنى الوصفي الدال على ملابسة لذات أو لفعل وهي أربع صفات: الثبات والتطابق والصدق والصحة.

فالحق بمعنى الثبات توصف به الماهية، وهذا لا يكون إلا لله عز وجل، والحق بمعنى التطابق توصف به العلاقة بين الاعتقاد والواقع، والحق بمعنى الصدق يوصف به الخبر المطابق للحقيقة الخارجية، والحق بمعنى الصحة يوصف به الإخبار عن الواقع من حيث خلو الخبر عن شوائب الوهم والظن و الاختلال.<sup>1</sup>

والمعاني التي حملتها لفظة "الحق" متعددة في القرآن الكريم، أوصلها صاحب كتاب الأشباه والنظائر إلى عشرة معاني جامعة.<sup>2</sup> وهي:

-الأول: الحق، هو الله سبحانه وتعالى، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[المؤمنون: 71]، ومعناه لو اتبع الله أهواءهم.

-الثاني: القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف:

29]، يعني القرآن الكريم، ومنه قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ [القصص: 48].

-الثالث: الإسلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: 81] ، يعني

مجيء الإسلام وذهاب الشرك.

-الرابع: العدل، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: 25]، أي:

جزاءهم العدل .

<sup>1</sup> انظر: منظومة القيم المرجعية في الإسلام: د/محمد الكتاني، مركز الأبحاث والدراسات في القيم، الرباط المغرب، (ط) الثانية 1433هـ/2011م. ص: 27.

<sup>2</sup> الأشباه والنظائر، — أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (ط) 1، 2007/1418، ص: 186-187.

- الخامس: الصدق، ومنه قوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ﴾ [النساء: 122]. أي: صدقا، وقوله سبحانه: ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ [الأنعام: 73] ، يعني الصدق.
- السادس: بمعنى وجب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [السجدة: 13]. أي: وجب، ومنه أيضا: ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ [غافر: 6]. يعني وجبت
- السابع: الحق بخلاف الباطل، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الحجر: 85].
- الثامن: قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَدُهُمْ الْحَقِّ ﴾ [الأنعام: 62]. أي: مولاهم على الحقيقة.
- التاسع: بمعنى الدين، قال تعالى: ﴿ وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ [البقرة: 282]. أي: الذي عليه الدين، ومنه قوله تعالى ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ [البقرة: 282] أي: الدين، وقال ابن العربي: المال المتعين في الذمة.<sup>1</sup>
- العاشر: بمعنى الحظ والنصيب، ومنه قول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ [المعارج: 24].
- وزاد عليها ابن العربي في الأمد الأقصى:
- الملك ومنه قوله تعالى ﴿ مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيْنَ ﴾ [المائدة: 107]، أي: مُلك، ومنه استحق الأعيان المبتاعة، أي: تملكها.<sup>2</sup>

1 . الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى :أبوبكر محمد بن عبدالله ،ابن العربي الإشبيلي ،تحقيق و تخريج :عبدالله التوراتي و محمد عزوي ،دار الحديث الكتانية، المغرب ،(ط)الأولى، 2017م.ج: 1 ،ص:296.

2 . الأمد الأقصى: ج:1،ص:279.



وزاد بعض المعاصرين معاني أخرى للفظه الحق في القرآن الكريم، ومن تلك المعاني إطلاق الحق على الرسول ﷺ في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: 5].

- النصر والتأييد ومنه قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 48].
- التوحيد، كما في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: 86].
- الحجج والبراهين ومنه قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: 3].
- الأمر الواضح، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَكِن جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: 71].
- الواقع المحقق كما في قوله تعالى ﴿قَدْ جَعَلْنَا رِيَّ حَقًّا﴾ [يوسف: 100].
- الخبر اليقين كما في قوله تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: 252].

هذه بعض إطلاقات لفظة: "الحق" في القرآن الكريم، مع ملاحظة أن بعضها قد يدخل ضمن بعض الآخر.<sup>1</sup>

قد حصر الدكتور محمد الكتاني في كتابه 'منظومة القيم المرجعية في الإسلام' المعاني المحورية لكلمة الحق في عشرة، مع التأكيد على ما بين تلك المعاني من التداخل والتشابك<sup>2</sup>. وخلص إلى أن مفهوم الحق استخدم بمعنى "الوجودي"، أي: الثابت في الواقع ويقابله الباطل أو المعدوم، ومرادفه: الصادق والصحيح، ويقابله الكاذب والفساد.

1 انظر: حقوق الإنسان في ضوء القرآن: أ.د/يحيى بن محمد زمزمي، معهد البحوث والدراسات الاستشارية، (ط): الأولى: 1435هـ. جامعة أم القرى. مكة. ص: 30.

2. انظر: منظومة القيم المرجعية في الإسلام، د. محمد الكتاني ص: 33.

والمعنى الثاني: الاعتباري، أي: ما يعتبره حقا في الذمة تجاه الآخر، أو ما يعتبره ثابتا في فطرة الناس من مبادئ العدل والإنصاف، فالمفهوم الأول للحق هو قوام العقيدة، والمفهوم الثاني هو قوام الشريعة، ومنها تتفرع كل الحقوق.<sup>1</sup>

والخلاصة: أن "لفظ الحق من الألفاظ الإسلامية الخالصة التي نقل القرآن معناها من مدلول ضيق وعرفي إلى مدلولات عميقة الصلة بالكون وبالعقيدة والشريعة والأخلاق".<sup>2</sup>

1 . المرجع السابق، ص: 38 وما بعدها.

2 . منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ص: 27.

## ثانيا: الحق في السنة النبوية:

وردت لفظة "الحق" في أحاديث نبوية كثيرة، بحيث تعددت المعاني التي دلت عليها بحسب السياق الواردة فيه، ومن تلك المعاني ما جاء في الصحيحين من دعاء النبي ﷺ في جوف الليل، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجّد، قال: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْمَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَأَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ"<sup>1</sup>

قال ابن بطال: وقوله: (أنت الحق) فالحق اسم من أسمائه وصفة من صفاته. (وقولك الحق) يعني قولك الصدق والعدل. (ووعدك حق) يعني لا تخلف الميعاد وتجزى الذين أساءوا بما عملوا إلا ما تجاوز عنه، وتجزى الذين أحسنوا بالحسنى.<sup>2</sup>

فالحق في الحديث اطلق على معاني وهي صفة من صفات الله عز وجل، وعلى العدل، والصدق، والمتحقق الموجود.

وقال الباجي في المنتقى شرح الموطأ: وقوله: "ولك الحمد أنت الحق" يحتمل أن يريد به أنه اسم من أسمائه، ويحتمل أن يريد أنه الحق مِمَّنْ يدَّعي المشركون أنه إله، ومن قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدَّعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: 62]،

1 أخرج البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل: (6317) واللفظ له، ومسلم (769)، باب: التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ.

2. شرح صحيح البخاري: أبو الحسن علي بن خلف، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م. ج: 3، ص: 109.

وظاهره أَنَّ قوله فِي هذا "الحقّ" يعود إلى معنى الصّدق، ويتعلّق بتسميته إلهًا بمعنى أَنَّ من سمّاه إلهًا وأخبر عنه أنّه إله فقد صدق وقال الحقّ، ومن سُمّي سواه إلهًا وأخبر عنه بأنّه إله فقد كذب وأبطل؛ والله أعلم وأحكم. وقوله: "ووعدك حقّ"، معناه -والله أعلم- وعده يفني به ولا يخلفه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ [آل عمران: 9].

وقيل فِي قوله تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم: 22] أي: وعد الجنّة من أطاعه، ووعد النّار من كفر به فوقّي بوعده، فكأنّه عائد إلى معنى الصّدق، ويحتمل أن يُريد به: أَنَّ وعده حقّ، بمعنى إثبات أنّه قد وَعَدَ بالبعث والحشر والنّشر والثّواب والعقاب .  
وقوله: "والجنّة حقّ، والنّار حقّ، والسّاعة حقّ"، يحتمل وجهين:

- أحدهما: أَنَّ خبره تعالى بذلك حقّ لا يدخله باطل ولا كذب ولا تحريف ولا تغيير.

- والثّاني: أَنَّ خبر من أخبر عنه بذلك وبلغه حقّ.<sup>1</sup>

وفي حديث آخر عن معاذ رضي الله عنه، قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير، فقال: «يا معاذ، هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «إن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: «لا تبشروهم فيتكلموا».<sup>2</sup>

<sup>1</sup> .المنتقى شرح الموطأ: أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي : مطبعة السعادة - مصر

الطبعة: الأولى، 1332 هـ. (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة: الثانية، (د.ت) ح: 1، ص: 359.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري في أكثر من موضع، ومنها: كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي -صلى الله وسلم- رقم (7373)، مسلم في الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، (30).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: "الحق كل موجود مُتَحَقِّقٌ أو ما سيوجد لا محالة، ويقال للكلام الصِّدْق: حقٌّ؛ لأنَّ وُقُوعه مُتَحَقِّقٌ لا تَرَدُّد فيه، وكذا الحقُّ المُسْتَحَقُّ على الغير إذا كان لا تَرُدُّد فيه، والمُرَاد هنا ما يَسْتَحِقُّه الله على عباده مِمَّا جعله مُحْتَمًا عليهم"<sup>1</sup>.  
فمن خلال هذين الحديثين جاءت لفظة "الحق" بمعنى الصواب، والصدق، والمستحق، والمتحقق الوجود.

ومن المعاني التي يطلق عليها لفظة "الحق" المستحق على الغير، والواجب والثابت.

ويأتي "الحق" بمعنى الشيء الثابت، وخلاف الباطل، وبمعنى الواجب.<sup>2</sup>

وفي حديث ابن عباس أنَّ امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يعني إنَّ أُمِّي نذرت أن تحجَّ فماتت قبل أن تحجَّ أفأحجُّ عنها؟ قال: "نعم فحجِّي عنها أَرَأَيْتِ لو كان على أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتُ قَاضِيَتِهِ؟" قالت نعم، قال: "اقضُوا حَقَّ اللهِ فَإِنَّ اللهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ."<sup>3</sup> ففي هذا الحديث جاء بمعنى الدين الثابت وجاء "الحق" بمعنى النصيب المقدر كما في حديث أبي أمامة، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث."<sup>4</sup>

وجاء الحق بمعنى ما يجب اظهاره وبيانه فعن أُمِّ سَلْمَةَ، قالت: جاءت أُمُّ سُلَيْمٍ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنَّ الله لا يستحيي من الحقِّ، فهل على المرأة من غسل

1 فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج:1، ص:339.

2 عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد الحنفى بدر الدين العيني . دار إحياء التراث العربي - بيروت. ج:23، ص:78.

3 رواه البخاري كتاب الطهارة باب اذا احتلمت المرأة (8672).

4 رواه أبو داود (2870)، كتاب: الوصايا، باب: ما جاء في الوصية للوارث، والترمذي (2120)، كتاب: الوصايا، باب: ما جاء: "لا وصية لوارث"، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (2713)، كتاب: الوصايا، باب: لا وصية لوارث، من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - .

إذا احتلمت؟ قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ» فَغَطَّتْ أُمَّ سَلْمَةَ، تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، تَرَبَّتْ يَمِينُكَ، فِيمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا».<sup>1</sup>

نقل النووي عن العلماء أنّ معناه: "لا يمتنع من بيان الحقّ وضرب المثل. .".<sup>2</sup>

وجاء "الحق" بمعنى الواجب ، كما في حديث النعمان بن بشير : "إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكَ مِنْ

الْحَقِّ أَنْ تَعْدَلَ بَيْنَهُمْ، كَمَا أَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ أَنْ يَبْرُوكَ".<sup>3</sup>

وجاء أيضا "الحق" بمعنى الحزم، ومنه قول النبي ﷺ: "ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين إلا

وصيته مكتوبة عنده".<sup>4</sup> قاله ابن العربي.<sup>5</sup>

وجاءت لفظة "الحق" بمعنى الثابت الموجود، ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله

عنه عن النبي ﷺ قال: «العين حق».<sup>6</sup>

قال العراقي: قوله: «العينُ حقٌّ»، أي: الإصابة بالعينِ حقٌّ، أي: ثابتٌ موجودٌ.<sup>7</sup>

كما جاءت لفظة "الحق" بمعنى الجهة المتعينة، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه،

قال: سمعت النبي ﷺ يقول: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته

في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها".<sup>8</sup>

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، في كتاب العلم، باب: الحياء في العلم، و مسلم في الحيض، باب: وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها (313).

<sup>2</sup> شرح النووي على صحيح مسلم: ج: 3، ص: 223.

<sup>3</sup> سنن أبي داود: كتاب البيوع، باب: في الرجل يفضل بعض ولده في التُّخْلِ، رقم: 3542.

<sup>4</sup> أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب: الوصايا وقول النبي ﷺ: وصية الرجل مكتوبة عنده (2737)، ومسلم: كتاب الوصية، (1627).

<sup>5</sup> الأمد الأقصى: ج: 1، ص: 279.

<sup>6</sup> أخرجه البخاري، باب: العين حق، (5740) ومسلم في السلام، باب: الطب والمرض والرقي (2187).

<sup>7</sup> — طرح التثريب في شرح التقريب، لأبي الفضل، زين الدين عبد الرحيم العراقي، ، أكمله ابنه أحمد بن عبد الرحيم، أبو زرعة ولي الدين، العراقي، الطبعة المصرية القديمة، دار إحياء التراث العربي، ج: 8، ص: 189.

<sup>8</sup> أخرجه البخاري، باب: إنفاق المال في حقه: ج: 2، ص: 108، رقم: 1409.

ذكر ابن بطال عن بعض أهل العلم أوجه إنفاق المال، ثمّ قال: " فمن أنفق في هذه الوجوه الثلاثة فقد وضع المال في موضعه، وأنفقه في حقه، ووجب حسده.."<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> . شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ج: 3 ص: 408.

### ثالثاً: الحق من أسماء الله الحسنى .

وهو اسم للذات الإلهية ومتعلقاتها الوصفية والفعلية، قال ابن الأثير: هو الموجود حقيقة، المتحقق وجوده وإهيئته.<sup>1</sup>

وقال صاحب كتاب الأشباه والنظائر: "والحق من أسماء الله تعالى بمعنى أنه الدائم الثابت الملك، غير زائل السلطان."<sup>2</sup>

وقال الإمام زروق الفاسي: "هو الثابت الوجود على وجه لا يقبل الزوال ولا العدم، ولا التغيير، والكل منه وإليه، فكل شيء دونه باطل، إذ لا حقيقة لمن دونه من ذاته ولا في ذاته"، وهذا ما وقعت الإشارة إليه بالحديث: "أصدق كلمة قالها الشاعر، ألا كل شيء ما خلا الله باطل."<sup>3</sup>

وقد ورد هذا الاسم في عشرة مواضع من القرآن الكريم منها:<sup>4</sup>

في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:32]، وقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:62]، وقوله: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:116].

<sup>1</sup> النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، الجزري: ج:1، ص:413، تحقيق: طاهر أحمد الطناحي، المكتبة العلمية 1979/1399 بيروت).

<sup>2</sup> . الأشباه والنظائر، أبو هلال العسكري، ص:186.

<sup>3</sup> شرح أسماء الله الحسنى 91-92، والحديث رواه البخاري، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه. رقم:3628، و مسلم في أوائل كتاب الشعر، رقم:2256.

<sup>4</sup> . فقه أسماء الله الحسنى، عبد الرزاق البدر ص:249.



وتعرض ابن العربي في كتابه الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى إلى الأحكام التي تضمنتها صفة "الحق لله عزّ وجلّ"، قال: "المنزلة العليا للرب تعالى في وصف "الحق"، ويجمع ذلك ثلاثة أحكام:

- الأول: أنّه له العموم والإطلاق من كل وجه؛ لأنه لم يسبق وجوده عدم ولا يتطرق إليه فناء.
- الثاني: أنّه لا يكون في قوله كذب، ولا في وعده خلف.
- الثالث: أنّه ليس في فعله عبث، فذاته حق، وصفاته حق، وأفعاله حق، حسب ما جمعه رسول الله ﷺ في قوله: "أنت الحق وقولك الحق ولقاؤك حق" فقوله: "أنت الحق" للذات، و"قولك الحق" للصفات، و"لقاؤك حق" للأفعال".<sup>1</sup>

---

1 . الأمد الأقصى 1/302.

## المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة، والألفاظ المقابلة.

أولاً: الألفاظ ذات الصلة.

لم أجد كلمة يمكنها أن تدل على مفهوم كلمة "الحق"، بشكل متطابق، وإنما هناك ألفاظ قد تستعمل في بعض معاني الحق، كالعدل والصدق والواجب، والصواب؛ والصحيح، والثابت، وكل هذه المعاني سبق الإشارة إليها في معرض بيان مدلول "الحق".

ثانياً: الألفاظ المقابلة.

الألفاظ المقابلة لكلمة "الحق" كثيرة منها الباطل والكذب، والضلال، الجور، والهوى، وسأقتصر على بعضها:

1- الباطل: (بطل) الباء والطاء واللام أصل واحد، وهو ذهاب الشيء وقلة مكنه ولبثه. يقال: بطل الشيء يبطل بطلاً وبطولاً. وسُمي الشيطان الباطل لأنه لا حقيقة لأفعاله، وكلُّ شيء منه فلا مرجوع له ولا موعول عليه.<sup>1</sup>

والباطل: من المعاني المضادة للفظه الحق؛ وعلل ابن العربي في معرض شرحه لأسماء الله الحسنی ومنها الحق.<sup>2</sup> تعرضه لبيان معنى الباطل؛ لأنه ضد الحق في جميع وجوهه ومحتملاته، وبعض معرفة الأضداد سبب معين على معرفة أضدادها وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: 188]، وقال ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً﴾ [آل عمران: 191].

وقال النبي ﷺ: "أصدق كلمة قالها الشاعر ألا كل شيء ما خلا الله باطل."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المتوفى: 395هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر: 1399هـ - 1979م. ج: 1، ص: 258.

<sup>2</sup> الأمد الأقصى، ج: 1، ص: 298.

<sup>3</sup> البخاري في مواضع من صحيحه ومنها كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية برقم: 3841 ومسلم في صحيحه كتاب الشعر برقم: 2256.

فالباطل في العقليات هو المعدوم، وبعض أهل العلم قال المستحيل، وفي السمعيات :  
هو كل قول وعمل لا ينعقد شرعا ولا يفيد <sup>1</sup>

وفصّل ابن العربي بتفصيل وجيه بعد استقراء معاني الحق من جميع وجوهه ومعاني الباطل من كل جهاته ، و وجد أنّ "الحق : هو ما له فائدة مقصودة، والباطل: ما لا فائدة فيه ، سواء كان معدوماً أو موجوداً ، فقد تتعلّق بالمعدوم فائدة كما تتعلّق بالموجود، والدليل عليه قوله تعالى ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الأحقاف/3] أي لفائدة مقصودة ، وهي الثواب والعقاب، يؤكده قوله ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً ﴾ (آل عمران: 191) أي: ما خلقتكما لنفسهما دون فائدة تتعلّق بهما، وهي الحشر والثواب والعقاب يحقّقه قوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ (المؤمنون: 115).

فقد تتعلّق بالعدم فائدة كما تتعلّق بالموجود، فيكون العدم حقا بهذا المعنى وقد تتعلّق بالمعنى فائدة من وجه فيكون حقا، ويعرى عن فائدة فيكون باطلا، ولهذا قال النبي ﷺ: "أصدق كلمة قالها الشاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطل".<sup>2</sup>

والمعدوم الذي لا تتعلّق به فائدة ولا مقصود فهو باطل مطلقا، وهو كون شريك لله في ملكه وإله آخر معه، وهذا معنى قوله ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ (الحج / 62).

فكل موجود سوى الله حق من حيث وجوده لكنه باطل من حيث يتطرق الفناء والعدم إليه، فإن اقترن بذلك أن الله تعالى حرّمه ونهى عنه، صار حقا من وجه واحد وهو الوجود وباطلا من وجهين تطرق الفناء إليه وتحريم الله له".<sup>3</sup>

1 الأمد الأقصى ، ج: 1، ص: 298.

2 . سبق تخريجه .

3 . انظر: الأمد الأقصى: ج: 1، ص: 298-300.

وقد ذكر ابن الجوزي<sup>1</sup> عن علماء التفسير أنّ الباطل في القرآن الكريم على أربعة أوجه

وهي:

الأول: الكذب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت/48)

وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت/42) أي لا تكذبه

الكتب التي قبله، وليس بعده كتاب يكذبه.

الثاني: الاحباط، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة/264)

الثالث: الظلم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ وَتُدْلُوا بِهَا

إِلَى الْحُكَّامِ﴾ (البقرة/188)

الرابع: الشرك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطْلُ إِنَّ الْبَطْلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

(الاسراء/81).

## 2- الضلال:

(ضَلَّ) الضَّادُ وَاللَّامُ أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في

غير حقه. يقال: ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضِلُّ، لُغْتَان. وكلّ جائر عن القصد ضالٌّ. والضلال والضلالة

بمعنى. ورجل ضليلٌ ومُضِلٌّ، إذا كان صاحب ضلال وباطل.<sup>2</sup>

3- الكذب: (كَذَبَ) الكاف والذال والباء أصل صحيح يدل على خلاف الصدق.

وتلخيصه أنه لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق. من ذلك الكذب خلاف الصدق. كَذَبَ كَذِبًا.

وَكَذَّبْتُ فُلَانًا: نَسَبْتُهُ إِلَى الْكَذِبِ.<sup>3</sup>

1 نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: عبد الرحمان ابن الجوزي، أبو الفرج البغدادي، تحقيق: محمد عبد الكريم

الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط) الأولى، 1404هـ/1984م. ج:1، ص:196

2. معجم مقاييس اللغة: ج:3، ص:356.

3 معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: ج:5، ص:167.

وقال الفراء في قول الله ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:

33]،: "وقرىء: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ قَالَ: معنى التَّخْفِيفِ - وَاللهُ أَعْلَمُ - لَا يَجْعَلُونَكَ كَذَّابًا، وَأَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ بَاطِلٌ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجْرِبُوا عَلَيْهِ كَذِبًا فَيُكْذِبُوهُ، إِنَّمَا أَكْذَبُوهُ، أَي: قَالُوا إِنَّمَا جِئْتَ بِهِ كَذِبٌ لَا يَعْرِفُونَهُ مِنَ التُّبُوءَةِ".<sup>1</sup>

قال ابن عَرَفَةَ: الكَذِبُ الانصرافُ عن الحق يُقَالُ: حَمَلَ فَمَا كَذَبَ، أَي ما انصرف عن

القتال قال: فمعنى قوله كذبوا أي: استمروا على التَّكْذِيبِ الَّذِي لَا تَصْدِيقَ بَعْدَهُ.<sup>2</sup>

ثالثاً: الحق في اصطلاح أهل المعاني:

هو الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب، باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل.

وأما الصدق فقد شاع في الأقوال خاصة، ويقابله الكذب، وقد يفرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع، وفي الصدق من جانب الحكم، فمعنى صدق الحكم مطابقتها للواقع، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إياه.<sup>3</sup>

رابعاً: الحق في الفقه الإسلامي:

لقد تناول فقهاء المسلمين مصطلح "الحق" وبينوا مصادره وأقسامه، وما يترتب على التقسيم من آثار. وسأكتفي بإعطاء فكرة مختصرة، والقصد منه التنبيه على أهمية "الحق" كقيمة كبرى تسجل حضورها بقوة في ضبط الموازين، والحقوق، في مجالات مختلفة .

<sup>1</sup> تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001م. ج: 10، ص: 97.

<sup>2</sup> تفسير غريب ما في الصحيحين (البخاري ومسلم): محمد بن فتوح الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ط: 1، 1415 هـ - 1995م. ج: 1، ص: 163.

<sup>3</sup> التعريفات للجرجاني: ص: 89.

### أ- مفهوم الحق عند الفقهاء:

تعددت اطلاقات الفقهاء لمصطلح "الحق"، فقد يقصد به حق الملك، حق التملك، كحق الشفيع في الشفعة، حق الانتفاع، حق الاختصاص، وهو عبارة عما يختص به مستحقه من الانتفاع به، وعُرف بعدة تعريفات منها: "هو اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفا".<sup>1</sup>

### ب - مصادر الحق:

تعرض الفقهاء لبيان مصدر الحق في الإسلام، فذكروا أنّ مصدر الحق هو الله سبحانه وتعالى لتنظيم حياة الخلق، والحقوق هي أثر خطاب الشارع، قال الإمام الشاطبي: "إنّ كل حكم شرعي ليس بخال عن حق الله تعالى، وهو جهة التعبد، فإن حق الله على العباد أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا، وعبادته امتثال أوامره واجتناب نواهيه بإطلاق".<sup>2</sup>

### ج - أقسام الحق: يقسم الحق باعتبارات مختلفة، منها:

- حق الله تعالى: هو ما يتعلق به النفع العام من اختصاص بأحد، فينسب إلى الله تعالى لعظم خطره وشمول نفعه.

- حق العبد: فهو يتعلق به مصلحة خاصة.<sup>3</sup>

وقال الإمام القرافي: "حق الله أمره ونهيه، وحق العبد: مصالحه".

والتكاليف على ثلاثة أقسام:

- الأول: حق الله فقط، كالإيمان، وتحريم الكفر.

- الثاني: حق العباد فقط كالديون والأثمان .

- الثالث: قسم اختلف فيه، هل يغلب فيه حق الله، أو يغلب فيه حق العبد، كحد

القذف، ونعني بحق العبد المحض أنه لو أسقطه لسقط، وإلا فما من حق للعبد إلا وفيه حق

لله، وهو أمره بإيصال ذلك الحق إلى مستحقه.<sup>4</sup>

1. الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، الأستاذ/مصطفى الزرقا، مطبعة جامعة دمشق.(د.ت)،ص: 15.

2. الموافقات: أبو إسحاق الشاطبي، تعليق: محمد عبدالله دراز، دار المعرفة، ج: 2، ص: 317.

3. التعريفات للجرجاني، ص: 89.

4. الفروق (أنوار البروق في أنواع الفروق): أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي: عالم الكتب، (د. ط) و(د. ت) ومعه «إدراج الشروق على أنوار الفروق» للشيخ قاسم بن عبد الله المعروف بابن الشاط،

وحمل الإمام القرافي معنى الحق في حديث معاذ على أنه من باب إطلاق الأمر على متعلقه الذي هو الفعل.<sup>1</sup>

وذهب بعض العلماء إلى أن الحق هو الفعل الذي تعلق به خطاب الشارع أي هو متعلق الأمر والنهي، والدليل هو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"، وأن الحق معناه: اللازم له على عباده، واللازم على العباد لا بد أن يكون مكتسباً لهم.<sup>2</sup>

### المطلب الرابع: الحق قيمة معيارية ثابتة:

الحق أحد القيم المعيارية الثابتة؛ ذلك أن الله عز وجل هو الحق المطلق.<sup>3</sup> فهو اسم من أسمائه وصفة من صفاته، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: 25]. وهو مصدر الخلق والتدبير، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: 17] ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور: 35]، وأنه سبحانه وتعالى ما خلق الخلق إلا بالحق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 85]، وهو سبحانه الموجود حقيقة، المتحقق وجوده وإلهيته، قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنَّ أَنْصَرَفُونَ﴾ (يونس/32) وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (الحج/32) وهو سبحانه الرازق، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ

وبهامشه «تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية» للشيخ محمد بن علي بن حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة . الفرق الثاني والعشرين بين قاعدة حقوق الله تعالى وقاعدة حقوق الأدميين. ج: 1، ص: 157

<sup>1</sup> المرجع السابق، ج: 1، ص: 157 وحديث معاذ سبق تخريجه.

<sup>2</sup> تهذيب الفروق: ج: 1، ص: 157.

<sup>3</sup> الأمد الأقصى: ج: 1، ص: 299.

فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿ (هود/6) ، وَأَنَّ قَوْلَهُ حَقٌّ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ ﴾ [الأنعام: 73] ،  
 وَأَنَّ وَعْدَهُ حَقٌّ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [يونس: 55] ، وَهُوَ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، فَهُوَ  
 صَاحِبُ الْغِنَى الْمَطْلُوقِ ، وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ <sup>ط</sup>  
 وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
 بِعَزِيزٍ ﴿ [فاطر: 15-17] ، وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ بِالْحَقِّ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا  
 بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [آل عمران: 3] .

وَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ  
 يَهْدِي لِلْحَقِّ لِمَنْ يَشَاءُ أَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ  
 تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس: 35] ، وَأَنَّ مَا قَرَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْحَقُّ الْمَطَابِقُ لِلْوَاقِعِ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَهَدَىٰ  
 اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا أَحْتَفَلُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: 213] .

وَأَنَّ حُكْمَهُ هُوَ الْحُكْمُ الْعَادِلُ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم  
 بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص: 26]  
 وَالْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ الَّذِي خَتَمَ اللَّهُ بِهِ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةَ ، وَوُصِفَ بِأَنَّهُ دِينُ الْحَقِّ ، قَالَ  
 تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [الفتح:  
 28] ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ "الْحَقَّ" هُوَ الْقِيَمَةُ الْمَعْيَارِيَّةُ لِكُلِّ شَيْءٍ؛ فِي الْاِعْتِقَادَاتِ وَالتَّشْرِيعَاتِ وَالْقِيَمِ  
 وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالسَّلُوكَاتِ .

وَلَمَّا كَانَ "الْحَقُّ" بِهَذَا الشَّمُولِ وَالِاسْتِيْعَابِ - كَمَا قَرَّرْتَهُ نَصُوصُ الْقُرْآنِ - جَعَلَتْ مِنْهُ  
 مَبْدَأً ثَابِتًا الَّذِي لَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ ، وَ لَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ تَغْيِيرٌ وَ  
 مَرْجَعًا يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي تَقْدِيرِ الْقِيَمِ وَبَيَانِ أَوْصَافِهَا وَأَحْكَامِهَا ، وَالمِيزَانُ الَّذِي يُضْبِطُ السَّلُوكَاتِ  
 وَالتَّصْرِيفَاتِ ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: 9] .



فالحياة لا تستقيم إلا بوجود قيمة ثابتة تكون القيمة المرجعية في كل شيء.<sup>1</sup>  
وما جاء في وصف حامل آخر الرسالات إلى البشر -عليه الصلاة والسلام-  
﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ  
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 157]. يؤكد هذه  
المرجعية.

والحق بمعانيه المختلفة يستوعب كل مجالات الحياة، فينتظم العدل والمساواة والجمال  
والشرف؛ لأنه "الحق المطلق".<sup>2</sup>

بنى القرآن الكريم دعوته الإلهية ونظامه التشريعي وعقيدته الكلية ومنظومته الأخلاقية  
وقيمه على مبدأ الاقرار بوجود "الحق" الأول، باعتباره أساساً للوجود كله، واعتمد في توجيهاته  
على مبدأ الإيمان به، في التكليف وفي المسؤولية وفي الجزاء وفي الحكم بين الناس.<sup>3</sup>

### المطلب الخامس: البعد الإنساني لقيمة الحق:

الحق قيمة مرجعية في الإسلام له بُعد إنساني؛ إذ أنها تتعلق بالإنسان، فهي ثابتة لا  
تتغير بتغير الزمان، ولا تتبدل بتبدل البيئات، والأحوال، والظروف، وبهذا تسمو عالمية الإسلام  
على كل الفوارق بين الناس وتعود بهم إلى الفطرة الأولى: ﴿فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا  
تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم/30)

<sup>1</sup> انظر التدافع القيمي بين المد العولمي والتأصيل العلمي: د/محمد بلكبير، ضمن: ندوة "سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا  
المعاصر": أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، (21-23 جمادى الثانية 1432هـ / 25-27  
ماي 2011م). تقديم د/ أحمد العبادي. طبع أبي رقاق للطباعة والنشر، (ط) الأولى، 1433هـ / 2012م. الدار البيضاء-  
المغرب، ص: 138.

<sup>2</sup> حوار عن بُعد حول حقوق الإنسان في الإسلام: الشيخ عبدالله بن بية، مكتبة العبيكان، (ط): الأولى  
1428هـ / 2007م الرياض، السعودية. ص: 24، وانظر أيضاً: منظومة القيم المرجعية في الإسلام، في مناقشة النظريات  
التي تريد أن تجعل من "العقل" الحق المطلق ص: 24 وما بعدها.

<sup>3</sup> انظر منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ص: 26

ومما يؤكد هذا البعد لقيمة "الحق"، هوانها تجمع بين الطابع الفردي، والشمولي، أي أن كل فرد يتعين عليه التحلي به، دون أن تتجرد قيمة الحق عن الطابع المشترك الشمولي<sup>1</sup>؛ لأن القيم في القرآن تنصرف إلى الإنسانية جمعاء، وهذا ما يقره القرآن الكريم في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف/158) وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الأنعام/19)، وقوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان/1).

فكل فرد ملزم بها، سواء كان تطبيقه لها على نفسه أم على الآخرين قال تعالى: **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ** ﴿البقرة/44﴾، وقال تعالى: **﴿وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾** <sup>١</sup> الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ إِذَا كَانُوا لَهُمْ أَوْ وَزَوْجُهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿المطففين/1-3﴾.

ولا شك أن التزام الناس بهذه القيمة في شعب الحياة المختلفة ينجر عنها محاسن لا تحصى؛ إن على المستوى الأفراد، أو على مستوى المجتمع في العلاقات الاجتماعية، أو في علاقة المجتمع المسلم بالآخرين. ففي مجال نظام الحكم تحصل به السياسة الرشيدة، في العدل والانصاف والمساواة، باعتبار أن الحق فوق كل أحد. وفي مجال العلاقات ينتصف كل واحد من نفسه، و تجعل الناس تدافع عنه وتمسك به وتعمل على استرداده إذا فُقد.

1 انظر دستور الأخلاق في القرآن، د/محمد عبدالله دراز، ترجمة عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة(ط): العاشرة، 1418هـ/1998م. ج:2، ص:53-55.

## المبحث الثاني: أثر قيمة الحق على المسلمين وفي علاقاتهم بغيرهم.

## المطلب الأول: أثر قيمة الحق في صدر الاسلام

إنّ الحق هو القيمة المرجعية في كل شيء، في الاعتقاد وما يجب الإيمان به، وفي الأحكام وما تستلزمه من التنفيذ والتطبيق، والعمل بمقتضاها، وفي الأخلاق وما يجب تمثله في السلوك والتعاملات، وفي المواقف من الثبات عليه والدفاع عنه، والرجوع إليه، أو في اظهاره و بيانه وعدم كتمانها. ذلك أنّ الحق هو المرجع لكل مسلم، ويستوي في ذلك كل فرد من أفراد المسلمين، سواء كان حاكما أم قاضيا أم مفتيا أم عالما أم مسلما عاديا، لأن هذه القيمة جزء من الخطاب التكليفي الذي ألزم به الشرع المكلفين.

و قد وقعت حوادث في العهد النبوي أصّلت لهذه القيمة في حياة المسلمين من خلال مواقف وقفها رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو القدوة للمسلمين جميعا، و أعلنت من شأن قيمة الحق، إن في الثبات عليه أو في التمسك به، أو في الدعوة إليه، وأكتفي بذكر واقعة وقعت في مطلع الدعوة حينما عرضت قريش -عن طريق أبي طالب- مطالب مغرية ليكفّ النبي ﷺ -عن دعوته للدين الجديد،مقابل إغراءات فكان جوابه: " يا عمُّ، واللّٰه لو وضعوا الشّمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، حتّى يُظهِره اللّٰه، أو أهلك فيه، ما تركته "1.

ومن الوقائع التي فيها رجوع النبي ﷺ - إلى رأي أصحابه، ما جاء في كتب السيرة النبوية من أنّ النبي ﷺ لما نزل بالمسلمين في بدر، قال الحباب بن المنذر الخزرجي -وكان معروفا بجودة الرأي والدربة في الحروب- لرسول الله ﷺ: رأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله

1. السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصرالطبعة: الثانية،1375هـ - 1955 م. ج: 1،ص:266.

ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، فقال: يا رسول الله: فإن هذا ليس بمنزل، فامض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فنزله ثم نغور ما وراءه من الابار، ثم نبني عليه حوضا فمملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله: «لقد أشرت بالرأي»، ونفذ ما أشار به الحباب.<sup>1</sup>

وقد دلت النبي صلى الله عليه و سلم بهذا على تأصيل روح الإنصاف والرجوع إلى الحق فيما لم ينزل فيه وحى، وأنه على جلالته قدره، ووفور عقله، وبعد نظره لا يستبد برأيه، ولا يأنف من الرجوع إلى الحق.<sup>2</sup>

وكان بعض الصحابة -رضي الله عنهم- مضرب المثل في التمسك بالحق في أصعب الظروف وأشدّها، وبخاصّة في العهد المكي، حيث صبّ المشركون على المستضعفين ممّن أسلم العذاب والأذى والفتنة، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتدّ الحرّ، يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدّة البلاء الذي يُصيبه، ومنهم من يصلب لهم، ويعصمه الله منهم. حميت الظّهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتتوضع على صدره، ثمّ يقول له: (لَا وَاللَّهِ) لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ، أو تكفر بمحمّد، وتبعد اللآت والعزّي، فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحَدٌ أَحَدٌ.<sup>3</sup>

وفي قصة ذلك الصحابي الذي قتله مسيلمة الكذاب حين رفض الاقرار له بالرسالة، ورفض أن يأخذ بالرخصة، فعن الحسن، قال: إنّ أصحاب مسيلمة أخذوا رجلين من المسلمين فأتوا بهما مسيلمة، فقال: لأحدهما: أتشهد أنّ محمّداً رسول الله، قال: نعم، قال: أتشهد أنّي

1 المرجع السابق، ج:1، ص:620.

2 - السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد أبو شُهبة، المتوفى: 1403هـ، دار القلم، دمشق، الطبعة: الثامنة - 1427 هـ، ج:2، ص:134.

3 السيرة النبوية لابن هشام ج:1، ص:318.

رسول الله؟، قال: إني أصمُّ، - ثلاث مرّات - فأمر به فقتل، وقال: للآخر: أتشهد أن محمّدا رسول الله؟، قال: نعم، قال: أتشهد أني رسول الله؟، قال: نعم، فخلّى سبيله، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «صاحبك أخذ بالفضل وأنت أخذت بالرخصة، علام أنت اليوم؟» قال: أشهد أنك رسول الله وأنه كاذب<sup>1</sup>.

فالثبات على الحق والرجوع إليه فضيلة يحمد عليها صاحبها وفريضة يوجبها الإنصاف. وقد سار الصحابة على هذا المنهاج في حياتهم في خضوعهم للحق، والرجوع إليه إذا أخطؤوه، وعد هذا من مناقبهم وفضائلهم رضي الله تعالى عنهم، وبهذه الميزة العظيمة وأمثالها صاروا أفضل هذه الأمة.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أكثر الناس إنصافاً لمن هو دونه، وأكثرهم انقياداً للحق علي أي لسان ظهر، لا يستنكف من إظهار الإنصاف والاعتراف بالقصور، والانصياع للحق، فقد خفي عليه توريث الزوجة من دية زوجها، حتى كتب إليه الضحاك بن سفيان الكلابي، وهو أعرابي من أهل البادية، أن النبي ﷺ أمره أن يورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها.<sup>2</sup> كما خفي على عمر-رضي الله عنه- أن المجوس تكون لهم ذمة، وتؤخذ منهم الجزية، حتى أخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر فرجع إليها.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المراسيل: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، باب في فضل الجهاد رقم: 326. تحقيق: شعيب الأرنؤوط: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1408. ص: 244. والمصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، 1409 هـ، ج: 6، ص: 473، رقم: 33037.

<sup>2</sup> . أخرجه الترمذي، باب ما جاء في المرأة هل ترث من دية زوجها؟ رقم: 1415، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم.

<sup>3</sup> الترمذي، باب ما جاء في أخذ الجزية من المجوس، وقال: هذا حديث حسن صحيح، رقم: 1587.

فالرجوع الى الحق -في عهد الصحابة- أصبح سلوكا راسخا يلتزم به الفرد في حياته، وكان الخليفة يوصي الولاة بهذه القيمة الحضارية، ففي رسالة الخليفة عمر بن الخطاب التي كتبها لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "اعلموا أن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فالفهم الفهم إذا اختصم إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في وجهك، حتى لا يئس ضعيف من عدلك، ولا يطمع شريف في جورك، والمسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا خصما أو ظنينا متهما، ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم راجعت فيه نفسك غدا أن تعود إلى الحق، فإن الرجوع إلى الحق خير من التماسي في الباطل".<sup>1</sup>

وقال ابن القيم عن رسالة عمر وما تضمنته من أحكام: "وهذا كتاب جليل، تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة، والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه، وإلى تأمله والتفقه فيه".<sup>2</sup> وقد استخرج العلماء من هذا الكتاب قواعد في الفقه والقضاء.

لقد تحول الحق باعتباره قيمة مرجعية إلى ميزان ومعيار للقضاة والمفتين وغيرهم، لذلك وجدنا علماء المسلمين يفرعون قواعد من هذا الأصل من ذلك قاعدة: "الخطأ لا يستدام ولكن يرجع عنه"، ومعنى هذه القاعدة: أن الخطأ إذا اكتشف يجب الرجوع عنه، ولا يجوز الاستمرار عليه، لأن المخطئ مرفوع عنه الإثم، ولكنه إذا عرف خطأه وأصر عليه، واستمر ولم يرجع عنه، فلا يكون حينئذ خطأ، بل يكون تعمد الوقوع في الخطأ، فهو مأخوذ بما أخطأ فيه، وهو آثم في ذلك.

<sup>1</sup> قال ابن حجر في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أخرجه الدارقطني والبيهقي، وسأقه ابن حزم من طريقين وأعلهما بالنقطاع، لكن اختلاف المخرج فيهما مما يقوي أصل الرسالة، لا سيما وفي بعض طرقه أن راويه أخرج الرسالة المكتوبة.. (ط) الأولى، 1419هـ/1989م دار الكتب العلمية، بيروت. ج: 4، ص: 473.

<sup>2</sup> إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر، شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م ج: 1، ص: 68.

ومن أمثلة هذه القاعدة: إذا حكم القاضي باجتهاده ثم تبين خطؤه إما في حكمه أو في طريقه، فيجب عليه الرجوع عن حكمه في تلك القضية.<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: أثر قيمة الحق في المجتمع:

الحق باعتباره قيمة معيارية في المجتمع الاسلامي، لم يكن شعاراً يرفع وإنما كان سلوكاً وممارسة عملية في شتى شعب الحياة على مستوى الأفراد، أو على مستوى المجتمع، في علاقة الأفراد فيما بينهم أو في علاقتهم بالحاكم، أو في المعاني والقيم التي تسود المجتمع. وقد أرسى النبي - ﷺ - هذه القيمة في نفوس المسلمين من خلال مواقفه، أو في توجيهاته المتعلقة بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر".<sup>2</sup> وبهذه المعاني تشبع الصحابة رضي الله عنهم.

فهذا أبو بكر لما بويع بالخلافة بعد بيعة السقيفة خطب في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "يا أيها الناس، قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتُموني على حقٍّ فأعينوني، وإن رأيتُموني على باطلٍ فسددوني. أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإذا عصيْتُهُ فلا طاعة لي عليكم. ألا إنَّ أقوامك عندي الضعيف حتى أخذ الحقَّ له، وأضعفكم عندي القويُّ حتى أخذ الحقَّ منه. أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> انظر: بعض تلك المسائل في موسوعة القواعد الفقهيَّة: محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م. ج:3، ص:287.

<sup>2</sup> رواه أبو داود: ، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، رقم:(4344). والترمذي: ، كتاب: الفتن، باب: ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، وقال: حسن غريب، رقم:(2174). وابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم:(4011). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

<sup>3</sup> سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وزمليه(ط)1375هـ/1955م. مصطفى الباي الحلبي مصر. ج:2، ص:661

وقد استخرج منها العلامة ابن باديس أصول الولاية في الإسلام، وسنقف على ما له علاقة مباشرة بموضوع قيمة الحق.

"الأصل الخامس: حقُّ الوالي على الأمة فيما تبذله له من عون، إذا رأت استقامته فيجب عليها أن تتضامن معه وتؤيده؛ إذ هي شريكة معه في المسؤولية. وهذا كالذي قبله مأخوذ من قوله: (إذا رأيتُموني على حقِّ فأعينوني).

الأصل السادس: حقُّ الوالي على الأمة في نصحه وإرشاده، ودلالته على الحقِّ إذا ضلَّ عنه، وتقويمه على الطريق إذا زاغ في سلوكه. وهذا مأخوذ من قوله: (وإذا رأيتُموني على باطل فسدِّدوني).

الأصل السابع: حقُّ الأمة في مناقشة أولي الأمر، ومحاسبتهم على أعمالهم، وحملهم على ما تراه هي، لا ما يرونه هم، فالكلمة الأخيرة لها لا لهم، وهذا كلُّه من مقتضى تسديدهم وتقويمهم، عندما تقتنع بأنهم على باطل، ولم يستطيعوا أن يقنعوها أنهم على حقِّ. وهذا مأخوذ أيضًا من قوله: (وإن رأيتُموني على باطل فسدِّدوني).

الأصل الحادي عشر: صون الحقوق؛ حقوق الأفراد وحقوق الجماعات، فلا يضيع حقُّ ضعيف لضعفه، ولا يذهب قويُّ بحقِّ أحد لقوته عليه.

الأصل الثاني عشر: حفظ التوازن بين طبقات الأمة عند صون الحقوق. فيؤخذ الحقُّ من القويِّ، دون أن يُقسى عليه لقوته، فيتعدَّى عليه حتى يضعف وينكسر. ويُعطى الضعيف حقه دون أن يُدللَّ لضعفه، فيطغى عليه، وينقلب معتدًّا على غيره. وهذا الأصل واللذان قبله مأخوذة من قوله: (ألا إنَّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحقَّ له، وأضعفكم عندي القويُّ حتى آخذ الحقَّ منه)". علّق الشيخ ابن باديس على هذه الأصول بقوله: "هذا ما قاله ونفذه أوّل خليفة في الإسلام، منذ أربعة عشر قرنًا، فأين منه الأمم المتمدنة اليوم؟! فهل كان أبو بكر ينطق بهذا من تفكيره الخاص، وفيض نفسه الشخصي؟ كلا! بل كان يستمدُّ ذلك من الإسلام، ويخاطب المسلمين يوم ذاك بما علموه، وما لا يخضعون إلا له، ولا ينقادون إلا به. وهل



كانت هذه الأصول معروفة عند الأمم فضلاً عن العمل بها؟ كلا! بل كانت الأمم غارقة في ظلمات من الجهل والانحطاط، ترسّف في قيود الذلّ والاستعباد، تحت نير الملك ونير الكهنوت، فما كانت هذه الأصول - والله إذن - من وضع البشر، وإنما كانت من أمر الله الحكيم الخبير<sup>1</sup>.

ومن المعاني التي جاء بها الدين الجديد في أمة "مرهفة الحس حفيظة للحمى، أبيّة الضيم" شديدة التمسك بموروث المخلفات الجاهلية، "الحمية للحق" وابطال الحمية الجاهلية التي كانت سائدة بينهم، سواء أكانت للقبيلة أو للقوم أو للعشيرة، وبصرف النظر إن كانوا ظالمين أم مظلومين، وقد عبّر عنهم شاعرهم:

وما أنا إلا من غزيرة إن غوت... غويت وإن ترشد غزيرة أرشد

فبدّل الإسلام هذه الحمية التي كانوا عليها في الجاهلية إلى حمية الحق<sup>2</sup>.

### المطلب الثالث: أثر قيمة الحق في علاقة المسلمين بغيرهم:

أولاً: الحقوق الشخصية والمدنية لأهل الكتاب في المجتمع المسلم.

لقد كان لقيمة "الحق" أثرها البارز على حياة المسلمين في علاقاتهم مع غيرهم، إذ إنّ دينهم الذي يدينون به، هو دين الحق، والحق فيه هو الله جل جلاله، وكتابهم أنزل الله بالحق، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾ [الإسراء: 105]. وجاء الأمر بأن يكون الحكم بين الناس بالحق مع القريب والبعيد، ومع الصديق والعدو، قال تعالى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: 26].

ومما يعكس تعامل الإسلام مع المخالفين حادثة وقعت في العهد النبوي خلدها الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز فقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات من سورة النساء،

1 أصول الولاية في الإسلام: آثار عبدالحميد بن باديس، جمع د/عمار الطالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، (ط) الأولى، 1388هـ/1968م. ج: 3، ص: 401-405.

2 انظر نظرات في الإسلام، د/عبدالله دراز، د.ت، القاهرة، ص: 9، والبيت لدريد بن الصمة

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَادَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١١٥ ﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١١٦ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ١١٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ١١٨ هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ١١٩ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٢٠ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٢١ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ١٢٢ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿ [النساء/ 105 - 113]. روايات مختلفة السياق إلا أنها متقاربة المعاني. وخلاصتها أن رجلا اسمه طعمة بن أبيرق - أحد بنى ظفر - سرق درعا من جار له اسمه قنادة بن النعمان في جراب دقيق. فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه. وخبأ طعمة الدرع عند رجل من اليهود اسمه زيد بن السمين.

فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها، وماله بها علم. فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها. فقال اليهودي: دفعها إليّ طعمة، وشهد له ناس من اليهود. فقالت بنو ظفر - أقارب طعمة -: انطلقوا بنا إلى رسول الله - ﷺ - فلما وصلوا إليه سألوه أن يجادل - أي يدافع - عن صاحبهم طعمة وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح وبريء

اليهودي. فهم رسول الله ﷺ أن يفعل وأن يعاقب اليهودي. وقيل همَّ أن يقطع يده فنزلت هذه الآيات الكريمة.<sup>1</sup>

جاء في ظلال القرآن تعقيباً على هذه الحادثة: "هذه الآيات تحكي قصة تشهد بأن هذا القرآن وهذا الدين لا بد أن يكون من عند الله، إنَّه في الوقت الذي كان اليهود في المدينة ينشرون الأكاذيب ويؤلبون المشركين ويشجعون المنافقين، ويرسمون لهم الطريق ويطلقون الإشاعات ويظللون العقول ويطعنون في القيادة النبوية، ويشككون في الوحي والرسالة ويحاولون تفسيح المجتمع المسلم من الداخل، في الوقت الذي يؤلبون عليه خصومه ليهاجموه من الخارج.. والإسلام ناشئ في المدينة، في هذا الوقت الحرج، كانت هذه الآيات كلها تنزل، على رسول الله ﷺ، لتنصف رجلاً يهودياً، اتهم ظلماً بسرقة ولتدين الذين تآمروا على اتهامه، وهم بيت من الأنصار في المدينة. والأنصار يومئذ هم عدة الرسول - ﷺ - وجنده.

إن المسألة لم تكن مجرد تبرئة بريء، تأمرت عليه عصبية لتوقعه في الاتهام، إنما كانت أكبر من ذلك. كانت هي إقامة الميزان الذي لا يميل مع الهوى، ولا مع العصبية، ولا يتأرجح مع المودة والشنآن أياً كانت الملابس والأحوال.<sup>2</sup>

وهذه الآيات إن كانت قد نزلت في حادثة معينة، إلا أن توجيهاتها وأحكامها تتناول جميع المكلفين في كل زمان ومكان. وبالرغم من التزام المسلمين بتوجيهات دينهم في علاقاتهم مع غيرهم، فإنه لم تخل فترات تاريخية من تصرفات بعض الخلفاء أو الأمراء أو اجتهادات الفقهاء تتنافى مع قيم الإسلام، ولعل بعض الاعتبارات الآنية أفلتها، وقد ذكر ابن

1. انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع (ط) الثانية، 1420هـ/1999م. ج:2، ص:404 وما بعدها.

2 في القرآن القرآن: سيدقطب، (ط) السابعة عشر، 1412هـ، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ج:2، ص:751 وما بعدها بشيء من التصرف.

خلدون جانبا منها في تاريخه تحت عنوان: تقرير العهد لأهل الذمة<sup>1</sup>: "حضر في سنة سبعمائة وزير من المغرب ، فرأى حال أهل الذمة وترفهم وتصرفهم في أهل الدولة ، ففكره وقبح ذلك، واتصل بالسلطان نكيره، فأمر بجمع الفقهاء للنظر في الحدود التي تقف عندها أهل الذمة، بمقتضى عهود المسلمين لهم عند الفتح ، وأجمع الملاء فيهم على ما نذكر وهو: أن يميز بين أهل الذمة بشعار يخصهم، فالنصارى بالعمائم السود، واليهود بالصفرة، والنساء منهن بعلامات تناسبهن ، وأن لا يركبوا فرسا، ولا يحملوا سلاحا، وإذا ركبوا الحمير يركبونها عرضا، ويتنحون وسط الطريق، ولا يرفعوا أصواتهم فوق صوت المسلمين، ولا يعلوا بناءهم على بناء المسلمين، ولا يظهروا شعائرهم، ولا يضربوا بالنواقيس، ولا يُنصِّروا مسلما، ولا يُهودوه، ولا يشترى من الرقيق مسلما... ومن دخل منهم الحمام يجعل في عنقه جرسا يميز به، ولا ينقشوا فص الخاتم بالعربي، ولا يعلموا أولادهم القرآن".

وقد حصر جورج قرم أسباب التوتر التي تُوصَف كتاريخ اضطهاد الإسلام للديانتين السماويتين وأتباعهم في ثلاثة أسباب :

- العامل الأول: و هو مزاج الخلفاء الشخصي ، فأخطر اضطهادين تعرض لهما الذميون وقعا في عهد المتوكل(206-247م) الميَّال بطبعه إلى الاضطهاد و القسوة ، و في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله.

- العامل الثاني:تردي الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية لسواد المسلمين، و الظلم و التمييز الذي يمارسه بعض الذميين المعتلين المناصب الإدارية.

- العامل الثالث: و هو مرتبط بفترات التدخل الأجنبي في البلدان الإسلامية، و قيام الأجانب بإغراء و استدراج الأقليات الدينية غير المسلمة إلى التعاون معهم، ضد الأغلبية

1 - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر : عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون ، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م. ج:5، ص:476.

المسلمة، فقد استخدم الانجليز الأقلية القبطية، و هو ما حدث أيضا في سوريا حيث أظهرت أبحاث "جب" و "بوليك" كيف أنّ هيمنة الأقليات في المجال الاقتصادي أدت سنة 1860م إلى إثارة فلاقل دينية خطيرة بين النصارى و المسلمين<sup>1</sup>.

فقد كان الولاء للدولة، و رفض الولاء للأجنبي، هو الكفيل دائما بحفظ الحقوق الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية في المجتمعات الإسلامية، لكن الطوائف لم تف دائما بهذا الشرط، و لذلك فبعد أن تجاوزت الديانتان الإسلامية و المسيحية في الشام لمدة أربعة قرون، حيث صلى المؤمنون بالديانتين، في (جامع الأموي) و في حمص حيث كانت الكنيسة الكبيرة مكانا للعبادة للديانتين جاءت الحروب الصليبية تجر أذيال الشكوك لتحل محل التعايش المتبادل.<sup>2</sup>

ومهما يكن فإنّ مثل هذه التصرفات لا تلغي الأصل، الذي كان عليه المسلمون في تاريخهم من معاملة غير المسلمين في المجتمع المسلم معاملة إنسانية، تحفظ كرامتهم و تصون أعراضهم، إذ فتح المجال أمامهم لمساهماتهم في الشأن العام، فبعض الدميمين شغل الوظائف العامة؛ ذلك أنّه لم يخل عهد في تاريخ الحضارة الإسلامية من ذميمين، يهودا و نصارى، تقلدوا

1 حقائق و شبهات حول السماحة الإسلامية و حقوق الانسان د.محمد عمارة، ص35-36، نقلا عن تعدد الأديان و أنظمة الحكم د. جورج فرم، ص: 211-224.

2 المسيحيون و اليهود في التاريخ الإسلامي العربي و التركي، فيليب فارح و يوسف كرباح، ص: 27-28، و قد ذكر المقرئزي في كتاب "كتاب السلوك إلى دول الملوك" -ت: محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1956م و كتابه "إنعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء عن استقواء نصارى دمشق بـ "هولاكو" و التتار إبان الاجتياح التتاري للمشرق العربي الإسلامي، و رد فعل السلطان "قطز" (658-1260م) على النصارى بعد انتصاره على التتار، و استعلاء النصارى و اليهود الذين تولوا الوزارة و الجباية و الإدارة في العصر الفاطمي، و في نفس الموضوع كتب الكاتب فهمي هويدي كتابه "مواطنون لاذميون" و تتبع هذه الأحداث، بينما سلك د.عبد المجيد الشرفي بهذه الظاهرة مسلكا آخر حين ذكر علاقة الأحداث التاريخية التي مر بها المسيحيون و اليهود في كنف الدولة الإسلامية و تأثيرها في الإنتاج الفكري للعلماء المسلمين من حيث القرب و البعد عن مبادئ الإسلام و نصوصه التي تلزم المسلم بالتزام الحق في الحكم و الشهادة في كتابه "الفكر الإسلامي في الرد على النصارى"

فيها سلطات تفويضية، وزراء و كاتمي أسرار ، و وظائف ولاة في الأقاليم ، و حتى قادة في الجيوش، خلافا لما كانت عليه الحال في الحاضرة المسيحية بالنسبة لليهود الذين سُدَّت في وجوههم جميع الوظائف ما عدا الجباية<sup>1</sup>.

و قد استطاع اليهود الاستفادة من هذا الوضع ، حيث لم ينعموا في ظل المسيحية- إلا نادرا - بمثل المعاملة التي وجدوها في الإسلام، و قد كان وضعهم بالنسبة للمسيحيين أفضل ؛لأنّ الكثير من المسيحيين اعتبروا أنّ الإسلام قد سحب منهم وضع السيادة على البلاد بدخولهم فيها<sup>2</sup>.

### ثانيا: الحق في الحرية الدينية .

مما يحسب لخاتمة الرسائل أنّها جاءت لتكفل للناس الحرية الدينية ، و ممارسة طقوسهم، و ما يستلزمه دينهم ،لذلك جاء النص بهذا الوضوح والبيان ،ومقرا قاعدة محكمة "لا إكراه في الدين" فاعتناق الدين والدخول في الإسلام ، يقوم على الاختيار الحر بعيدا عن أي شائبة من إكراه مادي أو معنوي، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، قال العلامة ابن عاشور: "ونفي الإكراه خبرٌ في معنى النهي، والمراد نفي أسباب الإكراه في حكم الإسلام، أي لا تكروهوا أحداً على اتباع الإسلام قسراً، وحيء بنفي الجنس لِقَصْدِ الْعُمُومِ نَصًّا.وهي دليلٌ واضحٌ على إبطال الإكراه على الدّين بسائر أنواعه، لأنّ أمرَ الإيْمَانِ يَجْرِي عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ، والتمكين من النظر، وبالإختيار<sup>3</sup>". ومن ذلك قوله: ﴿

1 انظر: تعدد الأديان و أنظمة الحكم ،دراسة سسيولوجية و قانونية مقارنة.د. جورج فرم، دار أنهار للنشر -بيروت، ط2- 1992م، ص: 236، 254، 261.

2 انظر: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، فيليب فارح ويوسف كراج، ت: بشير السباعي، يسينا للنشر بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث والتعاون، مصر، ط1، 1994م، ص78. و dictionnaire encyclopedique du judaisme publie sous la direction de geoffrey wigeoder adapte en francais sous la direction de Anne Goldberg ed du Cerf Paris 1993-p 1355.

3 التحرير والتنوير ج: 3، ص: 26.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>1</sup>  
 يونس: [99]، إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الإبتلاء والامتحان.<sup>1</sup> وفي هذا المعنى  
 يقول خالد بن الوليد رضي الله عنه: "إننا لا نكره أحدا على الإسلام، ولو كان الكافر يقاتل  
 حتى يسلم لكان هذا أعظم الإكراه على الدين.<sup>2</sup>

ولم يشرع الجهاد في الإسلام لإكراه الناس على الدخول فيه، وإنما شرع لرفع العقبات  
 أمام الدعوة وإزالة الظلم حتى يتمكن الناس من اعتناق العقيدة الصحيحة، واختيار الدين الحق  
 عن طواعية،<sup>3</sup> فالدين أحد الكليات في الشريعة الإسلامية، بل يأتي في مقدمتها، و التي يجب  
 حفظها وصيانتها، ومنع الاعتداء عليها.<sup>4</sup>

ففي الوقت الذي يقرر فيه الإسلام الحق في التدين، يرشد إلى دين الحق، ويحذر من  
 الغي والضلال، ويضع الإنسان أمام مسؤوليته، في حسن الاختيار، فقد تبين الرشد من الغي،  
 ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29] و لم يقتصر الإسلام  
 على منح الإنسان حرية الدين، بل نص على صيانة أماكن العبادة، والحفاظ عليها. قال تعالى  
 : ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا  
 أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40].

1 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي : ج:7، ص: 15.

2 حقوق الإنسان في القرآن والسنة: محمد بن أحمد بن صالح الصالح، د.ن، (ط) الأولى: 1423هـ-2002م.  
 الرياض، ص: 156، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها. وضوابطها، د/محمد الزحيلي، مقال في مجلة دمشق  
 للعلوم الإقتصادية والقانونية المجلد 27، العدد الأول، 2011م، ص: 386

3 انظر: حقوق الإنسان في الإسلام (دراسة مقارنة مع الاعلان العالمي والاعلان الإسلامي لحقوق الإنسان): د/محمد  
 الزحيلي، دار ابن كثير، (ط) الثانية: 1418هـ-1997م. دمشق سورية ص: 171. و الحرية الدينية في الشريعة  
 الاسلامية، أبعادها. وضوابطها، د/محمد الزحيلي، ص: 383.

4 حقوق الإنسان في الإسلام، د/الزحيلي، ص: 171.

وهذا ما أكدته وثيقة المدينة والوثيقة العمرية والمعاهدات التي أبرمها المسلمون مع غيرهم،

منذ الصدر الأول من تاريخ الإسلام<sup>1</sup>.

## 1- حق الحرية في ابداء الرأي والفكر.

من المسائل أيضا التي تتصل بحق الحرية الدينية الحق في حرية التعبير وابداء الرأي والفكر، وهي فرع عن الحرية الدينية، فإذا كانت القاعدة "لا إكراه في الدين"، فكذلك لا حرج على العقول، ولا عن ابداء الرأي، وما ظهور الفرق في تاريخنا الإسلامي، وتقعيد قواعد الجدل والحوار، والردود العلمية وتفنيدها إلا نتاج الحرية الفكرية التي سادت في حياة المسلمين<sup>2</sup>، سواء فيما بين المسلمين -أهل القبلة-، أو بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، في ظل الحكم الإسلامي. وهذا ما سلكه القرآن في مجادلة المخالفين ومحاورتهم، ومقارعة الشبه التي يثيرونها بالحجج والأدلة.

وقد بدأت في عصر الصحابة حينما حاور عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- الخوارج وكذا ما قام به عليّ -رضي الله عنه- في محاورتهم وإبطال شبههم، وغير ذلك من الوقائع التاريخية الثابتة. وهذه المصنفات في مقالات الإسلاميين، والملل والنحل، وغير ذلك مما حفظه لنا التاريخ، خير شاهد على هذه الحقيقة.

<sup>1</sup> انظر: حقائق وشبهات حول السماحة الاسلامية وحقوق الانسان: د/محمد عمارة، الطبعة الأولى 1431هـ/2010م، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة. مصر. ص: 63 وما بعدها.

<sup>2</sup> انظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م. مؤسسة الرسالة، ص: 98 وما بعدها. حقوق الإنسان في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، الطبعة الخامسة 1398هـ/1979م ص: 221.



غير أنّ بعض المعاصرين<sup>1</sup>، فصل بين من يبدي رأيه مشفوعاً بما يراه حججاً، وبين من يدعو إلى تلك الآراء المصادمة لقواطع الدين ويروجها في المجتمع ، إذ يرى ضرورة المنع لما يترتب عليه من مفسد على عامة الناس.

## 2- الحق في الحرية الدينية والردة.

من المسائل المتصلة بموضوع الحرية الدينية ،مسألة الارتداد عن الدين بالنسبة للمسلم، سواء اعتنق ديناً آخر ، أو لا .

والارتداد في اللغة: التَّحَوُّلُ وَالرَّجُوعُ، والاسم: الرِّدَّةُ.

والمعنى الاصطلاحي للردّة هو رجوع المسلم عن دينه. أي كفره بقول صريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمّنه. فهو خروج عن الإسلام بعد اعتناقه. و لا تقع الردّة من المسلم إلاّ إذا توفّرت شرائط البلوغ والعقل والاختيار<sup>2</sup> .

والإسلام حرّم الردّة، وتوعّد الله تعالى المرتد بالعذاب في الآخرة والخلود في النار، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: 217]

وذهب فقهاء الشريعة إلى أنّ عقوبة المرتد، من عقوبات الحدود ، إذا توفرت كل الشروط، وأصرّ على رده فإنّ عقوبته القتل<sup>3</sup>، واستدلوا بقوله ﷺ: "من بدل دينه فاقتلوه"<sup>4</sup>،

1 حرية الإنسان في ظل عبوديته لله، د/محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الأولى: 1413هـ/1992م، دار الفكر، دمشق، ص: 82 وما بعدها، وكتاب: لا إكراه في الدين، إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم، د/طه جابر العلواني، الطبعة الثانية 1427هـ/2006م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ومكتبة الشروق الدولية، القاهرة. ص: 14.

2 الموسوعة الفقهية الكويتية: 22/180، و 48/24.

3 بداية المجتهد ونهاية المقتصد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، دار الحديث - القاهرة ، بدون طبعة، 1425هـ - 2004 ، ج: 4/ص: 242.

4 البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، رقم: 6524

وقوله أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يحل دم امرئ مسلم -يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله- إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة".<sup>1</sup>

و رأى بعض العلماء المعاصرين أنّ سبب قتل المرتد في الإسلام، ليس هو الرجوع عن الدين فحسب، وإنما هو المفارقة للجماعة، كما جاء تقييده في حديث ابن مسعود رضي الله عنه "المفارق للجماعة"، بحيث يمثل خطرا على كيان الأمة وعقيدتها، وأنّ العلة في قتله هي الحراية<sup>2</sup>، وزكوا هذا المسلك بأنّ الإمام أبا حنيفة استثنى المرأة من عموم الحديث، لكونها ليست من أهل الحراية<sup>3</sup>.

وأورد الإمام ابن رشد الحفيد في كتابه بداية المجتهد بابا في حكم المرتد ضمن كتاب الحراية<sup>4</sup>.

فأحكام الردة هي من باب السياسة الشرعية<sup>5</sup>، وقد أفرد د/طه العلواني مؤلفا أورد فيه حجج هذا الفريق، ومناقشة أدلة الجمهور في كتابه "لا إكراه في الدين، إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم" بينما يرى الجمهور أن أحكام قتل المرتد من أحكام الحدود<sup>6</sup>.

1 البخاري، كتاب الديات، بايقول الله تعالى: "أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف"، رقم 6484. ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين، باب ما يباح به دم المسلم، رقم 1676، واللفظ له.

2 انظر حرية الإنسان في ظل عبوديته لله، د/محمد سعيد رمضان البوطي، ص: 86 وما بعدها.

3 بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م. ج: 7 / ص: 134 وما بعدها، بداية المجتهد: 4/242.

4 بداية المجتهد: 4/238.

5 انظر: لا إكراه في الدين، إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم، د/طه جابر العلواني، ص: 19 وما بعدها. و حرية الإنسان د/البوطي، ص: 88. وانظر: الردة بين حرية المعتقد والمواثيق الدولية الحديثة لحقوق الإنسان، محمد عبد الحليم بيشي، الدكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، هـ 1427م - 2007م. ص: 66 وما بعدها.

6 انظر الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، د/محمد الزحيلي، ص: 404-405.

## الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في قيمة الحق بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

المبحث الأول: أوجه الاشتراك في قيمة الحق بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

المبحث الثاني: أوجه التباين في قيمة الحق بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

## المبحث الأول: أوجه الاشتراك في قيمة الحق بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

## المطلب الأول: اشتراك الأديان الثلاثة في اعتبار "الله" هو الحق.

يعتبر الحقّ صفة من صفات الله الثابتة له، فالله هو الحق الأعلى، وهو القائم بنفسه، وكل شيء قائم به، وهو لا يتطرق إليه الفناء، وما عداه فإن، وهذا مما اشتركت فيه النصوص الأصلية في الديانات الثلاث.

فالعهد القديم استخدم كلمة الحقّ بصفة أساسية عن الله، وقد جاء في مزامير الشكر

"فالله هو إله الحق"<sup>1</sup>.

وفي المسيحية يمثل الحق عنصراً جوهرياً في طبيعة الله، "وهو الحق الأعظم والأول"<sup>2</sup>،

ويعتبر المسيحيون أنّ الحق يتجلى أيضاً في المسيح؛ ولذلك فالإيمان به هو أيضاً معرفة

الحقّ وتقبّله<sup>3</sup>، ففي يوحنا ورد النص ببيان أنّ المسيح هو الحق؛ لأنه الإعلان الإلهي، "أنا هو

الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الأب إلا بي" [يوحنا: 6 / 14].

في الإسلام الحق من أسماء الله الحسنى وصفاته. وهو اسم للذات الإلهية ومتعلقاتها

الوصفية والفعلية، قال ابن الأثير: هو الموجود حقيقة، المتحقق وجوده وإلهيته<sup>4</sup>.

وقد ورد هذا الاسم في عشرة مواضع من القرآن الكريم منها:<sup>5</sup>

1- انظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص 40. وقاموس الكتاب المقدس دائرة المعارف الكتابية المسيحية

موقع: st-takla.org

2- الخلاصة اللاهوتية، توما الأكويني، ج 1 ص 224.

3- الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص 2360.

4- النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، الجزري: تحقيق: طاهر أحمد الطناحي، المكتبة

العلمية، 1399 / 1979 بيروت. ج: 1، ص: 413.

5- فقه أسماء الله الحسنى، عبد الرزاق البدر، ص: 249.

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:32]، وقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:62]، وقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:116].

### المطلب الثاني: الاشتراك في قيمة الحق من حيث الإطلاق والنسبية.

إنَّ أهم ما يميز القيم في اليهودية والمسيحية والإسلام هو اشتراط مطابقة القول للواقع. وما تشترك فيه هذه الديانات الثلاث فيما يتعلق بقيمة الحق، هو الجمع بين الحق النظري والحق الوجودي؛ وباستقراء النصوص نجد أن الحق فيها ينقسم إلى ما هو حق لله، من طاعة وتعظيم وتبجيل، ومنه ما هو مشترك بين حق الله وحق الإنسان، كحق الاشتراك في المنافع والأموال وغيرها، ومنه ما هو مقرر حقا للإنسان كحق الحياة، وهي في الواقع كلها حقوق فيها حق الله تعالى؛ لأنَّه هو الحق، مصدره والموجب له.

فالقاعدة في ورود كلمة الحق في التوراة ملازمة الهدف العملي للقيمة المطلقة، في العلاقة بين الله والإنسان؛ فقد جاء في إشعياء: "وهكذا قال الرب: احفظوا الحق وأجروا العدل" [إشعياء 1/56]، وامتدحت التوراة "السالك بالكمال، والعامل بالحق والمتكلم بالصدق في قلبه" [مزمو 2/15].

وقد أكد المسيح في دعوته على أن التشبث بالحثّ مُقدّم على اعتبارات الأسرة والانتماء، بل و على النفس أيضا، "من أحب أباً أو أمّاً أكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني، ومن وجد حياته في غيري ضيّعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها" [متى 10/35-40].

كما قرن المسيح بين تمثُّل الحق عمليا وبين تحصيل المعنى الحقيقي للحريّة، "إن ثبتم في كلامي كنتم تلاميذي حقا، تعرفون الحق والحقّ يحركم" [يوحنا 18 - 817]، "وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة" [يوحنا 1/6].

وجاء النص القرآني والحديث النبوي مثبتا ومبيناً أنّ الحق هو المرجع في تقدير القيم، والميزان الذي يضبط الأفعال والتصرفات، قال تعالى: ﴿فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة 213]، وقال أيضا: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص 26].

وفي السنة النبوية جاءت كلمة الحقّ بالمفهوم الأول -النظري- وبالمفهوم الثاني - الوجودي-، ومنها تتفرع جميع الحقوق<sup>1</sup> المتعلقة بالعقيدة -حق الله-، وبالكون. وجمع قيمة "الحق" بين هذين البعدين في الديانات الثلاث، فهو يجمع بين العموم والاطلاق، باعتبار الأول المصدر، وهو نسبي باعتبار الثاني؛ لأنّ تحقيقه في الواقع يقع مع التّفاوت بين البشر في القدرة على الالتزام بهذه القيمة وتحقيقها.

1- وقد سبق ايراد مجموعة من الأحاديث في معرض بيان مدلول الحق في السنة النبوية.

## المبحث الثاني: أوجه التباين في قيمة الحق بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

المطلب الأول: قيمة الحق في اليهودية والمسيحية والإسلام على المستوى العلمي

والفكري.

عاشت اليهودية والمسيحية صراعا مريرا تهادى طرفاه في اللدد في الخصومة، إلى درجة إنكار أحدهما لحق وجود الآخر.

وقد عرف تاريخ الديانتين - كما سلف - عهدا من الاضطهاد واستحدثوا طقوسا وصلوات يلعن فيها أحدهما الآخر. وكما تمنى اليهود في الماضي أن تبقى الشعوب على وثنيها وجهالتها من أن تصبح شعوبا مهتدية بالمسيحية، ووصفوا المسيح وأتباعه بجميع أوصاف التحقير في العرض والمعتقد. وجمعوا لهم بين الأذى المادي والمعنوي.

كذلك فضّل بعض الباباوات والكهنة الكنسيين بقاء الشعوب على وثنيها وجهالتها، من أن تصبح شعوبا تدين بالإسلام<sup>1</sup>.

فبالرغم من الاحتكاك المبكر للمسيحيين بالإسلام، وموقف المسلمين الإيجابي فكريا وعمليا من المسيحية، فقد ذكر "هانس كنج": أن الأوروبيين لم يعرفوا شيئا عن محمد حتى بعد انقضاء فترة طويلة على نبوته، وبعد زيارة "بتروس بطرس المعظم" إلى إسبانيا التي كانت تحت حكم المسلمين في عام 1142م، أصدر أوامره بترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية في 1143 م، لكنّه حتى انقضاء 500 عام، لم توجد أية دراسة علمية أصيلة عن الإسلام إلى سنة 1650 م، حيث كتب Alexander ross ألكسندر روس كتابا أسماه (عبادات مختلفة من جميع أنحاء العالم)، وكان الرأي السائد عن الإسلام في الغرب أنه عقيدة خاطئة، وأنه تحريف متعمد للحقيقة، وأنه خليط من العنف و الشهوة. وقيل عن الرسول محمد أنه مخادع،

1- الحقيقة والأسطورة في العهد القديم، قراءة كتابية في جذور الأصولية الغربية محمود يوسف الكبرا، ص: 216، بتصرف.

وأنة المسيح الدجال، في مقابل إظهار المسيحية على أنها الدين المثالي، والحقيقة المطلقة<sup>1</sup>. فقد ساد الظلم الخلفي والقانوني في معاملة المسيحيين للمسلمين، بالرغم من المعاملة الحسنة للمسلمين للمسيحيين في مراحل قوة المسلمين وازدهار حضارتهم، فقد حافظ الإسلام للديانات السماوية السابقة على قيمها وعباداتها ومعابدها وحرمتها وحقوقها، وبإقرار قرآني بقدسية أنبيائها وكتبها<sup>2</sup>.

بل إنَّ القرآن لم يهمل الفروق الدقيقة بين فصائل وتيارات أهل الكتاب، ولم يعمم الأحكام، ولا الأوصاف على برّهم وفاجرهم حيث يقول الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّخِذُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَاثَاءً أَلِيلٍ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: 113]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 199]

وهكذا يستمر البيان القرآني في ذكر الخصائص النفسية والصفات الخلقية لليهود والنصارى فيحق الحق، وينصف القلة، فلا يدمغ القلة التي رشدت بما وقعت فيه الجماعة الكثيرة من إثم وتبديل وتحريف، "قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۗ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 62]

1- إجابة مسيحية "هانس كنج(hanskung)"، السيد محمد الشاهد ص: 45 - 46 .

2- انظر المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، فيليب فارغ ويوسف كراج، ص: 78، والحقيقة والأسطورة في العهد القديم، ص: 216، وقد توسع أليكسي جورفسكي في كتابه "الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم" في ذكر محاولات الكنيسة والمسيحيين بمختلف فرقهم برومي الإسلام و المسلمين بكل الرذائل والنقائص، وتحالف الكنيسة وزعماء قادة النهضة الأوروبية على الرغم من عدائهما المستحکم في تكريس هذه الصورة السلبية .



"وقد وضع القرآن للمسلمين قاعدة "عدم التعميم" بقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾. [آل عمران

1][113.

وانعكس الاعتراف بحق الآخر في الاختلاف على الإنتاج العلمي والفكري للمسلمين، حيث "أن المناظرات التي قامت بين المسلمين وأهل الكتاب والردود والتي ألفت، مهما بلغت من العنف والصرامة، لم تدع ولا تدلّ على أية نية مبيّنة في إكراههم على الدخول في الإسلام. فقد كان أصحاب الردود يشعرون بأداء واجب في الدفاع عن الإسلام، ودحض شبهاتهم، وكانت سماحة الإسلام في إبقاء غير الراغبين في اعتناقه على دينهم من جملة ما يفتخرون به عن جدارة"<sup>2</sup>.

يقول المستشرق الإنجليزي "سير توماس أرنولد" (1864-1930)، -وهو الذي عرف عنه تمسّكه الشديد بالمسيحية-: "إنّه من الحق أن نقول: إنّ غير المسلمين قد نعموا بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة. وأنّ دوام الطوائف المسيحية في وسط إسلامي يدلّ على أن الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر على أيدي المتمزمتين كانت من صنع الظروف المحلية، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب والتسامح"<sup>3</sup>.

1 - في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، د.محمد عبد الله الشرفاوي مكتبة الزهراء، القاهرة، ط 2، سنة 1990، ص265.

وانظر حقائق وشبهات حول السماحة الإسلامية وحقوق الإنسان د.محمد عمارة ص 25-26.

2- الفكر الإسلامي في الرد على التّصاري، د.عبد المجيد الشرفي، ص:524.

3- حقائق وشبهات حول السماحة الإسلامية وحقوق الإنسان، د.محمد عمارة، دار السّلام للطباعة والنشر مصر، ط1، 1431هـ-2010م، ص:34، نقلا عن الدّعوة إلى الإسلام، سيد توماس أرنولد، ت: د.حسن إبراهيم حسن، ص: 729، 730.

لذلك فإنّ الإسلام لم يعرف في تاريخه ظاهرة إنكار الحقوق الدينية، لليهود والنصارى إلا في حالات نادرة جداً مثلما فعل محمود الغزنوي في سنة (1000م) في حمل الناس قسراً على دخول الإسلام، أو المهدي ابن تومرت (ت:524هـ) حين خير أهل الذمة بين الإسلام أو المنفى، ولم تأت مثل تلك المحاولات بنتائج ملموسة.

### المطلب الثاني: الحق في حرية التدين على المستوى التطبيقي بين اليهودية والمسيحية والإسلام:

اختصر العامري الرؤية والتطبيق الإسلاميين في معاملة المسلمين لأهل الكتاب يهوداً ونصارى بقوله: "من آمن بكتاب من الكتب المنزلة، وصدّق بالبعث والنشور، فقد وُجدت منه مقدّمة تناسب دين الحق... ولأنّ القرآن مصدّق لكتابهم؛ اقتصر منهم على الجزية التي هي شرائط الملك، دون شرائط الدين. وأمر الولاة والذادة بحمايتهم، ليتوصّلوا إلى ما تضمّنه القرآن من الشرائع والأحكام، وليسلّموا بشرف هذا الدين"<sup>1</sup>، فقد حاول المسلمون كسب الأذهان شيئاً فشيئاً عبر آليات امتدّت على مدار الأعوام الألف الأولى من الفتوحات، "وكان سكان البلدان المفتوحة يسلمون بفضل الفرص لا الإكراه، وكان هناك ثانياً الزواج؛ وهو تعاقد سلمي بامتياز يؤدّي إلى انتماء ثمار زواج المسلم من كاتبة إلى الإسلام بحكم الشريعة".

وقد غابت من بين هذه الآليات المذابح والترحيلات الإجبارية. لقد كان المسلمون أقلية في المجتمعات التي دخلوها، لكن على مدى قرون طويلة، تمّ تشرب اللغة العربية والمناخ الإسلامي، دون تمزيق لوضع غير المتحوّلين للإسلام<sup>2</sup>.

1 الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري، ص: 168.

2 انظر: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، فيليب فارح ويوسف كرجاج، ت: بشير السباعي، يسينا للنشر بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث والتعاون، مصر، ط1، 1994م، ص11-12. و islam et chretiente treize s-a Paris 1992.p 196.، ed Robert laffont، siecles de cohabition. Alain brissaud

وهو المناخ الذي لا يمكن أن يتصوّره الإنسان الغربي، فلطالما ظن الأوروبيون قديماً وحديثاً، قياساً على ما عانوه في تاريخهم وما سوّفته أقلام الكثيرين منهم، أن التوسع الإسلامي كان غزواً خاطفاً لجماعة من المتوحشين على سكان آمنين، ينتظرون الخلاص من مسيحي أوروبا، باعتبار أنهم مسحيون.

والواقع أن تلك الأراضي قد حوت أناساً متنوعي الديانات والإثنيات. ذلك أن الكنيسة ظلت تنظر إلى العالم كشيء خارجي غريب ومعادٍ، واعتبرت أنّ العالم والمسيحية يشكّلان خيارين ينفي أحدهما الآخر ويلغيه، وهذا ينطبق أحياناً حتى داخل الكنيسة نفسها. وهذا ما وُضِعَ أتباع الديانة في وضع "جيتوي" متعصب<sup>1</sup>.

ولكن في العصر الحديث، ومع تصاعد التيارات المناهضة لتوجهات الكنيسة الفكرية والعملية، اعتمدت هذه الأخيرة المسافة الفاصلة فيما يتعلق بعلاقتها مع الدّول، وحاولت التخفيف من نزعة المأسسة، لإكسابها حرية الفعل والتأثير<sup>2</sup>، ودعت إلى البحث عن مساحات الاشتراك مع الآخر ولو على مستوى الخطاب.

1 الإسلام والمسيحية، من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، أليكسي جوارفسكي، ت: خلف محمد الجراد، دار الفكر دمشق، ودار الفكر بيروت، ط2، 2000م، ص156-157، بتصرف.

2 انظر: المرجع السابق، ص160.

# الباب الثالث: قيمة العدل في اليهودية والمسيحية

## والإسلام. وأثرها

تمهيد

الفصل الأول: قيمة العدل في الديانة اليهودية وأثرها

الفصل الثاني: قيمة العدل في الديانة المسيحية وأثرها

الفصل الثالث: قيمة العدل في الإسلام وأثر على المسلمين وفي علاقاتهم بغيرهم.

## الفصل الأول: قيمة العدل في الديانة اليهودية وأثرها

المبحث الأول: موارد لفظة 'العدل' في التوراة وأهميته في الديانة اليهودية

المبحث الثاني: قيمة العدل في تعلقها بالقريب والآخر، وفي أصل العهد والميثاق في

الديانة اليهودية.

المبحث الثالث: موقع المسؤولية الفردية والجماعية في ظل العدل الإلهي في الديانة

اليهودية.

## المبحث الأول: موارد لفظة 'العدل' في التوراة وأهميته في الديانة اليهودية

## تمهيد

العدل هو القيمة العليا التامة، ذلك أنه لا يخص إلا الإنسان في صلته بنفسه، بل هو متعد إلى الغير، فصاحب فضيلة العدل يمكن أن يحقق فضيلته في حق الغير لا لنفسه فقط، إذ كثيرا من الناس من يستطيعون أن يكونوا فضلاء فيما يتعلق بهم شخصا، ولكنهم غير أهل فضيلة فيما يتعلق بالغير... وحينئذ لا يمكن أن يعتبر العدل جزءا من الفضيلة، لذلك اعتبر أرسطو العدالة (فضيلة كاملة)، ومن هنا المثل الشائع "كل فضيلة توجد في طي العدل". فكل الفضائل تتعلق بها.<sup>1</sup>

وفي التوراة كما في الكتب السماوية الأخرى، لا يقتصر وجود هذه القيمة في مجالات القضاء والحكم فحسب، بل هي حاضرة في جميع مناحي النشاط الإنساني، فالعدل صفة للرب، ومنه يقتبس العبد هذه الصفة.

## المطلب الأول: موارد لفظة العدل في التوراة وصيغها.

وردت لفظة 'العدل' في التوراة بعدة صيغ، فهو صفة لله، "صديق وعادل هو" [تثنية: 32/4]، وهو ديان كل الأرض. ولا يمكن إلا أن يصنع عدلا [تكوين: 18/2]، فجميع سبل الله عدل، "فهو ينصف المسكين واليتيم والأرملة"، [تثنية 10/18]، ويصنع عدلا وخلصا لشعبه، وبإجرائه العدل إنما يظهر أمانته ومحبته التي لا تتغير..، وهو يحكم بعدل [إرميا 11/20] و[10/24]، وقصاصه عدل؛ لأنه مبني على شريعته.<sup>2</sup> وهي بهذا الاعتبار متعالية (عدالة ربانية)، وهي محايدة أيضا، عدالة بشرية، يتخلق فيها الإنسان بصفات الرب، طلبا للقرب. فالعدل في

1- انظر، المؤنس في القيم، د: محمد الشيخ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، 1436هـ 2014 م ص 237.

2- قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية مادة، عدل. www.st\_Takla.org

معناه الواسع ليس مجرد إعطاء الآخرين حقوقهم، بل يتضمن الواجب الايجابي، من جهة ضمان أداء هذه الحقوق، يقول الرب على فم اشعيا "أطلبوا الحق (العدل)"، ويتحقق ذلك بالقول: "أنصفوا المظلوم، أقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة" [اشعيا 17/1] <sup>1</sup>.

فإجراء العدل يكون بالدفاع عن حق المسكين والمظلوم، والإقرار بحقوقهم، ومعاملتهم بروح الإنصاف، وبعدم المحاباة.<sup>2</sup> أبغضوا الشر وأحبوا الخير، وثبتوا الحق في الباب ... ليجر الحق كالصياح، والبر كنهر دائم" [15/5، 24].

### أولاً: الألفاظ ذات الصلة:

**1- البر:** ترد كلمتا "البر والعدل" مجتمعين، وقد يتداخل مفهوم أحدهما مع مفهوم الآخر، فبر الله في المزامير صفة إلهية، وذلك يعني أن يهوه يجب أن يؤدي أعمالاً بارّة وعادلة، كالخلاص، والانتصار، والشفاء والمكافأة. و البرّ في التوراة ليس موضوع أفعال مطابقة لمجموعة من المعايير القانونية، بل تجسيد للعلاقة بين الله والبشر؛ لذا يظهر بر الله في تعاملاته مع شعبه، بمعنى الفداء والخلاص، يدعو أولئك الذين يتوقون إلى الفداء بر الله، ويلتمسون تدخله، بينما يعدّ بر الله نوعاً من الظلم بالنسبة لأعداء بني إسرائيل، ويظهر ذلك جلياً في الوعد بأرض كنعان لبني إسرائيل. وعموماً فإنّ مفهوم البرّ في رأي كثير من الباحثين ظل فردياً ومقصوراً على البر القومي في فترة ما قبل السبي.

ويعدّ السبي نقطة تحولية، في مفهوم العدل والبر، فمن ذلك الحين فصاعداً، لا يجد التوراة تردداً في الحديث عن بر الشخص التقى أمام الله، لقد كان عربون بر الله قبل السبي حضور الله بين الشعب وامتلاكاً مستقلاً للأرض، لكن بعده أصبح عربون الله هو شريعته، فالبر

1- قاموس الكتاب المقدس، والعدل، دائرة المعارف الكتابية والمسيحية. [www.st\\_Takla.org](http://www.st_Takla.org)

2- انظر سفر التثنية [17/1-22] و اشعيا [1/56 و 2] و مزامير [6/18]، والتثنية [10/24، 13].

منذ عصر الأنبياء يتطابق مع الخضوع للشريعة، في الجانب الطقوسي و أيضا بالجهد المادي و الجهد الأخلاقي للفرد.<sup>1</sup>

**2- دان - دين:** وعند النظر في كلمة "دين" ومفهومه في اللغة العبرية نجد أنه قد عُبر عنه بكلمة (دَان) التي تدل على المعتقد كاللغة العربية، مع اختلاف لفظي بينه وبين العربية ، سواء كان هذا الدين هو اليهودية أو غيرها من الديانات التي وصفتها النصوص اليهودية، بالرغم من أن اللغة العبرية استخدمت أيضا كلمة "دين" للدلالة على القانون والقضاء الذي يحكم به القاضي بين المتخاصمين، وقد يأتي هذا اللفظ بين فقرات العهد القديم بمعنى الوظيفة القضائية، كما ورد في معنى الأمثال " كمثل ملك يجلس على كرسي القضاء " [الأمثال 20-8].

ويبدو أن وجود الكلمتين العبرية والعربية للدلالة على المعتقد لم يمنعا من استنباط أن لفظة " دين" ربما كان مفادها إثبات العدل في التشريعات التي تحث على القيم الحياتية<sup>2</sup>.

**3- صدقة (صداقا):** لا يوجد في اللغة العبرية لفظ خاص بالزكاة، بل يشير معناها في الترجمة السبعينية للتوراة<sup>3</sup>، إِمَّا إلى رحمة الله، أو رحمة الإنسان لأخيه الإنسان، و تلفظ باللغة العربية (صداقا) وهي مرادفة للكلمة (زكاة).

<sup>1</sup> انظر القاموس الموسوعي الجديد، ص 167، 168، 16

<sup>2</sup> القيم اليهودية من خلال كتاب الأقوال المأثورة لأبراهام بن عزرا، : د/عمار أحمد خلف ،شبكة الألوكة // [www.alukah.net/library](https://www.alukah.net/library) . تاريخ الاضافة 2015/5/14 م.ص: 10.

<sup>3</sup> هي ترجمة يونانية للتوراة وسميت بالترجمة السبعينية لقيام اثنين وسبعون (72) حبرا من يهود مصر بالترجمة في 280-82 ق م انظر وافي على عبد الرزاق، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، للإسلام القاهرة 1971، ص: 22، دلالة الحائرين، ج3، ص: 733 بتصرف ،ومعجم اللاهوت الكتابي، ص: 47.



ويرى (موسى بن ميمون) أنّ كلمة (صداقا) مشتقة من (صَدَقَ)، و هو العدل، و العدل هو إيصال كل ذي حق لمستحقه وإعطاء كل موجود من الموجودات بحسب استحقاقه، فبحسب المعنى الأول لا تسمى في كتب الأنبياء الحقوق المتعينة عليك لغيرك إذا وفيتها (صدقة) بل (عدالة).

لأنك إن قضيت الأجير أجرته أو قضيت دينك فلا يسمى ذلك صدقة بل [عدالة]، وأما الحقوق التي تتعين عليك لغيرك من أجل فضيلة الخلق كجبر صدع كل مصدوع، فهي تسمى صدقة، وكل فضيلة خلقية تسمى براء صدقة، و يضيف "فقد تلخص أن الإحسان يقع على الأفضل مطلقاً"<sup>1</sup>.

والإحسان كما يفهم من التلمود، يكتسي وجهين مختلفين، أولهما الصدقة، فالمعنى الحقيقي للصدقة هو العدالة. ومن الصعب تحديد ما إذا كانت كلمة صدقة تعني: عدالة في جميع الأحوال. وإنّ نتيجة النظرية التي تجعل من مساعدة الفقراء ليست فعل كرم، بل هي قيام بالواجب وإعطاء الصدقات هو ممارسة للعدل، لأنّ كل ما يملكه الإنسان قد أقرضه إياه خالق الكون ومالك الأرض وجميع ما عليها،"<sup>2</sup>.

وللصدقة التي تصل بشكل مباشر بلفظي الحق والعدل عند اليهود مكانة سامية في تعاليمهم الدينية، فقد وضعوها إلى جانب أقدم شعيرة دينية عندهم، وهي تقديم القرابين للإله، وهي تحمل دلالة قوية لديهم على التقوى وعلى الأمانة الشخصية في ممارساتهم. ولها تأثير الأضاحي والغفران من الذنوب.

<sup>1</sup> انظر سفر [التكوين/47-29] نقلا عن العبادات في الأديان السماوية، اليهودية (المسيحية والإسلام)، عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية دمشق، ط4، 2012م، ص 95.

<sup>2</sup> - التلمود: عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخاميين حول الأخلاق، الآداب، الدين، التقاليد، القضاء، آكوهن، دكتور في الفلسفة في جامعة لندن وحاخام كنيس برمنغهام/ ت: جاك مرتن نقله إلى العربية د. سليم طنوس، دار الخيال - بيروت / الطبعة الأولى 2005، ص: 291، 292.

## ثانيا: الألفاظ المقابلة

**1- الإثم، الظلم:** ترد هذه الكلمات واشتقاقاتها لتشير وتدل على نقيض المفاهيم الايجابية، وبمعنى آخر الظالمون عكس المنصفون، ومعنى الكلمات في هذه المجموعة عادة ما تكون معتمدة على كم العدالة المحسوسة في وقت معين، فتغطي الكلمة كل الذين ينتهكون الأخلاق، سواء أكانت عادات أم معايير أم حشمة، فالظالم هو بلا ناموس، خارج عن القانون.<sup>1</sup> هذا في سياقات التعامل بين البشر.

لذلك قال الراي أليعزر: "من ظلم الناس ولو بأدنى فلس، فهو خبيث كقاتل النفس"، وفي النهي عن الظلم " لا تظلم قريبك ولا تسلبه، ولا تبت أجرة الأجير عندك إلى الغد". و" لا تظلم أجيرا مسكينا من إخوتك، ومن الغرباء، الذين في أرضك في أبوابك، في يومه تعطيه أجرته" [تثنية 24 / 14، 15]، فالكلمة ظلم يمكن أن تعني إهمال الشخص لواجباته نحو الله، فالظالمون لا يستجيبون لأوامر الإله المحددة ونتيجة لذلك فهم مذنبون، إذ هم ينتهكون حلال الله.

**2- الجور:** اعتنت نصوص التوراة عناية خاصة بالعدالة، عندما ترتبط بالعلاقة بين البشر، واعتبرتها واجبا، ففي الجانب السلبي نهت عن الجور والظلم، سواء تعلق ذلك بالقضاء، وفي المعاملة التجارية، أو الإنسانية على حد سواء. " لا تجوروا في الحكم، ولا في المساحة والوزن والكيل، بل تكون لكم موازين عادلة، وعبارات عادلة، إيفة عادلة، وهين عادل".

**3- المحاباة:** "لا تحرف الحكم و لا تحاب الوجوه، ولا تأخذ رشوة، لأنّ الرشوة تعمي أبصار الحكماء وتفسد قضايا الأبرار". و"محاباة الوجوه في الحكم ليست صالحة، من يقول للشير أنت صديق، تسبه العامة، تلغنه الشعوب" أمثال [24 / 23، 24] "لا تضع يدك مع

<sup>1</sup> - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، مادة ظلم، ص: 31، 32.

المنافق لتكون شاهد ظلم... ولا تجب في دعوى مائلا وراء الكثيرين للتحريف "خروج [23] 1/، 3].

وترد هذه الكلمة في الغالب بصيغة المفرد، لتجذب الانتباه ليس على الفعل الفردي، لكن إجمالاً على ظاهرة التعدي.

فالحطيئة في إسرائيل القديمة كانت قبل كل شيء مخالفة لمتطلبات القداسة، والتي تتعارض مع العدل الإلهي، لذلك يُنظر إليها كشيء مدمر للمجتمع، لهذا السبب يجب على شعب العهد أن يتطهروا من الشر الذي في وسطهم، فالمخالفة التي توقع في الذنب تجر الدمار، الذي لا تقتصر آثاره على المنتهك بل ترتد على المجتمع ككل.<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: أهمية العدل في الديانة اليهودية.

اكتسبت قيمة العدالة أهمية أساسية في الديانة اليهودية في مراحلها الأولى، حيث أنه مع التوحيد انتهى الصراع بين الآلهة المتعددة، وانتفت صفة الظلم، وأصبح الإله الواحد إلها عادلاً بصفة دائمة، لأنه الإله الخالق. وبدأت الحياة الدينية تأخذ وجهة جديدة، هدفها الاتجاه بالدين إلى ما يسمى بالتوحيد الأخلاقي، و أصبح الفعل الإنساني خيراً أو شراً، هو الذي يحدد طبيعة المصير الإنساني وفقاً للعدالة الإلهية.<sup>2</sup>

وقد امتنّ الربّ على بني إسرائيل بشريعته التي اختصهم بها؛ لأنهم شعبه، "أي شعب عظيم له فرائض وأحكام، مثل هذه الشريعة التي أنا واضع أمامكم." [تثنية 8/4]

1 - انظر القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 32، 33

2 - انظر: تاريخ الديانة اليهودية محمد خليفة حسن، ص: 29.

وفي سياق تأكيده على أهمية هذه القيمة ذكر ابن ميمون انه أحد الأركان الثلاثة التي يقوم عليها ملكوت الله " فكل صفة يوصف الله بها في كتب الأنبياء، هي صفة فعلية. فحسب إيجاده الكل يُسمى محسنا، وبحسب رحمته للضعفاء يُسمى عادلا، وبحسب ما يحدث في العالم التي أوجبها الحكم التابع للحكمة، يُسمى حاكما. وقد نصت التوراة بهذه الثلاثة أسماء ديان كل الأرض هو العدل المستقيم كثير الإحسان"<sup>1</sup>، ثم بيّن أثر فهم هذا الأصل وتمثله، يقول الرب: "أني أنا الرب مجري الرحمة والعدل في الأرض لأني بهذه ارتضيت" [إرميا 9:23/24] يعني أن غرضي أن يكون منكم إحسان وعدل وحكم... فالغاية التي ذكرها في هذا النص هي أنّه بيّن أن كمال الإنسان هو من حصل له إدراكه تعالى، وعرف عنايته بمخلوقاته في إيجادها وتديريها، وكانت سيرة ذلك الشخص بعد ذلك الإدراك، يقصد بها دائما إحسانا وعدالة وحكما، تشبهاً بأفعاله تعالى"<sup>2</sup>. و في العهد القديم: "... بل بهذا ليفتخرن المفتخر، بأنّه يفهم ويعرفني أنا الرب الصانع رحمة و قضاء وعدلا في الأرض لأني بهذا أسر" [إرميا، 9/24]. و تظهر النصوص التوراتية والتلمودية تعلقا واضحا بقيمة العدالة. ففي صلواتهم المسماة البركات الثماني عشر، والتي ترجع في تصنيفها إلى عزرا ورجال الكنيسة الكبرى في البركة الحادية عشر. " أعد قضاتنا كما كان الأمر أولا، وناصحينا كما في البداية، وأبعد عنا الضيق والكدر والأنين، وأملك علينا عاجلا أنت وحدك يا رب، الملك المحب للعدالة والحكم"<sup>3</sup>.

وقد ذكر أحد علماء التلمود، أن الحاخامات الذين حرروا التلمود كانوا يتعدون عن الفلسفة والنظر التجريدي، إلا فيما يتعلق بالأخلاق، وأنهم كانوا يتوقون إلى عالم روحي مثالي،

1 - دلالة الحائرين: ج 3، ص: 774..

2 - ن - م - س ، ج 3، ص: 782

3 - الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا: 157، 158، نقلا عن د، طلال يعقوب فارحي، ص 60، مطبعة الأدون روبرتو مسكوفيتش مصر، ط 1917.

فعند كتابتهم أنّ الأرض تستند إلى جبال، والجبال إلى البحر والبحر إلى عمود يدعى "العدل" (تساديك Tsadik)، فإنّه من الواضح أنّه لم يكن لديهم أدنى اهتمام بالنظريات الفلسفية، وأنّ هذا الوصف لا يمكن الأخذ به حرفياً.<sup>1</sup> بل المقصود به ما يوصي به حكما وهم "لا تحتقر العدالة لأنها إحدى الدعائم الثلاثة التي يركز عليها العالم،.... إحذر إفساد أو رشوة العدالة فهذا يؤدي إلى زعزعة العالم، الأضحى لا تقدم إلا في الهيكل، بينما الاستقامة والعدالة تمارس في الدّاخل كما في الخارج"<sup>2</sup>.

ويذكر الحاخام أدين شتانيسالتر أن إصرار سيمون بن شتياح على مبدأ سلطة التوراة، و هيمنة التلمود على الحياة الدينية والقانونية لبني إسرائيل، قد أدى إلى وقوعه في ظرف مأساوي، فقد توجب عليه أن يوافق على إعدام ابنه المحكوم عليه بناء على ادعاء مدعم بكافة الوثائق، وأنّه سطر بموقفه هذا سابقة للقرون اللاحقة.<sup>3</sup> فالتوراة تؤكد أنّ "طرق الربّ مستقيمة، و الأبرار يسلكون فيها، وأما المنافقون فيعثرون فيها" [هوشع: 9/14]

### المطلب الثالث: عدل الله عزّ و جلّ في الفكر الديني اليهودي:

إنّ إرسال الرسل هو من مظاهر عدل الله ومقتضياته، فالإنسان يمتاز عن غيره من الحيوان بأنّه لا تحسن معيشتة و لا تتم، لو انفرد في تدبير أمره من غير مشاركة بني نوعه له، على ضروريات حاجاته، ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة، ولا بدّ في المعاملة من سنّة و عدل، ولا بدّ لهما من سانٍ ومعدل، ولا بدّ أن يكون إنسانا بحيث يخاطبهم ويلزمهم ذلك ولو تركوا لأراءهم لاختلفوا، ومن نظر بعين الاعتبار في عناية الباري بخلقه وجد الحاجة إلى وجود هذا

<sup>1</sup> انظر المدخل إلى التلمود، ادين شتانيسالتر ص: 132، 133.

<sup>2</sup> التلمود عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخاميين ص: 275..

<sup>3</sup> انظر مدخل إلى التلمود، ص: 35.

الشخص في صلاح نوع الإنسان أشد من الحاجة إلى كثير من وجود أشياء، لم تهمل العناية الإلهية وجودها<sup>1</sup>.

ويؤصّل الرابي سعديا الفيومي (882 – 942م)، وصموئيل بن حفني و موسى بن ميمون لقيمة العدل، وأنها الأساس الذي تقوم عليه العلاقة بين الربّ وعبيده، حيث يقرر الأول أنّه من وجوه عدل البارّي ورأفته على هذا الإنسان: أنّه أعطاه القدرة والاستطاعة على عمل ما أمره به والامتناع عما نهاه عنه، وذلك مبين في العقول والكتب، أمّا في العقول: فإنّ الحكيم لا يكلف أحدا ما ليس في طاقته، و رأى أيضا أن الاستطاعة يجب أن تكون قبل الفعل، ليتم بها بلوغ أمر الله ربه، و أنّه ينبغي أن لا يعمل الإنسان شيئا إلا وهو مختارٌ لفعله، أي لا يجوز أن يفعل من لا اختيار له؛ لأنّه يجهل العلة والسبب في ذلك، وأنّه لا يجبرهم على طاعته، ولا على معصيته<sup>2</sup>؛ لأنّ هذا مناف لعدله ولحكّمته في الخلق.

ويبرهن سعديا الفيومي بأنّ الشريعة المزدوجة، أي الإرشاد العقلي والإخبار النبوي، ضروريان ومكملان لبعضهما البعض في الأحكام الأخلاقية بعكس التعبدية. و قد جاء في كتاب الأمانات والاعتقادات "المقالة الثالثة، الفصل الثالث" أنّه في الشرائع العقلية اضطروا لتعاليم النبوية حتى يدرك الإنسان جوهرها الصحيح، وطبقا لتفسيره أكد أن الشريعة العقلية بدون الإخبار النبوي لا تعطي الحق للشرائع بالثواب، وليس من الضروري أن يعاقب العاصي؛

<sup>1</sup> تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث اليهودية و المسيحية و الإسلام: سعد بن منصور بن كمونة اليهودي (ق: 7 هـ)، دار الانصار، ط2، ص: 13-14.

<sup>2</sup> - الأمانات والاعتقادات، سعيد بن يوسف المعروف بسعديا الفيومي، ص: 152-153-154-155. ب-(د-ن)-ط)، (د-ت-ن). وقد بين هذا في المقالة الرابعة من كتابه، والتي عنوانها ب: " الطاعة والمعصية والخير والعدل " ص 147.

فإنه لا توجد فريضة عقلية بدون شريعة نبوية تستحق الثواب، وتستوجب العقاب، فالعقل يشير للفكرة فقط في بساطتها بدون كيفية وكمية.<sup>1</sup>

وخالفه موسى بن ميمون، فمن أقواله في دلالة الحائرين: "وبالعقل يفرق بين الحق والباطل، وما شابه ذلك، وأما القبيح والحسن فهو في المشهورات لا في المعقولات" فطبقاً لرأيه كل الفرائض لها تبرير عقلي، إلا أنه حدد بعض الفرائض التي يكون التبرير معروفاً للعلماء لا للعامّة، ولذلك فإنه يقرر: بالنسبة لرأي القدماء أن الثواب والعقاب قائم أيضاً على الشريعة الطبيعية، بدون أي ظهور نبوي، واعتبر ذلك من لوازم العدل الإلهي، فإنه لازم ضروري في حقه تعالى، وذلك بأن يجازي الطائع على كل ما فعله من أفعال البر والاستقامة، ولو لم يؤمر بذلك على يد نبي، إذ ذلك منهي عنه بالفطرة كالنهي عن الظلم والجور.<sup>2</sup> لذلك فقد رأى أن الإثم يترتب أيضاً على الساهي، وأن الآثم يعاقب، لكن تجب في حقه الكفارة، "إذا أخطأت نفس سهواً في شيء من مناهي الرب، يقرب عن خطيئته".<sup>3</sup> وهو موافق في هذا للكثير من نصوص التوراة، لا يعذر فيها بالجهل أو السهو، "وإذا أخطأ.. لم يعلم كان مذنباً، وحمل ذنبه، فيأتي بكبش... فيصفح عنه" [لاويين: 17/5، 18].

بل إن في التوراة إلحاقاً للعقوبة، مع تعذر العلم بالحكم، من ذلك إلحاق العقوبة بيونانان بن شاول الذي لم يعلم بأن أباه أصدر حكماً أنياً بتحريم أكل الخبز إلى المساء، حتى ينتصر على الفلسطينيين، "ملعون الرجل الذي يأكل خبزا إلى المساء حتى انتقم من أعدائي" [صموئيل الأول: 24/14]، فلم يعلم يونانان بقسم أبيه. [27/24]، وكاد يهلك بفعله، لولا أن افتداه الشعب

<sup>1</sup> - التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة (من مقدمة كتاب تفاسير الرابي سعديا جاؤون لسفر التكوين موشيه مردخاي تسوكر، ت.أ. د. أحمد محمود هويدي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مصر 2003، ص 31/30 بتصرف.

<sup>2</sup> انظر: التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة موشيه مردخاي شوكر، ص: 38 وما بعدها

<sup>3</sup> - دلالة الحائرين ج 3/ص: 642.

وقالوا: " أيموت يونانان الذي صنع هذا الخلاص العظيم في إسرائيل " [صموئيل 45/24] وأشاروا إلى بلائه في حروبه السابقة، فصفح الرب حينئذ.<sup>1</sup>

ويظهر جانب العلم بالأحكام متناقضا بين السلب والإيجاب في العهد القديم، في تقرير وجود الاختيار وتعين المسؤولية، وذلك في نصوص كثيرة لا تحتمل وجوها للتأويل. منه إلحاق عقوبات قاسية بأطفال صغار، مع أنهم لا تتحقق فيهم القدرة على العلم بالأحكام لقصور عقولهم. " تجازى السامرة لأنها قد تمردت على إلهها، بالسيف يسقطون، تخطم أطفالهم، و الحوامل تشق "[هوشع 16/13]، وقد أضاف العهد القديم الملك لصبية صغار، ثم وصف حكمهم بالحسن أو السوء، دون إشارة إلى وجود كهنة أو صيياء عليهم إلا نادرا.<sup>2</sup>

1- انظر: الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د: ديمة شريف الصباد، ص: 235.

2-المرجع السابق، ص: 235.



## المبحث الثاني: قيمة العدل في تعلقها بالقرب والآخر، وفي أصل العهد والميثاق في الديانة اليهودية.

### المطلب الأول: قيمة العدل في تعلقها بالقرب والآخر .

أن قيمة العدل في النصوص التوراتية وفي التلمود اعتبرت غاية في حد ذاتها. " طوفوا في شوارع أورشليم وانظروا، واعرفوا وفتشوا في ساحاتها، هل تجدون إنسانا أو يوجد عامل بالعدل فاصفح عنها" [ارميا 1/5]، "وأمرت قضاةكم في ذلك الوقت قائلاً: اصلحوا بين إخوتكم واقضوا بالحق بين الإنسان وأخيه ونزيله، ولا تنظروا إلى الوجوه في القضاء، للصغير كالكبير تسمعون، لا تهابوا وجه إنسان، لأن القضاء لله" [تثنية 16/1-17]. لذلك عندما جلس موسى ليقضي للشعب، وكان الشعب قربه من الصباح إلى المساء، رأى حموه بأنه ينهك نفسه كثيراً، فنصحه " وأنت فاختر من كل شعب أناسا مهرة أتقياء يكرهون الكسب.<sup>1</sup>

ومبدأ الإنصاف هو مبدأ في غاية الأهمية في الديانة اليهودية ، لقد جاء النهي في التوراة عن تحريف العدل حتى من أجل مساعدة فقير: " لا تيسر أمر فقير" ،فالتوراة ترشد القاضي النزيه إلى الموقف الذي يجب تبنيه إزاء دعوى فقير ضد ثري، فعليه أن يحكم بموجب القانون، لكن تدخل قاعدة الرحمة التي لا تحمل صفة الإلزام القانوني، وإنما تمثل نوعا من القانون الداخلي، وهي لا تعني تجاهل الحدود بين الخير والشر وإلغائها، وقد كان هذا المجال من القانون الديني (هالاخاه) يدعى مشناه الحسيديم، وهو مجال يسعى إليه الذين يتشوفون للوصول للمنازل الروحية العالية.<sup>2</sup>

1- كانت أول شريعة قضائية تستعمل عند بني إسرائيل من وضع موسى وقد قام رؤساء للشعب بعد موسى لقبوا بالقضاة، لأنهم كانوا يقضون للناس فكان الملك هو القاضي العظيم وشيوخ المدينة يقضون تحت يده وقد عرف هذا العصر بفشو العدل بين الناس انظر قاموس الكتاب المقدس، ص: 502.

2 - مدخل إلى التلمود، ص: 262-263 بتصرف.

وقد جاء في التلمود أمثلة كثيرة جدا تعالج العلاقة بين العدالة و(التراضي)، أو ما يسمى في الإسلام العدل والإحسان، فكانوا يرجحون أحيانا مبدأ الحقيقة أو العدالة، وفي أحيان أخرى يختارون التراضي (السلام)، يقول الحكماء: إن الحقيقة بصمة المقدس، ليتبارك اسمه، ولكنهم يقرون أيضا أن السلام اسم الرب<sup>1</sup>، و هم يقرنون بين التسامح ومغفرة الذنوب ورفع الذكر.

وكان القضاء بين المتنازعين بالعدل هو الأصل في الاعتقاد، بغض النظر عن انتمائهما، والذي يجب أن يكون منصفًا حتى يتمكن كل قاضٍ من نُصْرَةِ العدل بعيدا عن الهوى الجائر، وهو تشريع حياتي قويم من قبل إله عادل " حكم واحد لكم الغريب يكون كالوطني، إني أنا الرب إلهكم " وبتحقق العدالة يكون كمال العبودية، " يتعالى رب الجنوب بالعدل، ويتقدس الإله القدوس بالبر " [إشعيا 5 / 16]

ويعم العدل بين الناس كقيمة عليا ثابتة. "لأنه حينما تكون أحكامك عادلة في الأرض، يتعلم سكان المسكونة العدل" [إشعيا 9/ 26]، إلا أنّ اليهود ابتدعوا عنصرية الدّين، التي أدّت إلى أن يصبح المعتقد اليهودي أنّهم دون غيرهم من الأجناس البشرية أهل لهذه الأحكام، دون الأغيار.<sup>2</sup>

لقد كانت إحدى الحكم المفضلة لدى 'هيليل': "كونوا من تلامذة هارون الذين يحبون السلام ويتبعونه"، وقد شُرحت هذه العبارات عند ما سئل: كيف يكون الإنسان الذي يحب السلام؟ بأنّ هذه الحكمة تعلم أنّه يجب رؤية السلام مُستتبا بين اليهود.

<sup>1</sup> - انظر المرجع السابق: ص: 265-266-267. منهج فهم و تأويل نصوص التوراة انظر مدخل إلى التلمود، من ص: 287- إلى 293 يعتبر البحث عن العلاقة بين الأحكام والقواعد المختلفة وتحديد مجالاتها من المواضيع التي طورها التلمود بإسهاب وكرس لها مفسرو التلمود و الميذرash اهتماما كثيرا.

2 - انظر القيم اليهودية د: عمار احمد خلف ص: 36 (الهامش)..

وهكذا فإننا نجد كثيرا من الشروح تؤكد على حصريّة هذه التعاليم السامية لليهود فقط، أو على كونها تنغيًا أسبابا نفعية<sup>1</sup>؛ لذلك لا يخلو كتاب من كتبهم من عرض أو مناقشة الأحكام عند تعلقها بالآخر (غير اليهودي)، من ذلك تعليق الحاخام آ، كوهين على النص: "لا تجوروا في الحكم، و لا تُحَابُوا عظيمًا بل العدل تحكم لقريبك". [أخبار، 15/19]: "رأي الحاخام إسماعيل: عندما يكون إسرائيلي (يهودي) ووثني يتقاضيان، فمن المستحسن مقاضاة الأول حسب القانون اليهودي، وقل له إنّ هذا قانونكم، ويمكن مقاضاة الثاني حسب القانون الوثني، وقل له هذا شرعكم، وإذا كان القانونان لا ينطبقان فعليك استخدام ذريعة<sup>2</sup>،

### المطلب الثاني: المبدأ الخلفي لقيمة العدل في أصل العهد والميثاق .

وصف نقاد العهد القديم، الوعد بأنّه وعد ظالم من إله غير عادل أو منصف. فقد استثنى إسحاق ونسله وأقصي إسماعيل من وراثة الأرض ووراثة النبوة، وهو الابن البكر، و قد كان الوعد عاما قبل ولادة إسحاق كما أنّه " يتجاهل شعب الأرض التي يعد بها، حيث لا قيمة لوجودهم في نظره<sup>3</sup> .

ويتضح هذا التمييز غير المبرر في عقيدة العهد، فهو عهد خاص بين الإله الخاص و الشعب الخاص. ولا يدخل في هذا العهد من لا ينتمي إلى هذا الشعب الخاص، وشروطه لا تنطبق على غير اليهود، كما أن ثمار العهد ونتائجه لا يستفيد منها غير اليهودي.

1 - التلمود: عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخامين حول الأخلاق، الآداب، الدين، التقاليد، القضاء، كوهين، ت سليم طنوس، ص: 274.

2 - التلمود، عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخامين، د.آ. كوهن، ص: 279.

3 - الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم ص: 101، وانظر نقد الدين اليهودي، جميل خرطيبيل، ص: 68، 73.

وبالإضافة إلى خصوصية الإله وخصوصية العهد هناك أيضا خصوصية الوحي والنبوة<sup>1</sup>:  
 "أسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصي الأرض ملكا لك تحطمهم بقضيب من حديد مثل  
 إناء خزف تكسرهم" المزمير: [2: 2-9]

ويمكن أن نستخلص من خلال استعراض نصوص الوعد المختلفة التي تضمنتها التوراة،  
 أنّ تلك الوعود خاصة منها المقطوعة لإبراهيم، كانت عامة تشمل جميع ذرية إبراهيم، إلا أنّ  
 نطاقها ضاق في زمن إسحاق ويعقوب وقصرت على نسلهما، حيث تم حرمان إسماعيل وذريته  
 منها، وهذا الحرمان تم بأمر من الربّ كما تدعي التوراة، ثم ازدادت العهود ضيقا فتم حرمان  
 (عيسو) من مشاركة أخيه يعقوب، واختص يعقوب بمكاسب تلك الوعود دون غيره من ذرية  
 إسحاق، فإذا كان حرمان إسماعيل ونسله من تلك الوعود بسبب بنوته الجارية؛ لأنّه لم يرد في  
 التوراة بسبب أخلاقي أو شرعي يبرر هذا الحرمان، فلماذا حرم (عيسو) من حقه الشرعي في  
 تلك الوعود علما، أنّه الأخ الشقيق ليعقوب وليس ابن جارية، كما أنّ عيسو لم يغضب الربّ  
 عليه حتى يعاقب بالحرمان من تلك العهود.<sup>2</sup>

وقد نصت التوراة أنّ إسحاق هو الابن الذي يحق أن ينسب لإبراهيم "لأنّه بإسحاق  
 يدعى لك نسل" [تكوين 12/21]، بالرغم من أنّه في الجملة التالية ذكر "وابن الجارية أيضا  
 سأجعله أمة لك لأنّه نسلك [تكوين 13/21]، بل إنّ فكرة حصريّة العهد لإسحاق ونسله قد  
 بدأت فقط بعد أن حبلت سارة به وقبل ولادته" وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا  
 أباركه ... ولكن عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة" [تكوين 17/20]

1- تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 256 - بتصرف..

2- انظر التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود، حامد عيدان حمد الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان،  
 ط1، 2007، ص: 59-60 ومحمد إسماعيل السيد، مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين، دراسة  
 في إطار القانون الدولي العام، عالم الكتب، القاهرة 1975، ص: 67.

يقول الفاروقي: "قَلَّبَ التوراة من أولها إلى آخرها، فأنت لن تجد فيها تعليلا لهذا الأمر والعهد بل العكس. أنت تجد أن كل ما حصل في التاريخ مبني بناء سببيا على هذا الأمر والعهد".<sup>1</sup>

فهذا الادعاء اليهودي غير خلقي، و مناف للعقل السليم، والادعاء بأن العهد مشروط بالطاعة والامتثال، تدحضه فكرة أزلية الاختيار وتنفي عنه تلازم الشرط والجزاء: "اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوبا أكبر وأعظم منك ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء... ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم... بل لكي يفي بالكلام الذي أقسم الربّ عليه لأبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الربّ إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها؛ لأنك شعب صلب الرقبة" [سفر التكوين، 1:9-6]..

وبالرغم من وجود نصوص في التوراة ربطت بين عصيان بني إسرائيل لأوامر الله، وابتعادهم عن التوحيد وبين الحكم عليهم بالشتات، أو العقاب، كما ربطت بين رضی الله وحفظ العهد القائم على ألا يتخذوا من دونه إلهها ولا يفسدوا في الارض، إلا إنّ فكرة الاصطفاء والخيرية ظلت مسيطرة على العهد القديم، كما أنّ الأصول المؤسسة للفكر اليهودي اتفقت أنه مهما اقتترف اليهودي من ظلم في حق ربّه وحق غيره، فإنّ هذا لا يسقط فكرة شعب الله المختار وشعب الميثاق، وهو ما يؤدي إلى القول بانتفاء المبدأ الخلقي بهذا الأصل الذي انتجت آثارا لا تزال ماثلة إلى يومنا هذا.

<sup>1</sup> - أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي ص: 20.

## المبحث الثالث: موقع المسؤولية الفردية والجماعية في ظل العدل الإلهي في الديانة اليهودية

### المطلب الأول: فكرة تلازم الشرط والجزاء في الديانة اليهودية.

ترد في العهد القديم نصوص كثيرة التي تدل على تجاهل الإرادة الفردية، بوصفها شرطاً للمسؤولية، وهو ما ينافي مبدأ العدل.

فكل الحالات التي أثبتت العقوبة الغيرية أغفلت دور الإرادة بوصفها شرطاً في تحمل المسؤولية،<sup>1</sup> ففي التوراة تُسأل الجماعة عن خطأ بعض أفرادها مع جهلهم بفعالهم، وتُسأل أمة عن خطأ أمة أخرى، بالعلة المذكورة، بل يُسأل جيل لاحق عن خطأ جيل سابق، لم يكن موجوداً حتى عندما حدث الفعل. جاء في التوراة " غافر الإثم والمعصية والخطيئة، ولكنه لن يبرأ إبراء مفتقد إثم الآباء في الأبناء، وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع. سفر الخروج الأصحاح [34.7]، وفي سفر العدد [14.1] "الرب طویل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرئ بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع".

إن توارث الخطيئة في اليهودية يعد مظهراً واضحاً وأساسياً في إثبات صفة الظلم، ويظهر سفر إرميا أنّ اليهود لم يتقبلوا هذا الظلم، وناقشوا نبيهم، أنّ هذا مناف للعدل الذي ينبغي أن يتحلى به هذا الإله، فقد جاء في سفر إرميا: "ويكون حين تخبر هذا الشعب بكل هذه الأمور، أنهم يقولون لك لماذا تكلم الرب علينا بكل هذا الشر العظيم، فما هو ذنبنا، وما هي خطيئتنا التي أخطأناها إلى الرب إلهنا فتقول لهم من أجل آباءكم قد تركوني يقول الرب و ذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها، وإياي تركوا، وشريعتي لم يحفظوها، وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آباءكم وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير حتى لا تسمعوا لي فأطردكم

1- الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم/ شريف الصياد د.ر، ص: 238 ديمة.

من هذه الأراضي إلى أرض لم تعرفوها أنتم ولا أبأؤكم فتعبدون هناك آلهة أخرى نهارا وليلا حيث لا أعطيكم نعمة".<sup>1</sup>

وفي هذا السجال بين الرب وشعبه نلمس إمعان يهوه في تكريس إحساسهم بالظلم فلعناته عليهم كانت ابتداء بسبب خطيئة آبائهم بصددهم عن الشريعة، ثم بسبب ما سيظهر منهم من جراء عنادهم، ولعبادتهم آلهة أخرى، فاستمرار اللعنة عليهم هي بسبب أمر لم يحدث إلى ساعة صدور حكمه عليهم، فهم لم يشاركوا آبائهم في خطيئتهم في المرة الأولى، كما أنهم قد يموتون دون أن يقتروا الخطايا التي ذكر أنهم يُسارعون فيها، فيكون قد أصابهم الظلم مرتين.<sup>2</sup>

وفي واقعة سدوم وعمورة، يتجه إبراهيم عليه السلام إلى الرب في سؤال استنكاري حين أمر بإبادتهم "...أديان كل الأرض لا يصنع عدلا" [تكوين 25/18]<sup>3</sup>.

ويتكرر الموقف ذاته مع موسى عليه السلام حين قرر الله إهلاك بني إسرائيل بسبب عبادتهم العجل، وأخذ المحسن منهم بالمسيء: "... ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك" [خروج 12/32-14]، فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه، وأمر موسى بقتل المخطئين منهم، ف وقعت مقتلة عظيمة.<sup>4</sup>

1 سفر إرميا [16.10.13].

2- انظر الخطيئة الأولى بين اليهود والمسيحية والإسلام، ص 58، 59، 60..

<sup>3</sup> فأمطر الرب على سلوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء وقلب تلك المدن، وكل الدائرة، وجميع سكان المدن ونبات الأرض [تكوين 19 / 24-25] وقد جاء في القرن الكريم وصف لعقاب قوم لوط عليه السلام وفيها تثبيت للمسؤولية الفردية مع الجماعة لهؤلاء القوم.

<sup>4</sup> - انظر الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم ديمة شريف الصياد ص 101، و 134، 135 نقلا عن جميل خرطيل نقد الدين اليهودي، ص 74، 75.

ويبدو أنّ هذه القصص تتناسب مع الصفات التي وصف بها اليهود "يهوه" إله الحرب من قوة وبطش، و قد ذكر ابن ميمون في تعليقه لوجود أمثال هذه القصص في التوراة، وبيان أنّ ذكرها إنّما جاء لفائدة ضرورية في الشريعة " وصف قصة الطوفان، وقصة سدوم وعمورة للاستدلال على أنّ للأرض إلهها ديانا ... وأما وصف قبائل بني سعيير ونسبهم الشخصي، فذلك من أجل فريضة واحدة، وذلك أنّه تعالى أمر باستئصال ذرية عماليق... وقد ذكرت هذه الأنساب، و تفصيلها لسببين: أنّ هؤلاء الذين ترونهم اليوم ليس هم كلهم بني عماليق، فقد بين الكاتب قبائلهم عدلا من الله، حتى لا يقتل قتيل في غمار قتيل آخر؛ لأنّ الحكم إنّما كان على نسل عماليق خاصة!!"<sup>1</sup>

والتوراة تُحمّل الأحفاد إلى الجيل العاشر، بل إلى الأبد، أخطاء آبائهم في مجال الزنا في نصوص، منها: "لا يدخل ابن الزنا في حماية الربّ حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في حماية الرب" [التثنية، 2/23]، والأمر ذاته ينطبق على مسؤولية الأحفاد على جرائم الأجداد [تثنية، 3/23]، ولعل هذا راجع إلى الآثار الناشئة عن قصة الخطيئة الأولى، خطيئة آدم -عليه السلام- حيث تعتبر اليهودية أنّ البشر مشتركون بصورة لا مفر منها في واقع الخطيئة؛ لكونهم أعضاء في الأسرة البشرية، وهذا المعنى جليّ في النص المنسوب إلى داود عليه السلام: "هأنذا بالإثم صوّرت (ولدت) وبالخطيئة جبلت بي أُمّي"<sup>2</sup> [مزمو 5/51]، فكل الأرواح خلقت في آدم، ولذلك تتشارك في تحمل مسؤولية خطيئته، وقد زاد الحاخامات إلى هذا الظلم، ظلما آخر لله، حين وضعوا قانونا يقضي بأنّ المرء يعد مذنبا بمجرد النية بإتيان عمل نهى عنه الحاخامات،

<sup>1</sup> دلالة الحائرين ابن ميمون، ج3، ص 751-752، 753.

<sup>2</sup> انظر الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة، د اميمة بنت احمد شاهين الجلاهية دار زهراء الشرق، ط1، د.ت، ص 59، 60، 61.



ويصبح نجسا تبعاً لذلك. وسمي التلمود أساس هذه العقائد "بأبي النجاسة كل ذلك ليتمكنوا من السيطرة الكاملة على رفاق الضمائر".<sup>1</sup>

ولكن نجد في مواضع أخرى من العهد القديم ما يدل على أثر الإرادة في تكوين المسؤولية الأخلاقية، ففي سفر حزقيال: "النفس التي تخطئ فهي تموت، والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن" [20/18].<sup>2</sup>

وهو ما نجد آثاره في تعاليم الحاخامات، ولو بشكل نادر فقد ذكروا في التلمود أنه عندما كانت أورشليم في أيدي الرومان الوثنيين، تقدم أحد مناطقهم فسأل الحاخامات إذا كان إلهكم يمقت عبادة الأوثان، فما باله لا يحطمها ويستأصل شأفتها من الأساس؟ فأجابهم الحكماء: "أتود أيضا لو تنسف الشمس والقمر من أجل بعض الجهال الذين يعبدونهما؟ ثم يعلل: أن تغيير مجرى الطبيعة لمعاقبة الخطاة من شأنه أن يعود بالمعاناة على البريئين أيضا".<sup>3</sup>

وقد احتوت الوصايا العشر على إشارات هامة إلى الثواب والعقاب، لكن هذا المفهوم لم يتطور ليصبح إحدى العقائد الثابتة في اليهودية إلاّ خلال فترة السبي وعصر النبوة، فقد ناقش الأنبياء بشكل مباشر مبدأ المسؤولية الفردية على الأعمال الإنسانية أمام الخالق.<sup>4</sup> كما قيدوا تحقق التمكين وعودة إسرائيل بشرط العدل الذي يعني إجابة داعي الله، ولا يكون إلاّ بصلاح القلب الذي يترتب عليه صلاح السلوك، وقد اتخذوا من التشريع الموسوي أساسا للإصلاح الديني، كما أدخلوا بعض العناصر والمبادئ الدينية التي لم يكن لها وجود سابق في ديانة بني

<sup>1</sup> انظر التلمود: تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، ص 55، 56.

<sup>2</sup> - انظر: التربية في التوراة العهد القديم، عرض وتقويم بميزان الإسلام، أ.د. عابد توفيق الهاشمي، مؤسسة الرسالة ط 1، 2000م، ص 119، 120..

<sup>3</sup> التلمود: تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، ص 329.

<sup>4</sup> انظر تاريخ الديانة اليهودية، ص 208، 209، و 158، 159، 160.

إسرائيل، أو أنّها على الأقل لم تكن قد لقيت الاهتمام الكافي من قبلهم، فطوروها وحولوها إلى مفاهيم دينية.

وكان بنو إسرائيل ينبهون بشكل دائم أنّ ما ينالونه من نصر على أعدائهم، منحة يهوه إليهم، كما إنّ ما يقع عليهم من هزائم ليس إلا انتقاما من يهوه، ينزله بهم لمخالفتهم أوامره "تهلك وتفنى سريعا من أجل سوء أعمالك إذا تركتني يلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك على الأرض التي أنت داخل إليها لكي تملكها، يضربك الله بالسل وبالحمي... والجرب والحكة والجنون وحية القلب... ويكون ذلك فيك وفي نسلك إلى الأبد."<sup>1</sup> [سفر التثنية، 16/28 وما بعدها].

كما أنّ الأمثال الأخلاقية التي وردت في سفر الأمثال، هي مجموعة من الأقوال والتي تقوم على إبراز عقيدة الثواب والعقاب التي لا تأتي كنتيجة للفعل فحسب... وإنما كانت صورة من الثواب أو العقاب من الربّ إله العدل الذي يحب الخير ويكره الشر".<sup>2</sup>

لقد وصف النبي ميخا الإنهيار القيمي الذي وصلت إليه بنو إسرائيل حين قال: "اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة شعب إسرائيل الذين يكرهون العدل ويحرفون الحق الذين يسقون صهيون بالدم وأورشليم بالظلم، إذ يحكم رؤساؤها بالرشوة، وكهنتها يعملون بالأجرة، ويتعاطى أنبياؤها العرافة لقاء المال"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> مقارنة الأديان اليهودية/ د احمدشليبي ص 181.

<sup>2</sup> القيم اليهودية من خلال كتاب الأقوال المأثورة لابراهيم بن عزرا، د عمار احمد خلف، ص 34، (الهامش).

<sup>3</sup> الأساطير الإسرائيلية، روجيه غارودي، ت، محمد هشام، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002م، ص: 49.

ولكثرة الانتهاكات الأخلاقية التي أحدثها بنو إسرائيل، تنبأ عاموس بسقوط إسرائيل بيد إلهها، وسوى بينها وبين بقية الأمم في استحقاقها للعقاب، وبخاصة بعبادتها (للبعل) إله كنعان<sup>1</sup>. وبهذا يكون عاموس أول من نادى بعالميه إله إسرائيل عملياً، وأنه إله البر والعدل.<sup>2</sup>

واستمراراً لفكرة التطور يعزو فلهاوزن فكرة ارتباط الشرط والجزاء وعلاقتها بالعدل إلى عصر الأنبياء، بشكل مطلق، فهذا التحول - كما يرى - يتمثل في الهجوم المتواصل على النظام الحالي بعبادته وطقوسه، فقد طوّر الأنبياء صورة الإله حتى وصلوا بها إلى التنزيه ودعموها برابطة أخلاقية، فتفوقت على القانون الموسوي، وأصبحت العدالة الإلهية هي القانون الذي لا يعلى عليه لكل العالم.<sup>3</sup> وهو ما كان من أمر الربّ عندما هاجم 'شيشق' - ملك مصر - أورشليم، بعدما ترك (رجعاً) ومن تبعه شريعة الربّ، فقال: "أنتم تركتموني وأنا أيضاً تركتكم لشيشق"، فتذلل رؤساء إسرائيل للرب فخفف عقوبته، وقال: "قد تذللوا فلا أهلكهم، بل أعطيتهم قليلاً من النجاة، و لا ينضب غضبي على أورشليم بيد شيشق لكنهم يكونون له عبيداً ويعلمون خدمتي وخدمة ممالك الأرض" [أخبار الأيام الثاني 12/8-12].

وفي نص آخر يبين الرب أن السبي كان آخر عقاب لبني إسرائيل بعد أن أنزل عليهم الجوع، والمرض، والعذاب "منعت عنكم المطر... فلم ترجعوا إلي... ثم ضربتكم باللفح

<sup>1</sup> عاموس [7/9-8]

<sup>2</sup> انظر د. محمد خليفة حسن ، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، ص: 190-200 .

<sup>3</sup> انظر د. أحمد محمود هويدي اتجاهات نقد العهد القديم، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1422-2001م، ص: 107-109 ومحمد خليفة حسن تاريخ اليهودية، ص: 200. و هو ما نفاه د/ محمد خليفة حسن، وإن كان يتفق معه جزئياً، كما سلف بيانه.

واليرقان... أرسلت بينكم وباءا على طريقة مصر... قلبت بعضكم كما قلب (الله) سدوم وعمورة... فلم ترجعوا إلي... لذلك كان السببي [عاموس، 6/4-11-12]

وكل هذا كان بهدف إصلاح بني إسرائيل وقد جاء في الأمثال: "بابني لا تحتقر تأديب الرب و لا تكره توبيخه، لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، وكأب بابن يسر به". [11.12/3]، ويقول الرب في شعب بني إسرائيل "يوبخك شرك، وعصيانك يؤدبك" [إرميا 19/2]<sup>1</sup>

وفي التلمود: "ورجع إرميا النبي إلى أورشليم وصحب إخوانه البؤساء الذين خرجوا عرايا تقريبا، وعند وصولهم إلى مدينة تسمى بيت كورو هيا لهم إرمياه ملابس جيدة وتكلم مع بنوخذ نصر والكلدانيين قائلا لهم: "لا تضن أنك بقوتك وحدها استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار، إنها ذنوبهم الفاجرة التي ساقتهم إلي العذاب".<sup>2</sup>

### المطلب الثاني: فكرة العدل الثأري في الديانة اليهودية.

نلاحظ أنّ فكرة الشرط والجزاء في الديانة اليهودية مرتبطة بشكل واضح بفكرة الجزاء العاجل، وبما يسمى أيضا العدل الثأري.<sup>3</sup>

ولعل ذلك يعود إلى الخلاف الموجود بين علماء يهود وفرقها المختلفة حول تحقق الوعد والوعيد بالآخرة، وإن كانت كفة المنكرين له هي الأرجح؛ لظهور أدلة القائلين بتعجيل الجزاء الإلهي في صورة الجزاء الدنيوي، فالأدلة التي يذكرها القائلون بوجود الجزاء الأخروي في العهد القديم على قلتها غامضة وغير صريحة.

1- انظر الأسس الأخلاقية في العصر القديم، ص: 333-334.

2 التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، ص: 57، 58.

3 المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ت: عبد الحلیم محمود، ص: 137.

ومن أمثلة العدل الثأري ما يرويه التلمود عن أحد حاخاماتهم عندما حاججه بعض المصريين فيما سُلِب منهم من مال على يد جيش موسى، إذ تقدم المصريون قائلين " وأعطى الرب نعمة للشعب (الإسرائيليين) في عيون المصريين، حتى أعاروهم ذهباً وفضة" [خروج 13/26]، فالآن هلموا أعيدوا لنا الذهب والفضة التي أعارها لكم أجدادنا". وتقدم جبعا بن سيساه بالنيابة عن حاخامي سرائيل فقال: " أقام بنو إسرائيل في مصر أربع مئة وثلاثين سنة، فهلموا الآن، ادفعوا لنا أجور الست مئة ألف رجل الذين عملوا لكم مجاناً، فنرد لكم الذهب والفضة"<sup>1</sup>، فاستيفاء الحقوق وتحقيق العدل يكون في دار العمل لا الجزاء.

لذلك قابل اليهود السيد المسيح-عليه السلام-الذي جاء مصححاً لشريعة موسى-عليه السلام- بالسخرية، وكذبوا به؛ لأنهم كانوا ينتظرون مسيحاً آخر يفتح لهم كنوز الأرض، ويعيد إليهم ملكهم الذي ذهب، فلما أخبرهم عيسى بأنه جاء ليفتح لهم كنوز السماء، ويعدهم بمملكة الروح وملكوت السماوات، سخروا منه وزهدوا فيه<sup>2</sup>. ولذلك ذهب أكثر الفرق اليهودية إلى إنكار البعث واليوم الآخر، منهم الصدوقيون:

ففي كتابات اليهود عن "سفر الرؤيا" يمجدون المسيح المنتقم الذي يأتي لتحقيق العدالة... ففكرة أن تكون الجنة هنا على الأرض، فكرة يهودية في أساسها سواء من ناحية خصائصها، أو من ناحية أصلها، فجميع أفكار ونظريات العقل اليهودي، معنية بإقامة جنة أرضية، وكتاب أيوب هو حلم بالعدالة التي لا بد أن تتحقق على الأرض لا في العالم الآخر.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> التلمود، كتاب اليهود المقدس، د أحمد إيش، دار قيتبة ص: 317

2 - الأخلاق في الأديان السماوية، أبو ضيف المدني، دار الشروق ، ط1 1988 ص: 20-21 بتصرف.

3 - انظر إسلام بين الشرق والغرب، على عزّت بيغوفيتش ص: 271، 272، 273.

وهذه العدالة التي يحلم بها بنو إسرائيل، هي الظلم بعينه لغيرهم، إن عدل الله وبرّه في نظر بني إسرائيل هو سبب سقوط وشتات أعدائهم.<sup>1</sup>

لذلك فقد تبني اليهود مفهوما قاصرا وبدائيا للعدل؛ لأنّ العدل الإلهي لا يتحقق إلا باستيفاء كل مكلف للجزاء الأخروي، "إنّه لا يمكن أن نتصور نظاما أخلاقيا في هذا الكون إلا إذا افترضنا عهدا للعدالة النهائية تجنى فيها ثمار النوايا الطيبة، وتخلّف تحقق العدل في الحياة الدنيا".<sup>2</sup> وهو الذي يغيب في بنية الفكرية لهذه الديانة .

<sup>1</sup> - انظر القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 167.

<sup>2</sup> - الفلسفة: أنواعها ومشكلاتها، هنتر ميد، ت. د. فؤاد زكريا، دار النهضة مصر، ط2، 1975م، ص: 380.

## الفصل الثاني: قيمة العدل في الديانة المسيحية وأثرها

المبحث الأول: قيمة العدل في الديانة المسيحية .

المبحث الثاني: تعلقات العدل في الديانة المسيحية وأبعاده.

## المبحث الأول: قيمة العدل في الديانة المسيحية.

## المطلب الأول. مفهوم العدل في الديانة المسيحية:

العدل في الديانة المسيحية من صفات الله الثابتة له، والتي تظهر آثارها في أفعاله. "الرب عادل ويحب العدل" [مزمو: 1/8]، فالعدل وإن كان ينظر فيه إلى الفعل، لكنّه لا يخرج بذلك عن كونه ذات الله... لأنّ ما هو من ماهية الشيء أيضا يمكن أن يكون مبدأ الفعل<sup>(1)</sup>.

وفي إنجيل [يوحنا: 4/24]،: "أحكم وحكمي عادل لأنني لا أعمل مشيئة بل مشيئة الذي أرسلني" وتعني العدالة - حسب هذا النص الحكم بمشيئة الغير، غير أن هذا الغير محدّد ومعين "الذي أرسلني"، وهو الله بالذات، الذي من صفاته العدالة، ويصبح الإستنتاج من هنا أن حكم يسوع العادل هو عادل بفضل مجموعة من المعطيات والصفات والشروط،<sup>(2)</sup>.

وعلى غرار تمييز القدماء بين أنواع من العدالة خاصة في الفلسفة الإغريقية، حيث قسّموا العدالة إلى العدالة التبادلية، والعدالة التوزيعية والعدالة الجزائية<sup>(3)</sup>، حاول توما الاكوييني صهر المذاهب والفلسفات الأخلاقية اليونانية مع المبادئ المسيحية في التمييز بين العدل الإلهي والعدل كقيمة، تنظم السلوك الإنساني، فالعدل حسب ضربان:

<sup>(1)</sup> الخلاصة اللاهوتية؛ توما الاكوييني؛ ج: 1، ص: 286.

<sup>(2)</sup> قضايا الفكر السياسي - العدالة-؛ د: ملحم قربان؛ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع؛ بيروت، لبنان؛ ط 1-1412هـ-1992م، ص: 33-34-بتصرف-

<sup>(3)</sup> المؤنس في القيم؛ دك محمد الشيخ؛ ص: 239- بتصرف- والعدالة التبادلية هي التساوي في الخيرات التي يتم تبادلها بين السكان، والتوزيعية كما يدل عليه اللفظ يقصد بها التساوي في توزيع الخيرات والجزائية تتمثل في معاقبة كل من لم يعدل في سلوكه تجاه غيره؛ ن- م- س، ص: 239.



- أحدهما قائم في الإيجاب والقبول من الطرفين، كالعدل القائم في الشراء والبيع، ونحو ذلك من المشاركات والمبادلات، وهو العدل البدلي، وهذا ليس يلائم الله؛ لأنّه من سبق فأعطى.

- والثاني قائم في التوزيع، ويقال له العدل التوزيعي، وهو ما به يعطي مدبرٌ أو مقسّمٌ كلاً بحسب مقامه، وكذلك نظام العالم المشاهد في الأشياء الطبيعية والإرادية يفصح عن عدل الله... فإذا ما يفعله بحسب إرادته فإنّه يفعله بالعدل، كما أن ما نفعله نحن على وقف الشريعة فإننا نفعله بالعدل، غير أنّنا نحن نفعل على وفق شريعة شارع أعلى، والله هو شريعة لنفسه<sup>(1)</sup>، فإنّه متفضّل بالخلق والإبداع والتكليف، لا عن وجوب، ومتفضل بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم. وإذا أثاب على الطاعات فبحكم عدل هو محض جود وكرم صار بمشيئته حقا وفاءً<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة والألفاظ المقابلة.

#### أولاً: الألفاظ ذات الصلة:

1- برّ: أعطى المسيح لكلمة " البّار " ولعمل البر بُعداً مختلفاً عما كان معهوداً في العهد القديم. وذلك حين وصف فرح السماء بتوبة خاطئ واحد أكثر من تسعة وتسعين باراً [لوقا: 15/7]، ذلك أنه " بكلماته جعل الحياة الجديدة محتملة لأولئك الفاسدين والخطاة

<sup>1</sup> انظر: الخلاصة اللاهوتية، توما الاكوييني، ج1، ص: 284-285.

<sup>2</sup> العدالة الإلهية في المسيحية؛ فريدا جبر، العدالة في المسيحية والاسلام، محاضرات الندوة- السنة العشرون- عدد؛ 11-12؛ ص: 15-بتصرف-

الذين كانوا يعانون من نبذ اجتماعي وديني، ولا ينطبق هذا على اليهود فقط، بل على الأمميين أيضا [أعمال الرسل: 22/1-25]،<sup>(1)</sup>.

ويطلق بولس صفة -بار- على الله والمسيح والبشر، وهو يكثر من استخدام هذه الكلمة ويعطيها أوسع مدى لمعانيها، وتستخدم أيضا "للراكب على الحصان الأبيض، المسيح الذي يُدعى آمينا وصادقا، وبالعدل يحكم ويحارب" [رؤ: 19/11]<sup>(2)</sup>.

**2- حكم ، قضاء، دينونة:** وهذه الكلمات بتركيباتها العديدة تحتل مكانا في اللغة القضائية، وتُستخدم في الحكم على القيمة الإنسانية والأخلاقية، إذ تحمل معنى: إدانة، قرار، فصل عقوبة وأيضا الحصول على العدالة لشخص ما، وكثيرا ما تستخدم هذه الكلمات في العهد الجديد بمعنى قضائي محض، فالناس يحكمون طبقا للقانون [يوحنا: 18/21] و [أعمال الرسل: 23/3] والرسل والكنيسة تحكم [رسالة بولس الأولى لأهل كورنثيوس: 5/12، 6/2-3]، وقد نهى المسيح تلاميذه أن يدينوا، لأنهم بالدينونة التي يدينون بها غيرهم يُدانون<sup>(3)</sup>.

### ثانيا: الألفاظ المقابلة:

**1- الظلم، الإثم:** أُطلقت كلمة: ظلم، وما يشتق منها، ظالم، يظلم، مظلوم، ظالمون، وإثم، وما يشتق منها أيضا: أثم، آثمون، في العهد الجديد للدلالة على نقيض المفاهيم الإيجابية لكلمة عدل... وهي تدلُّ على عدم مطابقة السلوك للمعيار الأخلاقي.

<sup>1</sup> القاموس الموسوعي للعهد الجديد؛ مادة: بر- عدل؛ ص: 168، وانظر قاموس الكتاب المقدس؛ دائرة المعارف الكتابية المسيحية: شرح كلمة عدل- عدالة: موقع: الأنبا تكلا [www.st-takla.org](http://www.st-takla.org)

<sup>(2)</sup> القاموس الموسوعي للعهد الجديد؛ مادة: بر- عدل؛ ص: 169.

<sup>(3)</sup> ن-م-س؛ ص: 374-375- بتصرف-: موقع الأنبا تكلا: قاموس الكتاب المقدس مادة: عدل [www.st-takla.org](http://www.st-takla.org)

والكلمتان في العهد الجديد تحمل المفاهيم الأكثر أهمية في العقيدة المسيحية للخطيئة، حيث المعيار للإثم هو بر الله نفسه (1).

وهي ترد أيضا ضمن سياق العلاقات بين البشر، لتعني التصرف مع الآخرين بشكل ظالم، أو بأذى أناس آخرين، مثل [متى: 20/13]، [أعمال الرسل: 7/24-26-27]، [الرسالة الأولى إلى أهل كورنثيوس: 8-6/7].

قد ترتب عن الايمان بالمسيح تحوُّل جذري في النظرة إلى الظلم وفي التعامل معه، لذا: "ينبه بولس في رسالته الأولى إلى الكورنثيين [كوا: 11-6/1] بأن يكونوا مفضلين للمعانة وأن كانوا مظلومين، والقاعدة لتنفيذ ذلك بالنسبة للمسيحيين ممكنة بالمحبة، لأنّ انشغال الشخص بحقوقه، يمكن أن يؤدي إلى الشجار، ومقاضاة الجار، وهو بذلك يخالف وصية محبة الجار والعدو (2).

### المطلب الثالث: العدل الإلهي في تعلقه بالإنسان.

الإنسان في المسيحية متقلّب بين عدله الله وفضله ورحمته، فإنّ من عدل الله، أن يتم في الأشياء ما هو حاصل في حكمته وإرادته، وبهذا الاعتبار، فإنّ الله يعدل متى أعطى كل شيء بحسب اعتبار طبعه وحاله، على أن الله وإن أعطى شيئا، لكنّه ليس مدينا لأحد، إذ أنّه ليس متجها لغيره بل بالأحرى غيره متجه إليه، ولذا يطلق العدل الإلهي تارة على اللياقة بخيريته، وتارة على المجازاة بحسب الاستحقاقات. وقد أشار "أنسلموس" إلى ذلك بقوله: "إذا عاقبت الأشرار فذلك عدل؛ لأنّه مناسب لاستحقاقهم، وإذا عفوت عنهم فذلك عدل لأنه لائق بخيرتيك" (3).

(1) القاموس الموسوعي للعهد الجديد؛ مادة: ظلم- عدل؛ ص: 20- بتصرف-

(2) القاموس الموسوعي للعهد الجديد؛ مادة: إثم- عدل؛ ص: 20- بتصرف-

(3) الخلاصة اللاهوتية، توما اللاكوييني، ج 1، ص: 285، 286.

وفي رثاء القديس "أوغسطينوس" والدته "مونيكا" يقول: هاأنذا ادعوك من أجل ذنوب أمي " أصغ إلي بجاه طبيب جروحنا، المسيح الذي عُلق على خشبة الصليب والذي هو جالس على يمينك متشفِّعا لنا لديك... فقد عاشت عيشة يحمد بها اسمك عقيدة وخصالا ومع ذلك لا أجرؤ أن أقول أنّها بعد أن جددتها بالتعميد، لم تتلفظ بأية كلمة مخالفة لقانونك، ونظرا إلى كونك لا تحصي ذنوبنا فإننا نرجو واثقين فيك مكانا بالقرب منك، أمّا من يعد أمامك مزياء الخاصة فهو لا يعدّد في الحقيقة إلا هباتك... مولاي أبرئها... ولتنتصر الشفقة على العدالة (1).

وعدل الله ورحمته يظهران أيضا " في ابتلاء الأبرار في هذه الدنيا من حيث أنهم يتطهرون بهذه البلايا من بعض الأوزار الخفيفة ويغدون أشد نزوعا عن الأرضيات إلى الله، كما أن هناك اعتبار العدل من حيث أن الأشياء " تخرج إلى الوجود بحسب ما يلائم حكمة الله وخيريته على افتراض شيء سابق في معرفة الله " (2)، فان الله إذا ألم وأسقم، فإنما يُخرج من الشرّ الخير عند الحاجة، وهو سبحانه أحسن نظرا بعباده منهم لأنفسهم، أي أنه لم يكن ليختار لنا الحسن لحسنه فقط، بل لكونه إحسانا أيضا. هذا، من حيث ما يقتضيه العقل من الحكمة والعناية في تدبير الأمور، ومنعا من إساءة الفهم لكل ما بدا ظلما (3) بيد أن المسيحي يؤمن أيضا أن الله فاعل على الحقيقة ومتصرف في ملكه، فهو عدل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

(1) اعترافات القديس أوغسطينوس؛ ص: 179-180.

(2) الخلاصة اللاهوتية، توما اللاكوييني، ج1، ص: 286 و 291- بتصرف-

(3) العدالة الإلهية في المسيحية؛ فريد جبر؛ ص: 14-15- بتصرف-

## المبحث الثاني: تعلقات العدل في الديانة المسيحية وأبعاده.

المطلب الأول: قيمة العدل في تعلقها بالقرب والمخالف في المصادر المسيحية:

العادل عند المسيح لا يهمل أي واجب، وهو الذي يعرف سلّم القيم لهذه الواجبات والحقوق، وأوّل مراتب العدل، العدل مع الله، فلا يتسّّر وراء قناع الشريعة، ولا يلتزم بمظاهرها ويهمل مقاصدها، ولا يرائي.

لقد أكّد المسيح على واجب الزكاة وهو إعطاء العشر من كل شيء، لكنّه يعتبر أنّ ذلك من صفات الوصايا إذا قورن بالعدل الذي هو أول واجبات الشريعة<sup>(1)</sup>. "الويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المرءون، فإنكم تؤدّون عشر النعنع والشّمرة والكمّون، بعدما أهملتم أهم ما في الشريعة العدل والرّحمة والأمانة، فهذا ما كان يجب إن تعملوا به من دون أن تهملوا ذاك أيها القادة العميان، يأيها الذين يُصَفُّون الماء من البعوضة ويتلعون الجمل. الويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المرءون، فإنكم تطهرون ظاهر الكأس والصحن، وداخلهما ممتلئ من حصيلة النهب والطمع" [متى: 23/23-24].

وقد حاول المسيح من خلال تعاليمه نقل القيم وتمثلها، من دائرة القريب إلى فضاء الإنسانية، وذلك بالتأكيد على شمول مبدأ العدالة للمخالف أيضاً، وبوجوب التشبه بالله الذي يمطر مطره ويرفع شمسّه على ذوي الخير وذوي الشر ولا يحابي<sup>(2)</sup>.

وفي وصيته لتلاميذه "أخذتم مجاناً، فمجاناً أعطوا" [متى: 10/8]. إن جوهر المسيحية موجود في هذه القاعدة الذهبية فالإنسان العادل بنظر المسيح لا يدين أحداً، ولا يعتدّ بما يأتي

<sup>(1)</sup> العدالة في المسيحية والاسلام، محاضرات الندوة، عدد 11 - 12 - الإنسان العادل؛ غريغوريوس حداد؛ ص: 100-101 - بتصرف -

<sup>(2)</sup> انظر: العدالة الإلهية؛ فريدا جبر؛ ص: 18-19.

به من أعمال البرّ، والعدل، وهو الذي يتعامل مع الآخرين بمقتضى قيمة العدل، فهذا التواضع وهذه المجانية دليل امتلاء نفس الإنسان "لا تدينوا لئلا تُدانوا، فكما تدينون تُدانون، ويكال لكم بما تكيلوا، لماذا تنظر إلى القذى الذي في عين أخيك؟ والخشبة التي في عينك أفلا تأبه لها؟ بل كيف تقول لأخيك " دعني أخرج القذى من عينك وهاهي ذي الخشبة في عينك أيها المرأى، أخرج الخشبة من عينك أولاً، وعندئذ تبصر فتخرج القذى من عين أخيك... فكل ما أردتم إن يفعل الناس لكم إفعلوه أنتم لهم: هذه هي الشريعة والأنبياء [متى: 4،7/1-5].

إنّ المسيح، وهو الذي يربط ربطاً وثيقاً بين واجبات المسيحي نحو الله وواجباته نحو إخوته، كثيراً ما يعلن أن الله يمنح غفران لمن غفر لغيره، لأنه يشهد لصدق الطلب، وهذا ما يدل عليه متى باستعمال الصيغة في الماضي<sup>(1)</sup>. "وأعفنا مما علينا فقد أعفينا نحن أيضاً من لنا عليه... فان تغفروا للناس زلاتهم، يغفر لكم أبوكم السماوي، وان لم تغفروا للناس لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم" [متى: 6/12-14-15]؛ ومغفرة الله هي محض رحمة وإحسان، فكل برّ يأتيه الإنسان، إنما هو دليل على الإمتنان.

### المطلب الثاني: قيمة العدل بين المحبة وتحقيق الإنصاف في الديانة المسيحية:

إنّ تعاليم المسيح توجّه إلى السلوك الذي يفرض الاعتراف بحقوق الآخرين واحترامها، وتحقيق العدالة والإنصاف "إذا خطئ [هكذا] أخوك، فاذهب إليه وانفرد به ووبخه فإذا سمع لك، فقد ربحت أخاك، وان لم يسمع لك فخذ معك رجلاً أو رجلين، لكي يحكم في كل قضية بناءً على كلام شاهدين أو ثلاثة، فان لم يسمع لهما فأخبر الكنيسة بأمره، وان لم يسمع للكنيسة أيضاً، فليكن عندك كالوثني والعشار" [متى: 10/18-13].

<sup>(1)</sup> الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 2097، الهامش وانظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د: علي عبد الواحد وافي؛ مكتبة نهضة مصر، ط1، 1384هـ-1964م، ص73.

فالمحبة والتسامح لا يعني أن يترك المخطئ ليسترسل في الخطأ؛ فإنّ مثل هذا الإنسان يجب أن يوجه وينصح ويؤدّب إذا لزم الأمر، لكن هذا التأديب ينبغي أن يطبق بروح المحبة المتواضعة وهدف التأديب يجب أن يكون على الدوام المصالحة<sup>(1)</sup>. والمسيح في هذا النص لا ينكر أهمية وجود مؤسسة تقوم على رعاية شؤون العامة، بل إنّه يوجّه إلى تبنيّ أصول للمرافعة ترعاها الكنيسة، وفي "لوقا"، يحث يسوع القاضي أن يضطلع بما يتعيّن عليه دون إبطاء لأن عدالة الله لا تمهل وعدله يستغرق جميع الخلق. وفي النص الذي ذكر في مستهل هذا الفصل: يشير يسوع إلى الشروط التي ينبغي توافرها لكي يكتسي الحكم صفة العدل: فمع كونه ابن الله - في نظرهم - فإنه أسند ادعاءه بعدالة حكمه بمرجعية لا يمكن التشكيك فيها وهو الحاكم الذي أرسله "الله" وفي هذا توجيهه للسامعين إلى عدم إتباع الهوى والى ضرورة وجود معطيات وصفات وشروط للحكم "لا تحكموا على الظاهر بل أحكموا بالعدل" [يوحنا: 4/27]<sup>(2)</sup>.

وقد ضرب المسيح مثال القاضي الظالم قال: "كان في إحدى المدن قاضي لا يخاف الله ولا يهاب الناس وكان في تلك المدينة أرملة تأتيه، فتقول: أنصفني من خصمي فأبى عليها ذلك مدة طويلة، ثم قال في نفسه: أنا لا أخاف الله ولا أهاب الناس، ولكن هذه الأرملة تزعجني، فأنصفها لئلا تظلّ تأتي وتصدّع رأسي، ثم قال الربّ: إسمعوا ما قال القاضي الظالم، أفما ينصف الله مختاربه الذين ينادونه نهاراً وليلاً وهو يتمهل في أمرهم؟ أقول لكم: إنّه يسرع إلى إنصافهم" [لوقا: 18/2-7].

<sup>(1)</sup> انظر: الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية؛ كريمة دوز، ص: 136، نقلاً عن: تفسير العهد الجديد؛ وليم باركلي، ت: فايز فارس؛ ج 1، ص: 333.

<sup>(2)</sup> انظر: قضايا الفكر السياسي؛ ص: 33، 34، والنص المقصود: "أحكم وحكمي عادل لأنني لا اعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني" [يوحنا: 4/24].

ومثل هذه النصوص كانت المستند الذي اعتمدت عليه الكنائس المسيحية على اختلافها في تطبيق الأحكام والقوانين التي سنّتها لرعاية شؤون المسيحيين، ويعود المسيح بهذه العدالة الإلهية إلى مفهومها الأصلي في العهد القديم: فهي العمل المنجي والسلوك العادل<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثالث: قيمة العدل والمحبة بين الشريعة وتعاليم المسيح

كانت الشريعة القديمة تقف عند تعادل الحقوق والواجبات واحترام حقوق الآخرين؛ لأنّ كل إنسان كان يُعتبر خارج الآخر منفصلاً عنه، وكان من حقوق الإنسان بالشريعة القديمة أنّ العين بالعين والسنّ بالسنّ. "وكانت هذه شريعة العدالة الطبيعية التي تجاوزت شريعة الغاب التي لا يقف ثأرها عند حد. فإذا المسيح يقول بتجاوز شريعة العدالة الطبيعية نفسها، ويطلب أن لا يتوقف الإنسان العادل على مستوى الشرّ لمقاومته، بل يتجاوزه حتى التساهل والتعاضّي، ولهذا فالإنسان العادل بحسب تعاليم المسيح هو الذي يعطي الإنسان الشرير حقه العميق، بأنّ لا يعامل بحسب شرّه السطحي الظاهر، بل بحسب إنسانيته الكامنة وراء هذا الشر" (2).

وقال: "سمعتم أنه قيل: العين بالعين والسن بالسنّ أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير، بل من لطمك على خدك الأيمن فأعرض له الآخر ومن أراد أن يحاكمك ليأخذ قميصك فاترك له رداءك أيضاً<sup>(3)</sup>... من سألك فأعطه ومن استقرضك أقرضه ولا تعرض عنه. سمعتم أنه قيل أحبب قريبك وأبغض عدوك أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعدائكم وصلوا من أجل مضطهديكم، لتصيروا بني أبيكم الذي في السموات لأنه يطلع شمس على الأشرار

<sup>(1)</sup> العدالة الإلهية؛ فريداجير؛ ص: 19 - بتصرف -

<sup>(2)</sup> الإنسان العادل، غريغوريوس حداد، ص: 106-107 - بتصرف - (محاضرات الندوة - العدالة في المسيحية والإسلام عدد: 11-12).

<sup>(3)</sup> والقميص هو أشد الثياب ضرورة، وهو يحمل بعداً معنوياً إلى جانب قيمته المادية. فهو لا ينزع إلا عن الذي يُباع كعبد، أما الرداء فهو يستعمل إلى جانب استعماله كثوب، كغطاء في الليل، ولذلك لم تجز الشريعة اليهودية احتجازه إلا نهاراً واحداً [خروج؛ 22/25]. انظر: الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية؛ ص: 2094 - الهامش -



والأخيار، وينزل المطر على الأبرار والفقار. فان أحببتهم من يحبكم، فأبي أجر لكم؟ أو ليس العشارون يفعلون ذلك؟ وإن سلمتم على إخوانكم وحدهم، فأبي زيادة فعلتم؟ أو ليس الوثنيون يفعلون ذلك؟ فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم السماوي كامل" [متى: 5/33-40].

"سمعت أنه قيل للأولين لا تقتل فإن من يقتل يستوجب حكم القضاء وأنا أقول لكم: من غضب على أخيه يستوجب حكم القضاء ومن قال لأخيه: "يا أحمق" يستوجب حكم المجلس ومن قال له "يا جاهل" يستوجب نار جهنم. فإذا كنت تقرب قربانك إلى المذبح وذكرت هناك أن لأخيك عليك شيئاً، فذبح قربانك عند المذبح، واذهب أولاً فصالح أخاك ثم عد فرب قربانك" (1) [متى: 5/21-25].

إن ما يجب التخلي عنه في تعاليم المسيح هو الحق في الثأر، وعن ما يعتبر في حالات عدة دفاعاً مشروعاً عن النفس. "فإن كل عنف يحيل إلى نقطة بدائية، لأنه يُدرِك دوماً كثر مشروع فوحده التخلي غير المشروط عنه يمكن أن يقود إلى نتيجة إيجابية ودون ذلك يتسلسل العنف لأنه لا أحد يشعر بالمسؤولية الأولى عنه" (2)

#### المطلب الرابع: أبعاد العدل في الديانة المسيحية.

أولاً: السمو الإنساني في مفهوم المحبة العادلة: إن الحق بالمحبة في المسيحية كاف لاستيعاب كافة الحقوق، ومن ثم الواجبات، والمحبة كمال للعدالة؛ لأنها لا تقف عند النصوص والتفاصيل بل تتكيف مع حاجات القريب وحقوقه بواسطة الوحي الداخلي الخلاق (3) وحين

(1) يتبين في وصية المسيح أنه لا ستنكر تقديم الذبائح الطقسية ولا يقول بأن دعوته تنسخ الناموس، بل هو يدعو إلى إعادة إحياء الغايات من هذه الطقوس.

(2) الحق والعدالة؛ اعداد وترجمة: محمد الهلالي وعزيز لزرقي، دار توبقال للنشر، المغرب؛ ط1؛ 2014، ص: 97؛ بتصرف نقلاً عن René Girard، 221-222: p des choses cachées depuis la fondation du monde

(3) الانسان العادل؛ غريغوريوس حداد، ص: 110-111 - بتصرف.

سأل بطرس يسوع " كم مرّة يخطئ إليّ أخي فاغفر له؟ ألي سبب مرات؟ فقال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرّة سبع مرات " [متى: 18/21-22].  
 والمحبة تعطي الإنسان إمكانية التشبه بالله: ففي عظة الجيل "كونوا كاملين كما أنّ أباكم السماوي هو كامل [متى: 5/48].

فبدافع المحبة وإقامة العدل أرسل الله ابنه الوحيد ليضع عن كاهل الإنسانية وزر الخطيئة الوراثية، فالعدالة الإلهية تتعالى عن المعادلة بين ما يستحق الإنسان وما يعطي الله.  
 "هكذا أحب الله العالم، حتى إنّه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية؛ فإنّه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم [يوحنا: 3/17-18] (1).

فالعدالة عمياء لا تبصر، ترى دون تحييز، وتحكم بصرامة. وأما المحبة فإنها تتأني وترفق، ولا تطلب ما لنفسها، وتصبر على كل شيء إن شأن العدالة هو ما يختص بحقوق الآخر وقضاياه الشرعية ومساواة الأفراد أمام القانون، أما المحبة فهي تتخطى القانون إلى ما هو أسمى منه؛ لأنّ دور القانون ونظام الحكم يقتصر على الناحية السلبية، وأما نظام الكنيسة وقانونها، فهو قانون المحبة (2). لهذا فإنّ أهم خط من خطوط إكمال الشريعة جاء به المسيح هو أنّ المحبة تتخطى العدالة والمبادلة والتوازن بين الحقوق والواجبات (3)؛ لذلك فقد حاول "مارسيل دي كورت" وهو من العلماء المسيحيين المعاصرين بناء نظرية في القيم على أساس المحبة المسيحية، وعارض بها آراء علماء الاجتماع، ولاسيما "دوركايم" قال: "لقد كشفت لنا فنومولوجيا الحب عن طبيعته: أنه خضوع (الأنا) لنظام قيم متعالية وبلوغها من حيث أنه كائن

(1) ن-م-س؛ ص: 113-116- بتصرف-

(2) المسيحية والعدالة الاجتماعية؛ فريدا حداد؛ ص: 68-69-70- بتصرف-

(3) الإنسان العادل؛ غريغوريوس حداد؛ ص: 105 و113.

راهن وشخص". فالحب الصحيح في رأيه هو بجوهره تواصل بين الكائن وبين ما يجاوزه، وقد أصاب علماء اجتماع المدرسة الفرنسية عندما أبرزوا تكافؤ الحادث الاجتماعي والحادث الديني بنظره، ولكن من المهم عنده إن نَقَلب العلاقة التي أقاموها رأساً على عقب، فليست الظاهرة الاجتماعية هي التي تخلق الظاهرة الدينية، بل العكس، فلا مناص أن يكون التعالي واقعا مجسّداً وأن يستند إلى تعالٍ مطلق<sup>(1)</sup>.

ثانياً: إمكانية تحقيق نموذج "المحبة- العادلة- في الواقع الإنساني: لقد دعت كل الديانات السماوية إلى التشوّف إلى درجات الكمال في تمثّل القيم العليا. لكن الفضائل الأخلاقية التي جاءت بها المسيحية تتجاوز حد المثالية وتصطدم بالفطرة الإنسانية، فإنّ الأمر بعدم الانتصاف من الظالم والانسحاب من الصراع حتى من أجل قضية عادلة، قد أدّى إلى نتائج عكسية في كثير من مراحل التاريخ المسيحي، وأقربها تاريخياً الثورات الفكرية والفلسفية التي أدت إلى النزعات الإلحادية التي قامت في أوروبا؛ منها ثورة "نيتشه" الفيلسوف الألماني على القيم الدينية التي تمثلها المسيحية والتي كانت في نظره تتجاهل الطبيعة الإنسانية وتعارض حركة الحياة. "تاريخ الكنيسة المسيحية مشحون بالأحداث الفردية أو الجماعية التي تناقض مقتضيات العدالة والمحبة والكمال"<sup>(2)</sup>.

وفي هذا الصدد يقول هـ: سدجويك: "ومهما يكن فإننا هنا نتبع بوضوح تحريم المسيح الصريح لمقاومة العنف بالعنف، وتوصيته المتكررة بالقدوة... وتتبع الحب الذي كان يغلب حتى على الإستياء الطبيعي، وتبدو النتيجة المتطرفة لهذا التأثير، إن المسيحي لا يستطيع البتّة أن يشغل وظيفة حاكم دينوي، يقضي فيها بالموت والأغلال والسجن... لذلك كان المنحى الأخلاقي من حيث الممارسة يخالف ما نصّت عليه نصوص العهد الجديد، ونلمس ذلك

<sup>(1)</sup> انظر: العمدة في فلسفة القيم، د: عادل العواص، ص: 544/545، نقلاً عن مارسل دي كورت: فلسفة الأخلاق المعاصرة، ص: 376.

<sup>(2)</sup> الإنسان العادل؛ غريغوريوس حداد، ص، 114.

بشكل واضح من خلال التاريخ الأوروبي الدامي في القرون الوسطى<sup>(1)</sup>. لذلك فإنّ هذه القيمة التي دعت إليها المسيحية، لم تشغل في الأخلاق التطبيقية في الواقع المسيحي إلاّ مجالاً محدوداً مع بعض أباء الكنيسة أو النساك المنقطعين، كما هو معهود في جلّ الديانات، فعندما وجدت المسيحية فرصتها التاريخية اختلطت لديها الهداية بالسيطرة، وتداخلت إرادة القيصر مع إرادة الله، وأصبحت ضراوة الحرب تعكس قدر الله، وانحصر تاريخ القداسة بتاريخ أمة دون غيرها فتقلص البعد الكوني للأخلاق المسيحية، وأخذت اعتبارات المصلحة والمفسدة والسيطرة وضرورات الوجود توجه القيمة<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: العدل الإلهي في اليوم الآخر: تقوم الديانة المسيحية على أصول أهمها أنّ المسيح

يتولى الدينونة، وتعلق وصايا يسوع المسيح على سبيل الإختصار في ثلاثة أمور وهي: تقوى الله، و العدل والمحبة للقريب و عقّة النفس. وكان الوعد من الرسل بأمرين أيضاً. أنّ كل خطاياهم السالفة تغفر لهم؛ والثاني أنّ الله يدخلهم في عهده ويمنحهم الخلاص والحياة الأبدية. وقد أثبتوا لهم هذين الأمرين بواسطة المعمودية الإيمان وإصلاح السيرة، فالإيمان بالله ويسوع المسيح، والإقرار بأن يسوع هو المسيا الموعود به في الأنبياء وإقرار اليهود والأمم بأن يسوع أتى إلى العالم لأجل خلاص البشرية بواسطة تكفيره عن خطاياهم لكي ينقذهم من الدينونة والموت ويشترى لكل المؤمنين نصيباً في الحياة الأبدية<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> انظر: الاخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية؛ كريمة دوز، ص، 136، 13، نقلاً عن: المجلد في تاريخ علم الأخلاق هـ. سدجويك؛ ص. 115؛ وانظر: أخلاق الانجيل؛ دراسة سوسيولوجية؛ ألبيربايه؛ ت: سليم العوا؛ ص 115، 116.

<sup>(2)</sup> الحرب العادلة في منظومة القيم المعاصرة؛ وجيه قانصو - مجلة الإسلام والمسيحية: بحوث في نظام القيم المعاصر؛ ص: 144 وانظر حوار الحضارات؛ روجيه غارودي، ت: د: عادل العوا، منشورات عويدات، ط1 - بيروت؛ ص: 35-36، لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، هانس كينج، ص: 193 و 454.

<sup>(3)</sup> المرشد الثمين إلى الكتاب المقدس، ج1، ص: 58.

فقد أتى يسوع للدينونة، ولأنّ أحكام الله لا تفحص، فكون الله هو الدّيان في العهد الجديد معناه أنّ مبدأ الأخذ بالثأر لا يمكن أن تقوم له قائمة، ومبدأ واحدة بواحدة، ليس له مكان في معاملات الله مع الخلق، فيسوع سيأتي ليدين الناس كل واحد حسب أعماله<sup>(1)</sup>. لذلك فإنّ فكرة مجازاة العمل الحسن وتحديد العلاقة بين عمل الإنسان وتقييمه في الإتجاهين الايجابي والسلبي، قد تم التعبير عليها في شكل جلي " فإنّه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" [يوحنا: 5/29].

" فكما أن الأب له الحياة في ذاته فكذلك أعطى الابن أن تكون له الحياة في ذاته وأولاه سلطة إجراء القضاء لأنه "ابن الإنسان" لا تعجبوا من هذا ستأتي ساعة فيها يسمع صوته جميع الذين في القبور فيخرجون منها، أما الذين عملوا الصالحات فيقومون للحياة وأما الذين يعملون السيئات فيقومون للقضاء، أنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً من عندي بل أحكم على ما أسمع وحكمي عادل؛ لأنني لا أتوخي مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. لو كنت أشهد أنا لنفسي لما صحّت شهادتي" [يوحنا: 5/26-32].

وقد حذر المسيح إن عدالة الله لا تستثني: "أقول لكم: إن كل كلمة باطلة يقولها الناس يحاسبون عليها يوم الدينونة، لأنك تتركى بكلامك وبكلامك يُحكّم عليك [متى: 12/36-37].

فعدالة الله لا تتخلف يوم الدينونة؛ هذا ثابت من ثوابت العقيدة المسيحية.

### المطلب الخامس: ارتباط قيمة العدل بعقيدة الصلب والفداء:

تُعرف فريدا جبر العدالة الإلهية - في نظر المسيحي - : أنّ أفعاله تعالى كلها حسنة، وأنّ حكمته تردّه عن أن يفعل القبيح أو يُخلّ بما كان عليه واجبا... فلا يجور في حكمه ولا يأخذ

<sup>(1)</sup> انظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، مادة: حكم - دينونة، ص: 373-374.

البنين بذنوب آبائهم، ولا يكلف العباد ما لا يعلمون ولا يطيقون... حتى إذا كلف المكلف وآتى بما كلف على الوجه الذي كلف، فانه يشبهه لا محالة، فيهلك من هلك على بنيه ويحيا من حي على بينه<sup>(1)</sup>.

ويضعنا هذا التعريف أمام إشكالين:

**الأول:** هو فكرة الخطيئة الأصلية والفداء وعلاقتها بالعدل في النصوص الأصلية، وفي الفكر المسيحي على السواء.

**الثاني:** هو أثر الفداء وهو التبرير بالإيمان لا بالأعمال.

إن صلب المسيح هو الركن الثاني من أسس العقيدة المسيحية، ويعود هذا الموضوع إلى أن العدل والرحمة من صفات الله؛ فبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوه وطرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله إن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيدته وقبوله أن يظهر في شكل إنسان... ثم يصلب ليكفر عن خطيئة البشر... فالمسيح هو الوسيط الذي وقف بين محبة الله وبين عدله ورحمته وقبوله التَّكفير عن خطايا الخلق بصلبه، قَرَّب بين النَّاس وبين الرَّبِّ بعد الابتعاد<sup>(2)</sup>.

"ولمَّا كان الإنسان لا يستطيع التَّكفير عن خطاياهِ بالدَّرَجَةِ التي تفي مطالب عدالة الله التي لا حد لها، وكان الله وحده الذي يستطيع القيام بهذه المهمة... لذلك فان تكفير الله بنفسه عن خطايانا بمعنى احتمال نتائجها في نفسه... عوضا عنا... أمر لا يجوز الاختلاف

<sup>(1)</sup> العدالة الإلهية في المسيحية، فريدا جبر، الندوة اللبنانية: العدالة في المسيحية والاسلام، السنة العشرون، عدد: 11-12، مؤسسة ميشال أسمر: بيروت، لبنان، 1965. ص: 18 - 19.

<sup>(2)</sup> الانجيل والصليب؛ عبد الأحد داوود، ص: 6-7 - بتصرف -

بشأنه على الإطلاق... وكل ما في الأمر أنّ الله في عفوّه عنا يتحمّل إساءتنا في نفسه، ليس فقط بسبب العطف علينا، بل أيضا لإيفاء مطالب عدالته؛ لأنّ هذه ليست مجرد شريعة لديه... بل إنّها من الصّفات التي تتميز بها ذاته، ولذلك من الضروري إيفاء مطالبها بأي حال من الأحوال<sup>(1)</sup>.

وفيما يفسر آباء الكنيسة اللاتينية و"لوثر" هذا النص أن آدم أبا البشرية قد أورث سلالته ميراث موت، أو أن جميع خطايا البشرية كانت سالفًا ضمن عصيان آدم؛ يرى بعض آباء الكنيسة اليونانية وعدد كبير من المفسرين الكاثوليك والبروتستانت أن بولس يقصد هنا أنه من خلال الخطيئة التي أدخلها آدم إلى العالم نتجت قدرة كل إنسان على ارتكاب خطايا الشخصية التي تثمر الموت وقد أورث الموت<sup>(2)</sup>.

فحادثه الصلب والفداء تقع في القلب من قيمة العدل الإلهي. "أما الوسيط الحق الذي أبرزته وأرسلته إلى البشر في رأفتك الخفية، كي يتعلّموا أيضا، أسوة به، عين التواضع،" ذلك الوسيط بين الإله والبشر، الإنسان المسيح يسوع، ظهر بين المذنبين الفانيين والعاقل الدائم، فانيا كالbشر، عادلا كالإله، وبما أن الحياة والسلام هما جزاء العدل بالعدل المرتبط بالإله؛ كان يزيل الموت عن المذنبين المتبرئين، فأراد أن يشترك فيه معهم هو الذي أبرز للقديسين القدامى، حتى يكونوا ناجين هم أنفسهم بالاعتقاد في آلامه المقبلة، كما نجونا نحن بإيماننا بآلامه الحاصلة،

<sup>(1)</sup> الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص: 140-141، نقلا عن فلسفة الغفران في المسيحية، عوض

سمعان، ص: 116-117، وانظر العدالة الإلهية في المسيحية؛ فريدا جبر، ص: 19.

<sup>(2)</sup> انظر: الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية؛ ص: 2512-2522 - الهامش - 19.

فباعتباره إنسانا هو وسيط أمّا باعتبار الكلمة، فليس وسيطا لأنّه مساو للإله وإله لدى الإله وفي نفس الوقت إله واحد (1).

**أولا: المبدأ الأخلاقي لقيمة العدل في عقيدة الصلب والفداء:** إن القول بأنّ خطيئة أخلاقية لإنسان واحد، أصبحت متمثلة بالبشر جميعا من خلال الوراثة الجسدية هو قول لا يمكن له أن يصح بأي منطق كان. فأخلاق -المسيح- كما سبقت الإشارة إليه هي أخلاق فردية يقوم عليها التحول الذاتي، فما يفعله أولا يفعله الإنسان يعود الى قراره الخاص ومسؤوليته الخاصة، فكيف يمكن لهذا الفعل أن يصبح مسؤولية لشخص آخر أو للناس جميعا. كما أن عقاب إنسان واحد عقابا للناس جميعا هو سلوك مستحيل حتى وإن مارس الناس جميعا الفعل الخاطيء ذاته وأبدوا الرغبة نفسها وترتبت عليها ذات النتائج (2).

وفكرة الصلب والفداء هي في حقيقتها تجسيد للفكرة الفريسية التي صورت إلهها لا يرضى إلا بقربان الدّم، وهو في هذه المرة " القربان الأكبر المسيح ابن الله بحسب بولس وأتباعه لأن شرف الله وعدالته وقدسيته لا يمكن أن تتحقق بمجرد التوبة.

أ- وإذا كان من حكم الله في ولادة عيسى - عليه السلام - من غير أب أن يكون مطهّرا من خطيئة آدم وأن الله طهّر مريم منها قبل أن يستقرّ المسيح في رحمها في سهولة ويسر فلماذا لم يطهّر الله خلقه من الخطيئة، بدون انزال ابنه وإثقال الضمير الإنساني بقسوة صلب المسيح وعذابه (3).

(1) اعترافات القديس أوغسطينوس، نقله من اللاتينية ابراهيم الغربي، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط2، 2015؛ ص 219.

(2) انظر: قراءة في كتاب الأخلاق المسيحية؛ نحو علم مسيحيات إسلامي، نقلا عن: cristian ethics، 202-201p

(3) انظر: الانجيل والصليب؛ عبد الواحد داوود؛ ص: 125-126.



ب- . ان كل قضية التكفير عن البشرية من خلال موت عيسى تبدو وكأنها مفهوم غير منطقي، وهي متناقضة تماما مع فكرة الإله العادل، هل سيطلب إله عادل ويسمح بإهانة وذبح واحد من أخلص أنبيائه؟ هل سيجبر إله عادل انسانا واحدا وهو يتضرع إليه أن تدع هذا الكأس يفوتني " [ انجيل متى: 26/39]، أن يدفع ثمن خطايا وذنوب انسان آخر وقد ارتبطت صفة العدل بصفة الرحمة والحب ذلك أنّ حب الله كان وراء صلب وموت عيسى وأن الصلب هو علامة حب الله، لأن الله أحبنا فأرسل ابنه الوحيد وجعله يعاني ويموت حتى يخلص الإنسانية من خطاياها وهم يقولون أن ذلك حدث بصفته اللاهوتية وقد وصفوه بأنه أذلي أبدي - وقد تألم كما يتألم كل إنسان فإذا كان قد مات كما يموت أي انسان فهل يكفي دم إنسان واحد للتكفير.

إن عقيدة الصلب والفداء بقدر مصادمتها لصفة العدل الإلهي هي مصادمة لصفة إله الحب<sup>(1)</sup> "فأي حب هذا؟" نحن لا يمكننا إلا ان نعجب تماما من نوع الحب الذي يتطلب هذا الثمن الباهض والمرعب<sup>(2)</sup>. وفي نص للوقا: "أخذ أحد المجرمين المعلقين على الصليب يشتمه فيقول: ألسنت المسيح؟ فخلص نفسك وخلصنا، فانتهره الآخر قال: أو ما تخاف الله وأنت تعاني العقاب نفسه؟ أما نحن فعقابنا عدل، لأننا تلقى ما تستوجبه أعمالنا. أما هو فلم يعمل سوءاً ثم قال: أذكرني يا يسوع اذا ماجئت في ملكوتك فقال له: الحق أقول لك: ستكون اليوم معي في الفردوس" [ لوقا: 23/39-43].

ج- . إذا كان المسيح عليه السلام قد نزل ليصلب تكفيرا عن خطيئة البشر أفلم يكن هذا ممكنا دون المرور بهذا الصراع الدامي مع اليهود الذي يستمر إلى يومنا هذا؟ وإذا كانت

<sup>(1)</sup> انظر: نظرة عن قرب المسيحية، بربارا براون، ص: 43 الى 47.

<sup>(2)</sup> انظر: دراسة في عقائد ومصادر الاديان السماوية؛ د: طارق خليل السعدي، ص: 183-185.

خطيئة آدم قد استحققت هذا التَّكفير وهي معصية للأمر فما العمل مع ملايين الخطايا وهي أعظم من خطيئة آدم كإنكار وجود الله أو الشُّرك به.

د- أين التوازن بين الخطيئة والعقاب من صلب المسيح؟ ثم ألم يخرج آدم من الجنة إلى الكدح والتعب، ألم تبلى المرأة بأنواع الآلام (الحيض، الحمل والوضع) عقابا لها، ألم تمر بالبشرية أحداث هلك فيها كثيرون، ألم يهلك الله الجميع في طوفان نوح عليه السلام- ولم ينج إلا من آمن مع نوح وركب السفينة؟.

**ثانيا: أثر عقيدة الصلب على الايمان المسيحي:** لقد ضحَّ "بولس" الإتجاهات الكامنة في المسيحية بنشر الإعتقاد في قيامة المسيح وتبرير انتظار عودته بالتأويلات الكتابية والتَّمجيد المتزايد، فلا عجب أن نرى ملكوت الله الأساسي ودعوته الى تحقيق هذا الملكوت بإحداث التَّحول داخل الإنسان عند عيسى يفقد أهميته لدى بولس، ويحل محلّه التركيز على الخلاص الذي يعتبره الشرط الأساسي للإستفادة من العدل الإلهي عن طريق التَّعمة الإلهية وحدها بواسطة الصلب، لا الأعمال مهما كانت<sup>(1)</sup>. وكل رسائله لا تكاد تحتفظ من كل حياة عيسى " إلا بما حدث في آخرها فيعتبر أن الصلب لم يكن ظلما صارخا لشخص بريء إلا في الظاهر فحسب، وأنّه في حقيقته برهان على أنّ الله لم يكن يريد مواصلة احتمال خطيئة البشر الأولى فانقم من أعدلهم وأكثرهم برّاً، انتقاما لا معنى له، إلا اذا كان فداءً وتكفيرا عن هذه الخطيئة،<sup>(2)</sup>.

وقد تفرد إخوان الصفا " في تقديم لرواية الصلب والفداء مع افتراض التسليم بصحة الرواية المسيحية لها- فقد تفتَّنا الى المحتوى النَّفساني والرَّمزي للصليب فأبرزوا فساده من

<sup>(1)</sup> الفكر الاسلامي في الرد على النصارى عبد المجيد الشرفي، ص: 52-53، بتصرف

<sup>(2)</sup> ن- م- س، ص: 53.

هذه الزاوية باعتباره من أهم محاور الإيمان المسيحي فقد جاء فيه: " من الآراء الفاسدة والإعتقادات المؤلمة لنفوس معتقديها رأي من يرى أن بارئه وإلهه الذي قتلته اليهود وصلبت ناسوته وذهب لاهوته لما رأى ما نزل بناسوته من العذاب فتركه مخذولاً... ثم اعلم أن هذا الرأي والاعتقاد يكسب صاحبه غيظاً من القاتل وحنقاً، وعلى المقتول حزناً وغماً، ثم يبقى طول عمره متألمة نفسه معدّباً قلبه... ويموت بحسرتة وغضبه<sup>(1)</sup> .

وقد ثار الناس في أوروبا ضد عقيدتي الجبر والعقاب الأبدي، فحساسية الناس ضد فكرة الإله المنتقم، كانت في جانب منها نتيجة التعاليم المسيحية ، وهذا الإعتراض الأخلاقي ضد القيم الأخلاقية للمذاهب التقليدية المسيحية مهّد الطريق لقبول الاتجاهات التقويمية والنقدية للكتاب المقدّس، حفظاً له من الإزدراء الكامل<sup>(2)</sup> .

<sup>(1)</sup> الفكر الاسلامي في الرد على النصارى عبد المجيد الشرفي، ص: 394-395، نقلا عن رسائل اخوان الصفا؛ ج 4؛ ص: 57-58، بتصرف.

<sup>(2)</sup> انظر: موسوعة الأديان الحية، ج 1، ص: 247-248-249.

## الفصل الثالث: قيمة العدل في الإسلام وأثرها.

تمهيد

المبحث الأول: قيمة العدل في الإسلام

المبحث الثاني: أثر قيمة العدل على المسلمين وفي علاقاتهم بغيرهم .

## المبحث الأول: قيمة العدل في الإسلام

## المطلب الأول: مفهوم العدل في اللغة والاصطلاح

## أولاً: مفهوم العدل في اللغة:

**العدل:** مصدر عدل يعدل عدلاً، وهو مأخوذ من مادة: ع د ل.

والعدل لفظة تقتضي معنى المساواة، ولا يستعمل إلا باعتبار الإضافة، وهي في التعريف إذا اعتبرت بالقوة، فهيئة في الإنسان يطلب بها المساواة وإذا اعتبرت بالفعل فهو التقسيط القائم على الاستواء، وإذا وصف الله تعالى بالعدل؛ فليس يراد به الهيئة، وإنما يراد به أفعاله واقعة على غاية الانتظام<sup>1</sup>.

والعَدْلُ والعِدْلُ يتقاربان، لكن العَدْلُ يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام، وعلى ذلك

قوله تعالى ﴿أَوْعَدُّ لَكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: 95].

والعِدْلُ والعِدِيلُ: فيما يدرك بالحاسة، كالموزونات والمعدودات والمكيالات.<sup>2</sup>

العدل ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم.<sup>3</sup>

و عرفه الجرجاني بأنه: "الأمر المتوسَّط بين الإفراط والتفريط."<sup>4</sup>

وهو القصد في الأمور.

وبعض هذه المعاني اللغوية لكلمة العدل هي نفسها المعنى الاصطلاحي.

<sup>1</sup> . الذريعة إلى مكارم الشريعة: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو

زيد العجمي، دار السلام - القاهرة: 1428 هـ - 2007 م. ص: 249.

<sup>2</sup> . ألفاظ غريب القرآن للأصفهاني، ج1، ص: 551، بصائر ذوي التمييز: ج: 4، ص: 28.

<sup>3</sup> القاموس المحيط : ص: 1030، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج: 4، ص: 246، لسان العرب:

ج: 11، ص: 430.

<sup>4</sup> . التعريفات، ص: 153.

وقد يستعمل المصدر استعمال الصفات فيقال: رجل عدل، ويستوي في هذا الوصف المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، يقال: رجل عدل رجلان عدل... على معنى ذو عدل وذوو عدل، فإذا جاء مثنى أو مجموعا فعلى أنه أجري مجرى الوصف الذي ليس بمصدر، ويرادف معنى العدل في معناه المصدرى العدالة والمعدلة.<sup>1</sup>

### ثانيا: معنى العدل في الاصطلاح:

عرّف الشيخ العلامة محمد الطاهر ابن عاشور معنى "العدل" في معرض تفسيره لقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء/58]، "والعدل: مساواة بين الناس أو بين أفراد الأمة: في تعيين الأشياء لمستحقّها، وفي تمكين كلّ ذي حقّ من حقّه، بدون تأخير، فهو مساواة في استحقاق الأشياء وفي وسائل تمكينها بأيدي أربابها، فالأول هو العدل في تعيين الحقوق، والثاني هو العدل في التنفيذ".<sup>2</sup> وقال في موضع آخر من تفسيره: "العدل: إعطاء من يستحق ما يستحق، ودفع الاعتداء والظلم على المظلوم وتديير أمور الناس بما فيه صلاحهم".<sup>3</sup>

ثم يستدرك الشيخ ابن عاشور ليزيل سوء الفهم عن مفهوم العدل، إذ يعتقد كثير من الناس أن العدل هو توزيع الأشياء بين الناس سواء بدون استحقاق. وهذا غلط؛ فالعدل وسط بين طرفين، - كما سبق في التعريف - هما: الإفراط في تخويل ذي الحقّ حقّه، أي بإعطائه أكثر من حقّه، والتفريط في ذلك، أي بالإجحاف له من حقّه، وكلا الطرفين يسمّى جوراً، وكذلك الإفراط والتفريط في تنفيذ الإعطاء بتقديمه على وقته، كإعطاء المال بيد السّفية، أو تأخيره

<sup>1</sup> معجم مقاييس اللغة، ج:4، ص:246.

<sup>2</sup> .التحرير والتنوير، ج:5، ص:94.

<sup>3</sup> .التحرير والتنوير، ج:18، ص:20.

كإبقاء المال بيد الوصيِّ بعد الرُّشد، ولذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ (النساء/5).<sup>1</sup>

وقال الراغب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، فإن العدل هو المساواة في المكافأة، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه.<sup>2</sup>

### المطلب الثاني:- لفظة "العدل" في القرآن والسنة النبوية .

-أولا: لفظة "العدل" في القرآن الكريم:

وردت لفظة العدل بمشتقاتها في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعا، وبصيغ متعددة مصدرا وصفة وماضيا ومضارعا وأمرًا، واختلف معناها باختلاف السياق الذي وردت فيه.<sup>3</sup> وإذا تتبعنا الألفاظ ذات الصلة بمفهوم العدل كالقسط والميزان، وما يقابله كالظلم وما في معناه بمشتقاتها نخلص إلى حقيقة لا يمتري فيها أحد، وهي أهمية العدل كقيمة كونية، وقيمة حضارية تعم الإنسانية جمعاء، وتتوزع في شُعب الحياة كلها، قال تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: 7-8]،

وقد ذكر الراغب بعض المعاني التي ترد مصدرا كقوله ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق:

2]، أي: عدالة، قوله تعالى ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: 15]. وقوله: ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾

[المائدة: 95]، أي: ما يُعَادِلُ من الصيام والطعام، فيقال للغذاء: عَدْلٌ إذا اعتبر فيه معنى

المساواة.

1 . انظر: التحرير والتنوير: ج:5، ص:94.

2 . غريب ألفاظ القرآن: ج: 1، ص:552.

3 . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص: 448-449.

وقولهم: "لا يقبل منه صرف ولا عدل"، فالعدل قيل: هو كناية عن الفريضة، والصرف: التافلة، وهو الزيادة على ذلك فهما كالعدل والإحسان.  
وعادل بين الأمرين: إذا نظر أيهما أرجح، وعادل الأمر: ارتبك فيه، فلا يميل برأيه إلى أحد طرفيه).<sup>1</sup> وعدل إليه: عدولا رجع. وعدل في أمره عدلا من باب ضرب، وعدل عن الطريق: مال عنه وانصرف.<sup>2</sup>

والعدل: الحكم بالحق، يقال هو يقضي بالحق ويعدل.  
والعدل من الناس: المرضي قوله وحكمه. وعدل الرجل إذا استقام حكمه ولم يمل والاعتدال: توسط حال بين حالين في كم وكيف.<sup>3</sup>  
فالمشتقات من الأفعال من لفظة "عدل" تختلف معناها باختلاف حروف الجر المتعلقة بها، وباعتبار التعدي واللزوم، وباعتبار التجرد والزيادة.<sup>4</sup>

وذكر صاحب الأشباه والنظائر أن العدل جاء في القرآن على ثلاثة أوجه:  
- الأول: المثل، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: 95] أي: مثله.  
- الثاني: الفدية، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: 48] أي: فدية .  
- الثالث خلاف الجور، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90].<sup>5</sup>  
و زاد ابن الجوزي<sup>6</sup> نقلا عن بعض علماء التفسير وجهين:

- الانصاف ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ النساء/3

1 غريب ألفاظ القرآن: ج:1، ص:552-553.

2 القاموس المحيط: ج 1، ص: 103، لسان العرب: ج 11، ص: 434، المصباح المنير، ج: 2، ص: 396 (عدل).

3 لسان العرب: ج: 11، ص: 430، الوجوه والنظائر: ص: 350.

4 انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الكويت. طبع: وزارة

الأوقاف، 1404هـ/1427هـ. مادة (عدل).

5 الوجوه و النظائر ص: 351.

6 نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص: 440.



- الشرك ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ - الأنعام: 1 -

و ورد لفظ "العدل" بصيغة "يعدلون" في أربعة مواضع في القرآن، فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1]، جاء في "الدر المصون" يعدلون من العدل، وهو التسوية بين الشئيين، أي: ثم الذين كفروا يسوون بربههم غيره من المخلوقين.<sup>1</sup>

وقال ابن جرير في تفسيره: يقال: من مساواة الشيء بالشيء، عدلت هذا بهذا إذا ساوته به، عدلا، وأما في الحكم إذا أنصفت فيه فإنك تقول: عدلت فيه، أعدل عدلا.<sup>2</sup> فالمعنى اختلف باختلاف التعدي بالحرف الجر.

- وقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 48]، والعدل - بفتح العين - العوض والفداء، سُمِّيَ بالمصدر لأنَّ الفادِي يعدل المَفْدِيَّ بمثله في القيمة أو العين ويُسَوِّيهِ به، يقال عدل كذا بكذا أي سَوَّاهُ به.<sup>3</sup>

### ثانيا: العدل في السنة النبوية:

وردت لفظة "العدل" في أحاديث كثيرة، واختلف المعنى بحسب السياق الذي وردت فيه، وهي المعاني التي جاءت في التنزيل، ومن تلك المعاني:

أولا: جاءت لفظة "العدل" بمعنى التسوية كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلته ابني هذا غلامًا كان لي. فقال رسول الله ﷺ: "أكل ولدك نحلته مثل هذا؟". فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: "فارجه". وفي لفظ:

<sup>1</sup> الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، المعروف بالسمين الحلبي،

تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق. ج: 4، ص: 526.

252/11 2

<sup>3</sup>التحرير والتنوير ج: 1، ص: 48.

فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليشهده على صدقتي، فقال: "أفعلت هذا بولدك كلهم؟". قال:

لا. قال: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم". فرجع أبي فرد تلك الصدقة.<sup>1</sup>

قال الحافظ ابن حجر: واختلاف الألفاظ في هذه القصة الواحدة يرجع إلى معنى واحد

وقد تمسك بالحديث

من أوجب التسوية في عطية الأولاد، وحملوا معنى قوله: اعدلوا على التسوية في العطية.<sup>2</sup>

-وجاء "العدل" بمعنى التساوي: فعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، قال: «أيعجز أحدكم

أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «قل هو الله أحد تعدل ثلث

القرآن».<sup>3</sup>

قال السندي: قوله: (تعدل ثلث القرآن) أي: تُساويه أجراً.<sup>4</sup>

ثانياً- وجاء "العدل" بمعنى الاصلاح، ففي حديث أبي هريرة قوله ﷺ: "يعدل بين الناس

صدقة".<sup>5</sup>

ثالثاً:- وجاء "العدل" بمعنى الفدية، ففي حديثه عليه الصلاة والسلام حين ذكر المدينة

فقال: "من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله إلى يوم القيامة لا يقبل منه صرف

ولا عدل". قال أبو عبيد: الصّرف التّوبة والعدل الفدية.<sup>6</sup>

1 البخاري، كتاب الهبة، باب الهبة للولد، رقم: 2586، وباب الإشهاد في الهبة، رقم: 2587، وكتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم: 2650، وفي رواية لمسلم: "فأشهد على هذا غيري"، ثم قال: "أبشرك أن يكونوا لك في البر سواء". قال: بلى. قال: "فلا إذن"، كتاب: الهبات، باب كراهة تفصيل بعض الأولاد في الهبة: رقم: 1623.

2. فتح الباري: ج: 5، ص: 214.

3. مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة "قل هو الله أحد"، رقم: 811.

4. حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، محمد بن عبد، نور الدين السندي، دار الجيل، بيروت، بدون ت. ط. ج: 2، ص: 417.

5. البخاري، باب: فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم، رقم: 2707.

6 غريب الحديث لابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن الطبعة: الأولى، 1384 هـ - 1964. 167/3.

وقال ابن الأثير: «لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» قد تكرر هذا القول في الحديث.

والعدل: الفدية وقيل: الفريضة. والصرف: التوبة. وقيل النافلة.<sup>1</sup>

رابعا: - وجاءت لفظة العدل بمعنى المثل، ففي حديث قارئ القرآن وصاحب الصدقة

«فقال: ليست لهما بعدلٍ بعدلٍ».

قال ابن الأثير: " قد تكرر ذكر العدل والعدل بالكسر والفتح في الحديث. وهما بمعنى

المثل. وقيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه. وقيل بالعكس، ومنه

حديث ابن عباس «قالوا: ما يُعني عَنَّا الإسلام وقد عدلنا بالله» أي أشركنا به وجعلنا له مثلاً)).<sup>2</sup>

عن يزيد بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال: " لَا تَنَافَسَ بَيْنَكُمْ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ

الله القرآن فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَيَتَّبِعُ مَا فِيهِ، فَيَقُولُ رَجُلٌ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي مِثْلَ

مَا أَعْطَى لِفُلَانٍ فَأَقُومُ بِهِ مِثْلَ مَا يَقُومُ بِهِ، وَرَجُلٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُ وَيَتَصَدَّقُ بِهِ " قال

رجل: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا فَأَتَصَدَّقُ بِهِ قال رجل: أرايتك النجدة تكون في

الرجل؟ قال: "ليست لهما بعدل، إن الكلب يهر من وراء أهله".<sup>3</sup>

خامسا: وجاءت لفظة " العدل " بمعنى الوسط، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد

الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ

هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَغَكُمْ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ

فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ

<sup>1</sup>النهاية في غريب الحديث والأثر: 191/3.

<sup>2</sup>النهاية في غريب الحديث والأثر: 191/3.

<sup>3</sup>شعب الإيمان: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، تحقيق وتخريج: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م. 360/3.

ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، والوسط: العدل.<sup>1</sup>

قال العيني: قوله: (والوسط: العدل)، قيل هو مرفوع من نفس الخبر، وليس بمدرج من قول بعض الرواة كما وهمه بعضهم. قلت: فيه تأمل، وقال ابن جرير: الوسط: العدل والخيار، وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين مثل: وسط الدار، ورؤي أن الرب عز وجل إنما وصفهم بذلك لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه كالتصاري، ولا هم أهل تقصير فيه كاليهود، وقال الرّمخشري: وقيل للخيار: وسط، لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعواز والأوساط محفوظة.<sup>2</sup>

سادسا: وجاء "العدل" بمعنى الحق ففي حديث عبادة بن الصّامت قال: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَمَنْشَطِنَا وَمَكَارِهِنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْعَدْلِ أَيْنَ كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ» وفي رواية أخرى «وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُ كُنَّا».<sup>3</sup>

هذه بعض المعاني التي وردت في معنى العدل في أحاديث النبي ﷺ، وبعضها يتوافق مع استعمالات القرآن الكريم، وبذلك تكون لفظة "العدل" في الإطلاق الشرعي معنى واسعا.

العدل من أسماء الله تعالى:

<sup>1</sup> رقم: (4487) 2. البخاري: باب قوله تعالى: "بَيِّ دُرَى" (البقرة: 143)

<sup>2</sup> عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني: 95/18.

<sup>3</sup> السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، النسائي، حقيقه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي

أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي: مؤسسة الرسالة - بيروت

الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م. باب: البيعة على القول بالعدل. رقم: 7725 و7726

العدل من أسماء الله الحسنى: وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، أو "هو البريء من الظلم في أحكامه، المنزه عن الجور في أفعاله"، وهو في الأصل مصدر سمي به، فوضع موضع اسم الفاعل أي العادل، والمصدر أبلغ منه، لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً.<sup>1</sup> وسمي الله تعالى عدلاً من أجل أن أفعاله تقع على طريقة مستقيمة.<sup>2</sup>

### المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة والألفاظ المقابلة:

#### -أولاً: الألفاظ ذات الصلة:

من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم وتحمل معاني العدل لفظة "القسط" ولفظة "الميزان".

أ- القسط: فلفظة "القسط" بمشتقاتها وصيغها المختلفة وردت مصدراً وباسم الفاعل وبصيغة المضارع والأمر في أكثر من عشرين موضعاً في القرآن الكريم. ومن تلك المعاني التي وردت لفظة "القسط" النصيب بالعدل كالنصف والتصفية. قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ [يونس: 4]، و﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن: 9]، والقِسْطُ: هو أن يأخذ قسط غيره، وذلك جور، والإقساط: أن يعطي قسط غيره، وذلك إنصاف، ولذلك قيل: قَسَطَ الرَّجُلُ: إذا جار، وأَقْسَطَ: إذا عدل. قال تعالى:

<sup>1</sup>النهاية لابن الأثير: 90/3، لسان العرب: (باب اللام فصل العين، 430/11)، شرح أسماء الله الحسنى أحمد الفاسي المعروف بـ "زروق"، تحقيق: أحمد الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة. (ط) الأولى، 2009م، ص: 64.

<sup>2</sup>الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، ص: 350. وذهب فريق آخر من العلماء إلى عدم اعتبار العدل من أسماء الله الحسنى، لأنه لم يرد إطلاقه اسماً، وقد تكلم العلماء في الحديث الوارد في ذلك وضعفوا رفع العد إلى النبي ﷺ، ونقل ابن حجر عن ابن العربي، قوله: "يحتمل أن تكون الأسماء تكملة الحديث المرفوع ويحتمل أن تكون من جمع بعض الرواة، وهو الأظهر عند بعض الرواة، على أنه قد ثبت وصفه سبحانه بالعدل في أفعاله، كما في حديث عبدالله بن مسعود، في شأن الذي اعترض على قسم رسول الله ﷺ، فقال: "فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله". فتح الباري: 217/11. والحديث أخرجه البخاري: كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، رقم: 3150، ومسلم في الزكاة باب: إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام، رقم: 1062.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: 15]، وقال ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9]، والقِسْطُ: الميزان، ويعبر به عن العدالة كما يعبر عنها بالميزان، قال: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35]. فقسط وأقسط لغتان في العدل، أما الجور فلغة واحدة وهي قسط بغير ألف.<sup>1</sup>

و قال ابن عاشور في تفسير الآية: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18]. " وَالْقِسْطُ: العدل وهو مُختَصَر من القِسْطِ بضم القاف روى البخاري عن مُجاهد أَنَّهُ قَالَ: القِسْطُ: العدل بالرُّومِيَّةِ وهذه الكلمة ثابتة في اللُّغات الرُّومِيَّةِ وهي من اللّاطِينِيَّةِ، ويطلق القسط والقِسْطُ على الميزان، لأنَّه آلة للعدل، قال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35] وقال ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: 47]، وقد أقام الله القسط في تكوين العوالم على نظمها، وفي تقدير بقاء الأنواع، وإيداع أسباب المدافعة في نفوس الموجودات، وفيما شرع للبشر من الشرائع في الاعتقاد والعمل: لدفع ظلم بعضهم بعضا، وظلمهم أنفسهم، فهو القائم بالعدل سبحانه، وعدل النَّاسِ مُقْتَبَسٌ من مُحاكاة عدله".<sup>2</sup>

وقد جاء الأمر بالقسط في أكثر من مجال، كما جاء مطلقا ومقيدا، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135]، وعبر بالقسط بدلا من كلمة "العدل"؛ لأن كلمة "القسط" كلمة مُعَرَّبَةٌ أُدخلت في كلام العرب لدلالاتها في اللُّغة المَنقولة منها على العدل

<sup>1</sup> . ألفاظ غريب القرآن (قسط)، لسان العرب: 3625/5، المصباح المنير، (قسط).

<sup>2</sup> . التحرير والتنوير: ج: 3، ص: 187.

في الحكم، وأما لفظ العدل فأعمّ من ذلك، ويدلّ لذلك تعقيبه بقوله: "شهداء لله؛ فإنّ الشّهادة من علائق القضاء والحكم.<sup>1</sup>

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9]

فقد جمع في هذا الموضع بين "العدل" و"القسط"، لأنه مظنة الحيف، حينما امتنعت للجنوح إلى الصلح في أول الأمر.<sup>2</sup>

و"الْمُقْسِطِينَ" أي العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها، حتى إنّه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله، وعياله، في أدائه حقوقهم، وفي الحديث الصحيح: "المقسطون عند الله، على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولوا".<sup>3</sup>

ومن أسمائه تعالى "المقسط" ومعناه: هو الذي يتتصف للمظلوم من الظالم، وكما له في أن يضيف إلى إرضاء المظلوم إرضاء الظالم؛ وذلك غاية العدل والإنصاف ولا يقدر عليه إلاّ الله سبحانه وتعالى.<sup>4</sup>

1 المرجع السابق، ج:5، ص:225.

2 انظر تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م. ج:7، ص:373.

3 مسلم: باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحثّ على الرفق بالرعيّة، والنهي عن إدخال المشقة عليهم رقم:1827.

4 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: للغزالي، ص:142.

## ب- الميزان:

ومن الألفاظ التي تدل على معنى "العدل"، اللفظة "الميزان"، وقد وردت في القرآن الكريم في تسعة مواضع، بالإضافة إلى مشتقات كلمة "الوزن" التي جاءت بصيغة الماضي والأمر.

والوزن: معرفة قدر الشيء، يقال: وَزَنْتُهُ وَزَنًا وَزَنَةً، والمتعارف في الوزن عند العامة: ما يقدر بالقسط، ومنه قوله: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35]. وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن: 9]، إشارة إلى مراعاة المعدلة في جميع ما يتحرّاه الإنسان من الأفعال والأقوال.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: 105]، وقوله: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: 19]، فقد قيل: هو المعادن كالفضة والذهب، وقيل: بل ذلك إشارة إلى كل ما أوجده الله تعالى، وأنه خلقه باعتدال، كما قال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]

وقوله: ﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: 8] إشارة إلى العدل في محاسبة الناس، كما قال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: 47].

وذكر في مواضع "الميزان" بلفظ الواحد اعتبارا بالمحاسب، وفي مواضع بالجمع اعتبارا بالمحاسبين، ويقال: وَزَنْتُ لِفُلَانٍ، وَوَزَنْتُهُ كَذَا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزُّوهُمْ يُحْسِرُونَ﴾ [المطففين: 3]، ويقال: قام ميزانُ النهار: إذا انتصف<sup>1</sup>.

والميزان: أصله اسم آلة الوزن، والوزن تقدير تعادل الأشياء وضبط مقادير ثقلها، وهو مفعال من الوزن، وشاع إطلاق الميزان على العدل باستعارة لفظ الميزان للعدل على وجه تشبيهه المعقول بالمحسوس<sup>2</sup>.

1 المفردات في غريب القرآن، ج: 1، ص: 868.

2 التحرير و التنوير، ج: 27، ص: 237.



## ثانيا: الألفاظ المقابلة.

من الألفاظ التي تقابل لفظ العدل والقسط، الظلم والجور والبغي والعدوان...، ولا شك أن معرفة الأضداد لمدلول العدل تجعلنا نقف على حقيقته، وكما يقول علماء الأصول أنّ الأمر بالشيء نهي عن ضده. وبالأضداد تتمايز الأشياء.

ونكتفي بلفظ "الظلم" ومشتقاته التي تكررت في القرآن أكثر من ثلاثمائة مرة.<sup>1</sup>

-الظلم من باب ضرب، وأصل المادة يدل على أصليين، يقول ابن فارس: الظاء واللام

والميم أصلان صحيحان:

أحدهما: خلاف الضياء والنور.

والآخر: وضع الشيء في غير موضعه تعديا.

فالأول: الظلمة، والجمع ظلمات، والظلام: اسم الظلمة.<sup>2</sup>

والأصل الآخر: ظلمه يظلمه ظلما، والأصل فيه: وضع الشيء في غير موضعه...

وقال الراغب: والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه

المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ومن هذا يقال: ظلمتُ

السِّقَاءَ: إذا تناولته في غير وقته، ويسمى ذلك اللبن الظلِّيمَ.

والظلم يُقال في مجاوزة الحقّ الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر، وفيما

يقل من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير، وفي الذنب الصغير.<sup>3</sup>

1 المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 434-439.

2 معجم مقاييس اللغة، ج: 3، ص: 468.

3 ألفاظ غريب القرآن، ج: 1، ص: 571.

وقال في الذريعة: وقد يسمى هذا الانحراف جوراً، ولما كانت العدالة تجري مجرى النقطة من الدائرة، فإن تجاوزها من جهة الإفراط عدوان وطغيان، والانحراف عنها في بعض جوانبها جور وظلم، والظلم أعم هذه الألفاظ استعمالاً.<sup>1</sup>

### ثالثاً: العدل في الفكر الإسلامي.

تعددت تصورات مفهوم العدل في الفكر الإسلامي، بتعدد المرجعية التي يستقى العدل مفهومه، فهناك مرجعية قرآنية شاملة، وأخرى تشريعية خالصة، كما نجد مفهومها له في الفكر الأخلاقي، والكلامي، يعكس الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة<sup>2</sup>؛ ذلك أنّ على قيمة العدل مدار كل القضايا في الإسلام.

#### أ - العدل عند علماء الكلام وأئمة السلوك .

لقد توسع علماء الكلام وفلاسفة الأخلاق من المسلمين في مفهوم العدل من الناحية النظرية والاعتقادية، وانخرطوا في جدل كلامي عن "العدل الإلهي" ومشكلات الخير والشر والقضاء والقدر، والحرية والجبر.<sup>3</sup>

وكان مسلك المتكلمين في تحديد مفهوم العدل قائماً على المزج بين العقل والنقل في محاولة توفيقية، باعتبار أنّ العدل محدد بالوحي؛ لأنه لا مجال للعقل في إدراك الحسن والقبح من القيم والصفات إلا بتحديد من الشرع.<sup>4</sup> ومنهم من أفاد من التراث الفلسفي الأخلاقي اليوناني جاعلاً من مفهوم العدل قيمة مرجعية عقلية اجتماعية، فالعدل من هذا المنظور مفهوم

<sup>1</sup> الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص: 375.

<sup>2</sup> انظر: منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ص: 176-177.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص: 173.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص: 173.

مطلق، وقيمة مثالية، ومبدأ ضروري، هو قوام الوجود الطبيعي والأخلاقي، وهذا المفهوم يعتمد العقل مرجعية أساسية له.<sup>1</sup>

فبينما اعتبر المعتزلة العدل أحد الأصول الذي يبنى عليه مذهبهم، ويرون أنّ الله كامل من كل وجه، كما لا تجريديا يتفق وجلالته و وحدانيته، وأنّ الذات الإلهية منزّهة عن مدركات الحواس الإنسانية، وإنما تدرك عن طريق العقل إدراكا يقوم على نفي عن الله تعالى كل ما يدخل في نطاق المشاهد و المدرك بضرورات العقول وبدائهما.

وأنّ الله سبحانه لطف بالإنسان وأرسل إليه الرسل ونزل الكتب لهديته، وهو مسؤول أمامه، ومقتضى هذه المسؤولية، أن ينفرد الإنسان بالعقل لكي يمكن مساءلته عنه، ولو كان لله عزّوجلّ من خلال القضاء والقدر تأثير فيما يأتي الإنسان أو يذره، لما كان الإنسان فاعلا كامل الفعل، ولكان من الظلم أن يعاقب الله تعالى الإنسان على فعل الشر، ولكان من المحاباة أن يُثاب على ما يُعتبر عملا خيرا أو حسنا؛ لأنه لم ينفرد في القيام به. فمعتد نظريتهم في العدل الإلهي يقوم على تمييز الحسن من القبيح و ضروبه، و أنه تعالى لا يختار إلا الحكمة و الصواب، و لا يفعل القبيح، و تتصل بهذه المقدمة نتائج أهمها، أن أفعال العباد حادثة من قبلهم و ليست من خلقه تعالى، و منها أنه لا يكلفهم ما لا يطيقون، و أن قدرتهم متقدمة لما يفعلون، و منها أنه تعالى لا يعاقب من لا ذنب له، و لا بذنب غيره و منها أن الطفل لا يعذب، و إن كان أبواه كافرين.<sup>2</sup>

فالعدل قيمة كمال أساسية لله تعالى، لا ويمكن تصور ألوهية بدونها، ومقتضى تنزيهه

عزّ وجلّ وعدله أن يكون غير مؤثر مباشرة في أعمال الإنسان المفروضة الثواب والعقاب.<sup>3</sup>

1 انظر مفهوم العدل في الإسلام د/ مجيد خدوري، ص: 48-49، منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ص: 175.  
 2 رسائل العدل و التوحيد، القاضي عبد الجبار، دراسة و تحقيق محمد عمارة، دار الشروق ط 2، 1988 ج: 1، ص: 232-234، وانظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د/ علي سامي النشار، دار المعارف، ط: الرابعة، 1966 م، ج: 1، ص: 509.  
 3 انظر نظام القيم في القرآن والتجربة الثقافية الإسلامية في زمانين، د/ رضوان السيد، ص: 21-22.

أما الأشاعرة، فقد رأوا أن الله جل جلاله ذات مطلقة القدرة والمشئمة و العدل، فالعدل تابع للقدرة و لازم عن المشئمة المنزهة عن كل مصلحة ؛ و لذلك فليس للوجوب في حقه أي معنى، و منه فسروا كل ما يحدث في العالم و كل ما يصدر عن الانسان في ضوء القدرة الالهية اللامتناهية ،و ليس في ضوء اللزوم العقلي. فالقول بأن العقل البشري قادر على السمو الاخلاقي إلى مستوى الاستحقاق المطلق للثواب و العقاب هو مبالغة باطلة في نظر الأشاعرة<sup>1</sup> ومنه فإنّ الخير و الشر نسيبان .

ونحن أئمة السلوك بمفهوم قيمة العدل منحى يجمع بين ميزان العلم وميزان العمل، وهو يحدد الميزان القيمي للمرء تجاه نفسه وتجاه الآخر، فالإمام الغزالي قسم في كتابه إحياء علوم الدين<sup>2</sup> أمهات الفضائل إلى أربع وهي القيم الأصلية والأساسية، وكل واحدة منها تشمل على قيم جزئية، بعضها إيجابي مطلوب، والبعض الآخر سلبي مذموم، وجعل قيمة القيم العدالة، فإنّها جامعة الفضائل، ويقابلها الجور وهو جامع الرذائل كلها.<sup>3</sup>

والمسلم التقي الورع هو الذي يجاهد النفس للتحقق بهذه الفضائل، والنأي عن ما يقابلها من الرذائل، حتى يرجع إلى القيمة المطلقة الوحيدة وهو الله تعالى.<sup>4</sup>

### ب- العدل عند علماء الشريعة.

تمثل قيمة العدل محورا رئيسا في الشريعة الإسلامية التي تقوم على جلب المصالح ودرء المفاسد، وتحري الانصاف والتوازن في المبادلات، ومع هذه المحورية لقيمة العدل لم تلق -

1 انظر: نشأة الأشعرية وتطورها، د/جلال محمد موسى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط: الأولى، 1975م، ص: 233-234، دراسات فلسفية في الأخلاق و السياسة، د بيليمان عبد القادر، مؤسسة كنوز الحكمة الجزائر. ط1-1433هـ-2012م، ص: 41.

2 إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، عالم الكتب، دمشق، (د.ت) ج: 3، ص: 47-48.

3 انظر العمدة في فلسفة القيم، د/عادل العوا، ص: 550-551.

4 المرجع السابق، ص: 586

في نظر بعض الباحثين<sup>1</sup> -اهتماما من الفقهاء والأصوليين وعلماء المقاصد يتناسب مع منزلة العدل كقيمة كونية ، لذا أدرج بعض الباحثين المتأخرين<sup>2</sup> "العدل" كأحد مقاصد الشريعة الإسلامية، إضافة إلى الكليات الخمس المعروفة .

إلا أنه يجدر الإشارة إلى أنّ التشريع الإسلامي كان طورا متميزا من أطوار التشريعات الإنسانية، بما حمّله إلى الإنسان من قيمٍ عليا، من شأنها اضمفاء الطابع الأخلاقي على الحياة الإنسانية، وفي مقدمة هذه القيم ترسيخ العدالة على أساس المساواة وضمنان القضاء العادل ، وتخويل الإنسان حقوقا لم يكن له بها عهد، وكذا للمرأة ، وذلك من خلال ما قدمه التشريع الإسلامي من قواعد كلية ، تاركا لكل عصر وجيل ممارسة الاجتهاد في استنباط ما يقتضيه التطور الاجتماعي؛ من أجل إقامة ميزان العدل بين البشر.<sup>3</sup>

#### المطلب الرابع: العدل قيمة كونية ثابتة وشاملة.

قيمة العدل تتصدر كل القيم الثوابت التي يدعو إليها الإسلام؛ ولكونه المقصد الأول للشريعة الإسلامية، وهي قيمة إنسانية كونية تجاوزت حدود الزمان والمكان، فبالعدل قامت السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ [الرحمن: 7-9]، وقال أيضا: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى: 17]، و تطلع الإنسان إلى تحقيق العدل منذ آدم، ذلك أنها من الفطرة التي فطر الله سبحانه الناس عليها، كما يعتبر العدل ميزان الوجود؛ لأنّ به تستقيم الأمور وفي التعريف اللغوي للفظ العدل إشارة إلى هذا المعنى، وهو "ما قام في النفوس أنّه مستقيم".

1 انظر: منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ص: 173

2 انظر: نحو تفعيل مقاصد الشريعة الإسلامية: د/جمال الدين عطية ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان الأردن ، ودار الفكر ،دمشق ،سورية ، 1424هـ /2003م ص: 158.

3 انظر: منظومة القيم المرجعية في الاسلام ص: 176

وقد ذكر العلامة الأصفهاني في كتابه "الذريعة إلى مكارم الشريعة"، و"ألفاظ غريب القرآن" إلى أنّ العدل نوعان:

- أحدهما عدل مطلق ثابت لا يقبل النسخ والإلغاء، تدرك العقول آثاره ونفعه، وتتوافق على حسنه.

- وثانيهما يدرك بالشرع، ويمكن أن يعتريه النسخ، في حالات بحسب المصلحة المتوخاة.<sup>1</sup>

وجاء إطلاق "العدل" على "الميزان"، لأثته من أثره، ومن أظهر أفعاله المنظورة، وحسب فضيلة العدل "أنّ الجور الذي هو ضده، لا يستتب إلاّ به، فلو أنّ لصوصاً تشاطروا فيما بينهم شرطاً، فلم يراعوا العدل فيه، لم ينتظم أمرهم."<sup>2</sup>

وبالعدل والميزان أرسل الله عز وجل رسله عليهم السلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25]، فالعدل هو هدف الرسالات السماوية بعد الإيمان بالله عز وجل .

و المراد بـ"الميزان" في الآية الكريمة: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 7] "العدل"؛ لأنّ الله هو الذي وضعه وعيَّنه لإقامة نظام الخلق، فالوضع هنا مستعار للجعل، فهو كالإنزال، كما في قوله: "وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ". [الحديد: 25]، وقرن ذلك مع رفع السماء، تنويها بشأن العدل، بأن تُسبب إلى العالم العلوي، وهو عالم الحقيّ و الفضائل، وأنّه نزل إلى الأرض من السماء، وأمر الله بإقامته.<sup>3</sup>

1 غريب ألفاظ القرآن، ج: 1، ص: 552، والذريعة إلى مكارم الشريعة: 250.

2 الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص: 249.

3 انظر: تفسير التحرير والتنوير، ج: 27، ص: 237.

والمعنى المحوري لمفهوم العدل في القرآن الكريم هو تحقيق التوازن بانتظام الكائنات وحياتها، ومن هذا المعنى تفرعت عنه سائر المعاني الأخرى، ومن ثم يظهر المعنى الشمولي للعدل باعتباره نظاما للكون، قائما على التوازن والانسجام، وارتباط هذا المفهوم الشمولي للعدل بالحق بكل معانيه.<sup>1</sup>

فقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ [الرحمن: 7-9] إشارة إلى الميزان الذي يحقق التوازن داخل نظام الكون وفق إرادة الله عز وجل ضمن سنن ثابتة لا تتغير، ولا دخل للبشر فيها، إلا من حيث معرفتها واكتشافها، والاستفادة منها، وتسخيرها لمصلحة الإنسان.

وأطلق د/محمد الكتاني على هذا المعنى للعدل، بـ"العدل الوجودي" بمعناه المطلق.<sup>2</sup> ويقابله "العدل الوضعي"، وهو ما يحقق التوازن في العلاقات الاجتماعية؛ لذلك جاء الأمر به مطلقا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: 90]

وقريب من هذا المعنى ما جاء عن الإمام الشاطبي في حديثه عن المقصد الشرعي من وضع الشريعة في اخراج المكلف عن داعية هواه، "حتى يكون عبدا لله اختيارا، كما هو عبد لله اضطرارا"، ففي الإنسان جانب اضطراري وجانب اختياري، ومجال التكليف هو في الجانب الاختياري، فالاختيار يعدّ عنصرا رئيسا للقيام بأحكام الشريعة الإسلامية التي تقوم على تحقيق العدل والإنصاف في جميع شعب الحياة. - وترتيب الجزاء .

1 منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ص: 172.

2 منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ص: 173.

والإنسان مطالب بتحقيق التوافق والانسجام والتلاؤم بين الجانب الاضطراري، الذي لا خيار له فيه ، والجانب الاختياري ، الذي هو مجال التكليف ، وذلك بتمثل معاني الأحكام التي أنزلها الله تعالى على البشر ، حتى يتحقق الانسجام.

ونخلص - بعد هذا العرض - إلى ما ذهب إليه صاحب كتاب منظومة القيم المرجعية في

الاسلام<sup>1</sup> ، بعد استقراء وتتبع ، أنّ العدل يستعمل في معان ثلاثة رئيسية:

**أولها :** التسوية في المقادير والقيم وبين الأشخاص في الاعتبار ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا

تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾

[الأنعام:150]

**ثانيهما:** الانصاف للمظلوم من ظالمه، وتمكين ذوي الحقوق من حقوقهم المغتصبة،

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:7]

**ثالثهما:** تحقيق التوازن الكفيل بانتظام الكائنات وحياتها، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّت

كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام:115]

### المطلب الخامس: مجالات العدل:

العدل يرتبط بمعنى "الحق" أشد الإرتباط؛ ذلك أنّ للحق وجودين:

- وجود بمعناه المطلق، فيراد به التوازن داخل نظام الكون ، كما أراده الله تعالى حينما

خلق الكون بالحق ، وأقامه على سنن لا تتغير .

- ووجود بمعناه الوضعي ، ويراد به التوازن الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعية ، وقد ركّز

القرآن الكريم على مفهوم العدل الاجتماعي<sup>2</sup> كما في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

1 ص:171-172.

2 انظر منظومة القيم المرجعية في الاسلام ، ص:173



وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل:90].

فالعدل في الإسلام من القيم الضرورية لحياة الناس؛ لذلك ارتبطت به جميع الأحكام و التشريعات، فلا توجد شُعبة من شعب الحياة في الإسلام إلا وللعدل فيه حضور، فهو موجود في علاقة الإنسان بخالقه، وفي علاقة الناس مع بعضهم بعضا، على مستوى الأفراد داخل الأسرة، وفي السلوك الاجتماعي، وفي القضاء وفي نظام الحكم، وفي العهود والمواثيق، إلى غير ذلك من أنظمة الإسلام المختلفة، وهذا يؤكد بوضوح على قيمة العدل ومكانته في جميع مجالات الحياة.

وقد حاول الراغب الأصفهاني بيان المجالات التي يشملها العدل في كتابه الذريعة إلى مكارم الشريعة.<sup>1</sup>

" والذي يجب أن يستعمل الإنسان معه العدل خمسة أشياء:

الأول: بينه وبين رب العزة - عز وجل - بمعرفة توحيدِه وأحكامه.

والثاني: بين قوى نفسه، وذلك بأن يجعل هواه مستسلماً لعقله، فقد قيل: أعدل من أنصف عقله من هواه.

والثالث: بينه وبين أسلافه الماضين في إثثار وصاياهم والدعاء لهم.

والرابع: بينه وبين معامليه في أداء الحقوق، والإنصاف في المعاملات من البيع والشراء والكرامات وجميع المعاوضات و الإجازات.

والخامس: بث النصفة بين الناس على سبيل الحكم، وذلك إلى الولاية وخلفائهم".

ومما يلفت النظر في هذه المجالات التي يشملها العدل، أنّها تتميز بالشمول والاتساع، بخلاف المنظور المعاصر للعدل، إذ أنّ العدل يدخل في علاقة الإنسان بخالقه -جلّ جلاله.

1 ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة ص: 251

وهذا ما لا يلتفت إليه في الحضارة المعاصرة ، لأنهم ألغوا مفهوم الألوهية في منظومتهم الفكرية ، والأمر الثاني تحقيق العدل في داخل كيان الإنسان نفسه .

فالعدل باعتباره قيمة كونية، جاء الأمر به في القرآن مطلقا وعماما، من غير تقييد و لا تخصيص قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: 90]. وسأقتصر على ذكر أبرز المجالات التي يدخلها العدل:

**أولا: عدل الإنسان مع ربه عز وجل:** وهي معاملة مع خالقه بالاعتراف له بصفاته وبأداء حقوقه<sup>1</sup>. فالإنسان مأمور بالعدل مع خالقه، إذ لله عليه حقوق. وحقوق الله تعالى على العباد أن يعبدوه - كما في حديث معاذ- ومن استتكف عن عبادة الله تعالى ، أو عبد غيره ، فقد وضع الشيء في غير موضعه، وهذا ظلم ينافي العدل.

**ثانيا: عدل الإنسان مع نفسه:** إذ المسلم مأمور بالعدل في ذاته، قال تعالى:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، فتجنب النفس الهلاك عدل، وإيقاعها في الهلاك ظلم، وزاد النبي ﷺ تأكيدا لهذا المعنى، في قوله: "ولنفسك عليك حقا"<sup>2</sup>. فللنفس على المرء حقوق، يجب مراعاتها و لا يجوز التفريط فيها، لأنه من العدل و"العدل في الاسلام فريضة شرعية وليس مجرد حق من الحقوق التي يمكن أن يتنازل عليها وإلا كان ظلما للنفس مما يدخل في دائرة الإثم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: 97].<sup>3</sup> وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 135]

1 التنوير والتحرير، ج: 1، ص: 255.

2 جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصوم ،باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، رقم 1968.

3 . الإسلام وحقوق الإنسان، د/ محمد عمارة ص 66:

**ثالثا: العدل بين الأولاد:** تناول العلماء تطبيقات العدل على مستوى الأسرة في نواحي مختلفة، والشأن في ذلك أنها تعزز الاستقرار الأسري، والاطمئنان النفسي للأفراد وتجنبهم الخصومة والعداوة، وتبعد عنها التفكك، فقد وردت أحاديث نبوية تأمر الأولياء بالعدل في العطايا والهبات بين الأولاد وعدم التفضيل بعضهم على بعض والأصل في ذلك حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي. فقال رسول الله ﷺ: "أكل ولدك نحلته مثل هذا؟". فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: "فارجعه". وفي لفظ: فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليشهده على صدقتي، فقال: "أفعلت هذا بولدك كلهم؟". قال: لا. قال: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم". فرجع أبي فرد تلك الصدقة.<sup>1</sup>

**رابعا: الإصلاح بين الناس بالعدل:** ومن المجالات التي يدخلها العدل الإصلاح بين الناس، بين الزوجين، وبين الأسترين، بين الشريكين، بين المسلمين عامة، وقد وردت نصوص كثيرة من القرآن والسنة ترغب في الإصلاح، بحيث يكون العدل دون محاباة لطرف على آخر، ورتبت عليه أجرا عظيما، قال تعالى ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:9].

**خامسا: العدل في الحكم:** من أهم المجالات التي وردت النصوص الشرعية في الحث على إقامة العدل فيها، هو مجال الحكم، وذلك لما يترتب عليه من آثار على حياة الناس لأنه أحد الأسس التي ينهض عليها نظام الحكم في الإسلام.<sup>2</sup> فمن الأصناف الذين يظلمهم الله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله "الإمام العادل" أي الحاكم الذي يسوس الناس بالعدل.

<sup>1</sup> البخاري، كتاب الهبة، باب الهبة للولد، رقم: 2586، وباب الإشهاد في الهبة، رقم: 2587، وكتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم: 2650، ومسلم، كتاب الهبات، باب كراهة تفصيل بعض الأولاد في الهبة، رقم: 1623.

<sup>2</sup> نظام الحكم في الإسلام ص: 45 و46، مفهوم المساواة في الإسلام ص: 31، الذريعة إلى مكارم الشريعة ص: 251.

وفي الحديث النبوي "ما من عبد يسترعيه الله يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"<sup>1</sup>، وأكبر غش يحدث للأمة حينما يغيب العدل من حياتهم. وفي التنزيل تأكيد على ضرورة الحكم بالعدل بين الناس، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58]، والآيات التي تحث على تحري العدل في كل شيء، ومنها في الحكم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُونَ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8]. فالعدل المطلوب تحقيقه، هو الذي لا يميل مع الهوى ولا يتأثر بالحب والبغض، و لا تغير قواعده المودة والشنآن. ولم يكتف الاسلام بالأمر بالعدل بل نهى عن نقيضه وهو الظلم بكل صوره و عن البغي والاعتداء.

**سادسا: العدل في القضاء:** وذلك بمراعاة قواعد العدل بين الخصوم، وإعطاء كل ذي حق حقه، وفي أداء الشهادة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَتْ دَا قَرِيْنًا﴾ [الأنعام: 152]، "إِنَّ الْمَقْسُطُونَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمَنَابِرِ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَلَّمَا يَدِيهِ يَمِينِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا لَوْا."<sup>2</sup>

وهناك مجالات أخرى يشملها العدل، من ذلك كتابة الحقوق قال تعالى ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: 282]. وكذا إقامة العدل في الكيل والوزن، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35]. وغير ذلك من المجالات.

1. أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، رقم: 142.

2 مسلم كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، رقم: 1827.



## المبحث الثاني: قيمة العدل وأثرها على المسلمين وفي علاقاتهم بغيرهم.

## تمهيد

العدل من عوامل الاستقرار واطمئنان الأفراد على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وهو عنصر فعال للازدهار والنمو، وغيابه يثقل الحركة ويعطل التقدم، وقد نبّه العلامة ابن خلدون إلى آثار غياب العدل في المجتمع قال: "اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها و اكتسابها... وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب..."<sup>1</sup> فالعدل الشامل من شأنه أن يحقق الأمن والاستقرار في المجتمع، ويبعد عنه الفتن والصراعات، ويؤدي إلى نماء العمران واتساعه، وبه تنضبط الأمور.

ويتجلى البعد الإنساني والشمولي لقيمة العدل في الإسلام؛ في كونها جزءاً من القانون الأخلاقي في القرآن<sup>2</sup>، المتعلق بالمكلف، فكل فرد مطالب بأن يلتزمها في خاصّة نفسه و في جميع تصرفاته وسلوكاته و في علاقاته مع الآخرين، قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:44]

كما أنّها تشمل الإنسان بصرف النظر عن أي اعتبار آخر، فهي تعم القريب والبعيد وتنطبق على الغني والفقير، وعلى الحاكم والمحكوم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ

<sup>1</sup> تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر): عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد الإشبيلي. دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988، ج:1، ص:353

<sup>2</sup> انظر دستور الأخلاق في القرآن، د/ محمد عبدالله دراز، ص:53 وما بعدها

بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿ [النساء:135] و ينسحب هذا الأمر أيضا في العلاقات بين الدول، و الأمم والشعوب .

فالعدل من القيم التي دعى إليها الإسلام وجسدها النبي ﷺ في حياته وفي علاقاته، وربي صحابته عليها، حتى تحولت إلى سلوك إجتماعي يمارس على مستوى الأفراد، وفي علاقة المسلمين بغيرهم.

### المطلب الأول: أثر قيمة العدل على المسلمين:

لقد كان لقيمة العدل أثر بالغ في حياة الناس، باعتبارها من مفردات خطاب الشارع للمكلفين، بحيث أصبح تمثل هذه القيمة واجبا في حق المكلف، في كل مناحي الحياة.

وكان النبي ﷺ - هو خير من تمثل هذه القيمة في تعامله مع الناس، مع أهله، وأصحابه، ومع القريب والبعيد، والصديق والعدو، ووقائع السير النبوة ملامى بالشواهد، ومن ذلك أن الرسول ﷺ عدل صفوف صحابته يوم بدر، وكان في يده قدح يعدل به القوم، فمرّ بسواد بن غزيرة، وكان خارجا عن الصف، فطعنه رسول الله بالقدح وقال له: "استو ياسواد"، فقال: يارسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالعدل، فأقذني، فقال له رسول الله: "استقد"، فقال: يارسول الله إنك طعنتني وليس عليّ قميص، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، و قال: استقد"، فأعتنقه وقبّل بطنه، وقال: "ما حملك على هذا يا سواد؟"، قال: يارسول الله، حضرني ما ترى، ولم آمن القتل، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بخير.<sup>1</sup>

ومن آثار قيمة العدل، اعتناق بعض الناس الإسلام؛ وذلك لما رأوا في نبي الإسلام - عليه الصلاة والسلام - من الإنصاف والعدل، ومما ورد أنّ النبي ﷺ - بعد فتح مكة، حين

<sup>1</sup> السيرة النبوية: ابن هشام: 1-626، وحسنه في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: 2835، محمد ناصر الدين، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.

توجّه إلى حُنين، احتاج إلى بعض الدروع، وكان صفوان بن أمية - من تجّار السلاح في مكة، وكان آنذاك مشرّكًا، قال: "يا صفوان، هل عندك من سلاح؟"، قال: عارية أم غصبًا؟ قال: "لا، بل عارية"، فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعًا، وغزا رسول الله - ﷺ - حُنينًا، فلما هُزم المشركون، جُمعت دروع صفوان، فقُد منها أدرعًا، فقال رسول الله - ﷺ - لصفوان: "إنّا قد فقَدنا من أدرعك أدرعًا، فهل نَعزم لك؟"، قال: لا يا رسول الله؛ لأن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ. قال أبو داود: وكان أعاره قبل أن يُسلم، ثم أسلم<sup>1</sup>

و كان لقيمة العدل أثر بالغ على المستوى السلوك الاجتماعي، وهذا بفضل حرص - النبي ﷺ -، فتحوّلت قيمة العدل إلى سلوك اجتماعي، وكان سببا في إلغاء كثير مما توارثه الناس من أعراف أصبحت قواعد متعارف عليها بينهم، درجوا عليها جيلا بعد جيل .

### المطلب الثاني: أثر قيمة العدل في علاقة المسلمين بغيرهم:

إنّ العدل الذي أمر به الإسلام لا يفرق في المعاملة الإنسانية بين الناس، على اختلاف عقائدهم وأعرافهم وألوانهم وأوضاعهم الاجتماعية، لذلك أوجب إقامة العدل بينهم وحرم الجور وأكد هذا المعنى قوله ﷺ: "من ظلم معاهدا، أو انتقصه حقا، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة".<sup>2</sup>

وعمل المسلمون على تجسيد هذه القيمة الحضارية في حياتهم، في تعاملهم مع غير المسلمين من اليهود والنصارى، وتمثّل العدل في أجلى صورته، وبخاصة في الصدر الأول من

<sup>1</sup> سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، أبواب الإجارة، باب في تضمين العور، رقم: 3563 تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. و الحاكم في مستدرکه، كتاب المغازي والسرايا رقم 4369، وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب العارية باب العارية مضمونة، رقم 11477، التلخيص الحبير: 49/3.

<sup>2</sup> أبو داود: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الدّمة إذا اختلفوا بالتّجارات، رقم: 3052.



تاريخ المسلمين، مما أغرى الكثيرين منهم على إعتناق الإسلام، والدخول فيه عن رغبة وطواعية، لما لمسوا فيه من القيم الإنسانية التي تشرّب لها النفوس .

وحسبنا أن نذكر نماذج منها :

ما جاء في الصحيح عن جابر بن عبد الله بن حرام رضي الله عنهما: قال: كان بالمدينة يهودي، وكان يسلفني في تمري إلى الجداد - وكانت لجابر الأرض التي بطريق رومة - فجلست، فخلا عامًا، فجاءني اليهودي عند الجداد، ولم أجدّ منها شيئًا، فجعلت أستنظره إلى قابل فيأبى، فأخبر بذلك النبي ﷺ، فقال لأصحابه: "امشوا نستنظر لجابر من اليهودي". فجاءوني في نخلي، فجعل النبي ﷺ يكلم اليهودي، فيقول: أبا القاسم، لا أنظره. فلما رأى النبي ﷺ قام فطاف في النخل، ثم جاءه فكلمه فأبى، فقمتُ فجئتُ بقليل رطبٍ فوضعتُه بين يدي النبي ﷺ، فأكل ثم قال: "أين عريشك يا جابر؟" فأخبرته، فقال: "أفرش لي فيه". ففرشته، فدخل فرقد، ثم استيقظ، فجئته بقبضةٍ أخرى، فأكل منها ثم قام فكلم اليهودي فأبى عليه، فقام في الرطاب في النخل الثانية ثم قال: "يا جابر، جدّ واقض". فوقف في الجداد فجددت منها ما قضيته، وفضل منه، فخرجت حتى جئت النبي ﷺ فبشّرتُه، فقال: "أشهد أنني رسولُ الله".<sup>1</sup>

هذا الموقف من النبي ﷺ مع اليهودي، في طلب تأجيل سداد الدين، وليس المماطلة فيه أو التغاضي عنه، يستشفع له بنفسه، ولكن اليهودي يرفض، ومع ذلك لم يجبره أو يُكرهه على قبول استشفاعه!.

وفي واقعة أخرى جاء زيد بن سعة - قبل إسلامه وهو أحد أحبار اليهود - إلى رسول الله - ﷺ - يتقاضاه دينًا عليه، فجبذ ثوبه عن منكبه، وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له، ثم قال:

1 . البخاري: كتاب الأطعمة، باب: الرطب والتمر، رقم: 5128.

إنكم يا بني عبد المطلب، مظل، فانتهره عمر، وشدّد له في القول، والنبويّ - ﷺ - يتسم. فقال رسول الله - ﷺ -: "أنا وهو كُنّا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر، تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي". وأمر عمر يقضيه ماله، ويزيده عشرين صاعاً لما روعه، فكان سبب إسلامه .

وفي رواية: فقلت: يا عمر كل علامات النبوة، قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فقد خبرتهما؛ أشهدك أنني رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً.<sup>1</sup>

في الوقت الذي حرص النبيّ - ﷺ - على أن تكون قيمة العدل هي الأساس في التعامل مع غير المسلمين، حدّر أشدّ التحذير من ظلمهم والاعتداء عليهم، أو ابخاسهم ما هو لهم. ويؤكد ذلك ما ذكره ابن كثير في البداية وغيره: أنه كتب لنصارى نجران كتاباً فيه: ( لا يُعَيَّر أسقف - راعي الكنيسة - عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانته، ولا يُعَيَّر حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا مما كانوا عليه<sup>2</sup>).

وثبت عنه - ﷺ - أنه كان يقضي بين اليهود بالعدل، جاء في تفسير ابن جرير عن ابن عباس، أن قوله: ﴿ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: 42]، إنما نزلت في الدية في بني النضير وبني قريظة، وذلك أن الدية كانت تؤدي كاملة في قتل بني النضير، وكان

1 رواه الحاكم في المستدرک، کتاب البيوع، رقم: 2237، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .  
التلخيص الذهبي 17/2، وفي كتاب معرفة الصحابة باب: ذكر إسلام زيد بن سعة، رقم: 5647، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

2 البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، الناشر: دار الفكر.  
1407 هـ - 1986. ج : 5، ص: 55. ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى - 1405 هـ . ج: 5، ص: 391

لهم شرف، وأن قريظة كانوا يؤدون نصف الدية، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم رسول الله ﷺ على الحق في ذلك، فجعل الدية في ذاك سواء.<sup>1</sup>

هذه نماذج من المبادئ والوقائع التي كان يتعامل بها النبي - ﷺ - مع غير المسلمين، ولا يسع الإنسان المنصف، بغض النظر عن انتمائه الثقافي والعرقي والإقليمي إلا أن يعترف بسمو القيم التي جاء بها النبي الكريم، ويسلم بجلالة قدره وعظمة أخلاقه.

وما جاء عن الصحابة-رضي الله عنهم-أيضا في تحريم العدل في معاملتهم لغير المسلمين، من ذلك ما ثبت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو خليفة للمسلمين، أنه افتقد درعه يوما من الأيام فوجدها عند رجل نصراني، فاختمه إلى شريح القاضي فقال علي مدعيا: الدرع درعي، ولم أبع ولم أهب، وسأل شريح النصراني في ذلك فقال: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت القاضي إلى أمير المؤمنين علي، فقال: يا أمير المؤمنين، إن النصراني صاحب اليد على الدرع، وله بذلك حق ظاهر عليها، فهل لديك بينة على خلاف ذلك، تؤيد ما تقول؟ فقال: مالي بينة، وقضى شريح بالدرع للنصراني، وأخذ النصراني الدرع وانصرف بضع خطوات، ثم عاد فقال أما أني أشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه، فيقضي لي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين، فخرجت من بعيرك الأورق. فقال علي: أما و قد أسلمت فهي لك.<sup>2</sup>

هذه بعض الوقائع في معاملة المسلمين لغيرهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، في الصدر الأول.

<sup>1</sup> تفسير ابن جرير: 326/10 : . رواه أبو داود في كتاب الأفضية، باب: الحكم بين أهل الذمة رقم (3591).

2. أسد الغابة، ج: 3، ص: 241.

## الفصل الرابع : أوجه الاشتراك والتباين في قيمة العدل في اليهودية والمسيحية والإسلام.

المبحث الأول : أوجه الاشتراك في قيمة العدل في اليهودية والمسيحية والإسلام.

المبحث الثاني : أوجه التباين في قيمة العدل في اليهودية والمسيحية والإسلام

## المبحث الأول: أوجه الإشتراك في قيمة العدل في اليهودية والمسيحية والإسلام.

## المطلب الأول: اشتراك الأديان الثلاثة في اعتبار العدل صفة لله.

تشارك الأديان الثلاثة السماوية-اليهودية والمسيحية والإسلام - في كون الله تعالى يتصف بالعدل، وأنّ أفعاله عدل، ذلك أنّ نظام العالم المشاهد في الأشياء الطبيعية يفصح أنّ العدل صفة له<sup>1</sup>. وتشريعاته أيضا عدل؛ لأنّه "البريء من الظلم في أحكامه، المنزه عن الجور في أفعاله"<sup>2</sup>، وأمر عباده بتحقيق العدل وتحري الإنصاف فيما بينهم -مع تفاوت في مدلول وشمول العدل-، وهذا ما وردت به نصوص الكتب المقدسة. ففي التوراة "صدّيق وعادل هو" التثنية [32/ 4]، و جاء في المزمور [1/8]: "الرّب عادل، ويحب العدل"، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:25]، وفي حديث أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ أنّه قال: "يا عبادي إنّني حرمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا"<sup>3</sup>.

حاول كثير من علماء اليهود الذين كتبوا في دائرة الثقافة الإسلامية النأي باليهودية عن التجسيم و التشبيه الذي اصطبغت به الديانة بسبب كثير من النصوص التوراتية و التلمودية و يظهر تأثير المعتزلة واضحا جليا في رأي سعديا الفيومي في مسألة لعدل الإلهي و التحسين و التقبيح، حيث أكد أن الشريعة العقلية بدون الأخبار النبوي لا تعطي الحق بالثواب و العقاب<sup>4</sup>، كما أن تأثر ابن ميمون بالثقافة الإسلامية لا تخطئه عين بل إننا نجد في جل ما كتب و

1 - انظر: الخلاصة اللاهوتية، توما الأكويني، ج:1، ص:284-285

2 - شرح أسماء الله الحسنى، أحمد الفاسي، المعروف بـ "زروق"، ص64.

3 - مسلم، باب: تحريم الظلم، رقم: 2577

4 انظر: التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة (من مقدمة كتاب تفاسير الرابي سعديا جاثون لسفر التكوين)، موشي موردخاي تسوكر، ص30-31

في دلالة الحائرين خاصة متأثرا بالمتكلمين و الفقهاء المسلمين حتى في استعماله للغة الكلامية و الفقهية و في تبويبه لكتابه و هو من أهم العلماء الذين تأثروا بابن رشد و نشروا فلسفته على نطاق واسع، و قد اجترح بنية عقدية للديانة اليهودية دافعت عن فكرة التنزيه<sup>1</sup>، و يذهب موسى ابن ميمون إلى القول بأن العقل يفرق بين الحق و الباطل و الظلم و الجور، و أن الثواب و العقاب قائم أيضا على الشريعة الطبيعية و التي يقصد بها الفطرة، و أن ذلك من لوازم العدل الإلهي و على ذلك يترتب الثواب و العقاب<sup>2</sup>

و ذكر توما الاكوييني أن المسيحي يؤمن أن الله فاعل على الحقيقة و متصرف في ملكه و هو أحسن نظرا في عباده منهم بأنفسهم فهو لا يختار الحسن لحسنه في تقدير المخلوقين و إنما لما هو سابق في علمه أنه إحسان<sup>3</sup> و هو قول بالنسبية يقترب من مذهب الأشاعرة في مسألة: التحسين و التقبيح

1 انظر: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص

2 انظر: دلالة الحائرين، ج3، ص642 و 220 و الغريب أن ابن ميمون يذكر أن التشبيه و التجسيم قد تسلل للعقيدة اليهودية من القرائين الذين تأثروا بالعقيدة الإسلامية و هو قول ظاهر البطلان، انظر: التلمود الأساسي (سدر المواعيد). ايميل عباس، ص8، و الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص220

3 انظر الخلاصة اللاهوتية، ج1، ص86 و 291

### المطلب الثاني: الإشتراك في قيمة العدل من حيث الإطلاق والنسبية.

تمثل العدالة في اليهودية كما في المسيحية والإسلام قيمة عليا، فبالعدل قامت السماوات والأرض، ويؤكد النص الديني أن العدالة تتضمن أبعادا ثلاثة:

**الأول:** وهو العلاقة بالله، فالله هو المصدر والضامن.

**الثاني:** وهو علاقتها بوجودان الإنسان الفرد في حرصه على تمثيلها وتجسيدها.

**الثالث:** وهو البعد الاجتماعي، وهو مطلب ضروري من مطالب العدالة مفهوما

وممارسة<sup>1</sup>.

فحسب التوراة "إني أنا الرب مُجري الرحمة والعدل في الأرض لأني بهذه ارتضيت" [إرميا 23 / 9] ، وسفر إشعياء "لأنه حينما تكون أحكامك عادلة، يتعلم سكان المسكونة العدل" [إشعياء 9 / 25] ، وحسب العهد الجديد: "أحكم وحكمي عادل؛ لأني لا أعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني" [يوحنا 4 / 24]، وفي مرقس "وإذا قمتم للصلاة، وكان لكم شيء على أحد فاغفروا له رحمة يغفر لكم أبوكم الذي في السماوات زلاتكم" [مرقس 11 / 17].

و في الإسلام جاءت نصوص القرآن الكريم تؤكد أن كل ما يصدر عن الله تعالى عدل

مطلق، وكل ما يأمر به، قال عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل:90]

و تجمع قيمة العدل الثلاثة بين البُعدين المطلق والنسبي، تستمد الأول من مصدرها

المتسامي، والثاني من ارتباطها بالإنسان، وهو ما يفسر وجودها وتأثيرها المحدود في عالمنا

في كثير من الأحيان؛ لذلك جاء في القرآن قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا

جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، فالنص ينبه إلى ما للهوى

1 قضايا الفكر السياسي - العدالة-، د. ملحم قربان، ص 35 بتصرف.

من تأثير على العدالة بمعناها الإجرائي، وهو الحكم القضائي أو بمعناها العام، ولهذا فهو يدعو إلى الابتعاد عن الهوى في معرض البحث عن العدالة وتحقيقها<sup>1</sup> فكراً وفعلاً، والإنسان بشكل عام عاجز عن وضع ميزان غير متحيز للعدل، لذلك فلا مندوحة له من اللجوء إلى سلطة إلهية تزوده بمصادر ومبادئ أساسية يقام في ظلها معيار محدد للعدل يفرض مصدره الاحترام و الالتزام<sup>2</sup>. وهو ما توفره الأديان السماوية التي تضيف على قيمة العدل المعنى الأخلاقي .

---

1 انظر: ن.م.س، ص36-37-38.

2 مفهوم العدل في الإسلام، د.مجيد خيدوري، ت: أديب يوسف شيثق، دار التكوين للتأليف، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص16.



## المبحث الثاني: أوجه التباين بين الأديان الثلاثة في قيمة العدل.

## المطلب الأول: مدى شمولية قيمة العدل في الديانات السماوية.

إنّ العدالة الإلهية في العهد القديم تدل على معنى يشمل حياة الإسرائيليين بعضهم مع بعض إلا في حالات نادرة، وحياتهم في علاقاتها مع "يهوه"، فالعدالة بهذا المعنى ليست وظيفة يدركها الذهن مجردة من ظروفها العينية، وإنما هي واقع حياتي يتناول كل فرد من أفراد الأمة، ويتفاعل معها فيمدّها من ذاته ويستمد منها لذاته، ووفقاً للدور الذي يعود إليه في تأكيد العهد والميثاق<sup>1</sup>، وهنا يظهر بر الله المتمثل برعايته الميثاق وتحقيقه للوعد. تم تطوّر مفهوم العدالة ليوصف أنه عمل الله الذي يحقق به النجاة لذويه بعد التزامهم السلوك العادل<sup>2</sup>.

وهذا المعنى للعدالة الإلهية بالرغم من كونه - كما هو واضح - قاصر على الجماعة اليهودية، إلا أنه لم يستقر إلا في عصر الأنبياء، حيث ظهرت فيه بوضوح فكرة تلازم الشرط والجزاء، ولكن مفرداته لم تخرج عن مفاهيم الاختيار والميثاق وغيرها، وهو ما ينتفي وجوده في المسيحية، فإن المسيح أكد أن تلاميذه الحقيقيون هم من تعمّ محبتهم وعدلهم القريب والمخالف كما أن الله يعم بشمسه المطيع والعاصي.

أما في الإسلام فقد قالت الشريعة بعمومية مبدأ العدالة، ودعت إلى التمسك بها في حالات الحرب والسلام، كما دعت إلى العمل في ضوئها مع الأفراد والجماعات دون تحديد لدين أو لجنس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: 135]، وقال أيضاً: ﴿

1 العدالة الالهية في المسيحية، فريدا جبر، ص: 16-17، بتصرف.

2 ن.م.س، ص: 67.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴿٨﴾ [المائدة: 8] .

وقامت العدالة في الإسلام على مبدأ المعاملة بالمثل، فالمسلمون يعاملون غيرهم بالمثل، فإن اعتدوا عليهم ردّوا الاعتداء، كما اعتبرت الشريعة الوفاء بالوعد قوةً والنكت ضعفاً.

**المطلب الثاني: أوجه التباين بين الأديان الثلاثة في أصل الخطيئة الأولى وفكرة الاختيار.**

من المسائل الجوهرية التي تباين فيها موقف الإسلام عن الديانتين اليهودية والمسيحية، وهي من القضايا العقدية التي ترتبت عليها آثار خطيرة في كلتا الديانتين .

**1 - فكرة الخطيئة الأولى:** التي تعد أصلاً في الديانتين باءت فيهما المرأة "حواء" بالوزر الأعظم، وترتب عليها في المسيحية عقيدة الصلب والفداء، التي وقف الإسلام في إصرار لتفنيدها، كما كان علماء الإسلام الأوائل في مستوى فهم رسالة الإسلام ومقاصده، ولذلك انصبت جلّ الردود والمناقشات مع النصارى حول مسألتي التثليث والفداء؛ ذلك "أنّ فكرة الصلب توّدي إلى انفكك المسؤولية الفردية وهي أشد ما يحرص عليه الإسلام، لأنّ الناس مسؤولون عن خطاياهم: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7 - 8]، وقد وُصفت هذه الآية ب: «الفادة الجامعة»<sup>1</sup>، فلا يُخلّص الإنسان الفردي فداء عام أو تضحية كلية " لأن هذا مناف للعدالة في المنظور الإسلامي ولأن توبة آدم قد وضعت عنه إصر المعصية: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٣١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَ لَهُ رَبُّهُ وَأَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٣٢﴾﴾ [

<sup>1</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد بن عطية الأندلسي المحاربي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.ج: 5، ص: 511.

طه: 121 - 122]، وبين القرآن أن عدالة الله لا تأخذ البريء بالمجرم<sup>1</sup>، ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ط  
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: 38 - 39]، ثم إننا نجد في  
القرآن الكريم إشارة إلى أن هذا المبدأ ثابت في كل الرسالات، وإن لم يكن له وجود واضح  
فيما بين أيدينا من كتب اليهود والنصارى - كما سلف - ﴿أَمْ لَمْ يُدَبِّبْنَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾  
وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ  
سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم: 36 - 41].

## 2 - فكرة الاختيار: في الإسلام لا وجود لفكرة الاختيار، ولا دلالة للأولوية في

الرسالات، إلا بالامتثال لله وتحقيق مقاصدها.

فالإسلام " و إن كان متأخرا عن اليهودية و المسيحية من حيث الزمن ؛ فإنه في جوهره  
رجوع إلى معين مشترك بينهم ، فلا اليهود ولا النصارى قد اختارهم الله، لقد كانوا مدعويين أولا  
دون أن يترتب عن تلك الأولوية امتياز<sup>2</sup>. ، قال تعالى في حق اليهود والنصارى : ﴿ وَقَالَتِ  
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ  
يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ  
﴿١٨﴾ [المائدة: 18]، وجاء في حق المسلمين قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ

1 نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د.علي سامي النشار، ج1، ص54، وانظر: المسيحية والإسلام من الجوار إلى  
الحوار، د.السيد محمد الشاهد، دار الأمين مصر ص1-1421هـ، 2001م، ص211-211، نقلا عن المعبد  
المفتوح، التصورات الدين الإسلامي، د.جوستاف منشج، ص121، والخطبة الأولى في اليهودية والمسيحية والإسلام،  
د.أميمة الجلاهملة، ص271-272-273.

2 انظر الفكر السامي في الرد على النصارى ،د.عبد المجيد الشرفي،ص:522، نقلا عن A laroui l'ideologie arabe  
temporaire.p145

لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿[محمد: 38]. فهذه النصوص صريحة في بيان معاملة الله تعالى للجميع، دون تفریق لأي اعتبار آخر..

### المطلب الثالث: علاقة الرحمة والمحبة والاحسان بقيمة العدل في الديانات الثلاث:

بالرغم مما عرف عن الشريعة الموسوية من وقوفها عند تعادل الحقوق والواجبات، ومن صرامة في تطبيق هذه القيمة في دائرة القريب بشكل خاص، إلا أنّ ذلك لا ينفي وجود نصوص وأحكام تتحدّث عن الرحمة والصفح.

وقد ظهر في الأدب الحاخامي جدل دائم بين عدالة الله ورحمته وشفقته، إذ لا تجد فيه أي مقطع يعالج على وجه التقريب صفته كقاضٍ، حيث لا يلمح إلى وجود الشفقة<sup>1</sup>، ولأن الرحمة هي السبب الحاسم في خلق الجنس البشري في النصوص اليهودية، فإن انتصاره على العدالة يفسر لماذا استمر العالم في حضور الشر والخطيئة، على مدى أجيال بين آدم ونوح، وهو يصف الانتصار الظاهري للشر على الخير، كمظهر لرحمته<sup>2</sup>.

وذهب فيلون إلى أنّ الله صنع العالم بمحض خيريته، وأنّه لو أراد أن يدين الناس بلا رحمة لقضي عليهم بالهلاك، ولذا يجمع الله الرحمة إلى العدالة، لكي يخلص الناس، وهو لا يرحم بعد الإدانة، ولكنه يدين بعد الرحمة، فالرحمة سابقة على العدالة<sup>3</sup>.

وجعل ابن ميمون الإحسان من خصائص الألوهية، فبعد أن ساق المعنى اللغوي للكلمة الإحسان بقوله هو: المبالغة في أي شيء بولغ فيه ويستعمل في المبالغة في الأفضال وهو يعم معنيين:

1 الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان [كتب الشريعة اليهودية، التلمود]، د. سليم إلياس، ص 66-67، بتصرف.

2 ن.م.س، ص 67.

3 الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د. عبد المنعم الحنفي، ص 163، بتصرف.

أحدهما: الإنعام على من لا حق له عليه أصلاً.

والثاني: الإنعام على المستحقّ بأكثر.

وذكر أن استعماله يكثر في المعنى الأول، وهي صفة له تعالى فكل نعمة تصل منه تعالى تُسمى إحساناً، وإيجاد الوجود كله هو إحسان منه تعالى، فتقديره بناء العالم إنما هو لطف، وقال تعالى في وصف صفاته: "وكثير الإحسان"<sup>1</sup>.

ومفهوم الإحسان أو الرحمة في الديانة اليهودية كما هو واضح من خلال هذه النصوص والاقتراسات، يركز على علاقة الله بخلقه وهو نظري صرف، إذ يندر أن نجد في الأحكام التشريعية والأخلاقية نصوصاً تؤصل لهذه القيمة في علاقة الإنسان بأخيه بشكل جلي.

أما في المسيحية فإنّ النادر أن نجد في النصوص والوصايا تأصيلاً لقيمة العدل التي هي رأس الفضائل بخلاف المحبة. و أمّا في الإسلام فإنّ المتتبع لأحكام الشريعة في مجال العلاقات والمبادلات، يجد مستويين من الأحكام، لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر في الغالب؛ حكم الأصل والذي يتحقق به العدل وهو مطلوب على سبيل الحتم واللّزوم، والمستوى الثاني وهو مطلوب على سبيل الندب والاستحباب وهو الإحسان. فما يميز أحكام الإسلام عن أحكام الديانتين اللتين سبقته أنه وقع فيه التخيير بين أمرين شرع كل منهما في ملّة على سبيل القطع، وهو ما أشار إليه "العامري" بقوله: "فإن دين اليهود مؤسس على الانتصار المحض، ودين النصارى مؤسس على التذللّ المحض، وفضائل الناس لن تتم إلاّ بامتزاج أحوال الدّين والدنيا، واشتباك أسباب الآخرة بالأولى"<sup>2</sup>، ودين الإسلام هو المنتظم لها كلّها، والوافي بعامة أنواعها فقد جاء الإسلام بأحكام السياستين، الظاهرة والباطنة<sup>3</sup>.

1 دلالة الحائرين، موسى بن ميمون، ج3، ص731، بتصرف.

2 انظر: الملل والنحل، للشهرستاني، ج2، ص16.

3 الإعلام بمنابح الإسلام، أبو حسن العماري، ت: أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصاله للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ط1، 1408هـ، 1988م، ص:159.

وصار للشرعية التي جاء بها محمد ﷺ خصوصية على سائر الأنبياء، حيث بعث كل واحد منهم بحكم واحد، وبعث هو في الأمر الواحد بأحكام متنوعة، فكأنه جمع بين الشريعتين وفي ذلك توسعة وثناء.

وفي لفظة دقيقة، يفصل د. عبد الله دراز بين مقامين لبيان ما يبدو أنه في بادئ الرأي تناقض أو تعارض بين النصوص التي ترعّب في الإحسان وتدعو إليه باعتباره أعلى مراتب التخلق بصفات الله، وبين العدل الذي هو الفضيلة الكاملة؛ فيفرق بين مقامين:

- مجال الحكم وهو مجال العدل الدقيق الصارم، فالقاضي حين يفصل بين الخصمين، والوالد حين يوزع بّره بين أولاده، والمربي والمعلم وكل راع في رعيته؛ ليس له أن يحابي أو يجامل أو يؤثر أو يفضل، وكيف يتفضل بما ليس من حقه، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58]، فالمجال الذي يكون فيه العدل فريضة مكتوبة، هو المجال الذي يكون فيه الإنسان طرفاً ثالثاً وسطاً بين طرفين، ودون ذلك الجور.

- وأما المقام الثاني فهو مقام المعاملة وهو مجال العفو والإحسان والفضل، فهو المجال الذي يكون فيه صاحب الفضل طرفاً ثانٍ، يتصرّف في حق هو له. وعندها تبقى الفضيلة للفضل وحده<sup>1</sup>، وهنا يكمن الفرق بين مفهوم العدل والمحبة والإحسان في اليهودية والمسيحية والإسلام، حيث تتوضح في الإسلام الحدود بين ما هو من القانون الذي يقوم عليه نظام الكون، وما هو من الإفضال الذي تتحقّق به إنسانية الناس وتسمو.

1 نظرات في الإسلام، د. محمد عبد الله دراز، ص 78-79-80-81، بتصرف.

# الباب الرابع: قيمة المساواة في اليهودية والمسيحية والإسلام وأثرها

- الفصل الأول: قيمة المساواة في الديانة اليهودية وأثرها.
- الفصل الثاني: قيمة المساواة في الديانة المسيحية وأثرها.
- الفصل الثالث: قيمة المساواة في الإسلام وأثرها.
- الفصل الرابع: أوجه الاشتراك و التباين في قيمة المساواة في اليهودية و المسيحية و الاسلام.

## الفصل الأول: قيمة المساواة في الديانة اليهودية وأثرها

المبحث الأول : قيمة المساواة في الديانة اليهودية.

المبحث الثاني :المساواة في المجتمع اليهودي .

المبحث الثالث: المساواة بين اليهود والأغيار.



## المبحث الأول : قيمة المساواة في الديانة اليهودية.

## المطلب الأول: تعريف المساواة لغة و اصطلاحا

أولاً: المساواة في اللغة : كلمة "المساواة" مأخوذة من "سواء"، والسين والواو و الياء أصل يدل على الاستقامة واعتدال بين شيئين، وتجمع على أسواء وسواسية، ومنه "الناس سواسية كأسنان المشط"، وكلها أسماء جمع، وترد مصدرا: "يقال فلان وفلان سواء" أي: متساويان، ومكان سوي وسواء، أوسط.<sup>1</sup>

قال الفراء: هذا شيء لا يساوي كذا، وهذا لا يساويه أي: لا يعادله، وسواء: مساواة: مثله وعادله قدرا أو قيمة، ومنه قولهم هذا يساوي درهما أي: يعادل قيمته درهما.

واستوى القوم في المال: إذا لم يفضل أحد منهم على غيره وتساوا فيه، وهم فيه سواء.<sup>2</sup>

وفلان يعدل فلان، أي: يساويه، وعدلت فلانا بفلان إذا سويت بينهما.<sup>3</sup>

وتساوت الأمور واستوت، واستوى الشيطان وتساويا: تماثلا.<sup>4</sup>

## ثانيا: معنى المساواة في الإصطلاح :

في المجال الأخلاقي: هو مبدأ يقرر للناس نفس الحقوق و الواجبات، بصرف النظر عن الجنس، أو العنصر أو اللون، أو المركز الاجتماعي، و يندرج تحت هذا التعريف المساواة في الحقوق المدنية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> لسان العرب، ج: 24، ص: 410، معجم مقاييس اللغة، ج: 3، ص: 112.

<sup>2</sup> مختار الصحاح مادة "سوا" و مصباح المنير مادة "سوى".

<sup>3</sup> لسان العرب، ج: 21، ص: 432 باب: اللام فصل العين.

<sup>4</sup> ن م س، ص: 432.

<sup>5</sup> المعجم الشامل، ص: 792، و الموسوعة الميسرة، ص: 563، و انظر أيضا: المعجم الفلسفي بالالفاظ العربية و الفرنسية، و الانجليزية، و اللاتينية، د جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت لبنان، 1414هـ، 1994م، ج: 2، ص: 367-368.

و يبقى مفهوم المساواة في المجالين "الأخلاقي" و "الديني" خاضعا للتأويلات و الفهم و الأعراف المتباينة ، و الفوارق الطبيعية ، و الضرورات القاهرة ، فالمساواة في هذا المجال تتعلق بالعلاقة بين الأفعال ، و القدرات و بين الحقوق المتعلقة بها ، و هي لا تضبط إلا في هذا الإطار.

### المطلب الثاني : البعد الإنساني للمساواة في التوراة والتلمود.

يلاحظ أنّ النصّ الديني التوراتي يحمل أحيانا مضمونا ينطوي على بُعد إنساني وأخلاقي واضح، والشواهد عليه كثيرة، ومن ذلك تقديم سبعين عجلا إكراما لسبعين أمة في اليوم الثاني من عيد المظال(1).

#### أولا : المساواة في التوراة

جاء في التوراة نصوص تدل على شمول الخطاب التكليفي للشعب الإسرائيلي ولغيرهم. فلقد أمر الله موسى بإعتباره أعظم أنبياء بني إسرائيل، والذي اكتملت الشريعة في عهده، بدعوة الناس إلى التوحيد، ومن الأدلة التي يسوقها العالم اليهودي الألماني Lazarus على عالمية دعوة موسى، هو أنّ الله أمر موسى أن يكتب القانون على المذبح بسبعين لغة، فالقانون أريد له بذلك الخلود، إذ كُتِب في المكان الأكثر قداسة، وكان واضحا لكلّ البشرية، وأُعطي لإسرائيل كوسيط للبشرية.(2) "أيتها الجماعة، لكم وللغريب النازل عندكم فريضة واحدة، وحكم واحد يكون لكم وللغريب النازل عندكم " [العدد : 15/15-16].

1- الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان (كتب الشريعة اليهودية) ص: 119. وعيد المظال " هو عيد يحتفل به في الخريف بعد تكديس الحصاد في المستودعات. ويؤمر فيه اليهود ببناء " مظال " خيام بمواصفاته دقيقة ومحددة، والخيام مصممة لتذكرهم خيام الإسرائيليين القدامى الذين قضوا أربعين سنة في البرية. انظر : التلمود الأساسي - سدر المواعيد المقدسة (ويحتوي على الأعياد العبرية)، ت. إميل عباس، مكتبة السائح، طرابلس، ط.1، 2005م، ص: 160.

2- انظر : الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ريمة شريف الصياد، ص: 54-55، نقلا

فالخطاب الإلهي سَوَّى بين اليهودي والأجنبي المقيم في إسرائيل، والذي عادة ما يسمّى بالغريب؛ لأنّه تغرب عن وطنه وسكن في إسرائيل - كما أنّ الإسرائيلي والوثني المتهود موضوعان على قدم المساواة في كثير من النصوص التوراتية.<sup>(1)</sup> ويظهر هذا الاتجاه في أسفر الأنبياء ففي سفر [إرميا : 5/1] قال الله : " ... جعلتك نبيا للشعوب " ،وهي عبارة لا لبس فيها ولا تحتمل أي تأويل ،ويضيف في إشعيا " أنّه سيأخذ من الغرباء كهنة" ، وأن المساواة تشمل التكليف والجزاء " أحفظوا الحق وأجروا العدل، لأنّه قريب مجيء خلاصي ، طوبى للإنسان ... فلا يتكلم ابن الغريب الذي إقترن بالرّب قائلًا : إفرأنا أفرزني الرّب من شعبه ... وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرّب ليخدموه ... آتي بهم إلى جبل قدسي وأفرحهم في بيت صلاتي " [إشعيا : 7-1/56].

ويلاحظ " أنّ معظم القوانين الأخلاقية التي تكلمت عن الغرباء ربطت الكلام عنهم بخروج بني إسرائيل من مصر، ويبدو في ذلك معالجة جميلة من وجهة نظر نفسية ؛ إذ تذكرهم دائما بحالهم قبل الخروج " لا تضايق الغريب فإنكم عارفون نفس الغريب ؛ لأنكم كنتم غرباء في مصر "2 [خروج : 9/23] ،وفي [تثنية : 18/24]: "وأذكر أنك كنت عبدا في مصر" وقد اختلف العلماء في تأويل دلالة هذه النصوص، فبينما ذهب بعضهم إلى أنّ الغاية من تذكيرهم النهي عن ظلم وإضطهاد الغرباء، رأى آخرون أنّ هذا الإلزام لا يفهم بمعزل عن قول الله " أنا الرّب إلهكم " [لاويين : 34/19]، فالحقيقة أنّ محبة الله والخوف منه هما السبب في طلب المحبة بين البشر، والأجنبي كالغريب في ذلك.<sup>(3)</sup> لكنّه وإن كانت دلالات النص لا تخرج عن أحد المقاصد التي

1- انظر : الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان (كتب الشريعة اليهودية : التلمود)، ص: 121.

2- الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ريمة شريف الصياد، ص: 170-171 ، Lazarus ،

p. 161-189, the ethics of judaism

3- انظر : ن-م-س ، ص: 171-173، نقلا عن Ethics of judaism ، p. 218-219.

سلف ذكرها، إلا أنّها على المستوى العملي قد أخفقت كدافع نفسي وإجتماعي، إذ انقلبت إلى النقيض لدى البعض الآخر.

ويلاحظ د. محمد خليفة حسن أن كاتب أشعياء الثالث، كان أكثر كُتّاب العهد القديم وضوحاً في التعبير عن زوال الفروق بين الإسرائيليين والأجانب. وهو ما يعني إنحصار هذا الإتجاه، حتى في التوراة، في مرحلة الأنبياء، لكن الكثير من علماء اليهود من محرّري التلمود قيّدوا هذه النصوص بالأجنبي المهتدي.<sup>(1)</sup>

وهكذا فقد قام علماء التلمود بتغيير مضمون النص وأهدافه من خلال التّدخل في بنيته، وتحديد سياقاته، فالنص التوراتي والتلمودي هما الأداة الفاعلة في بيان القيم اليهودية، وقد عكست مفاهيمه وتصوّراته عبر مراحل التاريخ؛ لذلك جاء في كثير من الوصايا والتعاليم في التوراة كتحرّيم الربا، وشهادة الزور، وعتق الرقبة في اليوبيل، ما يؤكّد أنّ هذه النصوص جاءت لتنظم العلاقة بين اليهود والرّب، وبين اليهودي وقريبه، فليست شاملة للإنسانية كلها. لكن الذي سبق ذكره، واتفق عليه الدارسون، لا ينفي وجود مراحل في تاريخ الديانة اليهودية شهدت محاولات لتصحيح الإعتقاد والفهم. إذ يذكر المؤرخون لليهودية في مرحلة الأنبياء، أن أنشطة الأنبياء كانت تدور حول المثال الموسوي، وقد قاموا بالإصلاح الذي قصدوا من خلاله العودة إلى الوضع الديني القديم، المتمثل في ديانة موسى.<sup>(2)</sup>

وأدخلوا أيضاً عناصر ومبادئ دينية جديدة، لم يكن لها وجود سابق، أو واضح في ديانة بني إسرائيل، لإعطاء اليهودية بنية أخلاقية متكاملة.

1- انظر: الأسس الأخلاقية في العهد القديم، ص: 170-182 وتاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 155 وما بعدها.

2- انظر: تاريخ الديانة اليهودية، ص: 155 و158-159.

## ثانيا : المساواة في التلمود

إنّ ما سبقت الإشارة إليه، من وجود نسقين للخطاب في التوراة ينطبق على التلمود، حيث لا يمكن تصنيف جميع النصوص التلمودية ضمن سياق واحد، فالتّصوص التي نجدها في الكتابات التلمودية تمثل أكثر من إتجاه فيما يتعلق بالقيم والمضامين الأخلاقية<sup>(1)</sup>، وخاصة في قيمة المساواة. ويمكن أن نحصر جميع هذه الإتجاهات في إتجاهين :

- الإتّجاه الأول : أخلاقي إنساني يقر بالأصل الإنساني الواحد، وبمراقبة الرّب، والعمل الصالح، كمقياس للخيرية ؛ ونجد هذا الإتّجاه في مدرسة " هليل "، الذي جمع الشريعة في كلمة جامعة "ما تكرهه لنفسك لا تصنعه لغيرك"، واعتبار ما عدا هذه الكلمة تفسير لها.<sup>(2)</sup>

ومن وصاياه أيضا "كونوا من عداد تلاميذ هارون، أحبّوا السلام وإبحثوا عنه، أحبوا رفاقكم وجميع المخلوقات، وآتوا بهم إلى التّوراة".<sup>(3)</sup>

ويُنقل عن الرّبان "جملئيل": "أنّه لمّا مات عبده تلقى فيه العزاء فقال له تلاميذه: ألم تعلمنا ياسيدنا أنّه لا يجوز تلقى العزاء في العبيد؟ قال لهم: إنّ عبدي وإسمه " طافي " لم يكن كسائر العبيد، لقد كان صالحا.<sup>(4)</sup>

- الإتّجاه الثاني : الذي تدعمه النصوص التي تحمل أبعادا عنصرية، فبنو إسرائيل وحدهم شعب الله ومختاروه، وعليه فإنّه مسموح لهم بما ليس مسموحا لغيرهم.

1- التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان الأردن، ط.1، 2011م، ج:1، ص: 50 بتصرف.  
2- انظر:مدخل إلى التلمود،أدين شتاينساليز،ص:15،والتلمود البابلي،مركز دراسات الشرق الأوسط،ج:1ص:50-51.  
3- الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان (كتب الشريعة اليهودية : التلمود) د. سليم إلياس، ص: 122.  
4 - ترجمة متن التلمود، د. مصطفى عبد المعبود منصور، ص: 36.

والأساس الفكري لهذا الإتجاه يقوم على التفضيل الجوهري للشعب اليهودي على سائر الخلق، لكون الإختيار الإلهي لهذا الشعب حقيقة مطلقة مسلّم بها ؛ فاليهود أفضل من غير اليهود في طبيعتهم وتكوينهم وفي كلّ شيء ؛ لأنّهم شعب الله دون غيرهم<sup>(1)</sup>، وهذا هو الإتجاه السائد والطاغي، وقد وضع علماء التلمود قواعد وضوابط لفهم النص التوراتي، ومن ثمّ تفعيله وتنزيله في الواقع. لذلك نجد أحد كبار حاخاماتهم، يقول عند الحديث عن المجادلة التاريخية الهامة التي أدت إلى تفوّق بيت "هيليل" على "بيت شاماي" بأنّ هذا لا يتضمّن أنّ الثاني خاطئ في أساسه، بل أنّ كلاهما تعبير عن إبداعية معينة وبيان " لكلام الله الحي ".<sup>(2)</sup>

وبفعل هذه التقييدات، تم إفراغ أكثر النصوص التي تحمل بُعدا إنسانيا إيجابيا من مضمونها، من ذلك ما أصّله ابن ميمون من مقاصد الشارع في تشريع الأحكام، ممّا يكاد يتطابق مع ما قرره علماء المسلمين، بالشكل والموضوع، بقوله : " إنّ كل فريضة سواء كانت أمرا أو نهيا، يكون مقتضاها رفع تظالم، وحضّ على خلق كريم مؤدّ لحسن عشرة أو إعطاء رأي صحيح يلزم إعتقاده، إمّا بحسب الأمر في نفسه، أو بكونه ضروريا في رفع التظالم، أو إكتساب خلق كريم، فإنّ تلك الفريضة بيّنة العلة ظاهرة المنفعة ... وقد يكون ذلك الإعتقاد ضروريا، مثل الإعتقاد أنّه تعالى يشتدّ غضبه على من ظلم، كما قال : " فيشتد غضبي، وأقتلكم بالسيف " الخروج [23/22]، وكالإعتقاد بأنّه تعالى يجيب دعوة المظلوم، أو المغبون في الحين " صرخ إليّ أستجبت له لأنني رؤوف ".<sup>(3)</sup>

1- التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط، ج: 1، ص: 50-51.

2- مدخل إلى التلمود، الحاخام : أدين شتاينساليز، ص: 15.

3- دلالة الحائرين، موسى بن ميمون / عارضه بأصوله العربية والعبرية، د. حسين آتاي، مكتبة الدينية، مصر، د. ت.، ج: 3، ص: 620-621.

ثم نجد العالم ذاته يفتي أنه حينما يقتل يهودي معتنقا جديدا للديانة اليهودية؛ فإن المحكمة اليهودية لا يمكن أن تصدر حكما ضده، فالقانون لا ينظر إلا إلى قاتل القريب، لكن المهود ليس بقريب فإدانة القاتل الإسرائيلي لغير اليهودي أو الجوي،<sup>(1)</sup> على هذا الاعتبار ليس لها جدوى ". الخروج [23/22].

وهكذا فالوصايا، وإن جاءت بصيغ العموم؛ جاءت نصوص أخرى وخصتها بأحكام وشروح سوغت مخالفتها بمختلف الحجج والذرائع. من ذلك تشدد اليهود في حكمهم على السارق، لما ورد من النهي في الوصايا عن ذلك؛ حيث حكم عليه بالقتل في حالتين: أولها إذا سرق إنسانا حرًا لبيعه للإسترقاق، وقد كانت هذه الجريمة منتشرة في المجتمع اليهودي، والثانية إذا ضبط السارق وهو ينقب حائط منزل ليسرقه ليلا فقتله فلا شيء على صاحب الدار.<sup>(2)</sup> وقد جاء في التلمود أن الرابي "جريكام" قال: "إذا فقد أجنبي سندا محترزا على يهودي بدين ما، ووجده يهودي فيمتنع رده إليه، لأنّ الدين يسقط بوجود السند تحت يد اليهودي".<sup>(3)</sup>

1- الجوي: وهي كلمة عبرية تعني الشخص الذي ينتمي إلى غير بني إسرائيل، وجمعها جوييم، وهي كلمة تحقير تشي بالزراية والإحتقار، فإذا قال اليهودي في شخص أو شيء بأنه "جوي" فهو يقصد أنه همجي، بربري، يجمع القذارة والنجاسة والحقارة، وترجمة الكلمة الشائعة في العربية "الأغيار" أي: غير اليهود، وقد وردت العديد من التعابير المشينة بحق الغير في التوراة مثل كلمة (عاريل) أي: الأغلف غير المختن، وكلمة ممزير أي: ابن الزنا، وتدل على الشعب المختلط الأنساب، وشمل المسيحيين والمسلمين، انظر: حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، ط. 2، وعدنان عبد الرزاق الربيعي، النظرة اليهودية للمسيحية والإسلام، مكتبة بسام، 2010م، ص: 90.

2- انظر الإسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، عماد علي عبد السميع حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 1، 2003م، ص: 223. وانظر: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود إسرائيل شاحك، ص: 125.

3- انظر: الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، كريمة دوز، ص: 117.

وقال الرابي " صموئيل "، أحد أكبر حاخاماتهم: " إنّ سرقة الأجانب مباحة، يجوز غشّ الأجنبي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش، لكن إذا إشتريت شيئاً من أخيك اليهودي فلا تخذعه ولا تغشّه ". (1)

---

1- الكنز المرصود في قواعد التلمود، د. روهلنج ود. شارل لوران، ت. د. يوسف نصر الله، دار القلم، دمشق، 1999م، ص: 75-82.



## المبحث الثاني: المساواة في المجتمع اليهودي.

إنّ النظرة الثنائية لعلاقة الله بالشعب اليهودي، في الديانة اليهودية أنتجت أشكالاً متنوعة من التمييز، وأحياناً كثيرة قيماً أخلاقية، تتسم بإزدواجية في المعايير، يغدو فيها ما هو محرم في حق اليهودي، مباحاً بل متقرباً به، إذا تعلّق بالأغيار، ويصف د/المسيري التصور اليهودي للعالم بقوله: "ويأخذ النسق الحلولي الثنائي الصلب من الناحية البنوية شكلاً مخروطياً، فقاعدة المخروط من الناحية الجغرافية (المكان) العالم، أما قاعدته التاريخية (الزمان)، فهي الأغيار، وعلى إرتفاع منه تقف الأرض التي إختارها الله وحبها بنعمه الخاصة أرض إسرائيل، وفي مركز التاريخ وعلى إرتفاع منها تقف (أورشليم) القدس، وفي وسط الشعب وعلى إرتفاع منه يقف الأنبياء والملوك والكهنة، وفي وسط إسرائيل يوجد في داخله قدس الأقداس، وسرّة الدنيا حسب كلمات المشناه يوجد فيه تابوت العهد الذي توجد فيه الوصايا العشر وكل روح الإله. (1)

## المطلب الأول: المساواة في الطقوس التعبديّة

أولاً- الهيكل. ويشكل هيكل أورشليم نموذجاً لهذه اللامساواة التي تقوم على أساسها الديانة اليهودية، ويتبين أنها ليست متعلقة بالآخر (الأغيار) فحسب، بل إنّها ممارسة على مختلف طبقات الشعب اليهودي، والمساواة هنا لا تتعلق بالإختلافات الوظيفية والفزيولوجية، وإنّما هي تلك التي تضع إنسانية الإنسان موضع تقييم.

إنّ أماكن الجلوس مرتبة حسب درجات الشعب ومراكزهم من أمام الهيكل إلى الورا، فالهيكل المقدس مؤسسة تتخذ لنفسها شكلاً معمارياً يجسد النظام الرمزي الخاص بها.

1- موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب محمد المسيري، ج:5، ص: 33.

فالمعبد مهندس بشكل أنّ غير اليهودي يجد نفسه في الخارج مفصولاً عن العالم اليهودي بحواجز، فنجد من الأسفل إلى الأعلى ومن الخارج إلى الداخل : فناء الأغيار (الأمم)، ثم الحاجز (Soreg) ثم فناء للنساء ويحتوي على غرفة الجذامين والمعاقين، ثم فناء الإسرائيليين، ثم فناء الكهنة، ثم قدس الأقداس، حيث يدخل فقط رؤساء الكهنة، وذلك حسب فلافيوس جوزف

وقد كُتب على الحاجز باليوناني واللاتيني التنبيه التالي : (ممنوع على أي أجنبي الولوج إلى داخل الدرايزون الذي يحيط بقدس الأقداس وحرمه، وأي كان يمسك فيه يصبح تجاه نفسه السبب في موته كنتيجة مباشرة لعمله." ويشير فرانسيس شميث<sup>(1)</sup> أنّ العقوبة قد تغيرت من (3000) دراخما من الفضة إلى عقوبة الموت، وهو ما عزّز من قوة ومنعة العزلة<sup>(1)</sup>؛ وقد علّل ابن ميمون: "أن تلك الأحكام وذلك التقسيم على ذلك النحو، إنّما شرع لتعظيم البيت (الهيكل)، وإيقاع إلقاء أكثر، ولذلك عظم قدر خدامه".<sup>(2)</sup>

إنّ تنظيم المعبد بهذا الشكل يثبت على الصعيد الرمزي إقصاء الأجنبي، كما أنّه يوحي أيضاً بمجتمع تمييزي يدرج بعض مكوناته بإبعاد بعض العناصر إلى المحيط<sup>(3)</sup>؛ وكان الكهنة في البداية من أبناء لاوي<sup>(4)</sup> أحد أبناء يعقوب، وما كان من الممكن أن يكونوا من غير هذا الفرع ... وكان لهم وحدهم حق تفسير النصوص، ولم تكن القرابين مقبولة إلا إذا قدمت على

1- الفكر الديني اليهودي، أطواره مذاهبه، د. حسن ظاظا، ص: 144، وانظر : اليهودية والغيرية، ص: 23-24.  
2- دلالة الحائرين، ابن ميمون، ج: 3، ص: 702 إلى 706. وانظر : أيضا مدخل إلى التلمود، ص: 236-238، تصميم الهيكل كما وصفه الكاهن فلافيوس يوسيفوس. ويفوق فناء الإسرائيليين فناء النساء من حيث القداسة أيضا حيث يحرم على من ينقصهم الكفارة أن يدخلوا هناك والتجسس الذي يدخل هناك سهوا يقدم ذبيحة خطيئة بخلاف ساحة النساء : معجم المصطلحات التلمودية ؛ الحاخام آدين شتياينزلتس، ص: 192.  
3- اليهودية والغيرية، ص: 24، بتصرف. وانظر : مقارنة الأديان اليهودية، أحمد شلبي، ص: 202-203، ومدخل إلى التلمود، ص: 238-239.  
4- وقد أفرز هارون وأبنائه ليكونوا كهنة للرب وأصبحت هذه الخدمة وراثية بالإضافة إلى باقي الإمتيازات، والسبب أنّه لما نقض الشعب العهد مع الله وعبدوا العجل الذهبي، رجع اللاويون من تلقاء أنفسهم إلى عبادة الرب - انظر : قاموس الكتاب المقدس، ص: 546.

يد أحد الكهنة، وكانوا يُعفون من الضرائب، تقدم لهم العشور، وإمتازت ثروتهم بأن عدت مقدسة، وأنهم الوسيلة إلى الله. (1)

والمعيار الفيزيائي أيضا يشترط رفض الذي يبعد عن الشكل القانوني؛ لذلك فأَنَّ العاجز ذا العاهة لا يستطيع أن يصبح كاهنا، حتى لو كان من الرعيل السلالي الأول، يتحدث "فلافيوس جوزف" عن الذين منعوا من ممارسة الكهانة بالرغم من أنهم من عائلة كهنوتية، فهم يخرجون من طائفتهم كل شخص مصاب بجلده أو مشلوله يده أو قدماه، أعرج أو أعمى.

والتلمود البابلي يقول: "لا يسمح لابن زانية بالحضور إلى (أورشليم) لزيارة المدراس والدراسة فيه، وكذلك وفق قول سفر التثنية [23/ 2] "لا يدخل مرضوض الخصيتين ولا مقطوع العضو التناسلي، جماعة المؤمنين بيهوه، ولا يدخل ابن الزني ولا أحد من نسله في جماعة المؤمنين بيهوه، ولو في الجيل العاشر". (2)

### ثانيا: - النجاسة والطهارة

يجدير بالذكر في المقام الأول أنّ مفهوم الطهارة والنجاسة لا يمتّ إلى النظافة والصحة بصلة، فالصحة ليست باعثها ولا تعليلها، و يمكن إبراز مجالين في المفهوم العام:

- من جهة الحياة التي تبلغ أكمل تعابيرها في كل ما يتصل بالقداسة.

- ومن جهة الموت والعدم، المدركين كتنقيض للحياة والطهارة، ولا يسري مفعول قوانين

النجاسة إلا على اليهود، وغير اليهود غير قابلين للتدنيس ولا يستطيعون نقله. (3)

1- اليهودية والغيرية، ص: 25، نقلا عن قاعدة ملحقة لجمعية قمران الكتابات القمرانية موضوع النجمة منشورة في مكتبة التوراة كتابات بين عهدين.

2- تلفيق صورة الآخر في التلمود، ص: 95.

3- انظر : مدخل إلى التلمود، ص: 254-255.

وأعضاء الطائفة الكهنوتية معنيون أكثر من غيرهم بطقوس النجاسة والتطهير ، وعلى هذا المعنى قال الحكماء أنه لا يستحب دخول المقدس في كل وقت، وكما قال: "ومقدسي فتهيّبوا" [الأخبار : 30/19]. قال ابن ميمون " فلما كان هذا هو القصد، نهى تعالى الأنجاس عن دخول المقدس مع كثرة أنواع النجاسات حتى يكاد أن لا تجد شخصا طاهرا إلا قليلا، لأنه إن سلم من لمس ميتة ما يسلم من لمس أحد الحيوانات الدّيبية الكثيرة السقط في المنازل وفي الأطلعمة ... وإن سلم من هذا ما يسلم من لمس الحائض أو الذي بها أو به سيلان، أو أبرص أو فراشتهم.(1)

وأكثر الأشياء نجاسة في الأحكام اليهودية : هي الجنة ،ويأتي بعدها ضحايا البرص ،والمرأة الحائض ،والنفساء ،والجثث الحيوانية، والزواحف، والشيء النجس ليس نجسا وحسب بل أنه ينقل نجاسته إلى الأشياء التي على التماس به.(2)

### المطلب الثاني : المساواة بين فئات المجتمع اليهودي.

تبدي القوانين المتعلقة بالزواج تمييزا إجتماعيا، فقد وزّعوا الشعب اليهودي إلى عشرة شرائح نسبية: الكهنة اللاويين ، عوام الإسرائيليين ، أولاد غير شرعيين ،الكهنة المهتدين حديثا من الوثنية، المعتوقين ، أولاد موهوبين ، أولاد ذوي آباء غير معروفة وأولاد لقطاع، فإذا إستطاع المهتدون حديثا أن يتزوجوا من مهتدين حديثين، أو من أبناء غير شرعيين فإنهم لن يستطيعوا

1 - دلالة لحائرين، موسى بن ميمون، ج: 3، ص: 722-723-724، وقد ذكر أن البرص هو عقاب ينزله الله بسبب النسيمة، لذلك فإنه بعد أن يشفى، يقدم نعجة ذبيحة إثم وكبشين أحدهما محرقة والثاني ذبيحة خطيئة إضافة إلى طقوس التطهير انظر : معجم المصطلحات التلمودية، ص: 83 و97.

2- المدخل إلى التلمود أدين ستاينزلتس، ص: 254.

أن يتزوجوا من طبقة الكهنة، ويمنع عليهم أيضا اللاويون وعوام الإسرائيليين، وكذلك المامزيرم ، ليس لهم الحق إلا الزواج فيما بينهم وذلك حتى الجيل العاشر.(1)

ويقول ابن ميمون : " ... ومن أجل شرف الكهان حرّمت عليهم الزّانية والمطلقة والمبدولة ، والكاهن الأعظم الذي هو أشرف الكهان حرّمت عليه حتى الأرملة والثيب ... وإذا حرّم إختلاط الزنماء في جماعة الرّب، فناهيك عن العبيد والإماء، وأمّا تحريم مصاهرة الأمم فعلّته الخشية من الشرك.(2) ويعرف المجتمع اليهودي أوضاعا وتشريعات تتسم بالعنصرية واللامساواة ، حتى في تصنيف الأطفال غير الشرعيين، أو مجهولي النسب.

"فالما مزيرم "(3) وهي كلمة عبرية معناها " طفل اليهودي غير الشرعي " يتبوا منزلة أقل من منزلة اليهودي العادي؛ لأنّه ثمره علاقة جنسية محرمة، مثل زواج المحارم عندهم، أو إتصال إمراة يهودية متزوجة برجل آخر، وهذا الطفل يحرم عليه مستقبلا أن يتزوج بيهودية، أو أن يزوج اليهودي مولدا بمامزير، لكنّه يستطيع الزواج بمتهودّ وأبناء المامزير يضلون كذلك، فهم في منزلة المتهود وأعلى درجة من الأغيار، أمّا أبناء اليهودية غير المتزوجة ،إذا كانوا من أب يهودي بالمولد، ولا مانع شرعي من الإتصال بها فيعدون شرعيين، وإن جاءوا من خارج مؤسسة الزواج،

1- اليهودية والغيرية، ص. 25، ويعرف بقانون الأنساب العشرة. وهي الدرجات التّسبية التي تخص شعب إسرائيل وهي الكهنة، واللاويون والإسرائيليون، والحالليون (الكهنة المجردون من سلطتهم الكهنوتية) والمتهودون والعبيد المحرّرون والأبناء غير الشرعيين، والمنتنيم ومجهول النسب واللقيط : معجم المصطلحات التلمودية، ص. 202.

2- دلالة الحائرين : ابن ميمون، ج. 3، ص. 748. وانظر : المدخل إلى التلمود، آدين شتاينسالتر، ص: 238.

3- ثمره الزنا أو الزواج من الأجنبي سميت ثمرات زيجات الزنا في العصر التلمودي بـ " مامزر " وهذا الوصف كان يشكل أخطر الشتائم المعاقب عنها بتسع وثلاثين ضربة سوط، وقد كان لها وضع إنساني خاص " إن أولاد الزنا لن يبلغوا سن النضج، إن ثمره المضاجعة غير الشرعية يجب أن تباد وإن طالت أيامهم فإنهم يكونون لا شيء وشيخوختهم بدون مجد حتى النهاية، وإذا ماتوا مبكرا فليس لهم رجاء ولا تعزية " الحكمة [16،19/3]، انظر اليهودية والغيرية، ص: 92.

فطقوس الزواج وإجراءاته تبقى هامشية، أما غير معروف الأصل - شيتوكي فلا يعتبر مامزير بإعتبار أنه ولد لأم يهودية.

ويطلق على الطفل اللقيط بالعبرية: "أسوفي"، وهنا يُتوقف في تحديد مكانته على المكان الذي وجد فيه، فإذا وجد في حي يهودي فهو مامزير، وإذا وجد بالقرب من حي للأغيار فهو من الأغيار، ولا يستطيع الزواج من مامزير؛ لأنه مشكوك في إنتمائه اليهودي، كما أنّ اليهودي "القرائي" هو بالنظر إلى اليهود الحاخامين مامزير، وهناك أيضا "هالا" وهو ثمرة زواج الكاهن من مطلقة أو غيرها، وهو لا يفقد أي حق بإستثناء حقه في الإنتماء إلى سلك الكهنة. (1)

يعتبر الزنا بين المرأة اليهودية المتزوجة وبين أي رجل آخر، جريمة عقوبتها الإعدام لكلا الطرفين، ولكن مكانة المرأة من الأغيار مختلفة تماما، فمفهوم الزواج لا ينطبق على الأغيار؛ لأنه (لا يوجد زواج للكفرة)، ولذلك لا ينطبق مفهوم الزنا أيضا على الإتصال الجنسي بين رجل يهودي وإمرأة من الأغيار، بل يساوي التلمود مثل هذا الإتصال بخطيئة الإتصال مع الحيوانات، ولهذا السبب نفسه، فالأغيار يفتقرون إلى الأبوة المؤكدة، وبموجب الموسوعة التلمودية؛ إنّ من يملك معرفة جنسية بزوجة أحد الأغيار لا يتعرض لعقوبة الإعدام؛ لأنه كُتِبَ "زوجة قرينك" ولم يكتب زوجة الغريب، وهذا لا يعني أن هذه الخطيئة مسموح بها، ولكن العقوبة الرئيسية تنزل بالمرأة من الأغيار، إذ يتوجب إعدامها بحسب ابن ميمون، فإذا مارس يهودي الجنس مع امرأة من الأغيار، ولو كانت طفلة في الثالثة من عمرها أو بالغة... ولو كان اليهودي قاصرا في التاسعة من عمره ينبغي قتل المرأة، لأنه تعمد الإتصال بها، كما هو الحال مع الحيوان، ويكون اليهودي قد أوقع نفسه في مشكلة عن طريقها؛ أما اليهودي فينبغي أن يجلد، وإذا كان من الكوهين (أي عضو في قبيلة الكهنة)، فإنه يتلقى ضعف عدد الجلدات،

1- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ج: 5، ص: 254-255، بتصرف.

لأنه إرتكب جريمة مزدوجة، فعلى الكوهين ألا يجامع العاهرات، والنساء الأغيار كافة يعتبرن بغايا. (1)

كما أنّ التوراة تحرّم على المتهود من بني عمون أو مؤاب وذرياتهم الذكور للأبد أن يتزوجوا من بنات إسرائيل، ولكنهم يباحون للمتهودات وغير الصالحات للإسرائيليين". (2)

### المطلب الثالث: المرأة في المجتمع اليهودي.

لقد رأينا في رمزية تقسيم المعبد، أن المرأة والجذامي يتبوآن المكان الأبعد في هندسة المعبد. وكما أنها مُبعدة في الرمز المقدس، فالمرأة في الديانة اليهودية مميزة بقوانين وتشريعات ليس بإعتبارها كائنا مختلفا عن الرجل فزيولوجيا؛ وبالتالي التفاوت بينهما في القدرة على أداء الوظائف المختلفة، وإنما بإعتبارها كائنا أقل طهارة وأقل من الرجل، من حيث القيمة الإنسانية. فقد أشار " أريور ويل " لقد لاحظنا أن مصير الأرملة واليتيم في إسرائيل كان أسوأ منه في آشور وبابل. (3) وقد ذكر الحاخام آدين شتاينسالتر أن القانون التلمودي يقصي النساء بطرق مختلفة ويستبعدهن من الشعائر المألوفة في الحياة اليهودية، و عن كل مكانة مركزية في الحياة الثقافية

1- الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحاك، ص: 145-146، بتصرف، والنص مقتبس من الموسوعة التلمودية، باب محرّمات الإتصال الجنسي، ص: 1-2-3 إلى 10، وقد نسب المؤلف لإبن ميمون أيضا بنفس المصدر قوله : بأن كل امرأة من الأغيار تعتبر " ندة " و " شيفاه " و " غوياه " و " زوناه " (غير طاهرة ومن الأغيار ومومس)، ولكن بتحولها إلى اليهودية تسقط عنها الصفات الثلاث الأولى، ولكنها تظل تعتبر " زوناه " (مومسا) طوال حياتها، لمجرد أنها ولدت لأم من الأغيار، ن، م، س. ص: 168.

2- معجم المصطلحات التلمودية، آدين شتاينسالتر، ص: 197.

3- انظر : اليهودية والغيرية، د. ألبير تودانزول، ص: 42، نقلا عن ويل أريور تبشير يهودي، باريس، الآداب الجميلة، 1992، ص: 83.

والروحانية، فهي تُستثنى من أهم الوصايا المذكورة في التوراة ميتسفاه (Mits Vaho) التي تطالب بدراسة التوراة، ومن الحجج و من حمل حُمر (خمار) (تسيتست (Tsitsit) (1) (2)

إنّ إنسانية المرأة في التشريعات اليهودية غير كاملة، فذمتها المالية غير مستقلة، والشرع المتعلق بالندور يبيّن - بما لا يدع مجالاً للشك - عدم مساواتها بالرجل كإنسان، فهو مسؤول بشكل تام عن نذوره وأمانية، بينما المرأة يجب أن تخضعها لأبيها إذ لم تكن متزوجة، ولزوجها إذا كانت متزوجة، ورضا الرجل هو فقط ما يمكن أن يجعل نذورها فعلية، فقد جاء في التلمود : " عندما تنذر المرأة نذرا، فإن لزوجها الحق بأن يوافق على النذر أو يبطله ". (3)

واستدرك ابن ميمون بأنّ من لا أب لها، ولا زوج يديرها، فحكمها حكم الرجال في الندور. (4).

والمرأة لا تستطيع أن تلتحق بالمدارس الدينية لليهود، التي تسمى (Talmudtorah)، ويعزو محرر دائرة المعارف اليهودية ذلك إلى سببين :

- 1- انظر : مدخل إلى التلمود، آدين ستاينسالتر، ص: 181.
- 2- تبدأ الصلاة بشيء يقابل الضوء هو غسل اليدين فقط، ثم يوضع الشال الصغير على الكتفين أو الشال الكبير في الصلوات التي تتم جماعة في المعبد كالسبت والأعياد، ويشترط في اللباس أن يكون من نسيج أبيض مستطيل أو مربع وفي كل زاوية من زواياه حلقة مؤلفة من ثمانية أهداب من الخيط أربعة بيضاء وأربعة زرقاء إسمها بالعبرية " صيغت "، ولهذا الشال في طهارته أحكام خاصة، أهمها أنّه لا تلمسه النساء، ولهذا يخصص له موضع معلوم في المنزل، ويلبس وجوبا منذ سن التكليف بالعبادة، وهي ثلاث عشرة سنة إلى أن يكفن فيه عادة، ومنه أيضا: " دعاء بركة الطعام " إذ توجب النصوص التلمودية "أنّه إذا اجتمع ثلاثة معا فعليهم أن يقرأوا بركة الطعام، وقد قضت أن إجتماع " السامري " - بالرغم من أنّه يخصّ بأحكام خاصة والفريسيون لا يعدّون السامريين من الإسرائيليين مع يهوديين جازت الصلاة. أما إذا اجتمع ثلاثة أحدهم غير يهودي فإنّه لا تحلّ عليه بركة الطعام حتى وإن أكل مع اليهود، فلا يعدّون ثلاثة. ولا ينضم كلّ من النساء والعبيد والصّغار ليكوّنوا العدد. [التوراة سفر العدد 15، 41، 37]. انظر : الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، د. حسين ظاظا، ص: 144، و152، 153. وترجمة متن التلمود المشنا (زراعيم) د. مصطفى عبد المعبود، ص: 53-54.
- 3- انظر : اليهودية والغيرية، ص: 76-77.
- 4- دلالة الحائرين، بن ميمون، ج: 3، ص: 733.



أ- لأن تعليم المرأة لم يكن إجباريا في الدين.

ب - لأن المرأة تعتبر خفيفة العقل، فمن يعلم إبنته التوراة فكأنه يعلمها السخافة.

وقد قال " الربابي يعازر لوثني مثقف: "ليس من الحكمة في شيء أن تكون النساء خارج المغزل"، إلا أنّ موسى بن ميمون إستدرك فأفتى بأنّ المراد من هذا القول، هو التلمود دون التوراة، وأجاز تعليم المرأة القانون المكتوب دون الشفهي،(1) .

وإلى جانب التهميش الاجتماعي يسود الاعتقاد بالنجاسة المعنوية للمرأة في الديانة اليهودية، إضافة إلى التنجس البيولوجي، وذلك منذ ولادتها، فالمرأة تعتبر غير طاهرة خلال سبعة أيام إذا كان المولود لها ذكرا، وضعف ذلك إذا كان المولود أنثى، كما أنّ فترة الحيض تجعل منها سببا للنفور، " عندما يحصل للمرأة سيلان دم في جسدها تبقى سبعة أيام في نجسها، ومن يلمسها يصبح نجسا حتى المساء، وكل ما تنام عليه يصبح غير طاهر ... "[الأخبار : 15،19].(2)

والسبب في ذلك أنّ التوراة وشراحها حملوا المرأة، وليس الرجل الخطيئة الأولى، وسقوط آدم، وهو موقف صريح في إنحيازه ضد المرأة. ومنذ القدم وحتى يومنا هذا إرتبط إسم المرأة بإبليس بصفتها الجنس الهش القابل للإغواء، والصلاة اليومية التي يؤديها اليهود تؤكد هذا الوضع المهين للمرأة "مبارك أنت يارب لم تجعلني لا وثنيا ولا امرأة ولا جاهلا"، بينما تكتفي المرأة بقولها: "مبارك أنت يارب الذي خلقتني بحسب مشيئتك".

1- مدخل إلى التلمود، آدين شتاينساليز، ص:181.

2- الفكر اليهودي، لحسن طاز، ص:19. ويحرم على المرأة دخول الهيكل (40) أربعين يوما إذا ولدت ذكرا أما إذا ولدت أنثى فيحرم عليها دخوله ثمانين يوما كما تعفى النساء والعبيد من بعض الصلوات والواجبات الدينية التي يكلف بها الرجال، انظر: معجم المصطلحات التلمودية، ص: 102. وترجمة متن التلمود، ص: 275-276.

فالرجل يتوجه للإله بالشكر لا لكونه ممتنا لخلقه سوبيا، أو لهدايته إياه، ولا لإنعامه، بل لكونه لم يخلقه أنثى، مسويا في ذلك بين الجهل والأنوثة، بينما تستسلم المرأة مكرهة لكون الربّ خلقها. (1) وهو ما يفسر ثورة كثير من النساء اليهوديات في العصر الحديث على طقوس وشعائر العبادات؛ لأنّها تخلو من فكرة المساواة في إنسانيتها مع الرجل.

### أولا: - وضع المرأة اليهودية في مؤسسة الأسرة

يظهر ضعف وضع النساء في الديانة اليهودية، وما ينتج عنها من تطبيقات، في أكثر من موضع، فبالرغم مما تميزت به الديانة اليهودية من حرص على الطقوس والقوانين، إلا أننا نلاحظ عدم إهتمام المشرّعين بإحاطة مؤسسة الأسرة، بما يكفي من التشريعات والضمانات؛ والحلقة الأضعف في هذا الموضوع هو المرأة. فبحسب "جوزف فلافيوس" أنّ بعضهم كانوا يضعون نساءهم موضع تجربة لمدة ثلاثة سنين، ولا يتزوجوا بهنّ إلا عندما يتبين أنّها خصبة،". (2) كما أنّ وثيقة الزواج تأتي "مجردة من صفات التقديس والمقصود بها جوهريا هو الإتفاق بين شخصين راغبين أن يعيشا معا، وأن يؤسسوا عائلة... فلا ضرورة أبدا من إثبات أنّه صادر من الكاهن، وفي نهاية القرون الوسطى فقط تثبتت العادة بدعوة أحد الأحرار، لكي يقود إحتفال الزواج، وذلك بدافع الرغبة في تقليد الزواج المسيحي إلى حد ما، ولكن دون أن يتضمن أي معنى ديني... بالرغم من أن الزواج يعترف به بمجرد تقديم هبة نقدية رمزية، وكفالة مدونة أو علاقة جنسية، فقد علّقت أهمية كبيرة على الزواج الذي يسمى في التلمود (كيتوبة). (3)

1 - انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص: 267، والنص نقلا عن علي الشوك، أساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، ص: 73 و80.

2- اليهودية والغيرية، ص: 24-26.

3- مدخل إلى التلمود، ص: 172-173، بتصرف. و"كتوبا" هو بمثابة إتفاقية يلزم الزوج بمنحها لزوجته عند الزواج، ويشمل تفاصيل إلتزاماته نحو تحديد مبلغ مالي (للأرملة نصف ما للعدراء، على أن يعطيه لها عند الطلاق أو يورث لها بعد موته)، معجم مصطلحات التلمود، ص: 116.

## ثانيا- المطلقة في المجتمع اليهودي.

وفيما يخص الطلاق فإن القانون الديني القطعي (هالاخاه) يسمح به بسهولة كبيرة، ولا يستوجب تطليق الزوج لزوجته أي تعليل، ويكون بمجرد تسليم الزوج وثيقة الطلاق، (غيث Gwet)، وهو عبارة عن رسالة بسيطة تحتوي بعد ذكر التاريخ والمكان على بيان أن السيد فلان يطلق زوجته التي يمكنها بعد الآن أن تتزوج ثانية، وهو إلى يومنا هذا يدون باللغة الآرامية إحتراما للتقليد".<sup>(1)</sup> ويشير سفر تثنية الإشتراع: "عندما يتخذ الرجل امرأة ويتزوجها ويمكن أن يحصل ألا تنال الإستحسان في عينيه، لأنه رأى فيها شيئا مزعجا يكتب لها كتاب الطلاق ويضعه في يدها ويرسلها إلى بيتها" [إشتراع 24/1]، ومدرسة هليل السائدة تعتقد أن وجبة طعام مطهورة بشكل سيئ يمكن أن تشكّل أمرا مزعجا، أما بالنسبة للفريسيين فإن الطلاق يمكن أن يحصل لأي سبب كان، ثم إنّها (المرأة المطلقة) تغدو إعتبارا من الوقت الذي تطلق فيها محرمة على طبقة الكهنة [الأخبار : 7/21].<sup>(2)</sup> وفي التلمود : " أن امرأة إذا أساءت إدارة البيت أو وجد الرجل امرأة أجمل منها، فله الحق في أن يطلقها ".

1- مدخل إلى التلمود، ص: 177، وانظر : التلمود، تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، ص: 57-58.

2- اليهودية والغيرية، ص: 76.

## ثالثاً - قانون الليفيرا

وتسمى الشريعة الإسرائيلية المرأة التي تؤول إلى أخ زوجها الميت " قانون الليفيرا " جاء في التوراة : "إذا أقام أخوان معا ثم مات أحدهما وليس له عقب، فإنّ زوجة الميت لا تصير إلى خارج لرجل أجنبي، بل أخوه يدخل عليها، ويتخذها زوجة له، يقيم عقبا لأخيه، ويكون البكر الذي تلده منه هو الذي يخلف إسم أخيه الميت، فلا يندرس اسمه من إسرائيل" [سفر التثنية : 10/25]، وتجبر هذه التشريعات المرأة على ذلك إلا في حال رفض هذا الأخير.

والمعمول به الآن هو ما ورد في " المادة 36 " من قانون الأحوال الشخصية عند ابن شمعون في قوله: "المتوفى عنها زوجها إذا لم يترك أولادا، وكان له شقيق أو أخ لأبيه، عدّت له زوجة شرعا، ولا تحلّ لغيره ما دام حيا، إلا إذا تبرأ منها، كنص المادة 34.(1)

## رابعا : المرأة اليهودية في بعض المراحل التاريخية.

بالرغم مما قد سبقت الإشارة إليه من أحكام وانتقاص للمرأة، فقد كان للمرأة حضور مؤثر في التاريخ اليهودي، ك'مريم' أخت سيدنا موسى - عليه السلام - ودبورة " القاضية " التي قادت قومها للإنتصار في عصر القضاة، و"إستير" (2) التي أفرد لها سفر إستير، وهو مؤلف من عشرة إصحاحات، تقرأ بشكل خاص في "عيد البوريم"، أو عيد الصور، وتحكى القصة أنها عرضت نفسها للموت في سبيل إنقاذ قومها، وقد ربطت بينها وبين رسالة إسرائيل حين أوصت

1- انظر : الفكر الديني اليهودي، ص: 194، 115، واليهودية والغيرية، ص: 24.

2- وعيد إستير فيه إظهار للسرور والفرحة يكثر فيه شرب الخمر والتهريج ولبس الأقنعة والملابس التنكرية، لذلك كان يسمى عند العرب " عيد المساخر "، وهو يؤرخ لإنتصار إستير وقريبها "مردخاي" على هامان وأبنائه، بسبب حظوة الملكة أو النبيرة " إستير " ودهائها : الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان (اليهود من أرض الميعاد إلى السبي). د/ سليم إلياس، ص: 157، وأحشويروش هو أحد أعظم ملوك الفرس، ويقال إنّ مملكته إمتدت من الهند على مائة وسبعين إقليما إلى أثيوبيا. انظر التلمود الأساسي، سدر المواعيد المقدسة، إميل عباس، ص: 191-192.

مردخاي بقولها : " إذهب واجمع كل اليهود الذين في " شوس " ، وصوموا لأجلي ولا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة أيام بلياليها ؛ وأنا وجواري نَصوم معكم وبعد ذلك أدخل على الملك خلافا للقانون، فإن هلكت أكون هلكت " ونفوذها عند الإمبراطور الفارسي " أحشويروش " (1).

وفي سفر الأمثال: "تغني وإشادة بالمرأة العفيفة الفاضلة"، يقول: "من يجد المرأة الفاضلة؟ إنها أثمن من الدرر... فمها مفتوح بالحكمة، وعلى لسانها شريعة التقوى، تلاحظ مسالك بيتها، ولا تأكل خبز التواكل... والمرأة التي تتقي الرب هي التي تمدح، أعطوها من ثمر يديها ولتمدحها في الأبواب أعمالها." (2)

وعلى الرغم من أنّ الفرص كانت قليلة لتعبر النساء عن أنفسهن، لكن بعض الحكماء اليهود، أبدوا رؤية واقعية للعلاقة التبادلية القائمة بين المرأة والرجل، فلم يحرم صك الزواج القانوني المرأة من حق الملكية على ثرواتها، حتى وإن أوكلت إدارتها إلى زوجها؛ كما أنّهم قلصوا كثيرا مجال تنفيذ حق الزوج أو الأب في إلغاء نذور الزوجة أو البنت، وقصروا نفوذ هذا الحق بالنسبة للزوج فقط في النذور والتي تتعلق بشكل أو بآخر بالحياة الزوجية. (3)

وفي عهد " سالومي ألكسندرا " أخت سيمون بن شتياح، تبنّى هذا الأخير وقد كان على رأس " السانهيدرين "، أعلى سلطة شرعية وقانونية أكثر القرارات شهرة وشجاعة، وهو التغيير في نص صك الزواج (كيتوباه Ketubah) الرائج، بحيث دعم حقوق المرأة لأجل تأمين حياة زوجية أكثر إستقراراً، وقد كان " سيمون بن شتياح " يتمتع بمكانة مرموقة وإمكانيات خاصة بإعتباره أخا لزوجة " ألكسندر ياناي " (103-76 ق. م. الذي كان أقرب إلى الصدوقيين، لكن سرعان ما تبوّأت سالومي العرش بعد وفاته، وإعتبر عصرها " عصرا ذهبيا قصيرا، إذ أعادت

1- انظر : الفكر الديني اليهودي، ص: 182-187.

2- ن- م، س، ص: 52-53.

3- انظر: مدخل إلى التلمود، آدين شتاينساليز، ص: 188-189. ويوجد لهذا نظائر في الفقه الإسلامي (كالصوم).

تنظيم الهيآت المعمول بها، وأعدت السلطة للسنةدين وطرده الصدوقيون، فأصبحت مؤسسة فريسية خالصة. وقد قال الرابي: " أكيباين يوسف " الذي يعدّ من أكبر رجال السانهيدرين، ومن أعظم رجالات اليهود في حق زوجته، التي دعمته وضحت بشعرها لكي تشتري طعاما، حين إستقبلته عندما عاد إليها محاطا بتلاميذه " كل ما أملكه وكل ما تملكونه يعود لهذه المرأة، ثم أردف أن الغني هو من عنده امرأة فاضلة " ويذكر أن صك الزواج المعقود بين ابنه وبين خطيبته، قد نص أنّها تتعهد بأن تطعمه، وأن تدير شؤونه وأن تعلمه التوراة.<sup>1</sup>

وقد حاول كثير من الرّابيين إرساء تقاليد لإحترام المرأة، " من أحب زوجته كنفسه، وكرّمها أكثر من نفسه فهو يهذب أبناءه على نحو حسن، كما يكون موافيا للآية " فتعلم أن خيمتك آمنة، وتتعهد مريضك ولا تفقد شيئا " [أيوب : 24/5].

وقد عرفت المرأة اليهودية في فترات مختلفة من التاريخ أوضاعا وتشريعات حازت فيها على وضع محترم لكن ذلك كان راجعا لسببين، أنّ أولئك النسوة كن متميزات، أو في ظرف تاريخي أو إجتماعي إستثنائي ؛ أو أنه لا يعدو أن يكون رؤية واقعية للعلاقة التبادلية بين الرجل والمرأة، ولا تأثير له على الأساس العقدي والفكري الذي تقوم عليه الديانة اليهودية، في إعتبار المرأة غير مساوية للرجل .

وفي العصر الحديث؛ قام المجلس الدولي للنساء اليهوديات ، سنة 1966م بالإشتراك مع مراكز بحثية وعلماء ومؤسسات قانونية، بكتابة عريضة طالب فيها المؤسسات الرابانية بحلّ القضايا التي تجابهها بنات شعبهن، وخاصة فيما يتعلق بأنظمة الزواج، والطلاق، وقانون اللغيرا، وتعدّد الزوجات، والميراث، وجاء في هذه العريضة " أنّ الرابانيين مرجوون أنّ يعثروا على طرق

1- انظر : مدخل إلى التلمود، ص: 43-44 وص: 181-182.

وتفسيرات في التلمود لهذه الصعوبات<sup>(1)</sup>. وهي لا تملي عليها كيف تحلّ هذه القضايا بل أن تعيرها إهتمامها.

### المبحث الثالث المساواة بين اليهود والأغيار .

#### المطلب الأول : ظاهرة العنصرية في الديانة اليهودية :

إنّ ظاهرة العنصرية أو إنكار المساواة في الإنسانية بين جميع البشر رافقت الوجود الإنساني منذ نشأته، كما رافقت هذا الإنسان أشواق لتحقيق هذه القيمة العليا على مستوى الأفراد، أو مع الآخر المختلف ، وبسبب ما تقدم بيانه في الباب الأول من هذه الأطروحة، فإنّ المساواة في اليهودية تعدّ من المطالب العزيزة ؛ وإن لم يخل النصّ الديني من دعوات صريحة لإقامتها بين الناس، كما لم يخل التاريخ اليهودي من أحداث تمثّل فيها الناس هذه القيمة وإن كانت نادرة.

وقد اعتمد اليهود على أسس وحجج لتأكيد عدم المساواة نظريا، وآليات لتطبيق التمييز بين الناس، لكن ما يهمنا هاهنا بالمقام الأول، هو إثبات أو نفي أنالنصّ الديني هو مصدر العنصرية اليهودية ، أم أنّ الظرفية التاريخية هي التي ساهمت في ترسيخ هذا الانفصال؟

**أولا : التمييز الأثني (العرقى):** تعد العنصرية مفهوما أساسيا في اليهودية، وهو مناف لفكرة المساواة الإنسانية، وما يترتب عنها من أحكام، والنصوص التوراتية التي تطورت إلى أسطورة العرق اليهودي ونقاوة الدم اليهودي، وقسمة البشرية إلى أطهار وأنجاس، وأسطورة العبقرية اليهودية إلى غير ذلك من الأساطير التي تفتق عنها الذهن اليهودي في علاقته بالعالم وفي فهمه لنفسه والآخر.<sup>(2)</sup>

1- المشنأ ركن التلمود الأول (نظام النساء)، ت : حمدي النوباني، ص:15-16.

- انظر : تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 1 260.

وقد ميز الفاروقي بين نوعين من العنصرية لدى بني إسرائيل :

1 - العنصرية القبلية التي كانت قبل العصر الداودي، وترتكز على الرغبة في الإبقاء على شعب لا يتغير بتغير التاريخ، وهو الشعب اليهودي.

2 - العنصرية السياسية : ويرى 'د/الفاروقي' أنه لا توجد حالة تشابه هذا المنطق الذي سعى للحفاظ على سلامة الشعب وأبديته، رغم تقلبات الأقدار لدولتهم ومجتمعهم العرقي.

وهذا التكافؤ بين قيمة السلالة والعلاقة السياسية المتمثلة في الدولة، هو ما يطلق عليه علماء الاجتماع العنصرية أو العرقية وهي فكرة بيولوجية بحثت مما جعل تاريخ اليهودية تاريخ العنصرية.<sup>(1)</sup> فالعنصرية اليهودية من أقدم العنصريات ، حيث يزيد تاريخها على (2500 سنة)، و تطورت بتعاقب الأزمنة.<sup>(2)</sup>؛ لذلك فإنّ خصوصية ما سماه 'إسرائيل شاحك' بالتمييز الإثني والحصرية التوحيدية في الديانة اليهودية، والذي كان في المراحل الأولى محصوراً بدوائر صغيرة أضحت أفكاراً نموذجية لليهودية اللاحقة<sup>3</sup>. وتقوم فلسفة (العنصرية اليهودية) على اعتبار أن اليهودية حالة خاصة تمتاز على سائر الأجناس البشرية، وأن اليهود هم أنقى سلالة بشرية على وجه

1- أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د/إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة وهبه، مصر، ط: 2، 1408هـ-1988م. ص: 48.

2- انظر : العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، د. أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبى، مكتبة العبيكان، ط: 1، 1418هـ-1998م، ج: 1، ص: 66-68، وتاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 24-25.

3 - انظر : الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحك، ص: 95.



الأرض؛ يقول المفكر اليهودي: "موسى هس" (1) "إن العرق اليهودي من العروق الرئيسية في الجنس البشري، وقد حافظ هذا العرق على وحدته بالرغم من التأثيرات المناخية عليه،

كما حافظت السمة اليهودية على نقائها عبر العصور<sup>2</sup>، فاليهود هم صفوة الخلق الذين اختارهم الله على سائر العناصر البشرية الأخرى<sup>3</sup>. وفي الصحيفة اليهودية المسماة كرونيكور (Le chroniqueur) التي تعالج في المعلومات اليهودية العالمية شرح لهذه الخصوصية: "لقد نفخ الله في كل كائن بشري نفخة الحياة، أي الروح والتي نسميها النفس، أما فيما يخص الشعب اليهودي فلقد أودعت فيه نفس إضافية (Nefechalohit) أي : النفس الإلهية، بالنتيجة كل واحد منا (أي : اليهودي) يمتلك نفسين تحت تصرفه ... فإذا كانت الروح الحيوانية الموجودة في الدم تثير رغبات جسدنا، فإن الروح الإلهية الموجودة في الدماغ تكوّن المقوّي للرابط المستمد مع خالقنا ... وبذلك يكون اليهودي في الأعلى وهو مجهّز بدماغ وروح إلهية قادرة على أن تربطه بواسطة المعرفة بالخالق وفي درجة دنيا يكون غير اليهودي مجهّز بدماغ لكنه لا يملك روحا إلهية وفي أقصى لأسفل أي في حدود الحيوانية يوجد الزنجي وهو كائن غير عاقل.

ونتيجة للتحريف الذي أُدخل على التوراة، فقد أصبغت أسفارها بصبغة عنصرية، ونسبت لله تعالى ما ينتزعه عنه، وألحقت بالرسول ما يتورعون عنه، لينحتوا ديننا قوميا يعتمد على المبادئ العنصرية، فتحريف (اليهودية) يرجع إلى سبب عرقي بحسب كثير من الدارسين، إذ رأى حكماء

1 - أحد أوائل أصدقاء ماركس، عرف على نطاق واسع كأحد أوائل الإشتراكيين في ألمانيا. نشر أفكاره عام (1868م)، حول العرق اليهودي النقي، والتي لم تكن بنظر إسرائيل شاحك بعيدة عن فكرة العرق الآري النقي. انظر : الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحك، ت. ص: 46.

2- العنصرية اليهودية، أحمد بن عبد الله الزغبى، ج: 1، ص: 70، بتصرف نقلا عن الصهيونية والعنصرية بين الفكر والممارسة، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق، ص: 13.

3 - اليهودية والغيرية، ص: 11-12، نقلا عن كرونيكور عدد 12، 3 حزيران 1992، وانظر : الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحك، ص: 152-157.

نبي إسرائيل، إبان فترة السبي البابلي فيما بين عامي (586-538 ق. م) أنه لا مناص من حماية اليهود في إطار من القوانين العنصرية، حتى يحتفظوا بكيان مستقبل إلى الأبد. فادعوا أن الله تعالى إله واحد، ولكنّه إله بني إسرائيل فقط، وأنّ شريعة التوراة أنزلت لهم دون العالمين، وأنّ الله اختار العنصر اليهودي وحده دون سائر العناصر البشرية،<sup>(1)</sup> وقد نتج عن هذه الأصول والقواعد النظرية مجتمعا عنصريا بفعل التراكم التاريخي.

### ثانيا : العلاقة بين العنصرية اليهودية والدين اليهودي: وقد عزا كثير من المؤلفين

القدامى هذه الحالة المرضية إلى النبي موسى عليه السلام، فقد أكد " هيكاته دايدير "، وهو كاتب يوناني، يعدّ من المرضي عنهم بالنسبة لليهود، كان يعيش في مصر في القرن الثالث، أنّ موسى عليه السلام قد أسّس نوعا من الحياة الكارهة للمجتمع والبشر وأنه واضع القوانين المؤسّسة للغيرية<sup>(2)</sup> بسبب الإجراءات التي كان معمولا بها في مصر ضد الأجانب، وذهب " بوزيدوس " وهو مؤرخ يوناني، أسّس في رودس مدرسة فلسفية (ت. 51 ق. م.) في روما، " وليزالمال " وهو كاتب إسكندري (ت-2-م)، " وأبوليوس مولون " وغيرهم، إلى نفس الرأي<sup>(3)</sup>، وهو ما يؤكّد تواتر هذه الظاهرة طيلة الوجود اليهودي في التاريخ.

3- أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د. إسماعيل راجي الفاروقي، ص: 48.

2- الغربية : هنا تعني العنصرية، أو رفض الآخر غير اليهودي لأن فكرة الآخر لا تعني العنصرية دائما فالآخر عند المسلم هو غير المسلم بغض النظر عن عرقه وثقافته. وللحاحامات مفهومين للآخر أحدهما: يأتي على المستوى الداخلي، وهو الآخر المنتمي للديانة ذاتها، وإن كانت هناك خلافات عقديّة وأحكام تميزه - كالتساميين وهذا لا ينطق على الفريسيين الذين يخرجونهم عن الملة -، والمفهوم الثاني للآخر يتمثل في غير اليهودي بصفة عامة، وهو يخرج من نطاق، الأحكام الواجبة على اليهود وذلك لخصوصية علاقتهم بالرّب . انظر : ترجمة متن التلمود، المشنا - القسم الأول، (زرعيم)، ت. د/ مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ص: 53-54، وهامش ص: 54.

3- انظر : اليهودية والغيرية، ص: 28-29.

وأكد إرنست رينان<sup>(1)</sup> أنّ اليهودية في العصر الروماني، كانت تحتوي على مبدأ ذي شكلية ضيقة، وتعصّب مطلق محتقر للأجنبي، وحدد أنّ ذلك كان بسبب الذّهنية الفريسية التي أصبحت فيما بعد الذّهنية التلمودية.<sup>(2)</sup> ووفقا لعدّة دراسات حديثة، فقد تبين أن اليهود المتدينين هم أكثر عنصرية، من اليهود الملحدين، فحسب " سيمون أينشتاين "، وهو دكتور وباحث إسرائيلي متفرغ لدراسة العنصرية أنّه بالرّغم من أن دعم العنصرية في إسرائيل (فلسطين) هي سياسة عامة، فإنّها أشدّ عند الشباب المتدينين منه عند العلمانيين، وهم يصرّحون أنهم يتصرفون وفقا لتعليمات التوراة.<sup>(3)</sup> فالفرق بين إسرائيل والآخرين عندهم هو في مرتبة طاهر ونجس، ومقدس، ودينوي، وفي إطار هذه الثنائية أصبحت اليهودية ديانة مغلقة تستبعد الآخرين من نطاق القداسة وشرائع الخلاص، ولا تشغل نفسها بهم، ومن ثم فهي ليست ديانة تبشيرية ولا تشجع أحدا على التهود إلا في لحظات نادرة من تاريخها.<sup>(4)</sup>

فالأصول المؤسسة للديانة اليهودية، والمتمثلة بشكل خاص في نصوص العهد القديم والتلمود وأقوال الحاخامات والشرح المعتمدين لديهم لهذه النصوص؛ تكرّس هذه التوجهات العنصرية وتعطيها الشرعية الدينية والتاريخية؛ ذلك أن فكرة تنظيم الشعب اليهودي تنظيما كفيلا يجعلهم أهلا للسيطرة على أعدائهم، هي المهيمنة<sup>(5)</sup>، ففي سفر التثنية: "وإذا أدخلك الربّ

1- أرنست رينان : مؤرخ للمسيحية والفلسفة، ولد بفرنسا سنة 1823م، وبدأ بدراسة اللاهوت المسيحي، لكن سرعان ما عدل عنه إلى تاريخ الفلسفة، حصل على دكتوراه في الأدب بعنوان " ابن رشد والرشدية " تم كتب " الفلسفة المشائية عند السريان " و " دراسات في التاريخ الديني " وهي من الأعمال العظيمة المبكرة في تاريخ الفلسفة الإسلامية توفي سنة 1882م. موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. 1، 1984م، ج: 1، ص: 549-548.

2- اليهودية و الغيرية، ص: 29، نقلا عن رينان يهودية ومسيحية، نصوص مقدمة من قبل جاك كويمبير، باريس كوبرنيك 1977، ص: 17.

3- موسوعة اليهود واليهودية، محمد عبد الوهاب محمد المسيري، ج: 5، ص: 33 بتصرف.

4- انظر : الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحك، ص: 122-123.

5- انظر اليهودية والغيرية، ص: 18.

إلهك إلى الأرض التي أنت صائر إليها ... وإستأصل أمما كثيرة من أمام وجهك ... إنك شعب مقدس للرب، وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض [تثنية : 7/1].

وفي التلمود " يقتل الوثني إذا خرب إسرائيليا لأنه يكون قد خرب القدرة الإلهية ولذلك قتل موسى مصريا لأنه خرب يهوديا، لأن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله ؛ كما أن الإبن جزء من والده، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات، " وفي التلمود أيضا "، إنّ نطفة غير اليهودي كنطفة باقي الحيوانات ، ذلك لأن اليهود هم من أبناء الله، وأنهم أفضل من الملائكة، وأما غير اليهودي فهو كالحيوان، بل هو أرذل منه وأن اليهود هم شعب الله المختار"؛ لذلك فإن اليهودي يتنجس إذا لمس القبور طبقا للتوراة، ولكن الغرض من ذلك قبور اليهود، أما من عداهم من الأمم فليست قبورهم نجسة لأنهم من البهائم لا من بني آدم.(1)

وهم ضرورة لحياة البشرية، " فكما أن العالم لا يمكن أن يعيش بلا هواء، فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل " كما جاء في التلمود. وترد في التلمود قصة تظهر الفكرة التي صنعتها اليهودية عن نفسها وعن الآخر : " كان يوجد ملك يمتلك بستانا عظيما جعله في عهدة مزارع، وبعد فترة من الزمن عاد الملك لزيارة ملكه فثار غضبه ؛لأنّه لم يجد إلاّ عليّقا وأشواكا وشوكيات، وبشكل طبيعي طلب من نازعي الأعشاب نزع كل هذه النباتات السيئة، لكنه رأى في وسط الأشواك ظهور وردة لها عطر فائق الجمال، فقال الملك : بسبب هذه الوردة أنقذ البستان

1- انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، ص: 242-245-248، والعنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي، أحمد عبد الله الزغبى، ج:1، ص: 107-108 و71، والكنز المرصود في قواعد التلمود، ص: 60-61.

بأكمله، البستان هو العالم، والملك هو الله، والوردة هي إسرائيل، الأشواك هي باقي الأمم. (1) في هذه القصة التلمودية وفي غيرها في التوراة وباقي المصادر اليهودية سنجد لهذا التصنيف بُعدين :

- بُعدا يتضمن تمييزا عنصريا، ويصنّف البشر إلى أصناف، وهو تصنيف إثني بالبرهان السلالي، كما تنطوي هذه الإرادة التصنيفية على تبريرات أخلاقية ودينية للنبد والإبادة، وبخاصة للشعوب الكنعانية، فالفكر العبراني يقسّم الجنس البشري إلى ثلاث أصناف سلالية كبيرة:

صنف المؤمنین على الشريعة (اليهود). وصنف الذين رفضوا سوء قلبهم بإمكانهم أن يخضعوا لها. وصنف الذين هم مدنسون بشدة، ورجسون ولا يعرفون إلا الخطيئة (الكنعانيون). ويعود هذا التصنيف إلى أبناء نوح الثلاثة: "سام، حام، ويافت"، وإلى فترة حين تعرى نوح تحت تأثير الكحول، فلاحظ حام العري عند والده ونبّه أخويه، فسارع هؤلاء وستروا أباهم، وعندما إستيقظ 'نوح' لعن 'حاما'، وقرّر 'نوح' أنّ 'حاما' وذريته يصبحون عبدا 'لسام'، وهنا يبدأ التصنيف في التوراة لأولاد نوح: الأول مليء بالفضيلة، والثاني مليء بالرزائل، والثالث بين الإثنين. ومفهوم أنّ العبرانيين هم ذرية الفاضل سام، والكنعانيين ذرية الرذائل حام [تكوين: 10/1]. (2)

يقول ابن ميمون: " اعلم أن كل قصص تجده مذكورا في التوراة فهو لفائدة ضرورية في الشريعة، وما ينبغي تحصيله، أن ليس إعتبار الأخبار المكتوبة كإعتبار الأحوال المشاهدة ...

1- اليهودية والغيرية: ألبرتودانزول، ص: 61. وانظر أيضا: الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجية غارودي، ص: 59. وانظر: الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق الأديان (كتب الشريعة اليهودية - التلمود) د. سليم إلياس، ص: 115-116.

2- العنصرية اليهودية، أحمد بن عبد الله الزغبى، ج: 1، ص: 94-95.

ولو كان مشاهدا لما حكي لعلم ضرورة ما قيل"،<sup>(1)</sup> ولذلك فكل قصة ذكرت في التوراة ترتبت عليها آثار عملية في حياة اليهود في الجانب التشريعي، وفي الجانب السياسي.

ويشير كوهين: "يمكن لسكان العالم أن يتوزعوا بين إسرائيل وباقي الأمم بمجموعها، إسرائيل هو الشعب المختار عقيدة رئيسية"<sup>(2)</sup>، وكما أن قداسة إسرائيل هي استمرار لفضيلة سام، والكفر المستمر والغضب والحقد والغيرة عند آدم، هي تفسير إحدى المثالب التي كانت عند جده تجاه يعقوب، وفسق المؤابيين وخصوصا نساءهم، تفسر الأصل الفاسق لجدهم مؤاب الذي ضاجعت أمه لوطا أباهما<sup>(3)</sup>. [حزقيال 5/35] و[تكوين 19،31/37].

و في إسماعيل يتجسد الإنسان المتوحش، و هو موجود في نفس كل عربي ، وهذه الصورة من العهد القديم، تحصيل حاصل، يسعى اليهود على الدوام لبقائها من خلال بذر الشقاق وزرع الشر وترويح الفتن، ويذكر عدنان حداد أنّ في النسخ الفرنسية من العهد القديم ترد آية قلما نجدها في النسخ العربية، وهي تقول: "أبناء إسماعيل سكنوا من موبلة إلى شوز إلى أمام مصر حينما تجئ آشور، كلّ قبالة أشقائه، وعلى أهبة الإستعداد للإنقراض عليهم"<sup>(4)</sup> [تكوين 18/25].

لذلك بعد أن يعلل "ابن ميمون" الأحكام الموجودة في التوراة، ويوجهها بما يفيد كمالها وإستهدافها لتحقيق القيم السامية من عدل ومساواة وحق، ومن حكم في التشريع، يأتي في

1- دلالة الحائرين، ابن ميمون، ج: 3، ص: 751.

2- انظر : اليهودية والغيرية، غير اليهود في منظار اليهود، ألبرتو دانزول، ت، د. ماري شهرستان، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط. 1، 2004م، ص: 60.

3- انظر : اليهودية والغيرية، ص: 62-63 ودراسات في اليهودية، ص: 212-213-214 ومقارنة الأديان (اليهودية)، د. أحمد شلبي، ص: 180.

4- الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام، قراءة توراتية في نفسية اليهود وتفكيرهم عبر العصور، د. عدنان حداد، ص: 32، بتصرف.

خاتمة كتابه بمثل يجلي من خلاله مقاصده في كل ما توجه به للحائرين من أهل ملته: "إنَّ السلطان في قصره وأهل طاعته كلهم ... منهم من إستدبر دار السلطان ، ووجهه متّجه في طريق أخرى ... ومن القاصدين من وصل إلى الدار وهو يدور حولها ... ومنهم من إنتهى إلى داخل القاعة وحصل مع الملك في موضع واحد" (1) .

ثم بدأ بتصنيف كل واحد من هؤلاء " فالذين هم خارج المدينة فهم كل شخص لا عقيدة له ... كأطراف الترك المتوغلين في الشمال، والسودان المتوغلين في الجنوب ومن ماثلهم ممن معنا في هذه الأقاليم، وحكم هؤلاء حكم الحيوان غير الناطق، وما هؤلاء عندي في مرتبة الإنسان، وهم من مراتب الموجودات دون مرتبة الإنسان، وأعلى من مرتبة القرد، إذ قد حصل لهم شكل الإنسان، وأما الذين هم في المدينة لكنهم قد إستدبروا دار السلطان، فهم أهل رأي ونظر، وقد حصلت لهم آراء غير صحيحة وهؤلاء شرّ من الأولين بكثير وهؤلاء هم الذين قد تدعو الضّرورة في بعض الأزمنة لقتلهم ومحو آثارهم" (2).

ثالثا : إستخدام الحجة الدينية لتبرير إستبعاد الآخر وإستعباده: وفقا لهذا المعتقد فقد حكمت التوراة بالإبادة الكاملة للشعوب الكنعانية، لإستئصال الشر وتطهير الأرض المقدسة، التي دنّست بقذارة الشعوب التي تسكنها، وذلك من خلال توظيف فكرة الإنتقال الوراثي للتصرفات وتحديد صفات الشعوب، وإستخدامها للبرهان السلالي؛ لذلك يجب تطهير الأرض الموعودة بضخ دم الكنعانيين حتى يستطيع يهوه من تملك الأرض دون تدنيسها، وسوف يسمى بلد كنعان عندها القطر المقدس . [مزامير 78/54] ، و"الأرض المقدسة" [حكمة

1- دلالة الحائرين، ابن ميمون، ج. 3، ص: 756.

2- دلالة الحائرين ، ابن ميمون، ج:3، ص: 757.

[7/3]، وهذه التعاليم تُقرأ وتُدرس في كنائس العالم اليهودية، ولا يقتصر وجودها على صفحات الكتب أو بين أيدي الدارسين المتخصصين.<sup>(1)</sup>

أمّا مدن الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين واليبوسيين، فكان لهم حكم خاص، حيث أمر يهوه بأن يقتل سكانها جميعاً رجالاً ونساءً وأطفالاً، وحتى البهائم التي فيها، كما تحرق أرضها. لذلك فإنّ كلمة "إبادة" هي كلمة مفتاح في كثير من كتب علمائهم، وهم ينسبون كل ذلك لوصايا موسى: "ليضع كل واحد حسامه على وركه، إذهبوا وعودوا في المخيم من باب إلى باب، واقتلوا أيّاً كان أخاه أو صديقه أو قريبه... والآن اقتلوا كلّ طفل ذكر، واقتلوا كل امرأة ضاجعت رجلاً، أما كل الفتيات: الشابات الصغيرات اللواتي لم يعرفن فراش رجل، أتركوا لهن الحياة من أجلكم" [التثنية 16،17/20].

وفي نصّ آخر "قد وكلتك اليوم على الشعوب، وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهتك وتنقض" [إرميا 9،10/1]، وقد حذّر بني إسرائيل أن يقيموا عهداً مع سكان تلك الأرض: "إحترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخاً في وسطك" [خروج 12/34].<sup>(2)</sup>

وقد كان تطبيق هذه التعاليم حرفياً في حروب بني إسرائيل؛ منه ما جاء في التّوراة من وصف لصنيع يشوع بن نون<sup>(3)</sup> بعدما تولى زعامة اليهود من بعد موسى، وزحف غرباً عبر

1- دراسات في اليهودية والنصرانية وديانات الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط. 1، 1200م، ص: 212-213، واليهودية والغيرية، د. ألبيرتو دانزول، ص: 32-33. وتعرّف أرض الشعوب، بأنها أرض غير أرض إسرائيل (فلسطين) وقد قرّر الحاخامات أنها نجسه أرضها وهوؤها على السواء - معجم المصطلحات التلمودية - أدين شتاينسالتر، ص: 29.

2- انظر: العنصرية اليهودية، أحمد بن عبد الله الزغبى، ج: 1، ص: 95-97.

3- يشوع بن نون "باشووع" قائد عبراني عظيم، وأحد الجواسيس الإثنا عشر الذين أرسلهم النبي موسى لمعاينة أرض الموعد (فلسطين) كان في الأربعين من عمره زمن الخروج. وقد قاد بني إسرائيل وهو ابن الثمانين للإستحواذ على أرض



الجبال واحتل مدينة " عاي " التي كانت مقابلة الجلجال<sup>(1)</sup>، وقتل جميع الرجال والنساء، وكان عددهم إثني عشر ألفاً، وأحرق مدينة " عاي " وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى اليوم، وتقدم ملك " عاي " طالبا منه الصلح والأمان، فعلقه على الخشبية إلى المساء، وفي المساء أنزل جيشه ورماه على باب المدينة وأقام على جثته رجمة حجارة عظيمة ".<sup>(2)</sup>

وقد وصف ول ديورانت أحداث هذه الفترة " كانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلاً واضحاً لإنقضااض جموع جياع على جماعة مستقرين آمنين، وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين ... وجرت دماء القتلى أنهاراً، وكان هذا القتل كما تقول نصوص الكتاب المقدس فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى وزكاة للرب ... ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والإستمتاع به ".<sup>(3)</sup>

وفي التلمود : " اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك، أو يخرج من حفرة يقع فيها؛ لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين "، إنَّ القتل العمد لليهودي في اليهودية يعدّ من الخطايا الثلاث المستوجبة لعقوبة الإعدام، (مع عبادة الأوثان والزنا بزوجة القريب)، أمّا إذا تسبب يهودي بقتل يهودي آخر دون تعمّد، فهو مذنب بمعصية، " ضد شرائع السماء " يتولى الله عقوبته عوضاً عن البشر. أمّا لما

الموعود، وأحدث في أعدائه مقتلة عظيمة بحسب التوراة، مات وهو ابن مئة وعشرين ودفن في جبل إفرايم - الجلجال - الموسوعة الكبرى (كتب الشريعة اليهودية، ص: 133-134).

1- الجلجال : كلمة عبرية معناها " متدرج " وهي أول معسكر للإسرائيليين بعد عبور الأردن، ودخولهم أرض " كنعان " وهناك تجمع الشعب لمواجهة أعدائهم الفلسطينيين، وهي الآن " خرابه الأثلة "، على بعد ميل وثلث شرقي أريحا - قاموس الكتاب المقدس - الجلجال - ص: 184.

2- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص: 49.

3 قصة الحضارة، ول ديورانت، ج: 2، ص: 226.

يكون المقتول من الأغيار بطريق العمد من طرف يهودي فلا عقوبة عليه؛ لأنّه مذنب فقط بإرتكاب معصية ضد شرائع السماء، أما القتل الخطأ فهذا ليس معصية على الإطلاق. (1)

**رابعا : الرّق في الديانة اليهودية :** لقد كان الرّق نظاما معروفا ومعمولا به، منذ عصور غابرة في تاريخ الإنسانية.

**ومعنى الرّق :** هو أن يتخذ الإنسان كملكية لفرد أو جماعة. ويعامل كمعاملة السلع فيباع ويشترى ويجرد من أهم حقوقه كإنسان.

وقد عرف العبرانيون كغيرهم من الشعوب القديمة نظام العبودية، "وقال نوح بعدما إستيقظ من خمرة ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك إله سام، وليكن كنعان عبدا، ليفتح الله لياث فيكن في مساكن سام" [تكوين : 2/34-3]. لكنه لم توضع له قواعد وضوابط إلا بعد إستقرار اليهود في أرض كنعان ، وترجع مصادر الرّق عند اليهود إلى ستة مصادر أساسية، أهمها:

1 - الحرب التي تشبّ بين بني إسرائيل وغيرهم من الأمم : "وأما عبيدك وإماؤك الذين سيكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم، فمنهم تقتنون عبيدا وإماء، وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتتلون، ومن عشائهم الذين يلدونهم في أرضكم، فيكونون ملكا لكم. وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك، تستعبدونهم إلى الدهر، وأما إخوانكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف" [اللاويين 25 : 36/44].

لقد حدد هذا النصّ الشريعة اليهودية المتعلقة بالعبودية، مبينا أن العبودية لا يمكن أن تكون إلا في غير بني إسرائيل، وهي في هذه الحالة تكون متوارثة بين الأجيال أبد الدهر،

1- العنصرية اليهودية، ج: 1، ص: 109.

وحصر الشريعة اليهودية للعبودية في غير اليهود، يظهر لنا نظرة اليهودي القاصرة نحو غيره من البشر، ويؤكد في الوقت نفسه العنصرية المتمكنة في داخله. (1)

2 - الخطف بغرض الإسترقاق : ومع أن كتب اليهود المقدسة قد حظرت عليهم خطف إنسان حرّ في غير زمن الحرب وإسترقاقه، بل إنها تقضى بقتله، إلّا أنّ هذا كان معمولاً به حتى في أقدم عهودهم، بدليل ما تذكره التوراة والقرآن من خطف إخوة يوسف له، وبيعهم إياه بثمن بخس (2)، وقد ذكر إسرائيل شاحك بناء على شهادات مؤرخين أنّ اليهود كان لهم دور مسيطر في تجارة العبيد بين أوروبا المسيحية والعالم الإسلامي في أوائل القرون الوسطى، وأن " ابن ميمون" قد سمح لليهود بإسم الديانة اليهودية بخطف أولاد الأغيار وزجّهم في العبودية. (3)

3 - ومن مصادر الرّق عندهم : العقوبات التي توقع على السّارق وعلى المدين العاجز عن دفع دينه، فالتّوراة تحكم على السّارق أنّه " ... إن لم يكن لديه ما يكفي للسّداد وجب بيعه هو نفسه وإستيفاء التعويض من ثمنه " وقد ألحق بهذا الحكم المدين بالرغم من أن التوراة تنهى عن ذلك، بل لقد جرى العمل في بعض عهودهم على أن يلحق حكم رّق المدين أولاده وزوجاته.

4 - وقد أجازت الشريعة أن يبيع الرّجل نفسه (لا المرأة) بسبب الفقر الشّديد وكذا أن يبيع الأب أبناءه.

5 - أما أهم المصادر على الإطلاق، فكان تناسل الرّقيق، والولد يتبع أمه في رّقها، إلّا في حال تنازل الزوجة الشّرعية عن الفراش لأمتها، على شرط أن تكون ثمرته لها لا للجارية التي

1- الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص: 238.

2- اليهودية واليهود، بحث في ديانة اليهود ونظامهم الإقتصادي والإقتصادي، د. عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د. ت.، ص: 136.

3- انظر الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحك، ص: 125.

ولدت، فهو يتبع أمه الشرعية في الحرية، وهو ما حدث في قصة سيدنا إبراهيم مع هاجر وإسماعيل. (1)

وينقسم نظام الرق عندهم إلى دائم للأغيار، ومؤقت لبني إسرائيل، وفي الفقرة 322 التي تتناول واجب الإبقاء على العبيد من الأغيار مستعبدين إلى الأبد، (فيما ينبغي تحرير العبد اليهودي فيما يسمى باليوبيل أي بعد سبع سنوات). (2)

تكمن في أساس هذا الواجب الديني الملزم " حقيقة أن الشعب اليهودي هو أفضل الأجناس البشرية، وقد خلق ليعرف خالقه ويعبده، وهو يستحق إمتلاك العبيد لخدمته، فإذا لم يكن لهم عبيد من شعوب أخرى، سيكون عليهم إستعباد أشقائهم الذين لن يعودوا قادرين بالتالي على خدمة الرب المبارك هو، ولذلك نحن مأمورون بإمتلاك هؤلاء لخدمتنا بعد أن يجري إعدادهم لخدمتنا حتى لا يكون هناك خطر في بيوتنا ". (3)

وفي التلمود قصص كثيرة تكرر هذا الإعتقاد وتشيد به منها : قصة جبعاه بن بيساساه الذي كان رجلا حكيما، كما يقول الحاخامون فلما قاضى أبناء كنعان الإسرائيليين بدعوى سرقة أرضهم قائلين : " أرض كنعان لنا، كما هو مكتوب " أرض كنعان ... أرض كنعان بتخومها " [عدد، 2، 34] وطالبوا بردها تصدى جبعاه لمرافعة القضية أمام الحاكم. فقال جبعاه لهؤلاء الأفرقة : " إن كنتم تأتون ببرهانكم من أسفار التوراة، فمن التوراة أدحضه لكم، ففيها " ملعون كنعان،

1- انظر : اليهودية واليهود، د. علي عبد الواحد وافي، ص: 137-140.

2- اليوبيل : هو السنة الخمسون بعد دورة لسبعة تبويرات للأرض كل سبع سنوات ... في سنة اليوبيل يتحرر كل العبيد العبرانيين، ويرد كل حقل مستولى عليه إلى صاحبه وتوجد له صلوات خاصة وفي نهاية اليوم ينفخون في الشوفار (البوق) : معجم المصطلحات التلمودية ؛ الخاحام، آدين إفن شتاينسالتر، ت. ن. د. عبد المعبود سيد، مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة، ط. 1، 2006م، ص: 101-102.

3- الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحك، ص: 156.

عبد العبيد يكون لإخوته " [سفر التكوين/ 9،25]، فأملك العبد تعود في هذه الحالة لمن ؟ لسيده طبعاً، حتى وإن كان ملك الأرض أصلاً لكم، فمن خلال العبودية آل إلى بني إسرائيل.

قال الحاكم : " دونكم فردوا عليه " فطلب المدعون ثلاثة أيام لإعداد ردهم، ولكنهم في ختام الأيام الثلاثة تواروا عن الأنظار". (1)

وكل ما سلف ذكره يبين أنّ فكرة العنصرية تطغى في النصوص المؤسّسة للديانة اليهودية على غيرها من النصوص التي تحمل بعداً إنسانياً، وهو ما انعكس على اجتهاداتهم ، ولذلك نلاحظ عدم وجود اغتراب بين الإنسان اليهودي وبين القيم التي تحملها هذه النصوص، مع الاقرار بوجود الاستثناءات التي لا تنفي القاعدة.

1- التلمود، كتاب اليهود المقدس، ص: 315-316.

## المطلب الثاني : قيمة المساواة عند التيارات اليهودية المعاصرة

إذا كان السببي قد عزّز التركة العنصرية الانفصالية عند اليهود في العصور القديمة، فإنّ نظام "الجيتو"<sup>(1)</sup> ساهم في تدعيمها في العصور الحديثة. إذ بالرغم مما إتسم به هذا النظام من ظلم وجور ولا إنسانية، إذ كان بؤرة للأوبئة والأمراض والآفات الاجتماعية والفساد، فمعركة اليهودي في ذلك المكان كانت معركة بقاء. وهو ما دعم إنتشار النظرة السيئة عن جميع اليهود في المجتمع المسيحي، إلا أنّ أهم آثار هذا النظام الإيجابية، هي نشوء وعي إجتماعي بين اليهود، جعلهم من أكبر الجماعات الإنسانية تضامنا وحفاظا على هويتهم، فالجيتو هو أكبر وأهم العوامل التي أدت إلى الحفاظ على القانون، وبالتالي على يهودية اليهودي. ولم يكن لهذا الأخير إختيار آخر، فإمّا أن يمثل لإرادة الشعب اليهودي المتجسدة في التوراة وتعاليمها كما يفسرها له الحاخام ويحكم بها عليه أو له. وإما يتعرض للعقوبة التي هي أشد وأنكى من الموت؛ وهي النبذ، فاليهودي المنبوذ آنذاك كان لا وطن له ولا أمة.

<sup>1</sup> - الجيتو " Guetto " مشتقة من كلمة " Judaca " أي مكان سكن اليهود، أو من الكلمة العبرية " جت " الواردة في التلمود بمعنى " الانفصال "، وهو نظام إجتماعي مقرون بإنفصال اليهودي عن المجتمعات المسيحية، وهو قديم وسابق لقوانين الإقامة الجبرية التي سنّها الأوروبيون، فقد إعتد منذ القرن الحادي عشر للميلاد في إيطاليا، وقد عمّ أوروبا كلها في القرن السادس عشر، كما فرض على المسلمين أيضا في طليطلة وقرطبة في إسبانيا بمرسوم ملكي بعد الإسترداد، ويذكر " فون باجوت كلوب " أنّ يهود قد إختاروا " الجيتو "، وأنهم فضلوا على الدوام أن يعيشوا في مجتمع مغلق وخاص بهم، ويستدل على ذلك بأنّه في عام (300 ق. م.) كانوا يعيشون في مجتمعات منعزلة، بالرغم من أنّهم كانوا يتمتعون بإمتميازات خاصة، ويتبوأون المراكز القيادية في عهد "الإسكندر " الذي كان يعارض التمييز العنصري والبطالسة بعده. انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، إسماعيل راجي الفاروقي، ص: 23-24، بتصرف، الهامش. واليهود واليهودية في العصور القديمة، ت : د. رشاد الشامي، ص: 160-161.

وهو عرضة للقتل والسبي والنهب، لأنه دون حماية.<sup>(1)</sup> وقد حاول مفكرون يهود من غرب أوروبا تبني النهج الإصلاحى مجارة لفلسفة التنوير في التاريخ الأوربي الحديث، فعملوا على مناهضة النزعة الانفصالية لليهود .

وظهر الإتجاه الإصلاحى الذى شيد فلسفته على مبادئ حركة التنوير في القرن الثامن عشر، وحركات التحرير في القرن التاسع عشر، في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، وقد حاول هذا الإتجاه أن يمحص التراث الدينى اليهودى وينتخب منه ما ينسجم مع روح العصر والنزعة الإنسانية التى سادت في أوروبا الغربية وأمريكا. فأنشأ كلية دينية تخرج حاخامات هي " كلية الإتحاد العبرى " ، و" المعهد اليهودى للدراسات الدينية " (2) ، وكان من أهم الأفكار التى استهدفها الإصلاح فكرة تفوق العرق اليهودى والإختيار، فقد جاء "إبراهام جايجر" (1810-1870م)، وهو من أكبر مفكرى الحركة الإصلاحية بتجديد حاسم في الدين اليهودى، إذ قال أنّ بين الشعور القومى اليهودى والعالمية، كأنّ ضغطا تقابليا حدث، وأنّ هذا الضغط أذى في حركة عبر العصور إلى نسخ فكرة الشعب المختار وتقوية العالمية، وعليه يمكن الآن حذف جميع الإشارات إلى خصوصية الشعب اليهودى من كل طقوس الدين ،ومن عقيدته ،وأخلاقه وآدابه(3).

وأنكر الإصلاحيون حجّية التلمود وبعض مبادئ التوراة، وقد قرروا أنه "ما من قانون أزلى سوى القانون الأخلاقى الذى نقشه الله بأصبعه نقشا لا يمحو في طبيعة الإنسان الروحية، وإذا وجب علينا إنكار قوانين التوراة الإلهية إذا فقدت فعاليتها، فكم بالأحرى قوانين التلمود وفي

1- الملل المعاصرة في الدين اليهودى، د. إسماعيل راجى الفاروقى، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1968م ص: 28-29 - بتصرف.

2- انظر : الملل المعاصرة في الدين اليهودى، راجى الفاروقى، ص: 58 إلى 62.

3- ن-م-س، ص: 53-54 ، بتصرف.

1837م، و1844م، و1845م، و1846م، و1875م اجتمع الإصلاحيون في مدن أوروبية مختلفة دون ثمار تُذكر. و في مؤتمر "بترسبورغ" في عام 1885م، انفصل الإصلاحيون عن سائر الفرق اليهودية، وتلخص أهم البنود التي حملتها الوثيقة المنبثقة عنه "أنّ الكتاب المقدس هو أعظم وثيقة خلقها الإنسان، وأنه أعطانا أرفع تصوير لفكرة الله، وفي سجل الشعب اليهودي تكريس لنفسه لتحقيق رسالته ككاهن للإله الواحد، وأنّ اليهود فرقة دينية لا قومية، يجب أن تمدّ جسور التواصل مع الملل والأديان الأخرى، وأن المسيح المنتظر هو أمل للخلاص العالمي"<sup>(1)</sup>؛ ولأنّ أمريكا الشمالية التي لم تعرف الجيتو ولا التصادم الذي عرفته الديانات المسيحية واليهودية، فقد كان للتيار الإصلاحي الفرصة التاريخية للظهور وللهيمنة، لكن سرعان ما قويت شوكة اليهودية التقليدية "المكرّسة لفكرة التميّز والتفوق اليهودي، بسبب ما سمي حذاك " بقضية دمشق " سنة 1840م،<sup>(2)</sup>. حيث تناسي اليهود خلافاتهم، وإنّتش وعيهم كجماعة قومية ودينية يتعين عليها التكاتف أنّي وجدت،، كما جاءت الأفكار النازية ومعاداة السامية - لتعزّز من حظوظ الصهيونية<sup>(3)</sup>، التي كرّست فكرة التفوق اليهودي، وإستبعاد الآخر.

1- انظر : ن-م-ن، ص: 60-61.

2- وهي القضية التي أتهم فيها اليهود (داوود هراري، وعمه واثنين من عظماء اليهود) بقتل الأب توما الكبوشي، وهو راهب إيطالي الأصل، فرنسي الجنسية، إشتغل بعمل الخير مدّة ثلاث ثلاثين سنة في دمشق، وكان قريبا من المسلمين واليهود على حدّ سواء، وقد اختطفه هؤلاء وخادمه لتقطير دمه بغرض خلطه بفطير الفصح، ويبدو أنّ هذا الطقس كان موجودا - لدى متطرّفيهم - لأنّ الأخبار تواترت بحدوث مثل هذه الأحداث في عديد من الدّول الأوروبية والعربية، وقد ذكر المؤرخ اليهودي " يوسيفوس " أن اليهود كانوا يأخذون كلّ سنة يونانيا، كذبيحة بشرية، وقد ذكرت مثل هذه الأحداث بالتفصيل في كتاب "فرنسا اليهودية " و"صراخ البرئ" وقامت تحقيقات أثبتت الجرم على هؤلاء لكن اليهود تداعوا من جميع أنحاء العالم لإنقاذ الجناة وطمس القضية ، انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ت. د. يوسف نصر الله، ص: 28 إلى 37.

3- الصهيونية : حركة قومية عنصرية نشأت بعد تنامي القوميات المتطرفة في مناطق من أوروبا وتأثير منها (اللاسامية) وإستطاعت بسبب ما سبق ذكره من ظروف تاريخية ضم معظم التيارات المحافظة والأرثوذكسية إلى صفوفها، تم لحق بهم أكثر الإصلاحيين بعد إنعقاد مؤتمرهم (1937م) بموافقتهم على المساهمة في بناء فلسطين كوطن لليهود، لا يجعلها ملجأ لليهود المضطهدين فحسب بل مركزا للثقافة والحياة الروحية اليهودية، والصهيونية تطرح نفسها كبديل للمخلص



وقد طور الفكر الصهيوني صهيونية دينية إلى جانب أشكال الصهيونية العلمانية<sup>(1)</sup> باستغلال الدّين اليهودي لترسيخ النزعة المادية البيولوجية اليهودية. تم جاءت موجات الهجرة اليهودية من يهود أوروبا الشرقية في السبعينات والثمانيات، وهم جميعا من معتنقي اليهودية التقليدية، وجاءوا بحاخاماتهم وأنظمتهم ولغتهم، وسرعان ما رجحت كفة التيارات المحافظة والمتعصبة على الحركات الإصلاحية؛ لذلك قدّر الفاروقي بناء على إحصائيات أنّ عدد اليهود الأرثوذكسي القاطنين في الولايات المتّحدة الأمريكية أربعة ملايين أو يزيد، ويذكر أنّ معظم سكّان أوروبا الشرقية وروسيا، يدينون بالمذهب الأرثوذكسي<sup>(2)</sup>.

ويرى إسرائيل شاحك أنّ الجماعات اليهودية في إسرائيل اليوم تنقسم من حيث علاقتها بالديانة اليهودية إلى ثلاثة أقسام : العلمانيون ويشكلون ما بين 25 و 30% من اليهود، والتقليديون ويشكلون 50-55% من المجتمع، والمتشددون ويشكلون حوالي 20%<sup>(3)</sup>، وقد سيطر هؤلاء على نحو مباشر أو غير مباشر على شبكات تعليمية كبيرة، وأنّهم يتمتّعون بالدعم السياسي والحكومي للدولة الإسرائيلية.

وتُعرّف الدولة اليهودية في العصر الحديث في إسرائيل؛ بأنّها ملك لأشخاص تعرّفهم السلطات اليهودية بأنّهم " يهود " ، بصرف النّظر عن المكان الذي يعيشون فيه، وتعود إليهم وحدهم؛ أمّا من ناحية أخرى فهي " لا تعود " لمواطنيها من غير اليهود الذين تعتبر مكاتتهم لديها مكانة دونية، وهذا يعني عمليا بأنّ أفراد قبيلة من قبائل البيرو إذا اعتنقوا الديانة اليهودية،

المسيح المنتظر وهو ما يتنافي مع العقائد اليهودية انظر : الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص: 119 إلى 128. وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الميسري، ج: 2، ص: 459 وما بعدها.

1- تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، ص: 18.

2- انظر : الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص: 80-85.

3- مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، د. رقية العلواني، ص: 72 نقلا عن : الأصولية اليهودية في إسرائيل، إسرائيل شاحك ونورتون متسفينكي، ت : ناصر عفيفي.

يحقّ لهم أن يصبحوا مواطنين إسرائيليين على الفور، وأن يستفيدوا من الأراضي المكرّسة رسمياً لصالح اليهود فحسب ؛ أما الأغيار فإنهم ممنعون من الاستفادة بل ويستبعدون إستبعاداً رسمياً من أراضيهم وإن كانوا من السكان الأصليين.<sup>(1)</sup>

ومن أمثلة ذلك أيضاً، ما يسمى بعقيدة الأرض المستردة، التي تُلقن لتلاميذ المدارس في " إسرائيل " فلسطين، والتي يتعلمون فيها أنّ الأرض التي إستردّت هي الأرض التي من ملكية غير يهودية إلى ملكية يهودية، وهي بذلك أرض طاهرة، أمّا الأرض التي تعود إلى غير اليهود فإنّها على العكس من ذلك، تعتبر أرضاً غير مستردة، والنتيجة المنطقية لهذه الأيديولوجيا، هي الطرد أو ما يسمى النقل، الذي يطال المواطنين الأغيار كافة،<sup>(2)</sup>؛ ولأنّ إختلاف المراجع الحاخامية ليس حول مشروعية سلب هؤلاء الأغيار ممتلكاتهم، كان الجدل بكامله حول التفاصيل الدقيقة المحدّدة للقوة النسبية لليهود والأغيار<sup>(3)</sup> لسلب أحدهم، لا مما هو معني للإعتبارات الجامعة للقيم الإنسانية، ومن أمثلة تلك التعاليم أيضاً : ما كتبه الحاخام " عيسبرغ " في صحيفة " Jewish week " إذا كان هناك يهودي يحتاج إلى كبد، فهل يمكنك أن تأخذ كبد شخص غير يهودي برئ يمرّ بالمصادفة من أجل إنقاذه ؟ إنّ التوراة تجيز ذلك، فالحياة اليهودية لا تقدّر بثمن، إنّ هناك شيئاً أكثر قداسة وتفرداً بشأن الحياة اليهودية أكثر من الحياة غير اليهودية.<sup>(4)</sup>

إنّ فكرة التفوق العرقي السلالي التي يدّعي اليهود أنها أساس الإختيار والعهد، هي مقولة أساسية في النسق الدّيني اليهودي، وهي عقيدة رئيسية؛ لأنّها توراتية، وقد قام الحاخامات

1- انظر: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحاك، ص: 20-21-22، والحالة التي تشمل البيروفيين قد حصلت بالفعل، وقد جرى توطين هؤلاء اليهود الجدد في الضفة الغربية بالقرب من نابلس بعد إستبعاد غير اليهود منها.

2- الديانة اليهودية وتاريخ اليهود إسرائيل شاحاك، ص: 26.

3- ن-م-س، ص: 150.

4- مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، د. رقية العلواني، ص: 72-73، نقلاً عن : الأصولية اليهودية في إسرائيل ؛ إسرائيل شاحاك، ونورتون متسفينكي.

بتضخيمها إلى درجة كبيرة جدا. إذ يشدد التلمود في كل مكان بوضوح على القرابة الثابتة والفريدة الكائنة بين الله وشعبه، يقول الرب الممجد لإسرائيل: "أنا إله كل من يأتي للعالم، غير أنني إليك وحدك أضم إسمي"<sup>(1)</sup>، وبما أن الأمر كذلك في زمن السلم، فقد إستنتج عدد من الحاخامات، الإستنتاج المنطقي القائل بأن جميع الأغيار في زمن الحرب، الذين ينتمون إلى السكان المعادين يمكن قتلهم، أو ينبغي قتلهم، ومنذ العام 1973 وهذا المبدأ بيت علنا بين الجنود. وكان أول نص رسمي من هذا النوع، مضمنا في كتيب نشرته قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي (الضفة الغربية) "عندما تصادف قواتنا مدنيين خلال الحرب أو أثناء عملية مطاردة، أو في غارة من الغارات، فيمكن قتلهم بحسب "الهالاخاه"، لا بل ينبغي قتلهم ... إذ ينبغي عدم الثقة بالعربي حتى وإن أعطى إنطبعا بأنه متمدّن، ففي الحرب يسمح لقواتنا وهي تهاجم العدو، بل إنها مأمورة بالهالاخاه بقتل حتى المدنيين الطيبين، أي الذين يبدوون طبيين في الظاهر"<sup>(2)</sup>.

أمّا الحاخام "أفتيري" فقد قال في كتابه "ردود الإنتفاضة" الذي نشر بالعبرية عام 1990: "إنّ إنزال عقوبة الموت بالعرب، الذين يلقون الحجارة ليس جائزا فقط ولكنه واجب". وتركّز تعاليم الصهيونية على ترسيخ فكرة محورية الشعب اليهودي (الشعب المختار) في التاريخ، وأنه فوق كل الشعوب التي سخّرت لخدمته.<sup>(3)</sup> ويؤكد "إسرائيل شاحاك" وغيره من المناهضين لهذا التوجّه من المفكرين اليهود، أنّ أكثر التوجهات العنصرية تعتمد على الدرس التوراتي والتلمودي، في جميع مراكز ومراحل تدريس الناشئة اليهودية لتكريس هذه التوجهات

1- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب الميسري، ج:2، ص: 168، والموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان (كتب الشريعة اليهودية : التلمود)، د. سليم إلياس، ص: 114 بتصرف.

2- الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحاك، ص: 130-131، بتصرف وقد ذكر في الهامش أن الكتيب مكتوب بالعبرية والإنكليزية والفرنسية، ولكن المادة المقتبسة هنا مطبوعة بالعبرية فحسب، الهامش، ص. 164.

3- مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، رقية جابر العلواني، ص: 73، نقلا عن : الأصولية اليهودية في إسرائيل ؛ إسرائيل شاحاك و نورتون متسفينكي.

الكامنة أساسا في الشخصية اليهودية، مع تصدير خطاب مخالف لغير اليهود؛ إذ تعتمد هذه الدوائر الحذف والاجتزاء والتأويل لهذه الكتب باللغات الأخرى غير العبرية.<sup>(1)</sup>

لذلك فإننا نجد أنّ الكثير من الدارسين والمتخصصين يعزّون ذلك إلى الظرفية التاريخية والاجتماعية القاسية التي أحاطت بالجماعة اليهودية، وأنتجت نفسية إنطوت على كثير من العنصرية والشعور بالتفوق النوعي، والنزوع إلى إضطهاد الآخر، ومثّل د/سليم إلياس بالكلمة التي تنسب للحاخام شمعون بن جاكي " : أقتلوا أفضل الوثنيين، إسحقوا رأس أفضل الأفاعي " بأن هذا الأخير قد عاش زمن الإضطهاد وشاهد معلمه الحاخام " عقبة " يتعرض للإهانات من الرومان، وأنّه إضطرّ للتخفي مع ابنه لمدة ثلاث عشرة سنة<sup>(2)</sup>.

وهذا التحليل يحمل دون شك قدرا من الوجاهة، وهو يحول دون تبني الأحكام الحدّية المبرمة ويساعد على الفهم والإحاطة، غير أنّ هذه الظاهرة تجد لها سنداً وظهرها قويا لا يمكن تجاهله في التوراة، وكلّ التراث الديني اليهودي كما أسلفنا.

1- يتوسع البروفيسور إسرائيل شاحك في كتابة : الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، وأيضا في كتابة : الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود في رصد هذه الظاهرة وإيراد الأمثلة عليها.

2- انظر : الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان (كتب الشريعة اليهودية)، ص: 123، ومفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية والإسلام، د. رقية العلواني، ص: 75-77.

## الفصل الثاني: قيمة المساواة في الديانة المسيحية وأثرها

تمهيد

المبحث الأول : قيمة المساواة في الديانة المسيحية.

المبحث الثاني: المساواة في الديانة المسيحية :موانعها وصورها.

## تمهيد

شكلت بعثة المسيح وتعاليمه ثورة روحية وإنسانية عظيمة، دعت إلى نيل فكرة الإمتياز بسبب السلالة والإنتماء لجماعة العهد. فالإنسان مستحق للتقدير بسبب إنتمائه للإنسانية وبقدر تحليه بمكارم الأخلاق، ومكانته عند الله تتحدّد بالنظر لهذا الإعتبار لا لإعتبار آخر.

وقد حملت حياة المسيح " رؤية جديدة " لمملكة الرب " إجتثت المفهوم القديم من جذوره، فلم تعد مملكة الرب تتطلع إلى قوة العظماء، وإنما إلى أمل الفقراء"<sup>1</sup>، وفي كثير من نصوص الأناجيل نجد دعوة المسيح الصريحة إلى فكرة المساواة في القيمة الإنسانية، وقد حدا حذوه تلاميذه في المسيحية الأولى. وسرى في هذا الفصل إلى أي مدى كان هذا المبدأ مفعّلاً وحاضراً في الفكر والسلوك المسيحيين .

1 - الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية؛ روجيه غارودي، ت : م. ع كيلاني، دار الكتاب، دمشق، ط. 1، 1996م، ص: 44. وانظر : الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضيعة، د. يعقوب المليجي، ص: 212-213.

## المبحث الأول : قيمة المساواة في الديانة المسيحية.

### المطلب الأول : معنى المساواة في الديانة المسيحية.

أولاً : موارد لفظة المساواة في النصوص المسيحية .

لم أجد في النصوص والمعاجم المسيحية لفظة "مساواة" بهذه الصيغة، كقيمة، وإنما هناك نصوص تتحدث عن مساواة المسيح بالله، ففي [يوحنا : 16/5] حين كسر يسوع وصية السبت. ودافع عن نفسه بقوله: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" [يوحنا : 17/5]، وبسبب ذلك حاول اليهود أن يقتلوه؛ لأنه يقول إن الله أبوه، فإنه يعادل نفسه بالله [18/5].

أما بالنسبة ليسوع فباعتباره الابن المطيع، فإنه مساوٍ للأب في تناغم إرادتهما وعملهما [19/5-44] <sup>1</sup>. ثم إن هناك وجهاً آخر للمساواة في فكرة التجسد والفداء عند بولس، فهو يحمل معنى تواضع المسيح بقبوله للمساواة بالإنسان، فذلك الذي كان له وجود منذ الأزل - يقصد المسيح - دخل دون تحفظ إلى مجال البشر والموت والوجود التاريخي بكل غموضه فالفضية ليست مجرد قول عن طاعة يسوع المثالية [فيلبي : 8/2] أو الإلتضاع النموذجي - يقصد التواضع -، بل هي تتحدث موضوعياً عن تجسده وإخلاء نفسه من وضعه بأنه بطبيعة الله " وهو ما قصده بولس من أن يسوع تخلّى عن مجد وضعه الإلهي، وعاش كإنسان كامل. <sup>2</sup>

ثانياً: المساواة بمعنى التكافل بين الناس. وجاءت كلمة المساواة بمعنى التكافل عند

بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثس [7-6/8].

" فليس المراد أن يكون الآخرون في يسر و تكونوا أنتم في عسر، بل المراد هو المساواة.

فإذا سدت اليوم سعتكم ما بهم من عوز، سدت سعتهم عوزكم في المستقبل، فحصلت المساواة،

1 - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 330، بتصرف .

2 - ن - م - س، ص: 330.

كما ورد في الكتاب: "المكثّر لم يفضل عنه والمقلّ لم ينقصه شيء"<sup>1</sup> [ر-ب-2 إلى أهل قورنثس: 7-6/8].

## المطلب الثاني: أنواع المساواة وسبل تحقيقها في الديانة المسيحية

### أولا: المساواة في القيمة الإنسانية.

لقد نادى المسيحية بمبدأ وحدة البشرية الجوهرية، وأعلنت المساواة في القيمة الإنسانية، وقد قال بولس بأن الجميع اشتروا بثمن واحد، هو دم المسيح "لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان يسوع المسيح، فإنكم جميعا وقد اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح، فليس هناك يهودي ولا يوناني؛ وليس هناك عبد أو حرّ، وليس هناك ذكر وأنثى، لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع، فإذا كنتم للمسيح، فأنتم إذا نسل إبراهيم وأنتم الورثة وفقا للوعد". [رسالة بولس إلى أهل غلاطية: 25/3-26].

فالشركة بين الفقراء والأغنياء والسادة والعبيد، تتلقى قواعد ومعايير جديدة من خلال المحبة، كمبدأ تنظيمي للحياة بين المسيحيين. وعلى هذا فإن على السادة أن يعاملوا العبيد بالعدل والمساواة [كورنثيوس: 1/4]، فهم إخوة في المسيح<sup>2</sup>. ولهؤلاء حق الطاعة؛ "أيها العبيد؛ أطيعوا سادتكم في هذه الدنيا بخوف ورعدة وقلب صاف كما تطيعون المسيح. لا طاعة عبيد العين، كمن يتبغي رضا الناس، بل طاعة عبيد للمسيح تطيب نفوسهم أن يعملوا بمشيئة الله. واخدموا بنفس طيبة خدمتكم للرب لا للناس، فإنكم تعلمون أن كل إنسان إذا عمل صالحا نال جزاءه عند الله، أعبدا كان أم حرّا. وأنتم أيها السادة عاملوهم المعاملة نفسها وتجنّبوا التهديد فإنكم تعلمون أن سيدهم وسيّدكم في السموات وأنه لا يحابي أحد". [إفيسس 3/6-4].

1 -- انظر، حقوق الإنسان في الأديان، ص: 93.

2 - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 329. وانظر: موسوعة الأديان في العالم، (المسيحية)، ص: 21-22.



وفي رسالة بولس إلى " أهل قورنتوس " يؤكد على هذا المبدأ بالرغم من التفاوت في الوضع الاجتماعي : " لأنه من دعي في الرب وهو عبد كان عتيق الرب، وكذلك من دعي وهو حر كان عبد المسيح. قد إشتريتم وأدي الثمن ... فليبق كل واحد. أيها الإخوة لدى الله على ما كان عليه حين دعي "[16-15/7]. وكذا ساوت المسيحية بين المرأة والرجل ، وفرضت الإتفاق والمحبة والمسامحة الأخوية ، وهي تلزم جميع مراتب الناس بالحنو على كل من سواهم مثبتة أن الجميع أبناء الله القادر على كل شيء ؛ وإلى صيرورة الجميع أعضاء في جسد المسيح وشركاء في ميراث نعمة الحياة.<sup>1</sup>

### ثانيا: الدعوة إلى تقليص الفوارق الاجتماعية وتكافؤ الفرص.

ومن صور الحرص على تحقيق المساواة في المجتمع، دعوة المسيح إلى عدم تكريس المال وإكتنازه، وتحريم الإقراض بالربا " ... اقترضوا وأنتم لا ترجون شيئا " [إنجيل لوقا : 35/6] وهو ما يحقق التكافل الاجتماعي الذي يقلص التفاوت الطبقي في المجتمع ،وقد سعى بولس في الكنائس التي أنشأها إلى إحداث تنظيم مالي يحقق فيه هذا المبدأ ؛ وفي هذا الإطار ناشد بولس الكورنثيوسين أن يقدموا فضالتهم لمواجهة المعاناة الإقتصادية لمسيحيي " أورشليم " حتى تحصل المساواة [كورنثيوس 2 : 14-13/8].<sup>2</sup>

وقد سبق تلاميذ المسيح في تكريس هذا المبدأ، فقد خرج " برنابا " عن كل ماله، طاعة لأمر المسيح لأتباعه " أترك مالك واتبعني " ويصف لوقا الجماعة المسيحية الأولى بقوله : " وكان جميع المؤمنين معا، وكان كل شيء مشتركاً بينهم ، وكانوا يبيعون أملاكهم ويوزعونها على الجميع على حسب حاجة كل واحد " [أعمال الرسل : 44/2، و5].

وقد وصف كتاب مرشد الطالبين المسيحية، بأنها " ملاك النعمة الفردوسي لأصحاب الشقاء والبلاء، فإن المحلات لأجل المرضى والمجاريح [هكذا] لم توجد في المملكة الرومانية

1 - مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، ص: 644- بتصرف.

2 -- القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 329.

إلا بعد أن صار ملوكها من أتباع المسيح. وتكاثرت هذه الأبنية في الدهر السادس والسابع والثامن في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا... حتى أنه وجد ألوف منها في الممالك المسيحية<sup>1</sup>.  
وأما تحريم المسيح للربا ففيه سدّ للطريق أمام الكسب غير المشروع والتربح بمآسي الناس ومشاكلهم، كما أن فيه غلقا لباب من أبواب الرّق والعبودية التي شرعها اليهود بسبب العجز عن الوفاء بالدين أو الفقر.<sup>2</sup> وقد انصبت جلّ تعاليم المسيحية على فكرة التكافل، وتكافؤ الفرص، فباسيليوس الكبير (329-378م) كان يعتبر أنّ حياة كل ما هو غير ضروري سرقة؛ لأنّ للفقير حقا عليك... وذهب يوحنا ذهبي الفم القول: "بينما كلبك متختم، يهلك المسيح جوعا"، وغريغوريوس<sup>3</sup> اللاهوتي قال: فلنزر المسيح بقدر ما نستطيع، فلنعتن بالمسيح، فليكرم المسيح ليس فقط على مائدتنا، ولكن بواسطة الفقراء<sup>4</sup>.

وفي رسالة عامة لقداسة البابا بولس السادس<sup>5</sup> في ترقّي الشعوب يتحدث في المادة 23: عن أنّ حق الملكية ليس مطلقا مستدلا بقول القديس أمبروسيوس: "ليس من مالك تسخو على الفقير، بل تعيد إليه ماله، إذا تدّعي لنفسك ما أعطي في الشراكة للجميع، لجميع البشر وُهبّت الأرض لا للأغنياء، ويردف شارحا هذا القول: ب"أنّ الملكية الخاصة لا تقيم

1 - مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، ص: 644

2- انظر: مقارنة الأديان اليهودية، د. أحمد شلبي، ص: 295، مكتبة النهضة، مصر، ط. 4، د. ت.

3- غريغوريوس النيصي: قديس وأسقف نيس الأخ الأصغر "لباسيليوس الكبير"، وواحد من آباء الكنيسة، أرثوذكسي العقيدة، عرف بعداؤه الشديد للأريوسيين: الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان، د. سليم إلياس ج: 5، ص: 210-211.

4 - مقال: دور الدين في البنيان الحضاري وجهة نظر مسيحية؛ جورج ناصيف، مجلة: الإسلام والمسيحية، بحوث في نظام القيم المعاصر، ص: 246.

5- بولس السادس: بابا روما (ت 1978م) عرف بجهوده في التقريب بين الكنائس، وبين الكنيسة والأمم أيضا. عرف برسول الإنفتاح، موسوعة عالم الأديان، ج: 10، ص: 236..

لأحد حقا مطلقا محلولا من كل شرط، ليس لأحد من حق أن يحتفظ لإستعماله الحاصر ما يفيض عن حاجته، بينما يفتقر الآخرون إلى الضروري.<sup>1</sup>

### ثالثا: الحث على الزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة

بخلاف القيم اليهودية التي تحثّ على الكسب والتكثّر من الدنيا وطلب الوجاهة فيها، "ثروة الغني مدينته الحصينة مثل سورعال" [الأمثال : 11/18]، و"الغني يكثر الأصحاب والفقير ينفصل عن قريبه" [الأمثال : 4/19]<sup>2</sup>. قال المسيح لأصحابه: "اعملوا لكم أكياسا لا تفنى وكنزا لا ينفذ في السموات" [لوقا : 33/12].

لقد جعلت المسيحية كل قيم الحياة الدنيا، لا تساوي شيئا بجانب القيم الخالدة في الحياة الخالدة؛ لذلك فإنّ على المسيحي إذا أراد أنّ يفوز بالحياة الحقيقية ويتبوأ فيها مكانا بجانب يسوع، أن يتخلص من حظوظ نفسه المتعلقة بالوجاهة والصّدارة والتميّز، وأن يتوجه لإصلاح نفسه، إذ ماذا ينفع الإنسان إذا ربح العالم كلّه وخسر نفسه " [متى : 22/16].

وقد أوصاهم المسيح قائلا: "إنّ رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلّطون عليهم، فلا يكون هذا فيكم، بل من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن خادما، ومن أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبدا" [متى : 25/20] و[لوقا : 25/22]. والقُدوة في ذلك المسيح "... لأنّ ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليُخدم ويفدي بنفسه جماعة الناس" [مرقس : 45/9].

وقد دعا غريغوريوس النيصي المسيحيين: "لا تحتقروا الفقراء المطروحين على الأرض، اسألوا من هم فتكتشفوا عظمتهم، لقد اتخذوا وجه مخلصنا، فأعطاهم الرّب برأفته وجهه حتى

1 - رسالة عامة لقداسة البابا بولس السادس : في ترقّي الشعوب، ترجمة جامعة الرّوح القدس، الكسليك ؛ صدر عن الفاتيكان : 26 آذار 1967.

2 - انظر : الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، د. يعقوب الميلحي، ص: 210.

يخجل القساة أعداء الفقراء ؛ الفقراء مدبرو رجائنا حراس الملكوت"<sup>1</sup>، وهم الذين يستقبلون الأغنياء في المظال الأبدية.

#### رابعا: المساواة في الخلاص.

أعتبرت المساواة بين المسيحيين في الخلاص كعمل لا يضاهاى، "وذلك من خلال تجربة واحدة، أزاحت كل الحواجز بين المسيحيين اليهود والأمميين [أعمال الرسل 17/11] . ويذكر يسوع أيضا إزالة الاختلافات بالنسبة للمساواة الأخروية بين المسيحيين، فكافة المؤمنين يتسلمون نفس المكافأة، على الرغم من اختلاف معايير إتمام التاموس في الحياة، إلا أنه في الأبدية سيعطى كل المؤمنين بالمسيح مكافآت متساوية كهبة من النعمة. وسوف يقود المسيح شعبه بحيث أن كل عضو سيكون مساويا للآخرين كلهم [مزمو: 41/17-46] <sup>2</sup>. هذا مع وجود نصوص كثيرة تشير إلى أولوية الفقراء والبائسين في وراثة الملكوت وأفضليتهم، فقد قال السيد المسيح: "ما أعسر دخول ملكوت الله على ذوي المال، فلأن يدخل الجمل في ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله" [لوقا: 18/24-25]، لكن لما سأله السامعون "فمن يقدر أن يخلص، قال: ما يعجز الناس فإن الله عليه قدير" [لوقا: 18/26-27]. فللخلاص شروط، " لكن نعمة الله لا غنى عنها للفوز به للفقير كما للغني" <sup>3</sup>.

1 - دور الدين في البنيان الحضاري ؛ وجهه نظر مسيحية، جورج ناصيف، ص: 246.

2 - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 329- بتصرف.

3 - انظر : الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية ؛ ج: 2، ص: 522.

## المبحث الثاني: المساواة في الديانة المسيحية موانعها وصورها وأثرها.

## المطلب الأول : المساواة وموانعها في الديانة المسيحية .

## أولا : الموانع الفطرية والتفاوت في المواهب والقدرات

لكن مبدأ المساواة لا ينفي حقّ الفرد بالتمييز، واستحقاق الجزاء والفضل للمستحق؛ لأنّ الله خلق النّاس متفاوتين في القدرات والمواهب، "رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إله وأب واحد لكل، لكن لكل واحد أعطيت النّعمة حسب قياس هبة المسيح" [رسالة بولس إلى أهل أفسس : 24].

فهيكّل التشريع الإجتماعي المسيحي، مؤسّس على نظام الإختصاص والمساهمة الشخصية في العمل البّناء، وهو يقوم على الإستحقاق الشّخصي لما يحرزه الفرد.<sup>1</sup> "أخدمة ففي الخدمة، أم المعلم ففي التعليم. المعطي فبسخاء المدبّر فبإجتهد الرّاحم فبسرور ... [رسالة بولس إلى أهل الرومية: 12]. وفي المصادر المسيحية نصوص كثيرة تحث على العمل، وتعلي من شأنه. "إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا، لأنّا نسمع أنّ قوما يسلكون بينكم بلا ترتيب لا يشتغلون شيئا بل هم فضوليون" [لوقا : 8/3-10]. فهذا النص يدل على أنّ التفاضل وإن كان منتفيا في أصل الخلقة. فالنّاس كلهم سواسية، إلّا أنّ هذا لا يمنع أن يكون "تقييم الفرد في المجتمع يقوم على أساس عمله، وما يبذله من مجهود يضمن له العدالة والمساواة في الفرص المتكافئة، من خلال احترام القانون الطبيعي وما جاءت به تعاليم المسيح حول المحبّة والتعاون"<sup>2</sup>. فمواهب النعمة توزع بشكل متنوع غير أن لها قيمة متساوية في المسيح"<sup>3</sup>.

1 - انظر : الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية ؛ ج: 2، ص: 522.

2 - القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص: 316.

3 - حقوق الإنسان في الأديان، د. سعدون محمود الساموك، عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، ص: 107.

" وكما أنّ الجسد واحد وله أعضاء كثيرة، وأن أعضاء الجسد على كثرتها، ليست إلا جسدا واحدا، فكذلك المسيح. فإننا إعتدنا جميعا في روح واحد لنكون جسدا واحدا، أيهودا كنا أم يونانيين، عبدا أم أحرارا، وشربنا من روح واحد. فليس الجسد عضوا واحدا، بل أعضاء كثيرة... ولكن الله جعل في الجسد كلاً من الأعضاء كما شاء. فلو كانت كلّها عضوا واحدا فأين الجسد... فلا تستطيع العين أن تقول لليد: لا حاجة لي إليك، ولا الرأس للرجلين: لا حاجة بي إليكما. لا بل إنّ الأعضاء التي تحسب أضعف الأعضاء في الجسد هي ما كان أشدّها ضرورة، والتي نحسبها أحسها في الجسد، هي ما نخصه بمزيد من التكريم، فأنتم جسد المسيح وكل واحد منكم عضو منه": [ر-ب-1 إلى أهل قورنتس: 8/12].

## ثانيا : الموانع الإجتماعية الرّق.

### 1- التضارب في النصّ الديني وأثره في تكريس العبودية.

تغيب في الدّيانة المسيحية كل إشارة إلى العبودية كمؤسسة إجتماعية، تنتقص من إنسانية الإنسان، وتحدّد من تطلعاتها وأشواقها للإعتاق؛ لذلك فإنّها لم تسع إلى الحد من آثار التشريعات المكرّسة لها، كما هو موجود في الدّيانة اليهودية - لليهودي في اليوبيل وغيرها من أحكام وتشريعات، أو إلى تجفيف منابعها، كما في الإسلام في الكفارات، وفي الترغيب والحث على عتق الرقاب كما سنرى، بل إنّها تؤكد دوما على واجبات العبيد المسيحيين نحو سادتهم " فالتحرّر الذي أتى به المسيح ليس تحريرا بحسب الجسد، بل يجب أن يُحمل العبد على تحسين خدمته لسيدته، حتى يمجّد اسم يسوع"<sup>1</sup>، لكن هذا لا ينفي جهد الكنيسة في التحسين من وضع العبيد والتوصية بهم، وأجلى مثال لذلك "رسالة بولس إلى فيلمون"<sup>2</sup>، التي

1 - الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 2710.

2- كان عضوا وجيها في جماعة قولسي وكان يراها بماله ونفوذه وهو ممن اهتموا على يد بولس إلى الإيمان المسيحي : انظر: ن-م-س، ص: 2723.

وإن كانت تحمل طابعا شخصيا - إعادة العبد الأبق أونيسمس<sup>1</sup> إلى سيده والتوصية به والحث على معاملته كأخ - في المسيح.

فقد كان نظام الرّق يشمل العالم كله عندما جاءت المسيحية، وقد كان من مستلزمات الأوضاع الإقتصادية. لذلك فحسب المدافعين عن موقف المسيحية السلبي من الرّق لم يكن هناك من مجال إلى هزّ هذا النظام الإقتصادي الذي كان العالم القديم يقوم عليه<sup>(2)</sup>. لكنه حث على حسن معاملة العبيد والرّفق بهم. وبعكس ما كان متوقعا من خلال سيرة المسيح وتلاميذه، ومن التعاليم التي رفع فيها المسيح شعار المحبة، وعدم التمييز بين الناس، والتواضع، فقد بشرّ بمجتمع " لن يطلب فيه أحد المتكأ الأول في الولايم، ولا التحيات في الأسواق " [متى : 6/13]. "وإذا أراد أحد أن يكون أولا، فليكن آخر الكلّ وخادما للكلّ" [مرقس : 55/9] " ومن أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادما، ومن أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبدا " [متى : 27/20]. فمثل هذه النصوص وغيرها، -حسب هؤلاء- هي دعوة إلى إلغاء الطبقية، ونبذ كل سلوك أو فكر يشجع على إستمرارها. بل إن من يريد أن يحضى بالملكوت عليه أن يكون خادما خادمه.

لكننا نجد في الأناجيل في نصوص أخرى ترسخ الأخلاق الطبقية ؛ وهذه الازدواجية الموجودة في النص الأصلي تفسر البون الشاسع بين المبادئ والقيم النظرية والواقع المائل لمعتنقي هذه الديانة. فهناك نصوص لا تكتفي بالإقرار بالترتيب الإجماعي المتوارث، بل

1 - أونيسمس : إسم يوناني معناه [نافع]. وهو عبد " فيلمون " وقد سرق سيّده وهرب إلى روما أين أصبح مسيحيا، وقد أرسله بولس برسالته إلى سيّده في كولوسي يستشفع له. وقد أصبح فيما بعد أسقفا ومات شهيدا : قاموس الكتاب المقدس، ص: 90.

2 - انظر : العدالة السياسة في المسيحية، ألبر لبحام، مجلة الندوة (عدد 11) ص: 39-40.

إننا" في كل خطوة نجد في الأناجيل المتقاربة إشارة إلى أسياد وعبيد<sup>(1)</sup>، وهي ترسخ سلطة الأخلاق الطبقية، فالسيد لا يحسب نفسه ملزما بعرفان فضل العبد الذي يجيد عمله؛ لأنه قام بما يمليه عليه منصبه. قال يسوع: "ومن منكم له عبد يحرق أو يرعى يقول له أدخل من الحقل، تقدم سريعا وإتكئ؟ بل ألا يقول له: اعد ما أتعشى به، وتمنطق وأخدمني حتى أكل وأشرب، وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت؟ فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به؟" [لوقا: 07/17].

وفي يوحنا: "ليس عبد أعظم من سيده" [يوحنا: 20/15]، بل إن أحد النصوص ينفي إمكانية وجود صداقة أو علاقة إنسانية متكافئة بين العبد وسيده، فقد خاطب يسوع تلاميذه عند شعوره بدنو نهايته قائلا: "لا أعود أسميكم عبيدا؛ لأنّ العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكن أسميكم أحماء؛ لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" [يوحنا: 15/15].<sup>(2)</sup> ويقول بطرس في رسالته الأولى: "أيها العبيد فلتخضعوا لأسيادكم والخوف يملأ نفوسكم، ولا يكون هذا الخضوع للخيرين منهم ولا للرفيقين فحسب، بل وللشريرين أيضا"، مثل هذه النصوص وغيرها كثير، بالرغم من أنّها دعت الأسياد إلى المحبة والرفق بالعبيد، إلا أنّها في الواقع أقرت نظام الرق والتفاوت الطبقي وأطالت عمره، بل إنه أصبح أكثر توحشا وقهرا وإستخفا بالحقوق لإعتماده على السند الديني.

1 انظر: [مرقس: 34/3]، و[متى: 34/21]، و [لوقا: 43/12]، و [متى: 30/25].

2 - أخلاق الإنجيل، ألبيربايه، ت، سليم العوّا، ص: 107-109، بتصرف.



فقد قرن أحد الرهبان بين نظام التبعية<sup>(1)</sup> وإرادة الله في هذا العالم، وقرّر أنّ محاولة التمرد عليه ونقضه، هو محاولة للخروج عن إرادة الله: "إن الله نفسه قد أراد أن يكون بين البشر سادة وتُبع، حتى يلزم الأسياد تبجيل الإله وحبهم له، ويلزم التبعية تمجيد أسيادهم وحبهم لهم."<sup>(2)</sup> وقد استمر هؤلاء الرهبان في إزجاء الوعود للعبيد والمقهورين بملكوت الله ومملكة السماء، وحصولهم على نعيم الجنة دوناً عن الأغنياء، لكن بشرط الإمتثال والإستسلام لمعاملتهم الجائرة وظلمهم اللامحدود، إلى أن صدر مرسوم عام (1486م)، الذي ألغيت فيه بعض أشكال القنانة والعبودية، ومُنِع فيه ملاك الأراضي الذين هم السينورات والبارونات من قضاء الليلة الأولى مع المرأة التي يتزوجها أحد الفلاحين<sup>3</sup> وألاًّ يثبوا في ليلة الزفاف فوقها كرمز لسيادتهم، وإستخدام أبناءهم وبناتهم رغماً عنهم.

## 2- مدى صحة الإدعاء بأن التعاليم المسيحية عجلت بإلغاء الرّق.

يدعي كثير من المفكرين المسيحيين في العصر الحديث: أنّ المسيحية عبر تاريخها العام قد أدّت إلى الإسراع في إعلان حقوق الإنسان، حيث أكد برغسون<sup>(4)</sup> في كتابه 'الدين والأخلاق'، أنّه لم يكن بدّ من الإنتظار حتى تظهر المسيحية لكي تصبح فكرة الإخاء العام،

1 - التبعية: أفرز نظام الإقطاع في العصور الوسطى نظاماً طبقياً إنقسم فيه المجتمع إلى ثلاث طبقات كبرى لكل منها ميزاتنا وحقوقها: فكان رؤوس الطبقات العليا ورجال الدين من أكبر الإقطاعيين، وفي الحضيض الأرقاء الذين لا حقوق لهم في القانون وكان نظام التبعية أسمى من العبودية، لأن للتابع الحق في أن تكون له زوجة وأولاد، وفرص بيعة كرفيق ممكنة وليست مطلقة مثلما هو الحال للعبد، لكن القانون يسمح بتوزيع أبنائه بين عدة أسياد وليس له أن يقاضي أحد الأسياد: انظر: حقوق الإنسان في الأديان، د: سعدون الساموك وعبد الرزاق رحيم الموحى، ص: 118-119.

2 - حقوق الإنسان في الأديان، د. سعدون الساموك، ص: 119، نقلاً عن تاريخ إعلان حقوق الإنسان ألبير تايبيه، ت: محمد مندور، ج: 1، ص: 123- بتصرف.

3 - ن.م.س.، ص: 119-120.

4- فيلسوف فرنسي، ولد في باريس في أسرة يهودية (سنة 1859م)، حاز على نوبل للآداب، واقترب من اعتناق المسيحية الكاثوليكية، لكنّه عدل عن ذلك لأسباب مبدئية من أشهر كتبه "الأخلاق والدين"، (1941م): موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ج: 1، ص: 321 إلى 340.

تلك الفكرة التي تتضمن المساواة في الحقوق وإحترام الشخصية البشرية فكرة فعالة<sup>(1)</sup>.

فهذا التحليل مجاف للواقع وللحقائق التاريخية ولشهادة كثير من العلماء المسيحيين أنفسهم، فإنه وإن كان من الإجحاف التّفي بأن الكنائس والأديرة شكّلت على الدوام ملاذا للفقراء والمستعبدين وأن بعضاً من رجال الدّين المسيحي خالفوا التوجّهات العنصرية لمؤسسات الكنيسة الرسمية باختلاف فرقها ؛ وقد عوقب أكثرهم بالحرمان والإبسال. إلا أنّ المسيحية على مدار تاريخها، وحتى في العصر الحديث كانت رافداً من روافد الإستعمار وسوغت للمستوطنين الغربيين في أمريكا وأستراليا، طرد وإبادة أهلها بإسم المسيح، وقد أصدر البابا عام 1455م، مرسوماً بابويًا يقرّ إسترقاق الزنوج والهنود الحمر، وقد اعترف البابا بولس السادس بأنّ العنصرية في العهد الإستعماري، "ثبتت بين الدّخلاء والصحراء فأقامت عقبة في وجه فهم خصيب متبادل، وأثارت الكثير من الضّغائن على عقب مظالم وإتهان الحقوق الثابتة للشخص البشري، بحجة عنصرهم ولونهم "، ولا تزال ذات الكنيسة لا تعترف بالشخصيات المسيحية التي رافقت الإستعمار الغربي، بل إنها رفعت بعضهم إلى درجة القديسين.<sup>(2)</sup> لذلك نجد أحد أكبر علمائهم بعد أن يذكر أن معظم المسيحيين يميلون إلى إفتراض أنّ المسيحية ستكون هي دين العالم كله في المستقبل، يردف أن " هذا أبعد ما يكون عن أن يكون أمراً مؤكداً... فبعض الأمم المسيحية الكبيرة تعاني بشدة من العنصرية. والدّين الذي لا يستطيع أن يحلّ مشكلة

1- انظر : حقوق الإنسان في الأديان، ص: 113، نقلا عن : تاريخ إعلان حقوق الإنسان ألبير تاييه، ت. محمد مندور، ص: 40، وحقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، ص. 55، ودور الدين في النيان الحضاري، وجهة نظر مسيحية ؛ جورج ناصف، ص: 247.

2 - انظر: حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، ص: 55-56. وانظر في علاقة الكنيسة بالإستعمار، موسوعة عالم الأديان، ج: 10، ص: 203-205.

العنصرية بين أعضائه ؛ من المستبعد أن يكون قادرا على تقديم حلول كثيرة مجددة لمشاكل العالم الأخرى (1).

### المطلب الثاني: المرأة في الديانة المسيحية

تتحقق أهمية وجود المرأة في الديانة المسيحية بسبب دور السيدة مريم في قصة المسيح - عليه السلام - وقد انقسمت الفرق الدينية المسيحية في النظرة إلى السيدة مريم على طرفي نقيض؛ فمنهم من أعلى من شأنها فأوصلها إلى مصاف الألوهية وإستحقاق العبادة وهم الكاثوليك ؛ ومنهم من لم يعطها حقها من التبجيل والتقدیس، وهم البروتستانت ، أمّا الأرثوذكس فقد إتخذوا موقفا وسطا. (2) وبالرغم من هذا الوجود المحوري لمريم ولنساء غيرها في حياة المسيح وتلاميذه، إلا أنّ هذا لم يسفر عن وضع مختلف جذريا عن ذلك الذي عرفته المرأة في الديانة اليهودية، فخطيئة حواء كما في اليهودية ،هي ثابت من ثوابت الديانة المسيحية، فهي أول من عصى الأمر الإلهي وهي التي تولت غواية آدم فعوقب ومعه الجنس البشري. لكن مجيء المخلص عن طريق امرأة- مريم - كما سلف - وانفراد المرأة يوم الصلب بالولاء للمسيح دون جلّ الرجال قد كفّر عمّا فعلته يوم السقوط ولو جزئيا.

**أولا : موقف المسيح من المرأة:** كان للمرأة في حياة السيد المسيح حضورا قويا، في مواقف حاسمة وإتسم موقفه منها بالإنسانية والسّمو، كما سجّلت الأناجيل لهؤلاء النسوة سلوك التّبل والإيمان والتوقير تجاه المسيح. فمن النساء الصالحات : ذكرت الأناجيل

1 - الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، تأليف : و مجتمري وات ؛ ترجمة : عبد الرحمن عبد الله الشيخ، سلسلة نافذة على الثقافة العالمية (الألف كتاب الثاني ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص: 239..

2 - انظر : المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام : زكي علي أبوغضة، دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر : ط. 1، 1429هـ-2003م، ص: 79-80. ونساء الكتاب المقدس، القس إلياس مقار، دار الثقافة، مصر، د. ت.، ص:

أليصابات<sup>(1)</sup> امرأة زكريا، وأم يوحنا التي ألهمها الرب بوجوده وهو في بطن أمه، وأم ابني زبدي التي إستغرق إيمانها بالمسيح كل وجدانها فسألت عيسى - عليه السلام- " قل أن يجلس إبناي هذان واحدا عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك " [مرقص : 10/35-43].

ومن أخبار الصالحات المرأة الفقيرة التي تبرعت بفلس، فجعلها المسيح مثلا يُقتدى "الحق أقول لكم : إن هذه المرأة الفقيرة ألفت أكثر من الجميع؛ لأنّ هؤلاء من فضلهم ألقوا في قرابين الله، وأمّا هذه فمن أعوازاها ألفت كلّ المعيشة التي لها " [لوقا : 21/3-4].

وهي شاهدة في إحدى أهم العقائد المسيحية-قيامة المسيح الأولى-، حيث شهدت مريم المجدلية<sup>(2)</sup> ومريم أم يعقوب ويونس، وأم إبن زبدي صلبه ووفاته وقيامته. " وفيما هما منطلقتان ليخبرا تلاميذه، إذ يسوع لاقاهما وقال : سلام لكما، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه، وسجدتا له، فقال لهما يسوع : لا تخافا، أذهبا قولاً لأخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني " [متى : 20/9-10].

وذكرت الأناجيل نساء " كان قد سبق شفاؤهن على يد يسوع، منهن امرأة خوزي وكيل هيرودس، وسوسنة وأخريات كثيرات " [لوقا : 7/2-3]. ومنهن من خالف يسوع السبت وقام بشفاؤها، وحاجج رئيس المجمع اليهودي بشأنها، وهي " المرأة الحذباء " التي كانت تشكو من عمودها الفقري طويلاً [لوقا : 13/10-11] و"المرأة النازفة " التي شفاها المسيح وهي تعدّ عند اليهود نجسة [متى : 9/19-23]، والأرملة التي رقّ المسيح لحالها وأحيا لها وحيدها. [لوقا : 7/12-16]. ومرثا ومريم، اللتان أحيا لهما المسيح أخا، فلما سمع يسوع، قال : هذا المرض

1 - أليصابات : هو إسم امرأة تقيّة من سبط لاوي ومن بيت هارون، وهي زوجة زكريا وأم يوحنا المعمدان (يحي). وقد أوحى إلى أليصابات بالروح القدس : قاموس الكتاب المقدس - أليصابات، ص: 82.  
2 - مريم المجدلية : من أتباع المسيح، قيل أنها أبتليت بسبعة شياطين آمنت بالمسيح بعد أن رأف بها وشفاها : ق-ك-م-ص، ص: 858.

ليس للموت، بلّ لأجل مجد الله، ليتمجد ابن الله به. وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعاذر  
" [يوحنا : 11/5-1].

ومن النساء الخاطئات اللاتي لم يجعل المسيح من خطاياهن إمتدادا للخطيئة الأم، بل  
تعامل معها بما تقتضيه رسالته. وأهم هؤلاء الزانية التي نسخ بسببها حدّ الرّجم في الشريعة  
الموسوية [يوحنا: 8/3-11] و [لوقا : 13/7].

والمرأة السّامرية التي كلّمها المسيح، وقد كان اليهود لا يكلمون السّامريين ولا يتعاملون  
معهم. فأخبرها بحالها ووعظها وطلب منها ماء، فأمنت به، وآمن به معها كثير من قومها  
السّامريين بعد أن نبأتهم بخبره، وقد "... عجبت من قوله وقالت له : كيف تطلب مني أن  
تشرب وأنت يهودي وأنا سامرية ! ... عند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع  
إمرأة " [يوحنا: 4/18-27]. وإمرأة بيلاطس التي لم تؤمن به، ولكنها أوصت به زوجها وصفته  
بالبار [متى: 27/19].<sup>1</sup>

إنّ جملة هذه المواقف الإنسانية شكلت ثورة هائلة رفعت مكانة المرأة عاليا، وعبر  
المسيح عن نظرة رحيمة للمرأة فصان حقوقها الزوجية، وقد كانت سلطة الرّجل في الديانة  
اليهودية مطلقة فإن شاء أمسك زوجته، وإن شاء فارقها دون سبب. فقرّر قدسيه الرّابطة الزوجية  
" فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان " [متى : 19/4]، وبيّن للفريسيين الذين سألوه عن الطلاق  
: "من أجل قساوة قلوبهم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم " [متى: 19/8].<sup>(2)</sup>

1 - انظر : الكتاب المقدس - النسخة اليسوعية، ج: 1، ص: 177 و 217 - الهامش - والمرأة في اليهودية والمسيحية  
والإسلام، زكي أبوغضّة، ص: 92-101، ونساء الكتاب المقدس، ألقس إلياس مقار، ص: 263 وحقوق الإنسان في  
الأديان، ص: 128-129 و 131-132.

2 - الكتاب المقدس - النسخة اليسوعية، ج: 1، ص: 157 - الهامش. وانظر : l'avenir des droits humains ; approche  
theologique du moyen age chretien et droits  
p 45.. divin.felicien Rousseau.

وقد ذهب بعض من فسروا هذا النص بأن يسوع أجابهم بأنّ الطلاق هو مجرد ترخيص فالإعفاء لا يلغي الشريعة الأساسية<sup>(1)</sup>؛ ولذلك لاحظ الكثيرون إنضمام عدد كبير من النساء للدعوة الجديدة آنذاك ؛ وكذلك موقف المرأة يوم الصلب، إذ إنفردت بالولاء له، وقد أنفض عنه أقرب تلاميذه<sup>(2)</sup>، وقد سار التلاميذ على نهج السيد المسيح في إحترام المرأة وتوقيرها، وعرفت المسيحية الأولى إشرافاً للمرأة في تعليم الدّين ونشر الدعوة.

**ثانيا : موقف الرسول بولس من المرأة:** خلافا لموقف المسيح من المرأة فإن حضور التراث الحاخامي اليهودي في نظرة بولس للمرأة لا تخطئه عين، وبعكس آرائه ومواقفه الثورية في كثير من ثوابت الشريعة اليهودية، كالتختان والسبب والقرايين وغيرها. فإن فكرة الخطيئة الأولى ومسؤولية حواء وآثارها المترتبة عليها تطفو في رسائله وتعاليمه بإعتبارها رمزا للغواية فنجده يتحدث عن أولوبة الرّجل في الخلق "وهو بهذا يشير إلى الوضع الثانوي المتدني للمرأة ... وبولس رسول الأمم يلخص الوضع الاجتماعي والاقتصادي للضعيف للمرأة في عصره، ولكنه كان يضيف عليه صبغة دينية مبتعدا عن المواقف الإنسانية الجديدة التي جاء بها السيد المسيح".<sup>(3)</sup> "ولكني أريد أن تعلموا أنّ رأس كلّ رجل هو المسيح، ورأس المرأة هو الرّجل ورأس المسيح هو الله. فكل رجل يصلي أو يتنبأ وهو مغطى الرّأس يشين رأسه، وكل إمراة تصلي أو تتنبأ وهي مكشوفة الرّأس تشين رأسها، كما لو كانت مخلوقة الشعر ... أمّا الرّجل فما عليه أنّ يغطي رأسه، لأنّه صورة الله ومجده، وأمّا المرأة فهي مجد الرّجل، ولم يخلق الرّجل من أجل المرأة، بل خلقت المرأة من أجل الرّجل ... إلاّ أنّه لا تكون المرأة بلا رجل عند الربّ ولا

1 - انظر : نساء الكتاب المقدس، ألقس إلياس مقار، ص: 191.

2 - انظر : نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، د. محمود شعلان، دار العلوم، 1983م، ج:1، ص: 180-181-182.

3 - حقوق الإنسان في الأديان، د: سعدون الساموك، عبد الرزاق رحيم الموحى، ص: 134، وانظر: ص: 129.

الرجل بلا المرأة، فكما أنّ المرأة استلت من الرجل ، فكذلك الرجل تله المرأة [ر-ب-1 إلى كورنتس: 1/11-4].

وكما هو مقرّر في الديانة اليهودية، فإنّ تعليم المرأة دينها معهود به للرجل، ولا عكس، وبالرغم من أن المسيح لم ينكر على المرأة مقاطعتها ، ولا رفع صوتها أثناء خطبة له أمام جمع من الناس : " وفيما هو يتكلم رفعت امرأة صوتها من بين الجمع وقالت له: طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين رضعتهما " [يوحنا: 28/11]. إلا أن بولس أمرها "لتصمت النساء في الجماعات، شأنها في جميع كنائس القديسين، فإنّه لا يؤذن لهن بالتكلم. وعليهن أن يخضعن كما تقول الشريعة أيضا فإن رغبن في تعلم شيء، فليسألن أزواجهن في البيت، لأنّه من غير اللائق للمرأة أن تتكلم في الجماعة" [ر-ب-1 إلى كورنتس: 1/13-14].

ويأتي هذا النص ليخص موقف بولس من المرأة: "وعلى المرأة أن تتلقى التعليم وهي صامته بكل خضوع ولا أجزى للمرأة أن تعلم ولا أن تتسلط على الرجل، بل تحافظ على السكوت فإن آدم هو الذي جبل أولا وبعده حواء. ولم يُعَوّ آدم بل المرأة هي التي أغويت فوقعت في المعصية، غير أنّ الخلاص يأتيها من الأمومة، إذا ثبتت على الإيمان والمحبة والقداسة مع الرّزّانة" [الرسالة الأولى إلى طيموتاوس: 9/2].

وعلى ضوء ما سلف ذكره يتحدّد موقفه من الزواج، فيبين أنّ البتولية هبة من الله، أمّا الزواج فإنّه حال عامّة، "أمّا ما كتبتم به إلي فيحسن بالرجل أن لا يمس المرأة، ولكن لتجنب الرّزّي، فليكن لكل رجل امرأته، ولكل امرأة زوجها... وأقول هذا من باب الإجازة لا من باب الأمر، فإنّي أودّ لو كان جميع الناس مثلي". [رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس: 1/7-2-3-4-5].

وقد ذكر بولس في رسائله نساء لعبن دورا فعّالا في خدمته ومن هؤلاء، ليديا في فيليبّي

[أعمال الرسل: 15-14/16] وفيبي [رومية: 2-1/16]، وبريسيكلا وأكيلا [رومية: 4-3/16].

ثالثا : موقف آباء الكنيسة<sup>(1)</sup> والمسيحية المعاصرة من المرأة: وقد كان لموقف بولس وآرائه في المرأة أثرا ظاهرا في القسوة التي نظرت بها المسيحية للمرأة، والتشريعات التي نتجت عنها، فقد فُرق كلمنت السكندري (150-223م) بين الرجل والمرأة على أساس العقل الذي منح للرجل، وهو سبب مجده، أما المرأة فهي تجلب الخزي والعار - على حدّ قوله -، والأمر ذاته ينطبق على الأب ترتوليان (160-230م) الذي وصف المرأة بأنها باب الشيطان " أنتن اللاتي أكلن من الشجرة المحرّمة، فالمرأة هي التي أغوت الرجل لا العكس، وأول من عصى الله وخالف الشريعة الإلهية، وأطاع الشيطان، أنت أيتها المرأة حطمت بسهولة ويسر صورة الله التي هي الرجل ". أما القديس جيروم (345-420م) فقد كان أقلّ حدّة من سابقه؛ لكنّه يكاد أن يعدّ الزواج من الخطايا، وهو يفضل بولس الرسول الأعزب على بطرس المتزوج، ويرى يوحنا ذهبي الفم<sup>(2)</sup> أنّ من يتزوج لا يمكن أن يكون راهبا، ويظهر ذلك جليا في رسالته إلى تلميذه التي عنوانها بـ (نصيحة إلى ثيودور بعد سقوطه، قرن فيها المرأة بأعظم الذنوب الشرك بالله والفاحشة. يقول فيها: "... فكر فيما إرتكبه داوود من زنا، وفي إرتداد سليمان،<sup>(3)</sup> ثم عليك أن تتأمل مليا في الطبيعة الحقّة لذلك الجمال الذي توشك من أجله أن تتخلى عن

1 - آباء الكنيسة : استعمل العهد الجديد هذه الكلمة للدلالة على الجيل الأول من المسيحيين، وهم الرّسل السبعون الذين عينهم المسيح (غير الإثني عشر تلميذا)؛ وقد رافق هذا الوصف كثيرا من الشخصيات المسيحية الكبيرة إلى يومنا هذا. إلا أنّه يعتبر مرتبطا بشكل خاص بالآباء الذين عاشوا في ظل الحضارة الهيلينية وقد نجح هؤلاء في اختراق وتعميد العالم الوثني وفلسفته، فأدى ذلك إلى "تمسحّن الهيلينية" بحسب المسيحيين، في حين يرى البعض - كالقاضي عبد الجبار - أن المسيحية هي التي تروّمت - الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان، د. سليم إلياس، ج: 5، ص: 6-8.

2 سمي يوحنا، (345م-407م)، " بذهبي الفم " أو فم الذهب " لما إشتهر عنه من براعة في البيان وذراية في اللسان وقد أشتهر بمجموعة العظات التي ألّفها في إنطاكية عام 387م وسميت " عظات التماثيل ". وقد عاش حياة الزهد والرهبانية؛ الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان، د. سليم إلياس، ج: 5، ص: 261 إلى 266.

3 أنهم داوود في العهد القديم بالزني، وسليمان بالتحول من التوحيد إلى الوثنية بسبب النساء، وقد سبقت الإشارة إلى هاتين القضيتين في الجزء المتعلق باليهودية من هذا البحث.



فضيلتك"، والأمر ذاته يقال في القديس أوغسطينوس<sup>(1)</sup>، أما القديس توما الأكويني فإنه حرر في الخلاصة اللاهوتية أربع مقالات، يثير فيها إشكالات وإعتراضات عن خلق المرأة<sup>(2)</sup> وقد بلغت نظرة إزداء المرأة ذروتها في مجمع ماكون (581م) حين جرى البحث فيما إذا كان للمرأة نفس، وإذا كانت من جملة البشرية، وقد حُسم الجدل إيجاباً للمرأة بأكثرية ضئيلة. هذا وقد رفعت المسيحية من شأن الرهبنة<sup>(3)</sup>.

وأوصى رجال الكنيسة خلافاً لها تملية الفطرة بأن يقدم الأبناء من الحب والبر للآباء أكثر من الأمهات، وللمرأة أن تخضع خضوعاً لا حدّ له لرجلها، كما أوصى بذلك بولس. أما بالنسبة لوضعها المدني فقد منعت المرأة من الإدلاء بشهادتها في المحاكم. وجعلت عقوبة الإساءة إليها نصف عقوبة الإساءة للرجل<sup>(4)</sup>.

أمّا في العصر الحديث فبسبب ضغوط ومتطلبات عصر النهضة - في أوروبا بشكل خاص - المناادي بفكرة الحقوق والمساواة بجميع أبعادها المعنوية والمادية؛ حاول رجال الكنيسة تكييف الحياة المسيحية بحسب الظروف السياسية والاجتماعية الخاصة بكل أمة يعيش المسيحيون في كنفها إذ يلاحظ في كتب الإصلاحيين منهم رجوعاً إلى سيرة المسيح وإستلهاماً من موافقه العظيمة مع المرأة. وأيضاً بتأويل النصوص، كقول بولس: "ليس ذكر وأنثى لأنكم

1 - إرتبط القديس أوغسطينوس في شبابه المبكر بامرأة سفاحا وولدت له ابناً وفي إعتراقاته يتمنى لو أنه إرتضى أن يكون حصياً حياً في الملكوت لكان إذا أوفر سعادة.

2 -- انظر: حقوق الإنسان في الأديان، ص: 136-137-138.

3 - (الرهبنة: إسم من معنى الرّاهب أي إتخاذ طريقة الرّهبان، وقد تطلق على الرّهبان أنفسهم مجازاً والرّاهب الخائف " وعند النصراني من تبتل لله وإعتزل عن الناس إلى بعض الأديرة طلباً للعبادة وقد ظهرت هذه الفكرة قبل المسيح عند اليهود الأسينيين كردّ فعل لإغراق المجتمع اليهودي الشديد في المادية، دائرة المعارف؛ بطرس البستاني، ج: 8، ص: 687-693، مادة - الرهبنة -) بتصرف.

4 - نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، د. محمد شعلان؛ ج: 1، ص: 189-190-191. انظر: نقلاً عن قصة الحضارة، ج: 4، ص: 187.

جميعا واحدا " وهو نص عام كما هو معروف وأيضا بإبتعادهم بالإستشهاد بالنص الترتي إلا في أضيق الحدود.

"وهكذا فالشؤون الإجتماعية التنظيمية في الكنيسة هي أمور تخضع للظروف، وقابلة للتغير، بحسب الظروف والمجتمع الذي تعيش فيه الكنيسة، بعكس الأمور الروحية التي لا تتغير".<sup>(1)</sup> ومهما يكن من أمر فإن المرأة المسيحية قد ضربت بسهم وافر في العمل الإجتماعي والطبي والإنساني وأبانت عن إلتزام و كفاءة عاليتين في هذا المضمار،وقد أقرت الكنائس المساواة بينها وبين الرجل في الميراث وفي الحقوق، أما على مستوى التطبيق فيتفاوت المسيحيون في ذلك، بحسب الأعراف والعادات الإجتماعية.

### المطلب الثالث: المساواة بين رجال الدين المسيحي وسائر المؤمنين

لم يعرف تلاميذ المسيح في فجر المسيحية الأولى، إلا بكونهم دعاة ومبلغين لرسالته، ولم يدعوا لأنفسهم إمتيازا عن سائر المؤمنين. لكن بعد أن استتبت أوضاع الديانة وأصبحت تمتلك مؤسسات وهياكل رجعت إلى وصية السيد المسيح الشهيرة لبطرس: "أنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. وكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات، وكل ما تحلّه على الأرض يكون محلولا في السموات" [متى : 18/16].

وقد اعتمد رجال الدين المسيحي على مثل هذه النصوص لإحداث نظام شبيه بذلك الذي عرفته الديانة اليهودية. حيث سنّوا قوانين تكفل لرجال الكنيسة وضعا خاصا تنتفي فيه معايير المساواة التي دعا إليها المسيح بين رجال الدين وعموم المسيحيين.

**أولا : الرهبنة:** بالرغم من أن المسيحية الأولى لم تعرف نظام الرهبنة إلا أنها أصبحت سببا في حصر الدرجات العظمى الأكليريكية على من يلتزم به، فصارت بعد أن كانت صورة من صور الزهد والإعراض عن الدنيا ؛ مطية للإرتقاء الإجتماعي والمادي دون سند ولا دليل، وقد سنت الكنيسة العديد من القوانين القاسية التي تسلط على كل من نذر الرهبنة وتكريس نفسه للكنيسة وتراجع عن نذره ؛ تبدأ بالتوبة والعذاب النفسي والمعنوي بالإنفصال عن الزوجة وتنتهي بسلسلة من الكفارات. ومن هذه القوانين ؛ قوانين القديس أيبفانوس - القانون السادس والثلاثين -، والقانون الصادر عن مجمع نيقية - القانون الثاني عشر-، والقانون الثامن عشر - من قوانين " أنقرا غلطية، وغيرها وهي تنص على أنّ من قدم ذاته لله ثم رجع إلى العالم وفسخ ما نذره وأفرزه لله وأفسد بتوليته ونجسها وترك مقارنة المسيح، بعد أن كان قد تسلح بالشكل الملائكي ونقض العهود التي عاهدها أمام هيكل الله وخدمه ورجع إلى مقارنة امرأة، فقد كفر بالحقيقة وناق على المسيح وتبع أهوية الشيطان"<sup>1</sup>. والغريب أن الآلاف من الرهبان الذين ساكنوا النساء وأنجبوا منهن أطفالا غير شرعيين - على مدار تاريخ الكنيسة-. لم يحكم عليهم بالكفر، ولم تفرض عليهم تلك الألوان من العقوبات القاسية والإذلال الشديد.

**ثانيا : إحتكار فهم الكتاب المقدس وأسرار الديانة:** في مرقس يقول المسيح لتلاميذه حين سأله عن غايته من الإكتثار من ذكر الأمثال : " أنتم أعطيتم سرّ ملكوت الله. وأما سائر الناس فكل شيء يلقي إليهم بالأمثال : " [مرقس : 7/4-11]. ويبرّر شراح العهد الجديد أن هذا

1 - نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام - دراسة مقارنة - ج:1، ص: 210.211.213-214 - بتصرف، نقلا عن : مذكرات في القوانين الكنسية ؛ القمص صليب سوريال، مطبوعات الكلية الإكليريكية واللاهوتية، مصر ؛ ص: 126-127، وكتاب لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، ص:648. والقمص صليب سوريال يدعو في هذا الكتاب إلى إصلاح هذا النظام.

المسلك من السيد المسيح لا يتم عن رغبته في حجب رسالته ومنع الذين في الخارج من الإهتداء، بل عن التدبير الإلهي الخفي.

وفي جميع الأناجيل يأتي التأكيد على هذا التمييز بين الذين يلقي إليهم الكلام بالأمثال فقط وبين الذين " أعطى لهم أن يعرفوا أسرار الملكوت " [لوقا: 12/8-13] فهناك طبقة خاصة تحتكر فهم وتأويل الكتاب المقدس والحقائق الدينية.

وقد أسس هذا الفهم لحياة رجال الذين على مكانة متميزة في الكنيسة، فهم لن يكونوا مكرسين بالحقيقة ومزودين بقوة عليا وحسب، بل إنهم سيتمتعون بسلطات خاصة، سيكون لهم أن يغفروا الخطيئة أو أن ييقوها [يوحنا: 23/20]. ففي الأعلى بطرس أو ممثليه، وفي الأدنى سواد المؤمنين.<sup>(1)</sup> وكرست مثل هذه النصوص فهما خاصا لطبيعة الرسالة الدينية. " من قبلكم قبلني أنا. ومن قبلني قبل الذي أرسلني، من قبل نبيا لأنه نبي فأجر نبي ينال، ومن قبل صديقا لأنه صديق فأجر صديق ينال " [متى: 24/10].

" وإذا كان الرسول يساوي مرسله، فليس ذلك بالنظر إلى شخصيته، بل بحكم المهمة أو الوظيفة أو الكلام الذي وكل إليه من قبل يسوع وعبر يسوع من قبل الله " (2)، وهذا مخالف لنصوص أخرى في الإنجيل: " وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد (المسيح)، وأنتم جميعا إخوة، ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات، ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد " [متى: 23/8-9]. وعندما طلب " يعقوب " و " زبدي " إلى " يسوع " أن يجلس أحدهما عن يمينه في الملكوت والآخر عن يساره؛ قال: " تعلمون أن

1 - أخلاق الإنجيل؛ د ألبير باييه؛ ت. د. د: عادل العوّا، ص: 109-110.

2 - - الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص: 2110 - الهامش.

رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم، فلا يكون هذا فيكم " [متى : 25/20] و [لوقا : 25/22].

ويعلق أليرباييه على هذه نصوص : " إن العبارة ههنا تدل على أنه لا رؤساء بين التلاميذ لا أولوية ... ويسوع لا يريد عرض حالة المسيحي على بطرس والرسل ولا على أي رئيس، بل على الطائفة بأسرها، فجملة الإخوة المتساوين هي التي ستدين المتهم أو تبرئه، تغفر خطيئته أو تبقي عليها "(1). والكاتب كما هو واضح ينتقد عقيدة الغفران المسيحية.

---

1- أخلاق الإنجيل؛ ألبير باييه، ص: 111-112- بتصرف وقد خالف البروتستانت سائر الفرق المسيحية في هذا الشأن، كما سبقت الإشارة إليه.

## الفصل الثالث: قيمة المساواة في الإسلام وأثرها

تمهيد

المبحث الأول: قيمة المساواة في الإسلام.

المبحث الثاني: أثر قيمة المساواة على المسلمين وفي علاقتهم بغيرهم

## المبحث الأول: قيمة المساواة في الإسلام.

### المطلب الأول: معنى المساواة في اللغة والاصطلاح:

#### - أولاً: معنى "المساواة في اللغة:

قال الراغب الأصفهاني: المساواة: المعادلة المعتمدة بالذرع والوزن، يقال: هذا الثوب مساو لذلك الثوب، وهذا الدرهم مساو لذلك الدرهم، وقد يعتبر بالكيفية: نحو: هذا السواد مساو لذلك السواد، وإن كان تحقيقه راجعاً إلى اعتبار مكانه دون ذاته، ولاعتبار المعادلة التي فيه استعمل استعمال العدل.

واستوى يقال على وجهين: أحدهما يسند إليه فاعلان فصاعداً نحو: استوى زيد وعمرو في كذا، أي: تساويا، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: 18].

والثاني: أن يقال لاعتدال الشيء في ذاته نحو: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: 6]. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ﴾ [المؤمنون: 28].

وتسوية الشيء: جعله سواء إما في الرفع أو في الضعة.<sup>1</sup>

تساوت الأمور واستوت، واستوى الشيئان وتساويا: تماثلاً، وقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ

الْصَّدَقَيْنِ﴾ [الكهف: 96]، أي: سوى بينهما حين رفع السد بينهما.<sup>2</sup>

فالمساواة تطلق على عدة معان هي: الاستقامة، الاعتدال، والمماثلة، والوسطية والاستقرار.

#### - ثانياً: المساواة اصطلاحاً:

<sup>1</sup> مفردات ألفاظ القرآن، ج: 1، ص: 439-441.

<sup>2</sup> ن م س، ص 441.

ومما جاء في تعريف المساواة بالمعنى الاصطلاحي : أن يكون للمرء مثل ما لأخيه من الحقوق، دون زيادة أو نقصان.<sup>1</sup>  
وهذا التعريف للمساواة في المجال الأخلاقي.<sup>2</sup> لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعاني اللغوية.

### ثالثا: الفرق بين العدل والمساواة.

جاء في موسوعة نضرة النعيم: أن "المساواة هي الغاية التي تسعى العدالة لتحقيقها، وهي الغاية المرجوة منها".<sup>3</sup>

ونقل بعض الكتاب هذا المعنى، وبعضهم رأى أنّ العدل وليد المساواة.<sup>4</sup> والذي يظهر لي أنّ ما بين "العدل" و"المساواة" عموم وخصوص وجهي، أي: أن العدل يشترك في المعنى مع المساواة، في بعض الحالات، ويقوم أحدهما مقام الآخر، بحيث يتطابقان، وهذا ما جاء في بعض معاني العدل كما سبق ذكره، وينفرد العدل عن المساواة، بحيث يتحقق العدل دون أن تكون هناك مساواة، ومثله نصيب الذكر والأنثى في الميراث، فقله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: 11]، فهذا عدل؛ لأنّ الذكر هو الذي يطالب بالنفقة وتأمين البيت والمهر وغير ذلك، بينما هي تعفى، حتى ولو كانت غنية، وليس في القسمة مساواة. وينفرد مدلول المساواة عن العدل، بحيث تكون مساواة و لا يتحقق معها العدل، ومثاله الزام الرجل والمرأة بعمل واحد دون مراعاة التباين في الصفات الخلقية، فالمساواة متحققة دون العدل.

<sup>1</sup> . نظرة النعيم، ج:7، ص:2791.

<sup>2</sup> . وهناك تعريف اصطلاحي "للمساواة" لعلماء الحديث، وللبلاغيين يختلف عن هذا المعنى.

<sup>3</sup> نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، ج:7، ص:2795.

<sup>4</sup> مفهوم المساواة في الإسلام ص:32.





## المطلب الثاني: موارد لفظة المساواة في القرآن والسنة وصيغها:

### أولاً: المساواة في القرآن الكريم.

لم ترد كلمة "مساواة" بهذه الصيغة في القرآن الكريم وإنما ورد بلفظ "سواء" و"تساوى"، تسوية، يستوي، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران: 113]، وقوله تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6] وقوله: ﴿سَوَاءٌ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: 108].

وقوله: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: 10] وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 19] وذكر ابن الجوزي عند قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: 96] عن علماء التفسير أنّ لفظة "سواء" في القرآن على خمسة أوجه:

- المعادلة، والمماثلة ومنه قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: 25].  
- العدل، ومنه قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: 64]

- الوسط، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: 47].  
- الأمر البين، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنبياء: 109].

- القصد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77].<sup>1</sup>  
وذكر في موضع آخر أنه قد يُراد بلفظة "سواء":

- الاستقرار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ﴾ [هود: 44].  
- والركوب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلَاكِ﴾ [المؤمنون: 28].

1 . نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة بيروت، (ط) الأولى 1404هـ/1984م ج: 1، ص: 360 وما بعدها.

- ومنها القوة والشدة، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص:14]، أي قوي واشتد.<sup>1</sup>

### ثانيا : المساواة في السنة النبوية.

في حدود بحثي لم ترد لفظة المساواة بهذه الصيغة في حديث صحيح مرفوع وإنما وردت معانيها بألفاظ آخر ، كما جاءت بعض المشتقات منها ، من ذلك ما ورد في حديث ابن عباس -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- "الأسنان سواء، والأصابع سواء".<sup>2</sup> وفي حديث النعمان بن بشير " . قَالَ: "أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟ " قَالَ: بَلَى "3. وفي حديث ابن مسعود قوله- ﷺ -: "يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَأُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيُؤْمَرُوا أَقْدَمُهُمْ هَجْرَةً، فَإِنْ كَانَتْ الْهَجْرَةُ سَوَاءً، فَلْيُؤْمَرُوا أَكْبَرُهُمْ سَنًّا، وَلَا يُؤَمَّرَ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يُجْلَسُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنٍ " أو "بإذنه"<sup>4</sup>.

وجاء بلفظ "سواسية" في حديث أورده بسنده الإمام البغوي في شرح السنة-لم يسلم سنده -عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَافِيَةِ ، وَالْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ ، وَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ»<sup>5</sup>.

1 ن م س، ج:1، ص:153

2 موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني - عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة: الأولى، (1411 - 1412 هـ) = (1990 م -1992 م) ج:5، ص:89.

3 سبق تخريجه.

4 صحيح مسلم باب من أحق بالإمامة، رقم:673.

5 شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م. ج:1، ص:64. رقم 23

وجاء بلفظ آخر بمعنى "تساوى" فعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: "المسلمون متكافؤ دماؤهم وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويردُّ على أقصاهم"<sup>1</sup> و معنى «تتكافؤ دماؤهم» ، يُريدُ أنَّ دماء المسلمين متساوية في القصاص، يقادُ الشَّريف منهم بالوضيع، والكبير بالصَّغير، والعالم بالجاهل، والرَّجل بالمرأة، وإذا كان المقتول شريفاً، أو عالماً، والقاتل وضيعاً جاهلاً، لا يقتل به غير قاتله على خلاف ما كان يفعلُه أهل الجاهليَّة<sup>2</sup>. إن الإسلام الذي أرسى "المساواة" كقيمة إنسانية، لم يقصرها على المسلمين، بل شملت غيرهم ممن لا يدين بالإسلام، ممن يقيم بدار الإسلام، فهم أهل ذمة بالتعبير الفقهي، ويراد به أن لهم في ذمة كل مسلم بأن يمنحهم الأمان، وأن لهم من الحقوق ما للمسلمين، وأن عليهم من الواجبات ما على المسلمين، وقد وردت نصوص نبوية فيها وعيد شديد لكل من ينتقص حقوقهم أو يؤذيهم<sup>3</sup>.

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل مُعاهداً لم يرح رائحة الجنَّة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»<sup>4</sup>، وبناء على ما سبق فإنَّ الإسلام في مجال التعاملات التجارية، لا يفرق بين الناس في المعاملات، فما كان ممنوعاً في المعاملات بين المسلم والمسلم، فهو أيضاً محظور بين المسلم وغير المسلم.

<sup>1</sup> سنن ابن ماجه، باب: المسلمون متكافؤ دماؤهم، رقم: 2683. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

<sup>2</sup> شرح السنة : البغوي، ج: 10، ص: 173.

<sup>3</sup> — انظر: المساواة في الإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، ص: 21، مبدأ المساواة في الشريعة الإسلامية، د. الحلبي، ص: 45، حقوق الإنسان في القرآن والسنة، د. محمد أحمد الصالح، ص: 71، حقوق الإنسان في الإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، ص: 143.

<sup>4</sup> البخاري، باب: إثم من قتل معاهداً بغير جرم، رقم: 3166.

ولذلك كان أول ما قضى به النبي ﷺ بعد نزول تحريم الربا، إبطال جميع المعاملات الربوية، كما ألغى جميع الفوائد التي ترتبت عن ديون قديمة فقال: "ألا إن ربا الجاهلية موضوع عنكم كله، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون"<sup>1</sup>

### المطلب الثالث: المساواة قيمة إنسانية ثابتة:

مبدأ المساواة لا يرتبط بثقافة أو حضارة بعينها؛ لأنّ المبادئ الأخلاقية الإنسانية في المنظور الإسلامي، ثابتة لأي إنسان، بصرف النظر عن انتمائه الديني أو العرقي، أو المذهبي، فالمساواة قيمة قررتها الشريعة الإسلامية انطلاقاً من نصوص قرآنية ونبوية، وأصبغت جميع الأحكام والتشريعات بمعانيها، وتمثلت هذه المساواة في اعتبار الناس جميعاً متساوين في طبيعتهم البشرية، وأنه ليس هناك جماعة تفضل غيرها، بحسب عنصرها الإنساني، وانحدارها من سلالة خاصة، وما انتقل من أصلها بطريق الوراثة.<sup>2</sup>

ولقد كان الإسلام سباقاً في تقرير مبدأ المساواة في أعلى صورها وأمثلة أوضاعها، واتخذه دعامة لجميع ما شرعه من الأحكام والتشريعات، التي تنظم العلاقات بين الأفراد، بعضهم مع بعض، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

وقوله ﷺ: "يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى"<sup>3</sup>.

1 أبو داود، باب في وضع الربا، رقم: 3334، وابن ماجه، باب الخطبة يوم النحر، رقم: 3055

2 المساواة في الإسلام، د/ علي عبد الواحد وافي، ص: 5 و97، وكتابه: حقوق الإنسان في الإسلام ص: 8.

3 رواه الإمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي الهيثمي

تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة: 1414 هـ، 1994 م. ج: 3، ص: 266.

وتعززت هذه القيمة الحضارية بالممارسة العملية ، وبخاصة في الصدر الأول من حياة المسلمين ، ولقد كانت تلك النصوص ، والممارسة العملية لهذه القيمة أثر بالغ في إلغاء ما كان قائماً في مجتمع كان يقوم على التمييز بسبب النسب أو الأصل أو اللسان أو الجنس.<sup>1</sup>

ومبدأ المساواة من أهم المبادئ التي جذبت الشعوب والأمم للإسلام<sup>2</sup> ؛ لأنها تقوم على أن الناس سواء في الحقوق والواجبات، فلا تميز بسبب الطبقة أو اللون أو العرق أو الجنس أو المال أو المنصب.<sup>3</sup>

ولا تزال قيمة المساواة من أعظم القيم التي يسعى لتحقيقها البشر، لذلك كانت من أهم حقوق الإنسان، وهي تحظى بأهمية كبرى في العصر الحديث، على مستوى الشعوب والأمم والمنظمات الدولية.<sup>4</sup>

#### المطلب الرابع: أنواع المساواة وصورها:

تباينت طريقة الباحثين المسلمين في إبراز المساواة في الإسلام، وسأحاول إبراز بعض صور المساواة التي قررتها الشريعة الإسلامية، إما في تقرير مبادئ كلية عامة، أوفي بعض الأحكام التشريعية.<sup>5</sup>

تجدر الإشارة إلى أن بعض صور المساواة تتقاطع مع صور العدل، وقد سبق الإشارة إلى بعضها.<sup>6</sup>

1 انظر: حقوق الإنسان في الإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، ص: 8 وما بعدها.

2 انظر: التشريع الجنائي للأستاذ: عبد القادر عودة، ج: 1، ص: 27 مؤسسة الرسالة.

3 نظام الإسلام في الحكم، د. محمد المبارك ص: 44.

4 حقوق الإنسان في القرآن، د. محمد بن أحمد الصالح ص: 70.

5 انظر: حقوق الإنسان في الكتاب والسنة، د. محمد بن أحمد الصالح ص: 57، المساواة في الإسلام، د. علي عبد

الواحد وافي ص: 5، مفهوم المساواة في الإسلام، د. رشاد حسن خليل ص: 14 وما بعدها، مبدأ المساواة في الشريعة

الإسلامية، د. الحلبي ص: 17 وما بعدها، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام،

الموسوعة الفقهية الكويتية، ج: 37، ص: 157، الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين، د. بركة، ص: 78.

6. انظر: نضرة النعيم، ج: 4، ص: 2790.

## أولاً: المساواة في القيمة الإنسانية:

اعتبر الإسلام الناس جميعاً على اختلافهم متساويين في القيمة البشرية، فهم سواسية فلا فرق بين العربي والعجمي، ولا بين الأبيض والأسود، ولا بين السيد والعبد، ولا بين الحاكم والمحكوم، ولا بين الفقير والغني، ولا بين الرجل والمرأة.<sup>1</sup>

ويشهد لهذه القيمة الإنسانية نصوص كثيرة من كتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله ﷺ، فبالإضافة إلى ما سبق ذكره من النصوص العامة، التي تشمل هذا المعنى، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، فالتكريم شامل للجنس البشري دون التفريق بينهم، كما وردت نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية، تقرر مبدأ المساواة من ذلك، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]. فالآية الكريمة تشير إلى الأصل الذي تفرع عنه كل البشر، وهو آدم -عليه السلام- ومن نفسه خلق زوجه، وكان منهما هذا الخلق المنتشر، وذكّر بالصلة الرحمية التي تربط بينهم، على اختلاف ألوانهم ولسانهم وجنسهم وهذا "من موجبات الاحتراز عن الإخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الأخوة".<sup>2</sup>

وقد جاء الإسلام بإلغاء هذه الفروق، وجعل معيار التفاضل هو تقوى الله عز وجل. وقد أعلن الإسلام الحرب على العصبية القبلية، التي كانت سائدة في المجتمع العربي في الجاهلية،

<sup>1</sup> . انظر للتوسع: حقوق الإنسان في الإسلام، د.علي عبد الواحد وافي ص: 8 وما بعدها.

<sup>2</sup> — محاسن التأويل :محمد جمال الدين بن محمد سعيد، القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1418 هـ. ج: 3، ص: 5.

ففي سنن أبي داود قوله ﷺ: " ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية." <sup>1</sup>

### ثانيا: المساواة أمام الشريعة والتكاليف العامة:

وهذا المعنى يُعبر عنه في الفقه الدستوري بمبدأ المساواة في الحقوق والواجبات، فخطاب الشارع عام يشمل جميع الناس حكما ومحكومين، رجالا ونساء، فالله تعالى تفرد بالخلق والإيجاد قال ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 40]، وقال ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]. فالجميع يطالب بأداء الأوامر، والانتهاز عن النواهي .

### ثالثا: المساواة أمام القضاء:

ويُعبر عن هذا المبدأ بـ"المساواة أمام القانون" أي أنّ الناس جميعا يتساوون أمام القضاء، من حيث إجراءات المرافعة، أو في الإثبات، وتنفيذ الأحكام، عليهم أو لهم، وفي التسوية بين المتخاصمين، دون التمييز بسبب الأصل أو الجنس أو اللغة أو المركز الاجتماعي، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58] وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعِدُوا هُوَ أَقْرَبُ﴾ [المائدة: 8]. فإذا كان الناس جميعا سواء أمام التشريع، فهم أيضا سواسية عند تنفيذه، وعبر الشيخ العلامة الطاهر ابن عاشور عن هذا المبدأ بـ"المساواة في تنفيذ الشريعة وإقامتها بين الأمة" <sup>2</sup>، بحيث تجري أحكامها على وتيرة واحدة، ولو فيما ليس فيه حق للغير، مثل إقامة الحدود، ويؤكد هذا ما ثبت في السنة النبوية، حينما سرقت امرأة من بني مخزوم من قريش

<sup>1</sup> سنن أبي داود، باب في العصبية، رقم: 5121.

<sup>2</sup> جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور: جمعها ووثقها محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع. الأردن، الطبعة الأولى: 1436، هـ/ 2015م. ج: 1، ص: 711.



حُلياً، فأمر رسول الله ﷺ بإقامة الحد عليها، عظم ذلك على قريش فقالوا: من يشفع لها عند رسول الله فقال قائل: ومن يجترئ عليه غير أسامة بن زيد فكلّموا أسامة فكلّم رسول الله في شأنها فغضب رسول الله عليه وسلم وقال: "أتشفع في حد من حدود الله، إنّما أهلك الذين من قبلهم، أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، والله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها."<sup>1</sup>

بهذا الموقف ألغى النبي ﷺ - ما كان سائداً عند الأمم السابقة، من التمييز في إقامة العقوبات، بين الشريف والوضيع، أو بين الغني والفقير، فلا يعفى أحد لشرفه أو لقربته من الحاكم فتلك التي أهلكت الأمم السابقة. و نجد حرص الصحابة -رضي الله عنهم- في تحقيق مبدأ المساواة، لذلك كان الخلفاء يلتزمون بهذا المبدأ في سياستهم وحكمهم، وفي خطاب خليفة المسلمين الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حينما ولي الخلافة كشف أصول الولاية في الإسلام وأكد على التزامه بهذا المبدأ في حكمه. ،و يأمر الولاة لمراعاة هذا المبدأ في قضائهم، ففي رسالة الخليفة عمر الفاروق رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري حينما ولاه القضاء، وفيها "..... فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، وانفذ إذا تبين، واس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يئأس ضعيف من عدلك."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، رقم: 3475، مسلم كتاب الحدود، باب: قطع السارق الشريف

وغيره، رقم: 1688.

<sup>2</sup> سبق تخريجه .

## المطلب الخامس: حقيقة المساواة وموانعها:

## - أولاً: حقيقة المساواة:

إذا كان الإسلام قرر مبدأ المساواة في تشريعاته وأحكامه بين الناس جميعاً بصرف النظر عن أي اعتبار آخر، فهل هذه المساواة على إطلاقها أو أنها مقيدة؟

والإسلام لما كان دين الفطرة: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: 30]، فإن كل ما شهدت الفطرة بالتساوي فيه بين الناس، فالإسلام يرمي فيه إلى المساواة، وكل ما شهدت الفطرة بتفاوت المواهب البشرية فيه، فالإسلام يعطي ذلك التفاوت حقه بمقدار ما يستحقه.<sup>1</sup> وعليه فإن مبدأ المساواة في الإسلام مقيد بأحوال يجري فيها التساوي؛ لأن أصل خلقه البشر على التفاوت في المواهب والاستعدادات وذلك التفاوت يؤثر في آثار تلك الصفات. قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: 18]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِمَّنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾ [الحديد: 10].

يقول الشيخ العلامة ابن عاشور: "ولا يتصور تمام المساواة بين شيئين، أو أشياء في البشر؛ لأن أصل الخلقة جاء على تفاوت في الصفات المقصودة ذاتية ونفسية، وذلك التفاوت يؤثر تمايزاً متقارباً، أو متباعداً في أخلاق البشر وآثارهم بتفاوت الحاجة إليهم، وترقب المنافع والمضار من تلقائهم، وذلك يقضي تفاوت معاملة الناس بعضهم لبعض في الاعتبار والجزاء.

فلو دعت شريعة إلى دحض هذه الفروق والمميزات لدعت إلى ما لا يُستطاع.<sup>2</sup>

1. أصول النظام الاجتماعي، ص: 100

2. جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور: جمعها ووثقها محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع. الأردن، الطبعة الأولى: 1436، هـ/2015م. مقال: أثر الدعوة المحمدية على الحرية والمساواة، ج: 1، ص: 687.

إنّ ما يترتب على قيمة المساواة من الحقوق والواجبات، لا يعني التسوية بين الناس فيما ينشأ عن العلاقات التي يحكمها مبدأ المساواة، فما يميز به الناس في العلم أو الفكر أو الرزق أو غير ذلك فما يميز به عمل الإنسان، وما يظهره من مقدرة ذاتية، لا يخضع للتسوية؛ لأنّه نشأ في إطار علاقات المساواة، كما هو الشأن في المنظومة الشيوعية في منحها للتسوية بين الناس .

وقد قسم محمد الطاهر بن عاشور المساواة إلى ثلاثة أقسام، قسم: يجب اعتبار فيه المساواة لا محالة، وقسم: يجب إلغاء اعتبار المساواة فيه بحكم بدهة العقل، وبين القسمين قسم ثالث وهو مجال الشرائع في مقاصدها من التشريع<sup>1</sup>. والشريعة الإسلامية أقامت قاعدة المساواة على تحقق أسبابها وانتفاء موانعها، وهذا ما جعل من مدلول المساواة أكثر اتساعا .

### ثانيا: موانع المساواة:

إذا كان تحقق المساواة المطلقة متعذرا مع وجود الاختلاف، فإنّ من أهم الموانع التي تحول دون تحقق المساواة، أربعة موانع، وهذه الموانع هي العوارض، التي إذا تحققت تقتضي إلغاء حكم المساواة، لظهور مصلحة راجحة، أو لظهور مفسدة عند إجراء المساواة.

1- الموانع الجبليّة: كموانع مساواة المرأة للرجل، فيما لا تستطيع أن تساويه فيه، بموجب الخلقة، كالخلافه الكبرى عند جميع المسلمين.

2- الموانع الشرعية: هي المعلولة لعلل أوجبتها، كعدم المساواة بين الذكر والأنثى في مقدار الميراث في حالة تساوي في الدرجة.

3- الموانع الاجتماعية: فأكثرها مبني على ما فيه الصلاح للمجتمع، فهي مما يرجع إلى المعاني المعقولة، كعدم مساواة الجاهل للعالم، في التصدر للنظر في مصالح الأمة والفتوى.

1 . انظر: المرجع السابق ص: 145 وما بعدها.

4- الموانع السياسية: هي التي ترجع إلى حفظ حكومة الإسلام، وسد منافذ الوهن أن يصل إليها، كمنع مساواة أهل الدّمة للمسلمين في الأهلية للولايات ، التي يمنع منها التدين بغير الإسلام.<sup>1</sup>

### ثالثا: المساواة بين الرجل والمرأة.

#### 1- المرأة في القرآن:

لئن اتفقت الديانات السماوية على مبدئية مساواة المرأة للرجل في الخلق والإنسانية ، فإنّ النصّ القرآني شكّل علامة فارقة في ترسيخ هذه القيمة ، و إعطائها بُعدا إنسانيا ، و تشريعيا ، ابتداء من قصة الخلق ، فقد توجه ربّ العالمين بالخطاب إلى آدم و حواء بالتساوي ، و جعلهما شريكين في تلقي التكليف و الأمر ، و حملهما معا مسؤولية مخالفته ، و شملهما بالمغفرة بعد التوبة: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ [البقرة: 35 - 36]

و يستند هذا التقدير للمرأة إلى نظرة الإسلام الموحدة للكون ، فالكون كله وحدة قائمة على الزوجية ، مشتركة في الأصل و المنشأ و المصير<sup>2</sup> ، قال تعالى ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: 49]

1 . انظر: للتوسع أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص: 152-159. وجمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ج: 1، ص: 717 وما بعدها.

2 انظر : موسوعة المرأة المسلمة (الحقوق العامة للمرأة)، د: صلاح عبد الغني محمد، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، 1418هـ/1998م، ج : 1، ص: 89-90-95

فإنّ الولاية بين المؤمنين والمؤمنات، تشمل الأخوة و التعاون على الخير، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71] و تتضمن هذه الآية بالاضافة إلى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجوبها على الذكر الأنثى و ،تشمّل كل ضروب الإصلاح في كل نواحي الحياة<sup>1</sup>.

وقد ذكر القرآن الكريم نماذج لنساء ضرين بسهم وافر في استقلال الرأي و رجاحة العقل ، و الانبعاث نحو الحق ، و الفضيلة ، فضرب لذلك مثلاً بامرأة فرعون التي كانت مخالفة لسياسة زوجها ، منكرة لأعماله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: 1]، و تحدث عن بلقيس "ملكة سبأ" في معرض المدح حيث وصفها بحسن سياسة بلدها "اليمن" ، و التزامها بالشورى : ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: 32]، كما ذكر امرأتي نوح و لوط "في معرض الذم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: 10].

لذلك جمع القرآن بين الرجل و المرأة فيما يقعان فيه من عدم الرشد ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [التوبة: 67] ويتوعد هؤلاء بأنه

1 موسوعة المرأة المسلمة ، د.صلاح عبد الغني ، ج:1، ص: 96

سيجمع لهم بين الشقاوتين: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: 68].

## 2: المرأة في السنة و السيرة النبوية:

تبوأَت المرأة المسلمة في صدر الإسلام الأول، و في العصور المزدهرة له ،مكانة محترمة ،فكانت خديجة بنت خويلد زوج النبي عليه الصلاة و السلام :أول من آمن به ،و قد شدّت من أزره ، و حملت معه أعباء الرسالة في أخطر مراحلها. ومن النساء من اشتركت مع الرجل في الهجرة ، كأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ،التي فرّت بدينها ماشية على قدميها من مكة إلى المدينة، و فيها و في مثيلاتها نزلت سورة "الممتحنة" .

كما بابعت<sup>1</sup>، و قد أخذ عليه الصلاة و السلام برأي السيدة أم سلمة ،أم المؤمنين في موقف من أخطر المواقف، و أدقها في صلح الحديبية. واحترم الاسلام إجارة المرأة و ذمتها ،في الحديث الذي رواه الترميذي عن النبي -عليه الصلاة والسلام-: "إن المرأة لتأخذ للقوم"<sup>2</sup> ، و قد أجات زينب بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم،أبا العاص بن الربيع الذي فرّق بينهما الاسلام،. و أعطت أم حكيم بنت الحارث بن هشام الأمان عام الفتح عكرمة بن أبي جهل،و قد أهدر رسول الله -صلى الله عليه و سلم -دمه ،فأمنه و لم يخفر ذمتها ،و قد جادلت خولة بنت ثعلبة<sup>3</sup> النبي عليه الصلاة و السلام- فنزلت في حقها سورة "المجادلة"، و أبطل الله بسببها نوع من أيمن الجاهلية، و وضع عن النساء ظلما بتشريع سماوي،<sup>3</sup>

1 و كان ممن بايعن الرسول أسماء بنت عمرو من بني سلمة ،و نسيبة بنت كعب الأنصارية ،في بيعة العقبة الثانية،و هند بنت عقبة في فتح مكة،انظر السيرة النبوية ،أبو الفداء إسماعيل بن كثير،ت :مصطفى عبد الواحد،دار الفكر،ط،1401هـ ،1981م.ج3،ص602-603

2 سنن الترميذي ،باب: أمان المرأة والعبد ،رقم :1575،وقال حديث حسن صحيح.

3 انظر موسوعة المرأة المسلمة،د:صلاح عبد الغني،ج:1ص:125.

و كان منهن من شاركت في الجهاد . و قد أعطى النبي ﷺ المرأة من الغنيمة، و أباح قتلها إذا كانت محاربة<sup>1</sup>.

### 3- المرأة بعد عصر الرسالة.

لكن بالرغم مما تحقق للمرأة في عصر الرسالة خاصة، و في المراحل المزدهرة للإسلام من دور، و مكانة، حيث أثبت حقوقها بنصوص محكمة، و مارست دورها في إطار التبجيل و التكريم دون اهدار لأنوثتها و لا استغلال لها.

عرف وضع المرأة المسلمة تراجعاً في عصور تخلف الأمة الإسلامية، و في بيئات اجتماعية متباينة، فأصبح المتغير ثابتاً، و الثابت متغيراً، حيث أصبحت النصوص التي جاءت لتكون حاكمة على واقع الناس و أعرافهم، و مصححة لها تحتل مرتبة متأخرة مقارنة باجتهادات و آراء العلماء التي نشأت في ظروف تاريخية و اجتماعية خاصة، و أفرزتها أعراف و عادات في بيئات مختلفة، استخدموا فيها سد الذرائع و المصلحة، و غيرها من الأصول و القواعد، و تمدد كل ذلك في كثير من المدونات الفقهية على حساب النصوص الشرعية المطلقة ذات الوحي الإلهي المعصوم، و مقاصدها<sup>2</sup>. و هو ما ألجأ كثيراً من المفكرين في العصر الحديث إلى مواقف اجتهادية قائمة على التبرير و التعليل، خاصة في القضايا التي أفرزتها فلسفات عصور التنوير الغربية و ما بعدها، مبتعدة عن ضوابط فهم النصوص و استنباط الأحكام<sup>3</sup>، و أسوأ ما أرتكب في حق المرأة المسلمة في عصور الجمود، و الانحطاط، حرمان الأنثى من طلب العلم، و الاقتصار منه على أقل الحظ بخلاف الذكر، و قد نقل صاحب موسوعة المرأة

1 موسوعة المرأة المسلمة، ج: 1، ص: 97. و السيرة النبوية للإمام ابن كثير ج: 3، ص: 671

2 انظر: دور المرأة المسلمة في التنمية، دراسة عبر المسار التاريخي، دة/ رقية طه جابر العلواني، مطبعة أوائل، البحرين، ط1، 2007م، ص: 386-387 و موسوعة المرأة العربية و حقوق الإنسان، عبد الجليل الميساوي، دار النهى للنشر و التوزيع، تونس، ط الأولى، 2007، ص: 105.

3 دور المرأة المسلمة في التنمية، ص: 105-106، و انظر المرأة بين التشريعين التوراتي و القرآني، دة/ بن يمينه خالدية، دار الغرب، وهران، الجزائر، ط1، 2011م، ص: 356-357

العربية عن كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" في باب الاحتساب على مؤدبي صبيان المؤمنين، قوله: "و لا يعلم المؤدب الخط امرأة ولا جارية ، لأن ذلك مما يزيد المرأة شرا، و قيل إنّ المرأة التي تتعلم الخط كمثل حية تُسقى السم"<sup>1</sup>، و من ذلك ، و هذا خلافا لما رواه البلاذري في فتوح البلدان ، حيث ذكر أن حفصة بنت عمر أم المؤمنين كانت قد أخذت القراءة و الكتابة قبل زواجها بالرسول-عليه الصلاة والسلام- عن الشفاء العدوية، و كانت كاتبة في الجاهلية ، و كانت تعلم النساء.، فطلب منها الرسول - عليه الصلاة و السلام - أن تتابع تثقيفها و تعلمها إتقان الخط، و تزيينه كما علمتها الكتابة<sup>2</sup>.

و لا تزال بعض الاجتهادات إلى يومنا هذا، بسبب سوء فهم و تفسير النصوص، أو بسبب التباس التقاليد و الأعراف بمظاهر الدين، تربط حقوق المرأة المشروعة و الثابتة بالضوابط والآداب الشرعية ، و الفساد و الفتن ، فتُضيق عليها، و تدفع وحدها الضريبة الأخلاقية أيضا .

وكذلك التوسع في مفهوم القوامة و حق الولاية، مع ما يحمل في بعض الأحيان من اجترأ على محكم القرآن، فالشارع الحكيم عند تقريره لهذه الأحكام ما كان ليغفل عن تغير الزمان و الأحوال<sup>3</sup>، ولهذا تقتزن رسالة الإسلام بديمومة و خلود أحكامها. وقد قرر العلماء أن صيغ العموم الواردة في القرآن في الخطاب التكليفي يشمل الرجال والنساء، ولو كانت صيغتها جارية على التذكير<sup>4</sup>.

#### رابعا- وجوه التفرقة بين الرجل والمرأة في الإسلام:

1 موسوعة المرأة العربية و حقوق الانسان، ج: ، ص: 105-106

2 انظر حقوق الإنسان في الإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، ص: 32

3 دور المرأة في التنمية، ص: 249، انظر موسوعة المرأة العربية و حقوق الإنسان ص: 104، و يراجع أيضا عن هذا الموضوع إلى قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة و الوافدة، د: محمد الغزالي، دار الشروق، بيروت، و القاهرة، 1991 م.

4 . انظر: أصول النظام الاجتماعي، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ص: 98-99.



لم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة، إلا حيث تدعو هذه التفرقة إلى مراعاة لطبيعة كل من الجنسين، وما يصلح له، وكفالة الصالح العام، وصالح الأسرة نفسها. وإذا وجدت فروق في الأحكام بين الرجل والمرأة، فإن مرجعه إلى حكم الفطرة، فإن وجود فروق جبلية بين الصنفين، من شأنها أن تؤثر في الأحكام، بحسب غالب أحوال الصنف ولا التفات إلى النادر.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> . أصول النظام الاجتماعي، ص:100.

**-الميراث بين الرجل والمرأة نموذجا.**

من القضايا التي لا تزال تثير الجدل إلى ساعة الناس، قضية الميراث في الإسلام ، حيث تعالت الأصوات من جهات عدة تدعو إلى جعل نصيب الأنثى مساويا مع نصيب الذكر.، ويرى هؤلاء أنّ في أحكام الميراث إجحافا بالمرأة وإنتقاصا لها؛ إذ أنّ للذكر مثل حظ الأنثيين.

ومن يتصفح أحكام الموارث ويقف على الحالات جميعها يدرك أنّ المنادين بالمساواة في الميراث غابت عنهم الرؤية المنصفة والموضوعية للقضية، فالآية الكريمة نصت أنّه إذا تساوت درجة القرابة كان نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى، وعليه ينبغي فهم المسألة ضمن فلسفة الإسلام في تشريع هذه الأحكام، فالأخ الذي يأخذ ضعف ما تأخذه أخته، مطالب شرعا بالتزامات مالية، بينما أعفيت هي منها، فهو مكلف بتسديد المهر وتأمين البيت والقيام بواجب النفقة إلى غير ذلك، أمّا في الحالات الأخرى فإنّ الأنثى تأخذ أكثر مما يأخذه الذكر، وهناك حالات يتساوى فيه الذكر والأنثى ، و في حالات ترث الأنثى بينما يحرم نظيرها من الذكور، فالإسلام راعى في تقسيم التركة درجة القرابة من الميت ، وأعطى الأولوية للجيل القادم للحياة) الابن وابن الابن (...)، على الجيل المدبر ( الأب والجد... )<sup>1</sup>،

**خامسا: نظام الرق وكيف عالجه الإسلام.**

ظهر الإسلام في مرحلة تاريخية كان الرّق جزءا أساسيا من نظام المجتمع في كثير من المجتمعات ،وليس فقط عند العرب، وركيزة مهمة للإقتصاد، فنظر الإسلام إلى الرق بصفته أمرا واقعا ، و لم يقتصر على وضع إطار إنساني لمعاملة الرقيق ، بل عمل على تصفيته بتدرج وحكمة.

1 انظر :امتياز المرأة على الرجل في الميراث والنفقة ،دراسة فقهية ،د/صلاح الدين سلطان، تقديم :محمد عمارة، الطبعة الثانية: 2005 ،مطبوعات المركز الأمريكي للأبحاث الإسلامية.وقد ذكر المؤلف تفصيلا تلك الحالات في شكل جداول.

مسلك الإسلام للقضاء على نظام الرق<sup>1</sup>:

أولاً: تضييق الروافد في الاسترقاق وتجفيفها:

أ- إلغاء ومنع بعض الصور التي كانت وسيلة للاسترقاق،

1- عجز المدين على السداد عند حلول الأجل.

2- ارتكاب جريمة خطرة.

3- بيع الأولاد عند العوز.

4- أن يبيع المرء نفسه، ويتنازل عن حرته، بسبب من الأسباب.

5- الخطف والإغارة.

6- المحارب الذي يقع عليه الأسر باطلاق.

7- أبناء الإماء يجري عليهم الاسترقاق.

هذه الصور كانت وسيلة للاسترقاق، فجاء الإسلامي بتشريعاته، في المنع منها، واعتبرها إعتداء وظلماً. فحرمها، باستثناء صورتين منها أحاطهما بقيود وأحكام، من شأنها القضاء على الرق، وتجفيف منابعه.

فالولد يتبع أمه في الحرية والرق بصرف النظر عن الأب، فولد الأمة يولد رقيقاً مملوكاً ولو كان أبوه حراً. وهذه الصورة من روافد للاسترقاق. فعمد الإسلام إلى تجفيفه؛ وذلك بأن جعل الجارية التي يتسراها سيدها ثم تجيء بولد ذكر أو أنثى، فإنّ هذا الولد يولد حراً، وتنزل صفة الرق عن الجارية بمجرد موت سيدها نهائياً<sup>2</sup>. وأطلق الفقهاء على هذه الجارية أم الولد<sup>3</sup>

1 حقوق الإنسان في الإسلام، د/علي عبد الواحد وافي، ص: 201 وما بعدها. حقوق الإنسان في القرآن والسنة، د/محمد الصالح، ص: 45 وما بعدها، وقد لخص ما كتبه د/علي عبد الواحد وافي.

2 انظر حقوق الإنسان في الإسلام، د/علي عبد الواحد وافي، ص: 184.

3 هناك أحكام تفصيلية ذكرها الفقهاء تتعلق بأم الولد. انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (استيلاء) 164/4، وبداية المجتهد: 177/4 وما بعدها

والصورة الثانية التي أحاطها الإسلام بقيود، هي حالة الحرب المشروعة، فعندما يقع أسرى من المسلمين في الأسر يسترقون، فيجيز الإسلام المعاملة بالمثل، مع أنّ الإسلام يؤثر المنّ والفاء لأسرى المحاربين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَثْتُمْهُمْ فَشُدُّوا أَوْتَاقَهُمْ فِئَامًا مِّنَّا بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: 4]

ومبدأ المعاملة بالمثل مبدأ عالمي. وهو القاعدة في تعامل الدول فيما بينها في العلاقات الدولية. فالإسلام ألغى جميع صور الاسترقاق، وأبقى على اثنين أحاطهما بقيود من شأنها أن تجفف منابع الاسترقاق.

ثانيا: توسيع منافذ العتق والتحرير.

هناك صور كثيرة شرعها الإسلام لتحرير الأرقاء، من تلك الصور:

1- إذا تلفظ السيد بلفظ من ألفاظ العتق، يقع ولو كان مازحا، فهذه من المسائل هزلهن جدّ، وجدهن جدّ.

2- تشريع المكاتب، مع ترغيب الدين في ذلك ن قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: 33]

3- جعل الإسلام كفارة بعض المخالفات تحرير رقبة، من ذلك:

أ- قتل الخطأ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ

مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [النساء:

[92]

ب- كفارة الظهار، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ

رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ [المجادلة: 3]

ج- كفارة الحنث في اليمين، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ

يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّرْتُهُ ۖ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّن أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ

أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴿٨٩﴾

المائدة: 89

د- كفارة الوفاق في نهار رمضان، وحديث الأعرابي مشهور في هذا الباب.

4- ترغيب الإسلام في عتق الرقاب، واعتبرها من القربات التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى، فقد جاء في الحديث قوله ﷺ: "أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ"<sup>1</sup>.

5- تخصيص الإسلام سهمًا في مال الزكاة لتحريرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 60]

بهذه الأساليب أمكن تجفيف منابع الرق، ويتأكد تشوف الإسلام للحرية لكل إنسان ، لأن الأصل أن يولد الناس أحراراً، وتتحقق المساواة بين جميع البشر. فضلاً عن كل ما سبق فقد أمر الإسلام بمعاملة الأرقاء معاملة إنسانية، فأنشأ نظاماً خاصاً للتعامل مع الرق، فقد وردت أحاديث كثيرة تبين ما ينبغي أن تكون عليه المعاملة مع العبيد، ففي الحديث: " لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ، كلكم عبيد الله ، وكل نسائك إماء الله ، ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاتي وفتاتي"<sup>2</sup>.

وما ورد من الإحسان إليهم في أحاديث كثيرة منها هذا الحديث: "إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل وليلبسه ممّا يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم"<sup>3</sup>.

1 البخاري، كتاب العتق، باب في العتق وفضله، رقم 2381.

2 مسلم ، كتاب الألقاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد، والأمة، والمولى والسيد، رقم: 2249.

3 البخاري ، كتاب الإيمان ، باب: المعاري من أمر الجاهلية، رقم 30 ، ومسلم كتاب الإيمان والنذور باب: إطعام المملوك مما يأكل، رقم: 1661.



## المبحث الثاني: أثر قيمة المساواة على المسلمين وفي علاقاتهم بغيرهم.

## تمهيد.

من الانجازات الحضارية التي حققتها القيم الإسلامية في المناطق التي دخلها الإسلام ، وانتشرت فيه تعاليمه،اعتناق تلك الشعوب لهذا الدين ،وظهور آثارها فيهم ،بدءا من العرب الذين نزل فيهم القرآن وبلسانهم،وبعث رسول منهم ،ويتجلى ذلك بإجراء مقارنة بين ما كانوا عليه في الجاهلية وبما أصبحوا عليه في الإسلام . فلم تكن لهم حكومة تقيم الشريعة، وتحفظ الأمن، ولا نظام سياسي ينظم شملهم، ولا دين يوحد بينهم، فأكرموا برسول من الله تعالى، يعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحثهم على إقامة العدل، والإحسان ، ويدعوهم إلى ترك العصية ، وحمية الجاهلية<sup>1</sup>.

وسأتناول في هذا المبحث آثار قيمة المساواة، على مستوى الأفراد والمجتمع وفي علاقة المسلمين بغيرهم، من خلال ذكر وقائع تجسد هذه القيمة في حياة الناس.

<sup>1</sup> انظر الاعلام بمناقب الاسلام للعامري ص: 171.

## المطلب الأول: أثر قيمة المساواة على المسلمين.

من آثار قيمة المساواة على مستوى الأفراد في حياة العرب، إلغاء التمايز بالانتماء، إذ جعل الإسلام الناس سواسية، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لصريح في القبيلة على لصيق، إلا بالتقوى والعمل الصالح، إعمالاً لمبدأ المساواة، ومن ذلك رفض النظرة الدونية - التي كانت سائدة في المجتمع العربي - لمن هم من الموالى، و من هذا ما وقع من الطعن من بعض المسلمين في إمارة أسامة بن زيد - وهو مولى ابن مولى - حين أمره النبي ﷺ - على الجيش، فردّ رسول الله - عليه الصلاة والسلام - عليهم وقال: "إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقا بالإمارة، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ، وإنّ هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده".<sup>1</sup> فهذا الموقف من النبي ﷺ - وتأكيد به بالقسم بأن أسامة أهل لهذه المسؤولية، لما يتمتع به من مؤهلات، فضلا على أنّه من أحبّ الناس إلي النبي ﷺ - عليه الصلاة والسلام - فلا عبرة لما يعدّه الناس من اعتبارات.

ومن آثار قيمة "المساواة" التي جاء بها الإسلام، على المستوى الاجتماعي، بأن جعل الناس متساوين في تلقي أحكام الشريعة، وفي أداء العبادات، والتقرب إلى الله تعالى، فلا فرق بين المكلفين في أداء التكليف الشرعية إلاّ من قام به مانع، فالخطاب الشرعي موجه لكل مكلف، دون أن يميّز بين شخص وآخر، أو بين فئة وأخرى أو بين طبقة دون طبقة.

ومما أبطله الإسلام إعمالاً لمبدأ المساواة، ما كان يفعله عامة العرب، في أيام الجاهلية إذا حجّوا، يقفون بعرفة، وكانت قريش خاصة تقف بموضع خاص، يقال له "جمع"، فأنزل الله تعالى في كتابه ما يبطل هذا التفرد من قريش دون سائر الناس، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة/199] فصارت عرفات موقفا لجميع المسلمين، من غير

<sup>1</sup> البخاري، باب: مناقب زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه، رقم: 3730، و مسلم، في فضائل الصحابة، باب: فضائل زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد - رضي الله عنهما - رقم: 2426. عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما (



تميز بين قبيلة وقبيلة<sup>1</sup>. ومن أثر قيمة المساواة التي جاء بها الإسلام في المجتمع العربي، إبطال كثير من الأحكام القائمة على التمييز بين الناس، وإلغاء نظام الطبقات، و التمايز بين القبائل، إذ كان المجتمع العربي في الجاهلية مبنيًا على أن الناس ثلاث طبقات: سادة، وسوقة، وموالي عتق، وكانوا يجعلون دية القتل من السادة، عشرة أضعاف دية السوقة، فجاء الإسلام فأبطل ذلك، وجعل الناس متساويين فقد قال ﷺ: "المسلمون تتكافأ دماءهم.."<sup>2</sup>، وقد أورد الإمام ابن الصلاح في كتابه علوم الحديث في معرفة الموالي من الرواة والعلماء، قصة معبرة عن أثر الدين في القضاء على الرواسب الجاهلية في تصنيف الناس داخل المجتمع، والحيلولة دون وصول فئات لمراتب علمية ومواقع اجتماعية مرموقة.<sup>3</sup>

فالمساواة أصل في الشريعة الإسلامية، لا تحتاج إلى إثبات موجباتها، ولا يحول دون إجرائها إلا وجود مانع يقتضي إلغاء المساواة<sup>4</sup>، ومن ذلك تنفيذ أحكام الشريعة على الناس جميعاً، دون اعتبار المكانة أو الجاه أو الموقع الاجتماعي، والشواهد على تحقيق مبدأ المساواة عملاً وممارسة في الصدر الأول كثيرة نكتفي ببعضها،

ومن أجلى صور تجسيد مبدأ قيمة المساواة في تطبيق أحكام الشريعة ما جاء في الصحيح: عن عائشة رضي الله عنها، أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: "أشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب،

1 التنوير والتحرير، ج:2، ص:242. تفسير الطبري، ج: 4، ص:184 وما بعدها

2 أبو داود في الدييات، برقم: 4530، والنسائي في القسامة، ج:8، ص:24 وحسنه ابن حجر في الفتح، ج: 12، ص: 262.

3 معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق: د. نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، 1406 هـ - 1986 م. ص: 402.

4 أصول النظام الاجتماعي، ص150، وجمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ج:1، ص:712.

ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".<sup>1</sup>

وحدثت وقائع في تاريخ المسلمين، وبخاصة في عهد الراشدين تجسدت فيها تطبيق المسلمين لحقيقة "المساواة" بين الناس، بصرف النظر عن المكانة الاجتماعية لأصحابها، أو لمواقع المسؤولية أو لأي اعتبار آخر، ومن ذلك ما ورد في قصة خليفة المسلمين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وجبله بن الأيهم آخر ملوك غسان، وهم نصارى العرب أيام هرقل، أسلم لما فتحت الشام، وسكن المدينة وحج، فبينما هو يطوف بالبيت وطئ إزاره رجل من بني فزارة فانحل، فرفع جبله يده فهشم أنفه، فاستعدى عليه عمر، فبعث إلى جبله، فقال له: ما هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إنه تعمد حل إزاري ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف، فقال له عمر: قد أقررت، فإما أن ترضي الرجل وأما أن أقيد منك، قال جبله: تصنع بي ماذا؟ قال: أمر بهشم أنفك كما فعلت، قال، كيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك؟ قال: إن لإسلام جمعك وإياه، فلست تفضله إلا بالنقى، قال جبله: قد ضننت أنني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية، قال عمر: دع ذا عنك فإنك إن لم تُرضِ الرجل اقتدته منك، قال: إذا أتصرت، قال: إن تنصرت ضربت عنقك لأنك قد أسلمت فإن ارتددت قتلتك. فلما رأى الجد من عمر قال: أمهلني الليلة حتى أرى رأيي، واحتمل رواحله وأسرى، فتجاوز الدروب إلى قيصر، ولم يزل بالقسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> باب حديث الغار: رقم: 3475.

<sup>2</sup> قال ابن خلدون: "وفيما تذكره الثقات أنه تدم، ولم يزل باكبيا على فعلتها". انظر: تاريخ ابن خلدون، ج: 2، ص: 337، والبداية ابن كثير، ج: 8، ص: 67.

## المطلب الثاني: أثر قيمة المساواة في علاقة المسلمين بغيرهم.

لقد كان لقيمة "المساواة" أثر بارز في علاقة المسلمين بغيرهم، حيث فتحت أعينهم على مفاهيم لا عهد للأمم بها، وألغت كثيرا من الاعتبارات التي كانت سائدة بينهم، بل متحكمة في علاقاتهم وسلوكهم. وبخاصة حينما تُرجمت هذه القيم إلى سلوكات وممارسات، ما أدى إلى إحداث يقظة فكرية لدى الأمم الأخرى، بدءاً من العرب الذين نزل فيهم القرآن، وما حمله معه من منظومة قيم إنسانية، وما انتقل إلى المجتمعات المجاورة للمسلمين، من خلال رسائل النبي ﷺ إلى الملوك، أو ما تناقله الناس من أخبار المسلمين في جزيرة العرب، وأطرافها، وما جاورها، أو من خلال هجرة بعض المسلمين الأوائل إلى أرض الحبشة، وما أعقب ذلك من فتوحات. وقد ذكر العامري في كتابه "الاعلام بمناقب الإسلام"<sup>1</sup>: أن الإسلام خلّص الفرس من محنتين: - إحداهما: خلّصهم من سلطان رجال الدين الزرادشي، الذين حجروا على أفكار الناس وعقولهم، وحرّموا عليهم دراسة الحكمة الإلهية، بينما أطلق الإسلام لعقولهم حرية الفكر، وألزمهم النظر.

- ثانيهما: خلّصهم من استعباد الملوك، الذين قسّموا الناس إلى طبقات، وأضفوا على أنفسهم ألقاب السيادة والعظمة، وسخّروا باقي الطبقات لخدمتهم، كما خلّصهم من النظام الطبقي كلّ، بينما أطلق الإسلام لهم حرية الترقّي في السلم الاجتماعي، وأرسى "مبدأ المساواة فالناس يولدون أحراراً. وقد قال عمر رضي الله عنه لوليه في مصر: "مذكم تعبّدتُم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"<sup>2</sup>؟

بينما لا زالت الشواهد والآثار شاهدة على ما كانت عليه الأمم السابقة للإسلام من تسخير العبيد للأعمال الشاقة المضنية، من أجل فضول السادة، وراحتهم واستمتاعهم، فهذه أهرامات مصر، و مباني روما العظيمة التي شيّدها مئات الألوف من العبيد المسخرين، أجبروا

1 ص: 176.

<sup>2</sup> وفي رواية: "يا عمرو متى استعبدتُم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ انظر: فتوح مصر والمغرب: عبد الرحمن بن عبد الحكم المصري (ت: 257هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، 1415هـ، ص: 195. وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة: الأولى 1387 هـ - 1967 م. ج: 1، ص: 578.

على إقامتها وبنائها، دون أجر، وألوف من هؤلاء ماتوا عبر سنين طويلة من الكدح والتعب المرير، وآخرون فقدوا أيديهم وأرجلهم، فأَيّ ظلم أفضع من أن يسخر الإنسان لخدمة الملوك والأباطرة؟ وأيّ ظلم أقصى من أن يموت آلاف الأحياء، لكي يدفن جسد ميّت في مكان آمن؟ بينما عمر بن عبد العزيز يصدر أمراً بوضع السخر عن أهل الأرض؛ فإنّ غايتها أمور يدخل فيها الظلم، ويكتب إلى عماله ألا يهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحوا عليه...<sup>1</sup>

فالعلاقة بين الناس قائمة على التساوي والتماثل، لذلك كان الاستكبار أم الرذائل، لأنّ فيه تطاولا على على مقام الألوهية من جهة، ومن جهة أخرى يخل بأصل المساواة بين البشر.<sup>2</sup> وفي وثيقة المدينة التي كتبها النبي ﷺ -، حينما هاجر إلى المدينة، لينظم الشأن الداخلي في المدينة بين مختلف المكونات، والتي جاء فيها: "أنّ الناس أمة واحدة"، والتي تشير إلى المساواة في المواطنة بين جميع الناس المتساكنين في المدينة، المسلمين واليهود.

1 - أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم.

2- وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

3- وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

4- وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.<sup>3</sup>

هذا مما سهل لكثير من الأمم الدخول في دين الإسلام، أو في حكمه بما شاهدوا من آثار محامد سياسته لرعاياه<sup>4</sup>. ومن لم يدخل منهم في دين الإسلام سهل عليه الدخول في ذمته.

1 انظر ملامح الانقلاب في خلافة عمر بن عبد العزيز، د/عماد الدين خليل الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة بيروت 1398هـ/1978م. ص:70 وما بعدها.

2 انظر نظام القيم في القرآن والتجربة الثقافية الإسلامية في زمانين، د/السيد، ص:15.

3 "وثيقة المدينة" في مجموعها لا ترقى إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة، لكن بنودها ونصوصها منها وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة، وبعضها أوردها البخاري ومسلم، فهذه النصوص هي أحاديث صحيحة، وقد احتج بها الفقهاء وبنوا عليها أحكامهم، كما أن بعضها ورد في مسند أحمد و سنن أبي داود وابن ماجه والترمذي"، انظر الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه؛ "السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية....." مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- ط 2، 1414هـ، ص:272 وما بعدها، و المسلم والأخر، د/محمد سليم العوا، مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولى، 2009م، القاهرة. ص:17.

4. جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ج:1، ص:719.

## الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في قيمة المساواة بين اليهودية والمسيحية والإسلام

المبحث الأول: أوجه الاشتراك في قيمة المساواة بين اليهودية والمسيحية والإسلام

المبحث الثاني: أوجه التباين في قيمة المساواة بين اليهودية والمسيحية والإسلام

المبحث الأول: أوجه الاشتراك في قيمة المساواة بين اليهودية والمسيحية والإسلام .

### المطلب الأول: وحدة النفس البشرية.

لقد اتفقت الديانات السماوية الثلاث على مبدأ وحدة النفس البشرية الجوهرية، وجاء النصّ الديني في اليهودية والمسيحية والإسلام مقرراً للمساواة في الإنسانية السابقة عن نشأة العلاقات والقدرات، كما أكد على دور الإنسان في الكون، وعلاقته بعناصر الوجود.

فالمساواة التي قررتها النصوص الأصلية في الديانات فطرية، تقوم على وحدة مادة الخلق، كما أنها تتفق في وحدة الأصل الذي تفرّعت منه البشرية بجميع ألوانهم وصفاتهم وألستهم فكلهم لآدم وحواء، وهذه الصلة الرّحمية ينبغي أن تترتب عنها مراعاة للحقوق.

ويتلخص هذا التماثل في أوجه ثلاثة<sup>1</sup>.

أ- الوجه الأول: التماثل في مادة الخلق، فأصلهم من مادة واحدة.

ب- الوجه الثاني: التماثل في المبدأ والمصير، وهذا الوجه الذي يشترك فيه جميع البشر -دون استثناء- اشتراك في المبدأ والمصير.

ج- الوجه الثالث: التماثل في التفضيل على الكائنات الأخرى حينما يبين أن التكريم لبني آدم، بصرف النظر عن أيّ اعتبار آخر، من عرق ودين وجنس ومكانة إجتماعية وغير ذلك من الاعتبارات<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: مراعاة الفروق الطبيعية.

المساواة ضمن النسق الديني في المسيحية والإسلام لا تتضمن ما يظهره الإنسان من مقدرة ذاتية في العلم أو الفكر أو الشرف، "كما أنّ لخصوصية الخلق الجنسية قيمتها أيضاً، فالمساواة الإنسانية بين الذكر والأنثى لا تسلب أحدهما خصوصية الذكورية أو الأنثوية، كما

1 مبدأ الإنسان: د/عبدالمجيد النجار، ص: 43.

أنها لا تقبل إهدار هذه الخصوصية<sup>1</sup>، لكن ما ذكر في هذا الشأن، لا يشمل ما قد يتبادر بادي الرأي من تشابه لوضع المرأة في الديانات الثلاث في بعض الجوانب الاجتماعية لأن النص القرآني كما سبق بيانه جاء حاسماً وواضحاً في أهم القضايا التي تبين إنسانية المرأة وأهليتها الكاملة، بعكس التوراة والانجيل، وقد يعود ذلك التشابه إلى عامل العرف والبيئة. فالديانات السماوية الثلاث ظهرت في بيئات اجتماعية متشابهة. فالمساواة في الديانات السماوية ليست مقولة مادية، لكنها قيمة تنتظم ضمنها العلاقات الإنسانية مع مراعات التوازن الكوني.

والمساواة في جوهر الإنسانية لا ينفي التميز والاستحقاق الشخصي. ففي رسالة بولس إلى أهل أفسس "رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إله وأب واحد لكل، ... لكن لكل واحد أعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح"، وكذلك الشأن في الإسلام، فإن المساواة في الحقوق والواجبات، لا يعني إهمال المواهب وتجاهل التميز، لأن في ذلك غمط للحق ويترتب عليه فساد واختلال لميزانه، وفي الإسلام جاء قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا﴾ وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ [الحديد: 10].

1 تفعيل الحرية بين نسقين من التطبيع التنظيمي إلى التنزيه التكريمي: أ. د. سعيد خالد الحسن، ص: 436-437 بتصرف.

## المبحث الثاني: أوجه التباين في قيمة المساواة بين اليهودية والمسيحية والإسلام

## المطلب الأول: التباين في قيمة المساواة في النص المؤسس.

إنّ فكرة التفوق العرقي السّلالي التي يدعي اليهود أنّها أساس الاختيار والعهد، هي مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي، وقد قام الحاخامات بتضخيمها، إذ تؤكد النصوص التلمودية على العلاقة الخاصة والفردية بين الله وشعبه. "أنا إله كل من يأتي للعالم غير أنّي إليك وحدك أضّم اسمي"<sup>1</sup>. وهو ما يأتي على أصل فكرة المساواة ثم أنّ عدم المساواة ليست موجهة نحو الآخر فحسب. ففي الجانب الاجتماعي وزّع المجتمع اليهودي إلى عشرة شرائح نسبية تختص كل منها بقوانين وتشريعات مختلفة. ، لا بسبب الاختلافات في الاستعدادات الفطرية، ولا في الاختلافات الفيزيولوجية. وفي الجانب التشريعي يقصي القانون التلمودي النساء ويستبعدهن عن كلّ مكانة مركزية في الحياة الثقافية والروحية، بل أنّ المرأة تستثنى من كثير من الشعائر والصلوات والعبادات<sup>2</sup>.

كما سبق تفصيله في موضعه في هذه الأطروحة.

أمّا في المسيحية، فبالرغم من أنّ دعوة المسيح قد قامت على نبد فكرة الامتياز بسبب السلالة والانتماء إلى شعب إسرائيل، وانصبت جل تعاليمه على فكرة التكافل وتكافؤ الفرص، وعدم التكثر من الدنيا، إلا أنّ النصّ الديني في هذه الديانة جاء متضاربًا بشكل كبير في تحقيق هذه القيمة وتكريسها؛ فقد حادت نصوص كثيرة في الإنجيل عن هذا المبدأ، وجاءت مكرّسة للأخلاق الطبقيّة في موضوع الرّق ما عدا بعض النصوص التي تزجي الوعود للعبيد بصحبة المسيح في الآخرة إن هم صبروا وتفانوا في خدمة سادتهم. فقد كانت أبعد من أن تطرح حلولاً

1 انظر: الموسوعة الكبرى للمذاهب و الفرق و الأديان (كتب الشريعة اليهودية ، التلمود) د. سليم إلياس، ص 114.

2 انظر: مدخل إلى التلمود، آدين ستاينسالتر، ص: 181. وترجمة متن التلمود (المنشا. زراعيم)، د. مصطفى عبد المعبود، ص: 67. والمرأة بين التشريعين التوراتي والقرآني، بن يمينة خالدية، ص: 228 و 304.



واقعية لمشكلة التفاوت الطبقي، بل إن رجال الدين المسيحي غدوا طبقة لها امتيازاتها وقوانينها إلى جانب الطبقات الاجتماعية الأخرى.

بينما جاء النص المؤسس في الإسلام (القرآن والسنة النبوية) قطعياً وحاسماً في تقرير قيمة المساواة، وفي توضيح مجالاتها.

إن موقع الإنسان ومنزلته في المجتمع الإسلامي يتحدد بالاعتبار الإضافي، إذ أنّها نسبية، ويوضح "العامري" هذا المعنى بقول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>1</sup>، "فكل شريف هو بالإضافة إلى من فوقه وضع، وكل وضيع هو بالإضافة إلى من دونه شريف، وعلى هذه الصورة يجري حكم الدين الحقيقي"، ويضيف: "أعني أنّ إلزام التوقير فيه والتبجيل معلق بالاعتبار الإضافي"<sup>2</sup>، وقد قال النبي ﷺ: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»<sup>3</sup>.

ففي الإسلام جاءت النصوص مهمة للاعتبارات الطبقية، وقد تحققت تعاليمها في الواقع<sup>4</sup>، قال ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»، و عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (يَوْمُ الْقَوْمِ أَفْرُؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً

1 تكملة الحديث: "فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته"،

أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده، رقم: 2419

2 الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري 165.

3 رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها. رقم: 432

4 الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ومونتجمري وات، عبد الرحمان عبد الله الشيخ، سلسلة نافذة على الثقافة العالمية الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م ص 239. والحديث سبق تخريجه.

فَأَقْدَمُهُمْ سَلَمًا فِي رَوَايَةٍ فَأَكْبَرُهُمْ سِنًا»<sup>1</sup>، وقال ﷺ: «إِذَا خُطِبَ إِلَيْكُمْ مِنْ تَرْضُونَ دِينَهُ وَخَلَقَهُ فَرُوجُوهُ...»<sup>2</sup>.

وقد جاء النص الديني محفزا للمسلمين على التشوف إلى المراتب العليا، بعد أن نقض النظام الطبقي الذي عرفه العالم القديم، وقد لاحظ و. مونتجمري وات، أن أهم مزايا الإسلام تعميقه لمفهوم الأخوة، وعمق حججه، بخلاف المسيحية فإنّ بعض الأمم المسيحية الكبيرة تعاني من العنصرية، فقد عجزت هذه الديانة أن تحل هذه المشكلة بين أعضائها<sup>3</sup>.

### المطلب الثاني: التباين في تحقيق قيمة المساواة مع الآخر.

كانت الحضارة الإسلامية، وفيّة بشكل عام لرؤية القرآن التعددية للكون ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 18]. فالمسلم كما قال ابن باديس يدين بالأخوة الإنسانية ويحترمها في جميع أجناسها وأديانها، ويسعى للتقريب بين عناصرها فيما هو السبيل الوحيد لتحقيق ذلك، وهو العدل والتناصف والاحترام<sup>4</sup>. ففي جانب المعاملات كان أول ما قضى به النبي ﷺ بعد نزول تحريم الربا، إبطال جميع المعاملات الربوية، كما ألغى جميع الفوائد التي ترتبت عن ديون قديمة فقال: "ألا إنّ ربا الجاهلية موضوع عنكم كله، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون"<sup>5</sup>.

بينما تبيح الشريعة اليهودية للإسرائيلي في معاملاته مع غير الإسرائيلي أن يتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش كما هو مدون في أسفارهم. ومثل هذا السلوك يتنافى مع قواعد

1 رواه مسلم كتاب الصلاة، باب أحق بالإمامة رقم: 290.

2 رواه الترمذي، كتاب النكاح، باب: ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فرؤجوه. رقم: 1084.

3 الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ومونتجمري وات، ص: 239

4 آثار الإمام ابن باديس، ج5، ص 378-464.

5 أبو داود، باب في وضع الربا، رقم: 3334، وابن ماجه، باب الخطبة يوم النحر، رقم: 3055

المساواة، وفي جانب الحكم التزم الفاتحون والحكام المسلمون بهذه المبادئ مع التفاوت في درجة الوفاء بها.

لقد نعم أهل الكتاب بشكل عام من الكرامة الإنسانية والتكافؤ في الفرص. و قد ذكر المؤرخون أنه لم يخل عهد في تاريخ الحضارة الإسلامية من ذميين يهودا أو نصارى لم يتقلدوا فيه سلطات تفويضية ووزراء وكاتمي أسرار، ووظائف ولاة في الأقاليم، وحتى قادة في الجيوش. وقد أحصى ابن خلدون القبائل اليهودية البربرية، ومواقعها وأعداد أفرادها ، مؤكداً أن هذه الأخيرة قد اجتازت ما يفوق خمسة قرون في ظل الحكم الإسلامي، عرفت فيها رخاء واستقرار، باستثناء عصر الموحدين ، وأن سلطان فاس في دولة المرينيين (1248-1465م ) قد بوأ اليهودي "هارون بطاي" منصب رئيس الوزراء خلافاً لما كانت عليه الحال في الحاضرة المسيحية بالنسبة لليهود الذين سُدت في وجوههم جميع الوظائف ما عدا الجباية<sup>1</sup>. وقد استفاد اليهود من هذا الوضع حيث أنهم لم ينعموا بمثل هذه المعاملة في ظلّ المسيحية إلا نادراً. وكان وضعهم بالنسبة للمسيحيين أفضل، لأنّ كثيراً منهم اعتبروا أن الإسلام قد سحب منهم وضع السيادة على البلاد بدخولهم إليها<sup>2</sup>.

1 المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، فليب فارج و يوسف كراج، ص: 68، 69. وقد عرفت الديانة اليهودية بعض حالات التحول الجماعي للإسلام كحالة "جرواة بالأوراس في عام 693م".

2 انظر: تعدد الأديان وأنظمة الحكم: دراسة سسيولوجية وقانونية مقارنة، دجورج قرم، دار النهار للنشر، بيروت ط2، 1992م، ص: 236، 254، 261. والمسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي، فليب فارج، ويوسف كراج، ص 78.

الخاتمة

تناولت الأطروحة الموسومة بـ"القيم الإنسانية بين اليهودية و المسيحية و الإسلام"، دراسة مقارنة، موضوع القيم - كما دلت عليه مفردات العنوان- و قد حاولت للإجابة عن إشكالية الدراسة، الإلمام بجميع مفردات هذا البحث، و ذلك من خلال جمعها و تحليلها و مقارنتها، و يمكن إجمال النتائج التي توصلت إليها في الآتي :

- إن الأديان السماوية الثلاث بربطها أصل الخلق و الإيجاد بالمشيئة الإلهية، و غايته بمعنى خلافة الإنسان، تضيفي بعدا أخلاقيا و روحيا للوجود الإنساني تفتقر إليه النظريات الفلسفية والاتجاهات العلمية، التي تختزل الإنسان في احتياجاته الخاصة و دوافعه الفردية، مع ما يحمل هذا من قمع و تجاهل لاستعدادات الإنسان الأخلاقية و الاجتماعية وما يترتب عليه من آثار مدمرة للإنسانية، التي تتفق على واحد من أهم المبادئ التي تقوم عليها الإنسانية .

- إن الأديان السماوية بجمعها بين البعد النظري، و الوجودي في موضوع القيم، تصنع للإنسان أسسا ثابتة لتحقيق هويته وإنسانيته، فالقيم الإنسانية هاهنا تنطلق من المطلق، و تتوسط التصرف الإنساني لتحقيق الفلاح في الحال والمآل، فالقيم تجمع بين المطلق و النسبية.

- بالنظر إلى ما تقدم من فصول: نستنتج أنه من الصعب الحديث عن منظومة قيمية تتسم بالاطراد و الشمول، في الديانة اليهودية، و إن كان هذا لا ينفي وجود قيم تستمد من المنبع السماوي، ذلك أن تدخل العامل البشري في تشكيل بنية الكتاب المقدس (التوراة)، أدى إلى وجود تناقض تعاضم، و نما، إلى حد بلغ إلى تغييب قيم النص، و التناقض مع مقاصد الدين؛ لذلك فإننا نجد بين نصوصه آثار توحيد و تنزيه الباري، بكل ما تحمله من أبعاد عقديّة و أخلاقية، كما نجد نصوصا أخرى تفرديّة، و ثالثة هي أقرب إلى الديانات الوثنية بكل ما تحمله من أبعاد عقديّة و أخلاقية (الشعب المختار، الوعد).

- عرفت الديانة اليهودية تجاذبا بين نزعتين متناقضتين: نزعة إنسانية مهتدية ببقايا الحنيفية حاولت الاقتراب من المفاهيم الكونية للنص التوراتي و التلمودي، و نشر الرسالة الموسوية الصحيحة على يد أنبياء بني إسرائيل، و نزعة عنصرية مادية أسس لها عزرا، حازت على الهيمنة في أكثر مراحل تاريخ هذه الديانة الفكري و الديني و السياسي، و وكما تغلب هذا الاتجاه قديما، استطاعت الصهيونية العنصرية العلمانية في العصر الحديث التغلب على الاتجاهات الإصلاحية اليهودية التي تدعو إلى قيم إنسانية جامعة، و استقطاب أكثر الجماعات اليهودية بما فيها الدينية.
- عدم وجود اغتراب بين التراث الديني اليهودي المكرس للمفهوم الشرفي للشعب المختار، و ما ترتب عنه من آثار عنصرية، و بين معتنقيه من اليهود؛ و يعتبر "الجدار العازل" في العصر الحديث دليلا على التزام اليهودي بتعاليم النص الديني التي تأمر بعدم الاختلاط بالأغيار، و ما ينجر عنه من أحكام استبعادية.
- أما المسيحية، فقد عرفت - الديانة - مراحل ثلاث، المسيحية الأولى و المرحلة البولسية، ثم الإصلاحية، و شهد النص فيها تطورا أيضا و تغيرا، كما أن النزعة التأويلية التي لازمت الديانة في كثير من الأحيان أدت إلى دخول النص في حالة من التناقض، جعلته يحتوي على مذهبين أخلاقيين متعاكسين.
- لذلك فإن الحديث عن نسق قيمي ثابت في المسيحية هو من الصعوبة بمكان؛ ذلك أنه بالرغم من المعاني الثورية التي جاء بها المسيح في تفسيره للشريعة الموسوية و تركيزه على المقاصد الأخلاقية على حساب الأثر المادي للفعل مما أضفى على الديانة في العهد الجديد بعدا إنسانيا.
- إننا نجد في الكتب المسيحية نصوصا في ألوهية المسيح، إلى جانب نصوص صريحة أخرى في أنه نبي أرسله الله، و نصوصا تؤكد أن الخلاص لا يكون إلا باجتماع الايمان و العمل، و نصوصا أخرى تبين أن الخلاص لا يكون إلا بالإيمان بالفادي (عقيدة الصلب

و الفداء) أما بالنسبة للقيم التي حملها هذا النص فإن نصوص أخلاق الامتناع التي تعتبر المحبة تاجها في الديانة و التي جعلها المسيح واجبا و شرطا للدخول إلى الملكوت، توجد إلى جانب نصوص أخرى تجيز بشكل واضح الحرب و التقاضي و الترتيب الاجتماعي و هو ما تجسد في الحياة المسيحية ببعديه

- أما في الاسلام :فإن القرآن الكريم قد حفظ من التحريف و التبديل و كذلك السنة الصحيحة فقد جمع الوحي لدى المسلمين بين إخصاب العقل و إشباع الروح لذلك ،فإن البيان القرآني اتسم بالشمول و الاطراد و جمعت القيم التي دعا إليها بين العامل الديني الضامن لتأثيرها و الإقناع العقلي و المقاصد الإنسانية،و هو ما جعله يمثل النقطة "البؤرية"للتوازن التاريخي بتعبير أحد المفكرين الغربيين

- جاءت فكرة التوحيد التي تقوم عليها سائر القيم واضحة غير مضطربة، و توجه الخطاب الإلهي إلى الإنسان و تحدث في قصصه عن القيم التي يحملها الأنبياء الذين ربط صحة عقيدة المسلم بالإيمان بهم جميعا،و نبّه إلى الحقائق الكونية و لم يحمل ملامح بيئة محددة ،وبخلاف نصوص العهد القديم و الجديد ،جاء النص المؤسس فيه قطعيا و حاسما في تقرير إنسانية و شمولية القيم و المبادئ

- أما في الجانب التطبيقي،لهذه القيم فقد تفاوت المسلمون في درجة استيعاب هذا الخطاب و الوفاء بأبعاده و مقاصده ،بحسب الحالة الفكرية و الحضارية التي كانوا فيها.

- إن من أهم العوائق التي تحول دون التواصل بين المنتمين للأديان السماوية، و تفعيل المبادئ والنصوص التي تشترك فيها الصراعات الإستراتيجية و الحضارية مع ما تحمله هذه الأخيرة من مصالح عاجلة معنوية و مادية.

### التوصيات والمقترحات:

إن الباحث حين يكون في غمار العمل، و قبل أن يلقي عصا الترحال تثور في نفسه أسئلة أكثر إلحاحا، و أكثر عمقا، و قد تأكّد لدي بعد هذه الرحلة العلمية في تضاعيف هذا الموضوع أهمية التمكن من المعرفة التاريخية، للوصول إلى تقييم مناسب و صحيح، و لذلك فإن دراسة موضوع :

- القيم في إطار الممارسة السياسية في تاريخ الديانات في نظري مهم و ضروري، و من الموضوعات الجديرة أيضا "اتجاهات الأنسنة في الفكر الفلسفي الإسلامي.
- تقوم دوائر في الفكر الإسلامي و مقارنة الأديان بمحاولة استثمار مناهج النقد الغربي للتوراة و الإنجيل للبحث و لإبراز ما يجمع الديانات التوحيدية من عقائد و قيم، من خلال المصدر الألوهيمي مثلا، و الأناجيل المتشابهة و القرآن و مثل هذه البحوث قد يكون لها عظيم الأثر في التقريب بين أصحاب الديانات، إذا تبنى علماء من اليهود و النصرى أيضا هذا المسلك .

وفي الأخير وأنا أضع آخر سطور هذا العمل أدعو الله أن ينفع به ، و أستعير قول الشهرستاني في آخر كتاب "الملل و النحل"، و أقول:

"هذا ما وجدته من مقالات أهل العالم، و نقلته على ما وجدته، فمن صادف فيه خلا في النقل فأصلحه، أصلح الله عزّ و جلّ بفضلته حاله "

و الحمد لله على نعمة الإسلام، و الذي بنعمته تتم الصالحات.



## فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	اسم السورة ورقمها	طرف الآية
د	الحجرات/13	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ...﴾
د	فصلت/34	﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي ...﴾
د	هود/118	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً ...﴾
د	يونس/99	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ ...﴾
ز	الزمر/7	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ...﴾
2	البينة/3	﴿فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ﴾
183،182	النحل/89	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾
183	الشورى/17	﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾
184	الحجر/9	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾
185	النساء/12	﴿وَلَكُمْ يَنْصِفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُن لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾
185	البقرة/228	﴿وَالْمُطَلَّاتُ بِتَرَضُّنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾
185	الفاطحة/2	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاطحة: ٢].
185	الجاثية/36	﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
186	الأعراف/158	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
186	الفرقان/1	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾
186	مريم/93	﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾
186	النساء/1	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفَعُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَوَسَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾
187	الحجرات/13	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾
188	النحل/44	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

189	النساء/59	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوفُوا بِالْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾
189	الحشر/7	﴿وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولَ فَاخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
190	التوبة/119	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّالِحِينَ﴾
190	المائدة/38	﴿وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةَ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾
191	النساء/23	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾
193	النساء/115	﴿مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾
194	الحشر/2	: "فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿﴾
197	الزمر/45	﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾
198	الاخلاص/1	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
198	البقرة/30	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
199	الأعراف/172	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾
199	الأنبياء/25	: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾
199	هود/61،50	﴿قَالَ يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ وَمَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
199	الشورى/11	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
200	الأحزاب/72	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾
200	البقرة/32-33	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾
201	الروم/30	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾
202	الذاريات/24	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ بْنِ أَبِي هَامَةَ الْمَكْرَمِيِّ﴾

202	الأنبياء/26	﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾
202	الانفطار/11	﴿ كَرَامًا كَتِيبِينَ ﴾:
202	عبس/15-16	﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾
202	يس/27	﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾
202	الرحمن/27	﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾
202	لقمان/10	﴿ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾
202	الدخان/26	﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾
202	الواقعة/77	﴿ إِنَّهُ لَفَرْعَانٌ كَرِيمٌ ﴾
202	الإسراء/23	﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾
203	الإسراء/70	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾
203	الانفطار/6	﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾
204	النمل/40	﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾
204	التين/4	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾
204	التغابن/3	﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾
205	ص/72	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴾
205	ص/75	﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾
205	البقرة/30	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة 30) ..
205	الإسراء/70	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾
205	الجاثية/13	﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
205	لقمان/20	﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهِيرَةً وَبَاطِنَةً ﴾
206	المائدة/32	﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

206	الأحزاب/72	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾
206	الرحمن/1-4	﴿ الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾
206	العلق/3-4	﴿ أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾
207	الإسراء/70	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾
207	المنافقون/8	﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
207	الأحقاف/9	﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾
207	هود/3	﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾
207	الإسراء/70	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾
208	البقرة/255	﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾
208	الرعد/11	﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ ﴾
208	يونس/92	﴿ قَالِ يَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾
208	الأعراف/169	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾
208	الفرقان/62	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾
208	الزخرف/60	﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾
209	فاطر/39	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾
209	الأنعام/165	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾
209	هود/57	﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾
209	ص/26	﴿ : يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾
209	يونس/73	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ ﴾ [يونس/73].
209	الأعراف/69	﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾
209-210-211	البقرة/30-35	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

210	يونس/14	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾
210	الأعراف/69	﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ ﴾
210	الأنعام/165	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَةَ الْأَرْضِ ﴾
212	ص/26	﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿
212	النمل/62	﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿
212	الأعراف/69	﴿ أَوْحَيْنَا أَنْ جَاءَ كُرٌّ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿
212	الأعراف/74	﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَنَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿
213	هود/61	﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴿
213	الأنعام/165	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَةَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانِكُمْ ۖ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَلُّورٌ رَّحِيمٌ ﴿
213	يونس/14	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿
213	فاطر/39	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ۖ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا آلَاءًا حَسَارًا ﴿
213	يونس/73	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ ۖ وَمَن مَّعَهُ فِي السَّمَاءِ فَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿

213	الزخرف/60	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ [الزخرف: 60].
213	النمل/62	﴿وَيَجْعَلْكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾
214	الأعراف/129	﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾
214	النور/55	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ﴾
214	الأعراف/129	﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾
214	الأنعام/133	﴿وَرَبُّكَ الْعَظِيمُ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾
215	هود/57	﴿فَإِنْ قَوْلًا فَفَدَّ أَبْلَغْتُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ سَيِّئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ﴾
215	الحديد/7	﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾
216	الأحزاب/72	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾
217	المؤمنون/115	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾
218	الذاريات/56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
218	الأعراف/158	﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
218	النساء/135	﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾
218	المائدة/8	﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

218	ص/26	﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾
218	الحجرات/13	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
219	البقرة/38	﴿ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
223	الأعراف/172	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
224	المائدة/44	: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَوْا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا ﴾
225	آل عمران/144-145	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾
226	طه/84	﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾
226	الزخرف/59	﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾
282	المؤمنون/71	﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾
282	الروم/47	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
282	يونس/30	﴿ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾
282	يونس/32	﴿ فَذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾
282	يونس/5	تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾
282	يونس/53	: ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾

283	البقرة/147	﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾
283	البقرة/149	﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾
283	البقرة/213	﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾
283	يونس/3	﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾
283	السجدة/13	﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾
283	المؤمنون/71	﴿وَلَوْ اٰتَبَعَ الْحَقُّ اَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾
283	الأنفال/8	﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾ [الأنفال: 8].
283	النساء/91	﴿وَأَوْلٰئِكُمْ جَعَلْنَا لِكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا﴾
283	الصف/8	﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
283	التوبة/33	﴿هُوَ الَّذِي اَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدٰى وَدِيْنٍ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ وَّ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهٖ﴾
284	يس/7	﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ اَكْثَرِهِمْ﴾ [يس: 7].
284	الأعراف/105	﴿حَقِيْبٌ عَلَىٰ اَنْ لَا اَقُوْلَ عَلَى اللَّهِ اِلَّا الْحَقَّ﴾
285	المؤمنون/71	﴿وَلَوْ اٰتَبَعَ الْحَقُّ اَهْوَاءَهُمْ﴾ [المؤمنون: 71]
285	الزخرف/29	﴿حَتّٰى جَآءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُوْلٌ مُّبِيْنٌ﴾ [الزخرف: 29].
285	القصاص/48	﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوْا لَوْلَا اُوْتِيَ مِثْلَ مَا اُوْتِيَ مُوسٰى﴾
285	الإسراء/81	﴿وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبٰطِلُ﴾
285	النور/25	﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِيْنَهُمُ الْحَقَّ﴾
285	النساء/122	﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾
285	الأنعام/73	﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾
286	السجدة/13	﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾
286	غافر/6	﴿وَكَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾
286	الحجر/85	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ﴾
286	الأنعام/62	﴿تَعَالٰى﴾ ثُمَّ رُدُّوْا اِلَى اللَّهِ مَوْلٰدُهُمُ الْحَقِّ﴾
286	البقرة/282	﴿وَلِيُجِلِّ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾
286	البقرة/282	﴿فَاِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾
286	المعارج/24	﴿وَالَّذِيْنَ فِيْ اَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُوْمٌ﴾



286	المائدة/107	تعالى ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾
286	الأنعام/5	﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾
286	التوبة/48	﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾
287	تازخرف/86	﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
287	آل عمران/3	﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾
287	البقرة/71	﴿قَالُوا أَفَلَنْ جِئْتِ بِالْحَقِّ﴾
287	يوسف/100	تعالى ﴿فَدَّ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾
287	البقرة/252	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾
288	الحج/62	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾
289	آل عمران/9	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾
289	إبراهيم/22	﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ﴾
293	يونس/32	﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنَّ تُصْرَفُونَ﴾
293	الأنعام/62	﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾
293	المؤمنون/116	﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾
295	البقرة/188	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾
295	آل عمران/191	﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾
296	الأحقاف/3	﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
296	آل عمران/191	﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾
296	المؤمنون/115	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾
296	الحج/62	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾
297	العنكبوت/48	﴿إِذَا لَازَرَتَا ابْنِ الْبَطُولِ﴾
297	فصلت/42	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾
297	البقرة/264	﴿لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾

297	البقرة/188	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾
297	الإسراء/81	﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾
298	الأنعام/33	﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾
300	الذاريات/56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
300	النور/25	: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾
300	النحل/17	تعالى ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾
300	الطور/35	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾
300	الحجر/85	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
300	يونس/32	﴿فَذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ﴾
300	الحج/32	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدَّعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾
301	هود/6	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾
301	الأنعام/73	﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾
301	يونس/55	﴿إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقُّ﴾
301	فاطر/15-17	﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَالِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾
301	آل عمران/3	﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾
301	يونس/35	﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾
301	البقرة/213	﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآذْنِهِ﴾

301	ص/26	﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾
301	الفتح/28	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾
301	الإسراء/9	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾
302	الأعراف/157	﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾
302	الروم/30	﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
303	الأعراف/158	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
303	الأنعام/19	﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾
303	الفرقان/1	تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾
303	البقرة/44	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴿(البقرة/44).﴾
303	المطففين/1-3	﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ (ال)
310	الإسراء/105	﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾
310	ص/26	﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾
311-310	النساء/105-113	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَجِدُ عَنِ الدِّينِ يُخْتَلَفُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَافًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾
315	البقرة/256	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾
315	يونس/99	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾
316	الكهف/29	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

316	الحج/40	﴿ وَتَوَلَّى دَعَا اللَّهَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَّيْتُمْ صَوِّمُوا وَيَبِيعُوا وَصَلُّوا وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾
317	البقرة/217	﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ مِنَ اللَّهِ بِشَيْءٍ فَاعِلًا حَاطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
321	يونس/32	﴿ فَذَلِكُنَّ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾
321	الأنعام/62	﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسْبَيْنِ ﴾
321	المؤمنون/116	﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾
322	البقرة/213	﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآيَاتِهِ ﴾ [البقرة 213].
322	ص/26	﴿ يٰۤاٰدٰوُدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾
324	آل عمران/113	﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ اٰهْلِ الْكِتٰبِ اُمَّةٌ قٰنِئَةٌ يَتْلُوْنَ ءَايٰتِ اللّٰهِ ءَاثٰنًا اَلِيْلٍ وَهُمْ يَسْتَجِدُوْنَ ﴾
324	آل عمران/199	﴿ وَاِنَّ مِنْ اٰهْلِ الْكِتٰبِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَمَا اُنزِلَ اِلَيْكُمْ وَمَا اُنزِلَ اِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلّٰهِ لَا يَشْتَرُوْنَ بِءَايٰتِ اللّٰهِ ثَمٰنًا قَلِيْلًا اُولٰٓئِكَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ اِنَّ اللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ﴾
324	المائدة/62	﴿ وَتَرَىٰ كَثِيْرًا مِنْهُمْ يَسْرِعُوْنَ فِى الْاِثْمِ وَالْعُدُوْنِ وَاَكْلِهِمْ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ﴾
325	آل عمران/113	﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾
377	المائدة/95	﴿ اَوْ عَدَلْ ذٰلِكَ صِيَامًا ﴾

378	النساء/58	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء/58].
378	النساء/5	﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ﴾ (النساء/5).
379,380,395,396,410,398	النحل/90	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾
379	الرحمن/7-8	﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾
379	الطلاق/2	﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ .
379	الشورى/15	تعالى ﴿وَأَمَرْتُ لِعَدْلِ بَيْنِكُمْ﴾
379	المائدة/95	﴿أَوْ عَدَلٌ ذَلِكِ صِيَامًا﴾
380	المائدة/95	﴿أَوْ عَدَلٌ ذَلِكِ صِيَامًا﴾
380	البقرة/48	﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾
380	النحل/90	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾
380	النساء/3	﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ﴾
380	الأنعام/1	﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾
381	الأنعام/1	﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾
381	البقرة/48	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾
384-383	البقرة/143 / الهامش.	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
385	يونس/4	﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾
385	الرحمن/9	﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾
386	الجن/15	﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾
386	الحجرات/9	وقال ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
386	الإسراء/35	﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35].
386	آل عمران/18	﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18].
386	الإسراء/35	﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35].
386	الأنبياء/47	وقال ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
386	النساء/135	: ﴿بَيِّئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا﴾

387	الحجرات / 9	﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
388	الإسراء / 35	﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَيْسَارًا وَالْمُسْتَقِيمَ﴾
388	الرحمن / 9	﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾
388	الكهف / 105	: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [1]
388	الحجرات / 19	: ﴿وَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾
388	القمر / 49	: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾
388	الأعراف / 8	وقوله ﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾
388	الأنبياء / 47	﴿وَرَضِعُ الْمُوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
388	المطففين / 3	﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾
393	الرحمن / 8-9	: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾
393	الشورى / 17	: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾
394	الحديد / 25	: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾
394	الرحمن / 7	﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾
394	الحديد / 25	وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ.
395	الرحمن / 7-9	: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾
395	النحل / 90	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: 90]
396	الأنعام / 150	: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالذِّبْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾
396	الحجرات / 7	﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَتْ فَاتَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
396	الأنعام / 115	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

398-396	النحل/90	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
398	البقرة/195	﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
398	النساء/97	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾
398	آل عمران/135	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾
399	الحجرات/9	﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
400	النساء/58	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾
400	المائدة/8	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾
400	الأنعام/152	﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾
400	البقرة/282	﴿وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾
400	الإسراء/35	﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾
401	البقرة/44	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
401	النساء/135	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ﴾
405	المائدة/42	﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

408	الحديد 25	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾
410	النحل 90	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾
410	المائدة/48	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾
412	النساء/135	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾
413	المائدة/8	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾
413	الزلزلة/7-8	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾
413	طه/121-122	﴿ وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿٣١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾
414	البقرة/38-39	﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
414	النجم/36-41	﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾
414	المائدة/18	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِر لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾
415	محمد/38	﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾
417	النساء/58	﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾



487	السجدة/18	﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.
487	النجم/6	: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾
487	المؤمنون/28	﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ﴾
487	الكهف/96	﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: 96].
488	النساء/11	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾
489	آل عمران/113	﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۚ مَنِ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾
489	البقرة/108	تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾
489	المائدة/10	: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾.
489	التوبة/19	﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

489	الكهف/96	﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾
489	الحج/25	﴿سَوَاءَ الْعَلْكُفِ فِيهِ وَالْبَادِ﴾
489	آل عمران/64	: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾
489	الدخان/47	﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾
489	الأنبياء/109	﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَادَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾
489	المائدة/77	: ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾
489	هود/44	﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ﴾
489	المؤمنون/28	﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ﴾
490	الفصص/14	تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾
492	الحجرات/13	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
494	الروم/30	: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾
497	السجدة/18	﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾
497	الحديد/10	﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾

499	البقرة 35-36	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾
499	الذاريات/49	﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
499	التوبة/71	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ
500	التحریم/11	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾
500	النمل/32	﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾
500	التحریم/10	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَمَهُمَا فَلَمْ يُعْنِيَا عَنْهُمَا
500	التوبة/67	﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
500	التوبة/68	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لَئِنَّهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾
506	محمد/4	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَخْنَسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّبَاطَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾
506	النور/33	﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ؕ وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ ﴾
506	النساء/92	﴿ وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾
506	المجادلة/3	﴿ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ بَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ﴾
506	المائدة/89	﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ ۚ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾
507	التوبة/60	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾

494	الإسراء/70	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾
494	النساء/1	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ﴾

495	يوسف/40	﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمْ وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
495	الأعراف/54	﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
495	النساء/58	﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾
495	المائدة/8	: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ﴾
509	البقرة/199	﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾
516	الحديد/10	﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ ۗ أَعْظَمَ دَرَجَةً ۗ مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا ۗ وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَٰى ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
519	هود/18	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾

## فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	طرف الحديث
ب	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي
ج	الأنبياء أخوة لعالات
188	من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من
188	"التَّبِعْ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبِيرًا بِشَبِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ
188	كان - عليه الصلاة والسلام - خلقه القرآن
189	ألا إنني أوتيتُ الكتاب ومثله معه
190	عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ،
190	خذوا عني مناسككم
191	لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها
191	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
191	رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى سَمَحًا إِذَا افْتَتَضَى
193	لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي عَلَى الضَّلَالَةِ
193	لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شِدًّا إِلَى النَّارِ
195	كيف تقضي إن عرض لك قضاء؟ " قال: بكتاب الله،
199	إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهُ
199	مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
215	إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ حَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا
221	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه
282	إن الله أعطى كل ذي حق حقه
288	اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيمَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ،
289	يا معاذ، هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله
290	نعم فحجتي عنها رأيت لو كان على أمك دين أكننت قاضيته
290	إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث
290	يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل
291	إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَعْدَلَ بَيْنَهُمْ، كَمَا أَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ
291	ماحق امرئ مسلم يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده
291	العين حق

291	لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق،
294	أنت الحق وقولك الحق ولقاؤك حق
296	أصدق كلمة قالها الشاعر ألاكل شيء ما خلا الله باطل
289	حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً
304	ياعمُّ، واللَّه لو وضعوا الشَّمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك
304	بل هو الرأْي والحرب والمكيدة
306	صاحبك أخذ بالفضل وأنت أخذت بالرُّخصة، علام أنت اليوم
306	أن النبي ﷺ أمره أن يورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها.
306	أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر
306	اعلموا أن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فالفهم الفهم إذا اختصم
308	أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر
308	يا أيُّها الناس، قد وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتُموني على حقِّ فأعينوني،
315	إنَّا لا نكره أحداً على الإسلام، ولو كان الكافر يقاتل حتى يسلم
318	من بدل دينه فاقتلوه
318	لا يحل دم امرئ مسلم - يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله - إلا
382	اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم
382	أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟
382	يعدل بين الناس صدقة
382	من أحدث فيها حدثاً أو آوى مُحدثاً فعليه لعنة الله إلى يوم القيامة لا يقبل
382	ليست لهما بعدلٍ بعدلٍ
382	لَا تَنَافَسَ بَيْنَكُمُ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: جُلِ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَفُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ
382	يُدْعَى نُوْحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ بَلَغْتَ
384	بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي عُسْرِنَا
387	المقسطون عند الله، على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم
399	أكل ولدك نحلته مثل هذا؟
400	إنَّ المقسطون عند الله يوم القيامة على المنابر من نور عن يمين الرحمان
402	استو ياسواد
403	يا صفوان، هل عندك من سلاح؟"، قال: عارية أم غضباً؟ قال: "لا، بل
403	من ظلم معاهداً، أو انتقصه حقاً، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً
404	امشوا نستنظر ليجاب من اليهودي

405	أنا وهو كَتَا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر، تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي
406	أنَّه افتقد درعه يوماً من الأيام فوجدها عند رجل نصراني، فاختصمه إلى
408	يا عبادي إنِّي حرمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا
490	الأَسْنَانُ سَوَاءٌ، وَالْأَصَابِعُ سَوَاءٌ
490	أَلَيْسَ يَسْرُكُ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟
490	يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيُؤَمِّمَهُمْ أَقْدَمَهُمْ،
490	النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَافِيَةِ
491	المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم
491	من قتل مُعَاهِدًا لم يرح رائحة الجنة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين
492	ألا إنَّ ربا الجاهلية موضوع عنكم كله، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون
492	يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من
501	إن المرأة لتأخذ للقوم
501	أعطت أم حكيم بنت الحارث بن هشام الأمان عام الفتح عكرمة
507	أيما رجل أعتق امرأ مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النار
507	لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نساءكم إماء الله
507	إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت
494	يا أبا ذر إنَّك امرؤ فيك جاهلية، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء
494	ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا
495	أتشفع في حد من حدود الله، إنَّما أهلك الذين من قبلهم، أنَّهم كانوا إذا
496	فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، وانفذ إذا
509	إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن
510	المسلمون تتكافأ دماؤهم
510	أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنَّما أهلك الذين
511	قد أقررت، فإما أن ترضي الرجل وأما أن أقيد منك
512	مذكم تعبتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا
513	أنَّ الناس أمة واحدة
518	كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
518	ليليني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم
518	المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم
518	يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمُ بِالسُّنَّةِ،

519	إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه.
519	ألا إنّ ربا الجاهلية موضوع عنكم كله، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا
ب	إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه و أجمله إلا
ج	الأنبياء أخوة لعالات، أبوهم واحد، و أمهاتهم شتى

## فهرس الكتاب المقدس:

### أ - العهد القديم

سفر القضاة:	70، 72، 83، 102، 232 242، 438، 37، 38
سفر صموئيل الأول والثاني:	99، 37، 426، 340، 338
سفر الملوك الأول والثاني:	74، 72، 37، 32
سفر أخبار الأيام الأول والثاني:	37
المكتوبات (كتويم):	37
المزامير:	38، 344، 331، 236، 133 61
أمثال	335، 332، 237، 235، 468، 439، 350، 348 484
نشيد الإنشاد:	38
سفر راعوث:	38
سفر هوشع:	57، 38، 340، 357
مراثي إرميا:	38
سفر إستير:	46، 438
سفر دانييل:	38
عزرا:	38، 33، 522، 336، 245 82، 43
نحميا:	32
سفر أشعيا:	74، 63، 62، 58، 423، 57 133، 103، 102، 79، 75 153، 134
سفر أرميا:	356، 348، 321، 74، 69 137، 86، 53، 469، 408 234، 139

سفر أخنوخ:	135
سفر عاموس:	352، 236، 351
سفر الرؤيا	535
سفر اسيترا:	32، 112
سفر إرميا:	231، 32، 103، 38، 53 101، 71، 69، 232، 102، 330، 236
نبيم:	36، 34
كتويم:	34، 37
سفر التكوين:	66، 55، 43، 54، 35، 39 97، 231، 69، 65، 64، 63، 124، 123، 703، 100، 241، 240، 244،
سفر الخروج:	40، 35
سفر اللاويين:	430، 36
سفر العدد:	36، 346
سفر التثنية:	239، 236، 79، 63، 36
الأنبياء (نبيم):	53، 49، 42، 41، 37، 36 76، 75، 74، 73، 59، 57 103، 101، 100، 94، 91 109، 102، 108، 106 143، 132، 137، 111 155، 191
سفر يشوع:	82، 72، 36، 38، 37، 450



## 2-العهد الجديد

### أ - الأناجيل

إنجيل مرقص:	575، 112، 113، 168
-إنجيل متى:.	113، 167، 173
-إنجيل لوقا:.	113، 140، 466
-إنجيل يوحنا:.	113، 145، 257
إنجيل برنابا:	115، 141، 175، 466، 176
-سفر الأعمال:.	

### ب - الرسائل الرَّعوية و العامة:

-رسالة بطرس.	109
-رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي:	116
ر - ب كورنثيوس:	124، 126، 358، 116، 113
ر - ب غلاطية:	255، 465
ر - ب رومية:	386، 470، 480
ر - ب أفسس:	130، 516، 470، 131
ر - ب فيليبي:	117، 480
ر - ب كولوس:	117
ر - ب فيلمون:	117، 471
ر - ب قولسي:.	131

سفر مزموور:	321، 348، 356، 408، 139، 137، 86، 53، 469
-سفر أمثال:	435
-سفر التكوين:.	35، 39، 69، 43، 54، 55، 61، 63، 64، 65
-سفر هوشع:	57
-سفر أشعياء:	74،
-يهوديت:	112
-طوبيا:	112
-المكابيون الأول والثاني:	124، 135، 158، 161، 173، 208، 248
-الحكمة:	124، 135، 158، 161، 173، 208، 248
-إسستير:	38، 438
-دانيال:.	112

-

## فهرس الأعلام

6	سبرينجر:
98	-جلعاد:
98	-إفرايم:
8، 576، 574	جميل صليبا:
8، 577	لالاند:
9	إيمانويل كانط
9	لوتز:
9	ماكس شيلر:
70	بيرغسون:
10	شوبنهاور
10، 9، 242	كانط.:
18، 13، 12، 10، 367، 245	نيتشه:
10	كونت
10، 366	دوركاييم:
567، 565، 27، 25	ماركس:
16، 15، 11، 22	أفلاطون:
11	ديتريشن فون هيلديرنند.:
14	تشارلز داروين.:
15	أرسطو طالس:
16	-الفارابي:
409، 318، 132	-ابن رشد:
17	-أبو حيان التوحيدي:
17	-يحيى بن عدي:
18	-وليام شترن.:
19	-ماكس شلر:
19	-نقولا هارتمان.:
22	- فيلون السكندري:
24	-آرنست ترولشته:
24	-كانتول سميث:
26	-هيوم:
26	-آدم سميث:
26	-بنتام:
26	-ميل.:
117، 99، 98، 94، 97، 93، 167، 240، 344، 261	-يعقوب:
45، 32، 31، 30، 250، 101، 117، 98	-يهودا.:

32	-آحاز بن يوشام ملك يهوذا:
32	-رصين ملك آرام:.
481, 212, 168, 150, 150, 103, 99	-داوود:
32	-أبشالوم:
33	-كمال الصليبي :
33	-توماس طومسن:
33	-كيث:.
33	-ايتلام:
76.49.33.232.250.338.339.435.568	-إنغريدهيلم:
2,33,49,76,250,332,338,339,435	-موسى بن ميمون:
213	- آدم -عليه السلام-:
35,413,476	-حواء:.
35,43,68,213,374,383,447,339,435	- نوح:
35,447,451,478,479,499,515	- سام :
80	- إبراهيم:
80,93,96,97,241,243,343,344	-إسحاق :
32,35,41,68,77,80,89,93,394,97,99,117,261,350,344,42 8,240,485,448	-يعقوب:
32,100	- يوسف:
35,63,94	-الأسباط:.
98	-يشوع بن نون:
39	-رتشارد سيمون:
39	-أستروك:
351,40,42	-فلهاوزن:
44,45,46,	-يهوذا هاناسي:
45,47,424,437	-هلليل:
47	-شماي:
45,91,311	-عقيبا بن يوسف:
50	-جينزبرج L.Ginzberg
57,90,104	-موسى مندلسون:.
67,125,128,166,223,345,442,458	-الفاروقي:
61,67	-غوستاف لوبون:.
69	-اسينوزا:
71,433	-أدين شتاينسالتر:.
71	-ول ديورنت:
72,231,235	-حزقيا:
74	-أرميا :.

74,349	-حزقيال:.
	-ريجيسكي:.
	-سعديا بن يوسف الفيومي:.
77	-محمد عزة دروزة:
442,458,460,78	-اسرائيل شاحاك:
86	-فنجاس شابيراكورتر:
87	-د،ر،ج تشفي فيرلوسكي:
89	-هتلر:.
91	-الحاخامعقيا:
91,129,173,444	-رينان:
91	-غوميلوف:.
95	-إلبعازر الدمشقي:.
86	-سارة:
96	-هاجر:
344	-عيسو:
22,55,103,175	-فيلون:.
106	-المسيح عيسى:
106,125,133,137,174,372,438,475,476	- مريم:
	المؤرخ تاسيتس:
107	-دبورة:
107	-وخلدة:
108,113,137,139,140,155,159,167,168	-متى:
139,143,168,170,174,265,410,484	-مرقس:
113,115,129,139,140,160,168,170,174,363,466	-لوقا:
113,114,135,138,139,140,145,167,168,255,256	-يوحنا:
108	-حنة:
108	-إلصابات:.
	يسوع:.
	بولس:.
156,114,255	موريس بيكاي:.
	-بحينيوس:
	- روبرت إستفانوس:.
	-أونطوس:.
115	-ثاوفيلس:.
117	-تيموثاوس:
117	-تيطس:
119	-رفائيل نخلة اليسوعي:

115.109.120.159.171.273.473.483.119.117.158.161.174 366.482...3223.480.185.1583261.	-بطرس:.
121	-البابا أغاثو:.
121	-البابا إيوغني الرابع:
121	-جان دارك:
	-البابا تيدكت الخامس عشر:.
121	-الحبر الأعظم (بابا روما):
128	-بول رامسي:.
128	-القس إبراهيم سعيد:.
132	-كليمان الاسكندري:
132	-القديس أوغسطين:
132	ألبير الكبير:
.132.356.481.148.271.409	توما الاكويني:.
134	غينبرت Guignebert:.
139	ثيوفيلس (Théophile) الأنطاكي:.
139	ترتليان:.
139	متيوس (W.r.Mattheus Dean):
139	برنير (E. Brenner):
139	Maior:.
146	القس ثيودوروس.
149	المطران أثناسيوس:
149	القديس كونسيانسيوس (consentius):
152	-انطيوخنسأيفانس:.
156	-الأب روعية:.
148.264.157	-القديس أغسطينوس:
160	-حنانيا إلياس كستاب:.
.161	-بطرس الكلي:.
167	-إيليا:.
168	-جورجي كنعان:.
129.91.173	-رينان:.
175.274	-ويلز Wells:.
190.189.188.183.207.221.286.290.295.296.199.195.193 192.191.215.209.225.282.288.289.291.294.	-محمد ﷺ:.
308.309	-أبو بكر:.
189.306.307.404.405.496.502	-عمر:
198	-عثمان:
	-علي:

189.290.405.214.316.405.490	-ابن عباس:
291.318.490.189	-ابن مسعود:
191	- الشوكاني:
195.289.300.398	- معاذ .:
282.397.394.487	-الراغب الأصفهاني:
198.377	-الجرجاني .:
198.210	-القرطبي .:
204,211,405	-ابن كثير:
210	-الفخر الرازي .:
210,216	- الطبري .:
211,315,378,386,495,497	- ابن عاشور:
2,222,326,416,512,518	-العامري:
222,د	- عبد القادر الجزائري .:
226	-الخضر .:
230	-جان جاك روسو:
	-هوبز:
233	-يوسيفوس:
9,10,242	-كانط:
242	-لازاروس Lazarus:
242,245	-بن غوريون:
243	-غولداماثير:
244	-برجر:
32,37,246	-قورش الفارسي:
88,244,249,427	- المسيري:
249	-ستفي فيرلوسكي:
250	-الحاخام سليمان بن إبراهيم:
250	-فون باجوت جلوب:
	-يوحاناالمكابي:
255	-أفليمس الإسكندري:
255	-ترتليا نوس:
233,258	-قمران
266	-بوناقينز:
266	-باسيليسوس الكبير:
2,267,271,481	-توما الأكويني:
268	-قسطنطين:
144,160	-أريوس:
270,272	-جان لوك:

276,271	-مارتن لوثر:
	-البابا نقولا:
	-البابا يوحنا الثاني والعشرون.
275	-يوحنا هوس:
480,275,19	-جيروم:
276	-رونجلي
	-كلفن :
578	-محمد الكتاني:
289,288	-الباجي:
382,290	-ابن حجر:
501,290	-أُم سلمة:
	- أُم سُليْم:
291,215	-النووي:
291,286,565	-ابن العربي:
399,381,291	-النعمان بن بشير:
291.382	- أبي هريرة :
291	-العراقي:
288.292	-ابن بطل:
293	-زروق الفاسي:
298.292	-الفراء:
298	-ابن عرفة:
299.395	-الشاطبي:
395	-القرافي:
304.406	-أبو طالب:
304	-الحباب بن المنذر:
305	-مسيلمة
306	-أشيم الضبابي:
306	-عبد الرحمان بن عوف:
306.496	-أبو موسى الأشعري:
	-محمد بن قاسم العثماني
	-أبوالفضل الجوهري:
509,309,308	-ابن باديس:
520,401,312	-ابن خلدون:
313	- جورج قرم:
313	-المتوكل:
313	-الحاكم بأمر الله:
313	-جب:

313	-بولياك:
318	- طه العلواني
198,293,320,383,385	-ابن الأثير:
323	-هانس كنج
323	-ألكسندر روس
325	-سير توماس أرنولد
	- محمود الغزنوي
326	- المهدي ابن تومرت
337	-أدين شتانسالتز:
439	- سيمون بن شتيح:
	-صموئيل بن حفني:
	-صموئيل
342,425	-هليل:
41,97,344	-عيسو:
351	-شيشق:
351	- رجبام:
359	-أنسلموس:
359	-مونيكا:
366	-مارسيل دي كورت:
	-أحمد شلبي:
198,377	-الجرجاني:
297,380	-ابن الجوزي:
381,384,405	-ابن جرير:
382	-أبو الدرداء:
383,198,293,320,383	- ابن الأثير:
382	-السندي:
383	-يزيد بن الأحنس:
565.386.383.3	-البخاري
383.215	- أبو سعيد الخُدري:
384	-العيني
384	-الزَمخشري:
384.199	-عبادة بن الصامت:
402	-سواد بن غزوة
403	- صفوان
404	-جابر بن عبد الله بن حرام
406	-شريح:
423	-محمد خليفة حسن



424	جملليل
426	-جريكام:
428	-فلافيوس جوزف:
428	-فرانسيس شميث:
433	-أريور ويل
438	-ابن شمعون:
438	-دبورة:
438.46.38	-إستير:
438	-مردخاي:
439	-أحشويروش
112	-يسوع بن سيرخ
112	باروخ:
439	سالومي
439	ألكسندرا
337.439	سيمون بن شتياح،:
440	أكيابن يوسف:
442	-موسى هس
444	-هيكاتهدايدير
444	-بوزيدوس:
444	-ليزالمال:
444	-أبوليوسمولون:
445	-سيمون أينشتاين
447	-سام
447	-حام
447	-يافث
448	-عدنان حداد
444	-إرنست رينان:
450	-يشوع بن نون:
450	-ول ديورانت:
456	-إبراهيم جايجر:
460	-أفتيري
461	سليم إلياس:
461	شمعون بن جاكى :
461	-الحاخام عقبه :
467	-أمبروسيوس:
467	- البابا بولس السادس:
474	-بروغسون:

467	-مریم المجدلیة
474	-مریم أم یعقوب ویونس
476	-أم یوحنا:
476	-أم إبنی زیدی
477	-خوزی
477	-سوسنة
477	-المرأة الحدباء.
477	-المرأة النازفة
477	- ومرثا
477	-لعاذر
477	-المرأة السامریة
477	-إمرأة بیلاطس
480	- لیديا
480	-فیبي
480	-بريسيكلا
480	-أكيلا
491	-عبد الله بن عمرو:
569	-البغوي:
490	-بلقيس
500	خديجة بنت خويلد
501	-أم كلثوم بنت عقبه بن أبي معيط
290.291.501	- أم سلمة
501	-زينب بنت رسول الله ﷺ
501	-أبا العاص بن الربيع
501	-أم حكيم بنت الحارث بن هشام
501	-عكرمة بن أبي جهل
501	-خولة بنت ثعلبة:
501	-البلاذري:
502	- حفصة بنت عمر:
502	-الشفاء العدوية:
502	-بلال الحبشي
/	-أبو داود
.403	-أسامة بن زيد
510.509.495	- ابن الصلاح:
510	-عائشة:
510	- المرأة المخزومية:

511	-هرقل:
511	-جبله:
513	-عمر بن عبد العزيز:
519	-و.مونتجمري وات:
520	-هارون بطاي:
525.68	-الشهرستاني:

## فهرس الجماعات والفرق:

10	-الماركسيون:
12	-السفسطائيون:
31.80.90.450.452	-العبرانيون:.
	-الإسرائيليون:.
.568.577.578	-اليهود:
33.38.353.440	-الصدوقيون:.
33.38.353.440	-الكهنوتية:.
38	-السامريون:.
	-القرآؤون:.
45	-العلماء التنايم:
48	-الأمورائيم (Amoraim):
	-اليهود الأرثوذكس:
49.51.456.457	-الإصلاحيون:
99.241.353	-المصريون:
	-الأشوريون:
70	-البابليون:
512.232	-الفرس:
	-اليونانيون:
168.152.142	-الرومان:
138.109.111.113.118.123	-المسيحيون:.
	-الحثيون:
	-الأموريون:
	-الأدوميون:
	-البيبوسيون:.
72.433	-بني عمون:.
72	-عماليقا:.
72	-الصيدونيون:.

	-القبالة:.
78	-غوش إيمونيم.
	-الفرزيون.
226.312.313.325.403.151.149.107.119.123.125.139	-النصاري:.
109	-القديسون:.
111.121.147.371.475	-الكاثوليك:
276.371.147.475.469	البروتستانت:.
119.121.275.573.44.109.118	- المجامع المسكونية:.
268	- البابوية:
120	-أبرشية:.
	اليسوعيون:.
126.255.361	-الفريسيون:.
146	-السريان:
146	-الأقباط:
146	-الأحباش:
146	-الأرمن:
	- الأمميون:.
	-الحشمونيون:
112	-المكابيون:
	-الهيروديسيون
392.409	الأشاعرة
391.408	المعتزلة
233	جماعة قمران
230.10.16.18.19.22.24.574	الفلاسفة
	المثاليون
14	الداروينية
22.299.312.393.409.505	الفقهاء
310	المفسرون
	المدارس الكلامية

## فهرس البلدان:

115	-امبراطورية روما:.
116	-تسالونيكى:
114,116,113	كورنثيوس:
466,255,176	غلاطية:
	روميا:
516,470,261	أفسس:
490,117	فيليبى:
	كولوس:
	فيلمون:
131	قولسى:
134	جبل صهيون
141	خلقيدونية (آسيا الصغرى)
511,147	-القسطنطينية:
250	-مونبلييه:
	-باريس:
467,274	-فرنسا:
305,571,501	-مكة:
323,467	-إسبانيا:
	-آشور:
448,38	-بابل:
456	-أوروبا الغربية
457,456	-أمريكا الشمالية:
457	-ترسبورغ:
566,564,562,561	-دمشق:
512	-أرض الحبشة:

109,31,574,497,246	القدس:
52,48,44,31,32,34,,59	فلسطين:.
35,37,38,72,97,107,2	
42,244,245,246,339,4	
45,459	
35,98	جبل (نبو):
35,48,49,68,71	جبل سيناء:.
41,52,54,73,95,96,97,98,100	أرض كنعان:
246,32,44,45,48,153	بابل:
64	النقب:
91	-مملكة خازاريا:
91	-جنوب شرق أوروبا:
146,91	- آسيا:
137	-البحر السود :
91	-شمال تركيا :
93	-بحيرة قزوين:
	-سلافيا:.
94,63	-شكيم - نابلس
	-الحالية-
448,433,98,72	- جبل " نبو " :
172,38	- مؤاب:
98	-أريحا :
98	-دان:
98	-نفتالى:
98	- البحر الغربي والجنوب:
98	-صوغر:
98	- بيت فعور - شرق الأردن -.
566,565,562,561	- لبنان :
92	-نهر الفرات:

## قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الكتاب المقدس: طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، ط3، 2001م.
- العهد الجديد: مترجم من اليونانية، طبع تحت اشراف المنظمة العالمية لتوزيع الكتاب المقدس، د-ت.
- القيم بين الإسلام والغرب: د. مانع بن محمد المانع (ط) الأولى: 1426هـ-2005م دار الفضيلة، الرياض -السعودية.
- أبحاث في الشرائع اليهودية والمسيحية والإسلام: د. فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1414هـ-1994م.
- اتجاهات نقد العهد القديم: د. أحمد محمود هويدي، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1422-2001م.
- آثار ابن باديس: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة: الأولى 1388هـ- 1968م.
- أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي: د. أحمد علي عجبية؛ دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2004م.
- الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة: شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي المعروف بـ القرافي، (ط) الأولى: 1406هـ-1986م در الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم، البستي. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت لطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
- أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424هـ-2003
- أخلاق الانجيل دراسة سوسولوجية: ألبيربايه؛ ت: سليم العوا، دمشق
- الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية: كريمة لاوز، مركز براهين للأبحاث والدراسات، ط2، 2016م.
- الأخلاق في الأديان السماوية: أبو ضيف المدني، دار الشروق، ط1 1988.
- الأخلاق في الإسلام مع مقارنتها بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية: د: يعقوب الميليجي؛ مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر؛ 1985م.
- أخلاق كونية لثقافات متعددة: بيير سيزاري بوري وسانيرومارشينو، ت: أحمد عدوس، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط1 (2007م).

- أخلاقيات الحرب ومبادئها في القرآن والتوراة، دراسة مقارنة: د. يسري حازم صالح، دار عيذاء للنشر، الأردن، ط1، 2015م.
- أزمة العقل المسلم: د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي فيرجينيا، طبع دار الهدى عين المليلة الجزائر ، الطبعة الثانية 1413-1992.
- استخلاف الإنسان في الأرض: د فاروق أحمد دسوقي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ،الاسكندرية - مصر.
- الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم: د. ديمة شريف الصياد، دار النوادر، ط 1، 1422، 2012.
- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: د. علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر ط، مصر 2003م.
- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: د.علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، 1384هـ-1964م.
- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام :دعلي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، ط1، 1384هـ-1964م.
- الإسلام بين الشرق والغرب: علي عزّت بيغوفتش، ت: محمد يوسف عدس، مؤسسة العلم الحديث، بيروت، ط1، 1414هـ.
- الإسلام دين العلم والمدنية: الإمام الشيخ محمد عبده، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1409هـ-1989م
- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في عصور التاريخ الاسلامي: عبد المنعم بركة مؤسسة شباب الجامعة ،اسكندرية 1990م.
- الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر وتحمري وات ، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، سلسلة نافذة على الثقافة العالمية (الألف كتاب الثاني ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
- الإسلام والمسيحية: بحوث في نظام القيم المعاصر، معهد الدراسات الإسلامي للمعارف الحكمية، دار الهادي بيروت لبنان ط الأولى 2003م.
- الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم الى الحوار والتفاهم: أليكسي جوارفسكي، ت خلف محمد الجراد، دار الفكر، دمشق ودار الفكر بيروت، ط2، 2000م.
- الإسلام وحقوق الإنسان (ضرورات لاحقوق): د. محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (ط) الأولى، القاهرة ،مصر ، 2004-2005م.

- الأشباه والنظائر: أبو هلال العسكري: تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (ط) 1، 1418-2007.
- الأصول الفلسفية للتربية ثقافة الألفية : أميل فهمي، عبد اللطيف محمود سهير محمود وآخرون، الثالثة، القاهرة، 2001.
- أصول النظام الاجتماعي : محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع،(د-ت).تونس.
- أطلس الحضارة الإسلامية: د. إسماعيل راجي الفاروقي، د لويس لمياء الفاروقي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1419هـ ، 1998م.
- إعرافات القديس أوغسطينوس: نقله من اللاتينية ابراهيم الغربي، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط2 - 2015م.
- إعتقادات فرق المسلمين والمشركين: فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط. 1، 1978م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر ،شمس الدين ابن قيم الجوزية،تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم،: دار الكتب العلمية - بيروت.الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م .
- الاعلام بمناقب الإسلام: أبو الحسن العامري ، تحقيق أحمد عبدالحميد غراب ،دار الأصالة للثقافة والنشر والاعلام الرياض الطبعة الأولى 1408هـ-1988م.
- القيم إلى أين؟ مدولات القرن الحادي والعشرين: مؤلف جماعي بإدارة جيروم بيندي، ترجمة: زهيدة درويش جبور، وجان جبور، منشورات، اليونيسكو، المجمع التونسي للعلوم، بيت الحكمة، قرطاج، 2005م.
- الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى :أبو بكرمحمد بن عبدالله ،ابن العربي الإشبيلي ،تحقيق و تخريج :عبدالله التوراتي و محمد عزوبيدار الحديث الكتانية، المغرب ،(ط)الأولى،2017م.
- الأناجيل: النصوص الكاملة، د: سهيل زكار.
- الإنجيل والصليب: عبد الأحد داوود،بنجامين دافيد سابقا.تقديم وتعليق عادل بوفناز،(ط) الأولى:1428هـ-2008م.دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- الإنسان بين الشرق والغرب :علي عزت بيغوفيتش، ترجمة محمد يوسف عدس، مؤسسة العلم الحديث، بيروت، ط1، 1414هـ ، 1994م.
- أهمية دور معلمي العلوم الطبيعية في تنمية القيم العلمية لدى طلاب الصف الثالث ثانوي بالمملكة العربية السعودية:علي بن سعد مطر، الحرزلي،رسالة دكتوراه في المناهج في جامعة أم القرى،1431هـ، 2010م
- الائتلاف والاختلاف بين المسيحية والاسلام: د: احمد خديري، منشورات كارم الشريف، تونس ط 1، 2012.



- البحث عن الحقيقة في أفكار ومعتقدات اليهود: محمد أبو القاسم الحاج، دار لكتب العلمية، بنغازي، ليبيا ط 1، 1990.
- البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين الزركشي، قام بتحريره، د.عبد الستار أبو غذه وراجعه الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، ط 2 1413-1992، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت،
- بحوث ممهدة في مقارنة الأديان: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الفكر العربي القاهرة، مصر، ط 2، 2002م.
- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 م.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية بيروت، 1399هـ - 1979م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة. 1416 هـ - 1996 م
- بولس والمسيحية: د. محمد أبو الغيط الفرن، دار الطباعة المحمدية، مصر ط. 1، 1980م.
- تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، بيروت 1966.
- تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر): عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد الإشبيلي. دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988.
- تاريخ الجهمية والمعتزلة: جمال الدين القاسمي، الطبعة الثالثة، 1405هـ-1985م. مؤسسة الرسالة، دمشق.
- تاريخ الديانة اليهودية: محمد خليفة حسن أحمد، دار قباء للطباعة والنشر، ط 1، 1988،.
- تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية: د سعدون محمود الساموك. بغداد.
- تاريخ الفلسفة (المجلد الأول: اليونان وروما): فريدريك كوبلستون، ت: إمام عبد القتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2002م.
- تاريخ الفلسفة الغربية: الكتاب الأول الفلسفة القديمة، بيرتراند رسل، ت: زكي نجيب محمود،
- تاريخ الفلسفة اليونانية: ولترستيتي، ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م.
- تاريخ الفلسفة، الكتاب الأول (الفلسفة القديمة): بيرتراند رسل، ت: زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957م.
- تاريخ المسيحية في عصر الإصلاح: د. عزت زكي. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.
- تاريخ حقوق الإنسان في التصور الإسلامي: فرج محمود حسن أبو ليلي، (ط) الأولى 1994م. (د.ت.ط).

- تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب: لطفي جمعة، نجيب مشري، مصر: 1927.
- تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث: زلمان شازار، ت: أحمد محمود هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000م.
- تأصيل القيم الدينية في نفوس الطلاب (دراسات تربوية): المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا. القاهرة، عالم الكتب، المجلد الثامن، ج8، 1993.
- تأملات في المسألة اليهودية: كارل ماركس، ترجمة محمد الهاللي، مطبعة أمبريال الرباط، ط2، 1999م.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس. 1984هـ.
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة: أبا الريحان محمد بن أحمد البيروني، راجعه وقدم له د. عبد الحلیم محمود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت. د.ت.
- التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه: د. صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، 1399هـ-1979م.
- التربية في التوراة العهد القديم، عرض وتقويم بميزان الإسلام: أ.د عابد توفيق الهاشمي، مؤسسة الرسالة ط1، 2000م.
- ترجمة متن التلمود (المنشأ، القسم الأول: (زرعيم) ت: د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، دار طيبة، الناشر: مكتبة النافذة، مصر، ط 1، 2008.
- تصنيف القيم بين الدين والفلسفة: د معيرش موسى، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر ط الأولى، 2016م.
- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.
- تفسير غريب ما في الصحيحين (البخاري ومسلم): محمد بن فتوح الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ط: 1، 1415هـ - 1995م.
- تفسير غريب ما في الصحيحين: محمد بن فتوح الحميدي تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز: مكتبة السنة-القاهرة، مصر. الطبعة: الأولى، 1415-1995
- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتین: أبو القاسم الحسين، الراغب الاصفهاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، 1985.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: ابن حجر العسقلاني، (ط) الأولى، 1419هـ-1989م دار الكتب العلمية، بيروت.

- تليفق صورة الآخر في التلمود (يسوع المسيح والعرب والمسيحيين والأمينين): تأليف زياد منى، شركة قدمس للنشر والتوزيع، ط 3، 2004.
- التلمود الأساسي، سدر المواعيد المقدسة: ترجمة وتأليف إميل عبّاس، مكتبة السائح، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م.
- التلمود كتاب اليهود المقدس: أحمد أيش، دار قتيبة (د.ت).
- التلمود: عرض شامل لتلمود وتعاليم الحاخاميين حول الأخلاق، الآداب، الدين، التقاليد، القضاء: آكوهن دكتور في الفلسفة في جامعة لندن وحاخام كنيس برمنغهام، ت جاك مرتن نقله إلى العربية د. سليم طنوس، دار الخيال - بيروت، الطبعة الأولى 2005.
- التلمود، تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، ط2، 1972.
- التلمود، كتاب اليهود المقدس: د أحمد إيشن دار قتيبة .
- التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود: حامد عيدان حمد الجنوري، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007.
- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، 2001م.
- التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: د إسماعيل راجي الفاروقي، ترجمة: د السيد عمر، مدارات للأبحاث والنشر - القاهرة، مصر. الطبعة الثانية، ربيع الأول 1435هـ - يناير 2014 م
- التوراة تاريخها وغاياتها: سهيل ديب، دار النفائس، ط 1، 1972، بيروت، لبنان.
- التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير: ليوتاكسيل، ت د. حسان مخائيل إسحاق، (د ت).
- التوراة كتابات ما بين العهدين مخطوطات قمران، البحر الميت: حققت بإشراف أندريه دوبون وسومر، مارك فيلوننكو: موسى ديب الخوري، دار الطليعة الجديدة، سوريا - دمشق - ط 1\_1998.
- التوراة والإنجيل والعلم: موريس بيكاي؛ ت: الشيخ حسن خالد (مفتي لبنان)؛ المكتب الإسلامي، ط. 3، 1990م،
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة لطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.
- جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور: جمعها ووثقها محمد الطاهر الميساوي. دار النفائس للنشر والتوزيع. الأردن، الطبعة الأولى: 1436هـ-2014م.

- حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه): محمد بن عبد، نور الدين السندي، دار الجيل، بيروت، بدون ت ط.
- حرية الإنسان في ظل عبوديته لله: د محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الأولى: 1413هـ-199 م، دار الفكر، دمشق
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة: الأولى 1387 هـ - 1967 م.
- الحق والعدالة: اعداد وترجمة محمد الهلال وعزيز لزرقي، دار تويقال، (ط) الأولى 2014م، دار البيضاء، المغرب.
- حقائق وشبهات حول السماحة الاسلامية وحقوق الانسان: د محمد عمارة، الطبعة الأولى 1431هـ-2010 م، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة. مصر.
- حقوق الإسلام في الأديان السماوية: عبد الرزاق صلال، الأردن.
- حقوق الإنسان: د. سهيل حسين الفتلاوي، (ط) الرابعة 1433هـ-2012م. دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان -الأردن.
- حقوق الإنسان في الأديان السماوية: أ.د سعدون محمود الساموك، د: عبد الرزاق رحيم الموحى، دار المناهج لنشر والتوزيع، ط. 1، 2008 م. عمان، الأردن.
- حقوق الإنسان في الإسلام (دراسة مقارنة مع الاعلان العالمي والاعلان الإسلامي لحقوق الإنسان): د- محمد الزحيلي، دار ابن كثير، (ط) الثانية: 1418هـ-1997م. دمشق سورية.
- حقوق الإنسان في الإسلام: علي عبد الواحد وافي، الطبعة الخامسة، دار النهضة، 1398هـ-1979م القاهرة.
- حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي: د-محمد عبدالعزيز أبو سخلية، 1985م. (د.ت.ط).
- حقوق الإنسان في القرآن والسنة: محمد بن أحمد بن صالح الصالح، د.ن، (ط) الأولى: 1423هـ-2002م. الرياض.
- حقوق الإنسان في ضوء القرآن: أ.د يحيى بن محمد زمزمي، معهد البحوث والدراسات الاستشارية، (ط): الأولى: 1435هـ. جامعة أم القرى. مكة.
- حقوق الإنسان من سقراط إلى ماركس، مطبعة أمبريال الرباط، ط2، 1999.
- الحقيقة والأسطورة في العهد القديم ( قراءة كتابية في جذور الأصولية الغربية): محمود يوسف الكبر، منشورات دار علاء الدين، (ط) الأولى: 2010م دمشق، سورية.

- حوار الحضارات: روجيه غارودي، ت: د: عادل العواد، منشورات عويدات، ط1- بيروت.
- حوار عن بعد حول حقوق الإنسان في الإسلام: الشيخ عبدالله بن بية، مكتبة العبيكان، (ط) الأولى 1428هـ-2007م الرياض، السعودية.
- الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية: روجيه غارودي، ت: م. ع كيلاني، دار الكتاب، دمشق، ط. 1، 1996م .
- الخرافات المؤسسة للأسطورة اليهودية: روجيه غارودي، نقله إلى العربية م. ع. كيلاني، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ودار الكتاب دمشق، سوريا، ط1، 1996.
- الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام، قراءة توراتية في نفسية اليهود وتفكيرهم عبر العصور: د. عدنان حداد، دار البيروني، بيروت، لبنان، ط 1، 1997.
- الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة: د اميمة بنت احمد شاهين الجلاهية دار زهراء الشرق، ط1، د.ت.
- الخلاصة اللاهوتية: القديس توما الأكويني؛ ترجمة من اللاتينية إلى العربية؛ الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية؛ بيروت، لبنان، 1887.
- خلافة الانسان بين الوحي والعقل: د عبدالمجيد النجار (ط) الثالثة . المعهد العالمي للفكر الاسلامي فيرجينيا . أمريكا. 1420-2000 .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق..
- دراسات في اليهودية والنصرانية وديانات الهند: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط 12001م.
- دراسة في عقائد و مصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية: د: طارق خليل السعدي؛ دار العلوم العربية للطباعة والنشر، لبنان: بيروت ط 1، 1425 هـ - 2005م.
- دستور الأخلاق في القرآن: د محمد عبدالله دراز، ترجمة عبدالصبور شاهين ،مؤسسة الرسالة(ط): العاشرة، 1418هـ-1998م.
- دلالة الحائرين: موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي، ت: حسين أتاوي، مكتبة الثقافة الدينية، د ت،.
- الديانة اليهودية و تاريخ اليهود، وطأة3000(عام): إسرائيل شاحك قدم له إدوارد سعيد، د رضا سلمان،مراجعة مريم ترك، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ط، 1992م.
- الدين: محمد عبدالله دراز، دار القلم ط الثانية، 1428هـ-2007م الكويت.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة: أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق:أبوالبزيد أبوزيد العجمي ، 1428هـ-2007م. دار السلام-القاهرة.

- رسالة في التسامح: جون لوك، ت : منى أبو سنة : المجلس الأعلى للثقافة، ط. 1، 1997م.
- رسالة في التسامح: جون لوك، ترجمة وتصدير، د : عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.
- رسالة في اللاهوت والسياسة: باروخ سبينوزا، ت: د. حسن حنفي، مراجعة: د. فؤاد زكريا، مكتبة النافذة القاهرة، ط3، 2005م.
- الروائع، مقتطفات منتقاة ومقدمة من طرف: جير سهوم شوليم، باريس، 1980
- زهر الأكم في الأمثال والحكم : الحسن اليوسي (ت: 1102هـ). تحقيق د.محمد حجي ود.محمد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب. ط الأولى، 1401هـ-1981م. 275-2.
- سنن ابن ماجه :أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن الترمذي :محمد بن عيسى بن سؤرة بن تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت ،الطبعة: الأولى - 1418 ونسخة بتحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3) وإبراهيم عطوة عوض (ج4،5). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر،الطبعة:الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، أبو بكر البيهقي ،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ،الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر:أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، 21-22-23 جمادى الثانية 1432هـ 5-26-27 ماي 2011م.تقديم د .أحمد العبادي.طبع أبي رقرق للطباعة والنشر،(ط) الأولى،1433هـ-2012م.الدار البيضاء-المغرب.
- السيرة النبوية :عبد الملك بن هشام ،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م.
- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة: محمد بن محمد أبو شُهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة: الثامنة - 1427 هـ.
- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال : الإمام العز بن عبد السلام السلمي،أعنتى به حسان عبد المنان ،بيت الأفكار الدولية.عمان .د.ت).
- شرح أسماء الله الحسنی:أحمد الفاسي المعروف بـ "زروق"،تحقيق:أحمد الطهطاوي،دار الفضيلة،القاهرة.(ط)الأولى، 2009م.
- شرح السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ،الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.

- شرح صحيح البخاري: أبو الحسن علي بن خلف، ابن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م..
- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، تحقيق وتخريج: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.
- الصّراع القيمي لدى الشباب، ومواجهته من منظور التربية الإسلامية: السيّد الشحات أحمد حسن، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ت.
- طرح التثريب في شرح التقريب: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم، أبو زرعة ولي الدين، العراقي. الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي) د.ت
- الطفولة والقيم العلمية، الواقع والمأمول: رشا جمال نور الدين، دار الفكر العربي، ط 1، القاهرة، 2009 .
- العبادات في الأديان السماوية، اليهودية، المسيحية، الإسلام: عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، ط 4، 2012.
- العدل في القرآن والسنة: محمد أحمد الكردي، (ط) الأولى: 1425هـ-2005م دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
- علاقة الإسلام باليهودية؛ رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية: د. محمد خليفة حسن أحمد، دار الثقافة والنشر، القاهرة، ط 1، 1988م.
- علمانية المدفع والإنجيل: د. محمد عمارة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، مصر، ط.1، 2007.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : أبو محمد محمود بن أحمد الحنفى بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- علم الأخلاق الإسلامية: مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ط2، 1425هـ-2003م
- العمدة في فلسفة القيم: د. عادل العوّا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ط1، 1986.
- العنصرية اليهودية وأثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها: د أحمد بن عبد الله بن إبراهيم المرغيني، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ 1998م.
- غريب الحديث :أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، 1384 هـ - 1964.
- فتاوى ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2004.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري :زين الدين عبد الرحمن بن رجب ، الحنبلي ؛ تحقيق:محمود بن عبد المقصود. وآخرون ،مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية.: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة ،لطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
- فتوح مصر والمغرب :عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري ،مكتبة الثقافة الدينية : 1415 هـ.
- الفروق (أنوار البروق في أنواع الفروق):أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي : عالم الكتب،(د. ط)و(د. ت)ومعه «إدراج الشروق على أنوار الفروق» للشيخ قاسم بن عبد الله المعروف بابن الشاط، وبهامشه «تهذيب الفروق والقواعد السننية في الأسرار الفقهية» للشيخ محمد بن علي بن حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة
- الفصل في الملل والأهواء والنحل :أبو محمد علي بن أحمد المعروف بـ ابن حزم الأندلسي،وضع حواشيه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى:1416هـ-1996م بيروت ،لبنان.
- الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد: الأستاذ مصطفى الزرقا، مطبعة جامعة دمشق.
- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع العاشر :د عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ط 1، 1986.
- الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه: د.حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، 1407هـ-1987م.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: محمد بن الحسن الحجوي الفاسي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: الأولى - 1416هـ- 1995م.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: الأولى - 1416هـ- 1995م
- فلسفة القيم، ماهيتها، طبيعتها: د.معيرش موسى، دار بهاء الدين للنشر، الجزائر، ط1، 2016.
- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان: د. عبد الوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق سورية، ط2، 1423هـ، 2003م.
- فلسفة المحدثين والمعاصرين: للأستاذ وولف أستاذ المنطق بجامعة لندن، تعريب أبو العلاء عفيفي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944م.
- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها: هنترميد، ت.د فؤاد زكريا، دار النهضة مصر، ط2، 1975م.
- في ظلال القرآن: سيّد قطب ،دار الشروق ، بيروت- القاهرة ،الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ.
- القاموس المحيط :مجد الدين الفيروزآبادي ،تحقيق:مكتب تحقيق التراث ،في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،(ط)1426هـ-2005م.بيروت -لبنان.



- قاموس الكتاب المقدس نخبة من الأساتذة ذوي الإختصاص ومن اللاهوتيين: منشورات مكتبة المشعل، إشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الاوسط، بيروت، لبنان ط 6، 1981م.
- القاموس المحيط: للفيروز بادي، دار الكتاب العربي، د.ت.
- القاموس الموسوعي للعهد الجديد، المفردات اللاهوتية، يوناني، عربي، فرلبن: د. فيربروج، تعريب وترجمة مجموعة من المتخصصين، مراجعة: د عاطق مهني، الأب كميل ويليام، د. موريس تاوضروس، مكتبة دار الكلمة Logos، القاهرة، ط 1، 2007.
- القانون الدولي الإنساني: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، شباط 2007م.
- قصة الحضارة: ول ديورانت ت محمد بدران- لجنة التأليف الترجمة والنشر، ط 3، 1973
- قضايا الفكر السياسي العدالة: د ملحم قربان؛ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع؛ بيروت، لبنان؛ ط 1-1412هـ-1992م.
- قضايا الفلسفة العامة: موسى معريش، دار الأكاديمية، الجزائر، ط 1، 2012م.
- القيم الروحية في الإسلام: محمد فؤاد الأهواني، القاهرة، 1962، وزارة الأوقاف المصرية.
- القيم إلى أين؟ مدولات القرن الحادي والعشرين: مؤلف جماعي بإدارة جيروم بيندي، ترجمة: زهيدة درويش جبور، وجان جبور، منشورات، اليونيسكو، المجمع التونسي للعلوم، بيت الحكمة، قرطاج، 2005م.
- الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية: إشراف (بولس باسم النائب الرسولي للآتين)، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 3، 1994.
- كتاب جمهرة اللّغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت:329)، ت: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط 1، 1987م،
- كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه: محمد بن عبد، نور الدين السندي، دار الجيل، بيروت، بدون ت ط.
- لا إكراه في الدين، إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم: د طه جابر العلواني، الطبعة الثانية 1427هـ-2006م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ومكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
- لسان العرب: القاموس المحيط مجد الدين الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، (ط) 1426هـ-2005م.
- مبدأ الإنسان: د عبدالمجيد النجار، دار الزيتونة للنشر المغرب ط الأولى، 1417-1996م.
- مبدأ المساواة في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي: د. محمد علي السالم الحلبي. (ط) الأولى: 2002م. دار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان -الأردن.

- المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث: محمد بن عمر الأصبهاني تحقيق: عبد الكريم العزباوي، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى (1406 هـ - 1986 م).
- المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي، (موسوعة العالم العربي المعاصر): ناجي نعمان، دار النعمان، ط1، 1990م.
- مجموعة الشرع الكنسي، أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التي وضعتها المجامع المسكونية والمقدسة: جمع وترجمة الإرشمنديت، حنانيا إلياس كساب، توطئة، البطريك إلياس الرابع؛ منشورات النور، بيروت، لبنان، ط2، 1998،
- محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1418 هـ.
- محاضرات في النصرانية: الشيخ محمد أبو زهرة، تقديم د عمار طالبي، تصدير الشيخ محمد الغزالي، شركة الشهاب، د.ت.ط، الجزائر.
- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت .
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: جمال الدين ابن منظور الإفريقي، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، 1402هـ - 1984م.
- المدخل إلى التلمود: أدين شتاينساليزن، د: فينيتا الشيخ دار الفرقد سورية، دمشق، ط1 - 2006.
- المدخل إلى العهد الجديد: صدر عن دار الثقافة المسيحية، مطبعة دار جبل للطباعة، القاهرة، ط.1، 1980م.
- مدخل إلى الفلسفة القديمة: أ.ه. آرمسترونغ، ت سعيد الغانمي، شبكة الفكر المركزي الثقافي العربي، ط1، 2009م.
- المدخل لدراسة التوراة العهد القديم: د. محمد علي البار، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط 1، 1410هـ-1990م.
- مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين، دراسة في إطار القانون الدولي العام: محمد إسماعيل السيد، عالم الكتب، القاهرة 1975.
- المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام: زكي علي أبوغضة، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر: ط. 1، 1429هـ-2003م.

- المراسيل: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1408.
- مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين: حرّر في مدرسة العلوم الأمريكية، جبل لبنان، لبنان: ط. 1 سنة 1869م.
- مسألة الحرية والفكر الإسلامي (الحل المعتزلي): د.أبو عمران الشيخ، ت: رندة بعث، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م.
- المسألة اليهودية: مالك بن نبي، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، عبد الوهاب محمد المسيري، دار الشروق، ط1، 1999.
- المساواة في الإسلام: د.علي عبدالواحد وافي، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع، (ط): 1403هـ-1983م جدة، السعودية.
- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990.
- المسلم والأخر: د محمد سليم العوا، مكتبة الشروق الدولية، 2009م الطبعة الأولى القاهرة.
- المسيحية نشأتها وتطورها: شارل جينسيير، د عبد الحكيم محمود، المكتبة العصرية، بيروت .
- المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون، ت عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكري، دار الشعب، القاهرة، مصر، 1979.
- المشناة ركن التلمود الأول النظام الثالث (نظام النساء): ت إلى العربية نقلا عن الأصل العبري: حمدي النوباني، القدس 1987م.
- مصادر النصرانية، دراسة ونقدا: د. عبد الرزاق آلارو، دار التوحيد للنشر، الرياض، ط. 1، 1438-2007م.
- المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
- المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الأولى، 1409هـ، 6-473.
- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة: د.عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1420هـ، 2000م.
- المعجم العربي الأساسي: تأليف وإعداد: جماعة من كبار اللغويين العرب، الناشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، 1989م،
- المعجم الفلسفي: د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني.
- معجم المصطلحات التلمودية: آدين شتا ينسالتر، ت: عبد المعبود سيد، مراجعة: د. محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2006م.

- معجم مصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة: د. أحمد زكي بدوي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1412هـ، 1991م.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون : دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس الرازي (ت: 395هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2008م،
- معرفة أنواع علوم الحديث، (مقدمة ابن الصلاح): عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، ابن الصلاح، تحقيق: د. نور الدين عتر، دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت . 1406هـ - 1986م.
- مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم والإرادة : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية - بيروت.
- مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني تحقيق نديم مرعشلي . دار الكاتب العربي، 1972. بيروت
- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم.(ط) الأولى: 1412هـ.. دمشق.
- مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية : أ. د رقية جابر العلواني، الأب د كريستيان فان نيسبن، أ سمي مرقص ، القس: د إكرام لمعي. تحرير أ. د منى أبو الفضل وأ. د نادية محمود مصطفى . دار الفكر 2008م دمشق ، سورية.
- مفهوم العدل في الإسلام : د. مجيد خدوري، ترجمة: أديب يوسف شيش.(ط) الأولى: 2011م. دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق-سورية.
- مفهوم المساواة في الإسلام (دراسة مقارنة) : د. رشاد حسن خليل، دار الرشيد للنشر والتوزيع ،(د.ن.ت). الرياض، السعودية.
- مقارنة الأديان المسيحية: د أحمد شلبي، مكتبة النهضة؛ مصر؛ 1990.
- مقارنة الأديان اليهودية: د أحمد شلبي، مكتبة النهضة، مصر، ط4 د.ت.
- مقارنة الأديان، بحوث ودراسات : د. محمد عبد الله الشرفاوي.
- مقدمة ابن خلدون لكتابه ديوان المبتدأ والخبر: تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت (ط) الثالثة. 1408هـ/1988م.
- مقدمة سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر: د. أحمد عبادي، أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، 21-22-23 جمادى الثانية 1432هـ، 25-26-27 ماي 2011م. تقديم د أحمد العبادي. طبع أبي رفاق للطباعة والنشر، (ط) الأولى، 1433هـ-2012م. الدار البيضاء، المغرب.
- مقدمة علم النفس الاجتماعي: د. مصطفى سويف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، د.ت.،

- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: أبو حامد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابري، نشر: الجفان والجابري - قبرص، الطبعة: الأولى، 1407 - 1987
- ملامح الانقلاب في خلافة عمر بن عبد العزيز: د عماد الدين خليل، الطبعة الرابعة مؤسسة الرسالة بيروت 1398هـ/1978م.
- الملل المعاصرة في الدين اليهودي: د. إسماعيل راجي الفاروقي، معهد البحوث والدراسات العربية، 1968.
- الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، صححه وضبطه: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل: محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة - بيروت: 1420 هـ - 1999 م.
- المنتقى شرح الموطأ: أبو الوليد سليمان بن خلف القرطبي الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332 هـ. (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة: الثانية، بدون تاريخ).
- منظومة القيم المرجعية في الإسلام: محمد الكتاني، مركز الأبحاث والدراسات في القيم، الرباط المغرب، (ط) الثانية 1433هـ-2011م.
- منظومة القيم المرجعية في الإسلام: د. محمد الكتاني، مركز الأبحاث والدراسات، الرباط، 1433هـ، 2011م.
- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني - عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة: الأولى، (1411-1412هـ)، (1990م-1992م).
- الموافقات: أبو إسحاق الشاطبي، تعليق محمد عبدالله دراز، دار المعرفة. د.ت.
- موسوعة الأديان الحية أديان النبوات، الأديان السماوية: ر.س. زينر، ت: د. عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2010.
- موسوعة الأديان في العالم (المسيحية): إشراف جميل مدبك بالتعاون مع البروفسور، جون ماري كريزاس، دار كرييس أنترناشيونال د. ت.
- موسوعة الأديان: د مهدي البصري، عمان.
- موسوعة الروح: الروح في الديانات الكتابية والوضعية: د علي بن سعيد العبيدي، مؤسسة الدرر السنية، ط1، 1434هـ: المملكة العربية السعودية.
- الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الكويت. طبع: وزارة الأوقاف، 1404هـ-1427هـ.

- موسوعة الفلسفة: د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. 1، 1984م.
- موسوعة القواعد الفقهيّة: محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.
- الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، عربي انجليزي: د جميل صليبا، مكتبة لبنان، ناشرون، لبنان، ط 1، 2000.
- الموسوعة التّقديّة للفلسفة اليهودية: د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1400هـ-1980م.
- موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية نموذج تفسيري جديد: عبد الوهاب محمد المسيري، دار الشروق، ط1-1999-مصر.
- موسوعة أندريه لالاند الفلسفية (معجم مصطلحات الفلسفة التقنية والنقدية): تعريب خليل أحمد خليل، أشرف عليه: أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1996م.
- موسوعة عالم الأديان (كل المذاهب والفرق والبدع في العالم) تأليف : مجموعة من كبار الباحثين بإشراف : ط - ب مفرّج، دار النشر والتوزيع NOBILIS، بيروت، لبنان، 2004م.
- موسوعة عالم الأديان: تحرير مجموعة من كبار الباحثين بإشراف : ط-ب مفرّج، بالتعاون مع بروفيوسور : جان ماري كيريزاس، دار كرتيس أنترناشيونال المسيحية.
- موسوعة قصة الحضارة، ويل ديورانت تحقيق: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3، 2006.
- المؤنس في القيم: د محمد الشيخ، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية -سلطنة عمان-، ط1، 2014م-1436هـ.
- ميراث الخطيئة: محمد أحمد الطاهر، تقديم: د محمد عمارة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1429هـ-2008م.
- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية :محمد أركون، ترجمة وتقديم هاشم صالح، دار الساقى،(ط) الأولى 2011م بيروت ،لبنان.
- زهرة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر :جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م.
- نساء الكتاب المقدس: القس إلياس مقار، دار الثقافة، مصر، د. ت.
- نشأة الأشعرية وتطورها :جلال محمد عبد الحميد موسى، دار الكتاب اللبناني،(ط) الأولى:1395هـ/1975م، بيروت. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د علي سامي النشار، دار المعارف،(ط) الرابعة، 1966م. الاسكندرية.

- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ - عدد من المختصين: بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة .الطبعة: الرابعة.(د.ت).
- نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام: د. محمود شعلان، دار العلوم، 1983م.
- نظام الإسلام (الحكم والدولة): محمد المبارك، دار الفكر، (ط) الثانية:1395هـ-1974م.بيروت.
- نظرات في الإسلام :د محمد عبدالله دراز طبع المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية 2010 م مصر.
- نظرة عن قرب في المسيحية: بربارا براون، ت: مناف حسين الياسري، دار التوحيد للنشر. د. ت.
- نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية: د.الربيع ميمون، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر:1980م.
- نظرية في العدالة: جون رولز، ت ليلي الطويا منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق، ط الأولى سنة 2011م.
- نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي: د. أحمد محمود هويدي، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2014.
- نقد التوراة: د أحمد حجازي السقا، بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م،.
- هل تجوز رسامة المرأة: صموئيل حبيب، دار الثقافة المصرية، د. ت.
- الهوامل والشوامل: نشره أحمد أمين وأحمد صقر، مطبعة اللجنة الثالثة والترجمة والنشر، القاهرة، 1951.
- وجهة العالم الإسلامي مالك بن نبي، ت عمر مسقاوي، دمشق.
- الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق وتعليق : محمد عثمان مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007م.
- الوجيز في أصول الفقه الإسلامي: د محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م ،دمشق - سوريا.
- يسوع المسيح والعرب والمسيحيين والأميين: تأليف زياد منى، شركة قدمس للنشر والتوزيع، ط3، 2004.
- اليهود الحسيديم، نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم: د. جعفر هادي حسن، دار القلم، ط1، 1994م.
- اليهود في العالم القديم: أ.د. مصطفى كمال عبد العليم، ود. سيد فرج راشد؛ دار القلم، دمشق؛ والدار الشامية، بيروت، ط 1، 1995.
- اليهودية بين النظرية والتطبيق: علي خليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997م.
- اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري: د. فرج الله عبد الباري، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2004م.
- اليهودية في العالم القديم.

- اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهود: ألبرتو داترول، ت، د. ماري شهرستان، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2004م.

## - المراجع الأجنبية

- l'avenir des droits humains ;approche theologale du moyen agechretien et droits divin.felicienRousseau.editions Anne sigier.les presses de l'universiteLavale 1996 Canada
- Chretiens et juifs dans l'islam ،arabe et turk ;Youssef courbage et Philippe fargues. Editions payot et Rivage.paris 1997.
- Discours sur l'origine et les font de l'inégalité parmi les hommes ،Jean Jack-ransseau ،édi. Sociales ،1956
- divin.felicien Rousseau.editions Anne sigier.les presses de l'universite Lavale 1996 Canada.
- dictionnaire encyclopedique du judaisme publie sous la direction de geoffrey wigeoder adapte en francais sous la direction de Anne Goldberg ed du Cerf Paris 1993.

## الرسائل الجامعية والدوريات

- أوغسطين افريقية وعالمية أعمال الملتقى الدولي الأولى-: عنابة:2001؛ منشورات المجلس الإسلامي الأعلى- الجزائر.
- الردة بين حرية المعتقد والمواثيق الدولية الحديثة لحقوق الإنسان:محمد عبد الحلیم بيشي، الدكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية،قسم العقائد والأديان، هـ1427 - 2007م.
- مجلة إسلامية المعرفة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ع، 72، 2013م.
- مجلة الإسلام والمسيحية؛ بحوث في نظام القيم المعاصر- معهد الدراسات الإسلامي للمعارف الحكمية؛ دار الهادي- بيروت؛ ط1- 1424هـ-2003م.
- مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونيةالمجلد 27، العدد الأول، 2011م.
- الندوة اللبنانية، السنة العشرون، عدد:11-12، مؤسسة ميشال أسمر:بيروت، لبنان، 1965.

## المواقع الالكترونية

- www.st-takla.org
- www.mominoun.com



- <http://apostolica.me/arabic>
- [www.alukah.net/library](http://www.alukah.net/library)
- <http://www.jewishencyclopedia.com/>

# فهرس الموضوعات

أ	مقدمة .....
1	الفصل التمهيدي: فلسفة القيم مفهومها، طبيعتها وعلاقتها بالدين .....
2	المبحث الأول: القيم تعريفها وأنواعها. ....
2	المطلب الأول: تعريف القيم والألفاظ ذات الصلة.....
6	المطلب الثاني: أنواع القيم.....
8	المبحث الثاني: القيم في الفكر الفلسفي ومراحل ظهورها.....
8	المطلب الأول: التعريف بفلسفة القيم:.....
10	المطلب الثاني: الاتجاهات الفلسفية وموقفها من القيم.....
18	المطلب الثالث: القيم الإنسانية بين النسبية والإطلاق.....
22	المبحث الثالث: علاقة القيم الإنسانية بالقيم الدينية وأهميتها.....
22	المطلب الأول: طبيعة العلاقة بين الدين والقيم الإنسانية.....
24	المطلب الثاني: أهمية الدين كمؤسس للقيمة وضمن لها.....
28	الباب الأول: الأصول المؤسسة للقيم في اليهودية والمسيحية والإسلام ومصادرها.....
29	الفصل الأول: الأصول المؤسسة للقيم في اليهودية ومصادرها.....
30	المبحث الأول: التعريف بالديانة اليهودية ومصادرها.....
30	المطلب الأول: تعريف بالديانة اليهودية وتطورها.....
34	المطلب الثاني: الأسفار اليهودية المتفق عليها والمختلف فيها.....
51	المبحث الثاني: مصادر القيم في الديانة اليهودية.....
52	المطلب الأول: الله هو مصدر القيم في الديانة اليهودية:.....
54	المطلب الثاني: الإنسان في الديانة اليهودية:.....
57	المطلب الثالث: القيم الإنسانية في التوراة والتلمود:.....

59	المبحث الثالث: الأصل الأول المؤسس للديانة اليهودية: الله
60	المطلب الأول: فكرة التوحيد في الديانة اليهودية:
63	المطلب الثاني:مرحلة ديانة الآباء:
65	المطلب الثالث: ديانة موسى -عليه السلام-:
72	المطلب الرابع: عهد الملوك
74	المطلب الخامس:عصر الأنبياء
76	المطلب السادس: بعد عصر الأنبياء
80	المبحث الرابع: الأصل الثاني:عقيدة الشعب المختار
80	المطلب الأول: فكرة الاختيار
81	المطلب الثاني : تطور فكرة شعب الله
92	المطلب الثالث : الشعب المختار وعالمية الدعوة
94	المبحث الخامس : الأصل الثالث :عقيدة العهد والميثاق
94	المطلب الأول: فكرة العهد والميثاق
94	المطلب الثاني : المراحل التي مرت بها عقيدة العهد والميثاق
<b>106</b>	<b>الفصل الثاني: الأصول المؤسسة للقيم في المسيحية ومصادرها</b>
107	المبحث الأول: التعريف بالديانة المسيحية ومصادرها
107	المطلب الأول: تعريف الديانة المسيحية
110	المطلب الثاني: مصادر الديانة المسيحية
124	المبحث الثاني: القيم في الديانة المسيحية
124	المطلب الأول: مصدر القيم في الديانة المسيحية
125	المطلب الثاني: الإنسان في الديانة المسيحية:
128	المطلب الثالث: القيم التي دعا إليها المسيح:
135	المبحث الثالث: الأصل المؤسس الأول:'عقيدة التثليث'
135	المطلب الأول: الجذور التاريخية لنشأة فكرة التثليث:

138.....	المطلب الثاني: مصطلح 'ابن الإنسان' و'ابن الله' في المصادر المسيحية:
141.....	المطلب الثالث: عقيدة التثليث في الفكر الديني المسيحي:
148.....	المطلب الرابع: عقيدة التثليث عند الفرق المسيحية.....
151.....	المطلب الخامس: استغراق عقيدة التثليث عن الفهم وظهور فكرة التسليم.
153.....	المبحث الرابع: الأصل المؤسس الثاني: 'عقيدة الصلب والفداء'.....
154.....	المطلب الأول: تعريف الصلب والفداء:.....
157.....	المطلب الثاني: عقيدة الصلب والفداء في الديانة المسيحية:.....
159.....	المطلب الثالث: الاختلاف في عقيدة الصلب والفداء وأثرها في الفكر المسيحي.....
164.....	المطلب الرابع: آثار عقيدة الصلب والفداء على المجتمع البشري:.....
169.....	المبحث الخامس: الأصل المؤسس الثالث: فكرة العالمية في الديانة المسيحية.....
170.....	المطلب الأول: دعوة المسيح خاصة ببني إسرائيل.....
175.....	المطلب الثاني: العالمية في النصوص الإنجيلية:.....
<b>182</b> .....	<b>الفصل الثالث: الأصول المؤسّسة للقيم في الإسلام ومصادرها.</b>
183.....	المبحث الأول: القيم في الإسلام مفهومها، ومصادرها.....
183.....	المطلب الأول: مفهوم القيم في الإسلام وأنواعها.....
185.....	المطلب الثاني: مصادر القيم.....
201.....	المبحث الثاني: الأصول المؤسّسة للقيم في الإسلام.....
201.....	المطلب الأول: التوحيد.....
206.....	المطلب الثاني: التكريم.....
213.....	المطلب الثالث: الاستخلاف.....
.....	<b>الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في الأصول المؤسّسة لليهودية والمسيحية والإسلام ومصدرها.</b>
<b>225</b> .....	
226.....	المبحث الأول: أوجه الاشتراك بين الأديان الثلاثة في الأصول المؤسّسة.....
226.....	المطلب الأول: الاشتراك في مصدر المعرفة القيمة.....

- 226.....المطلب الثاني: الاشتراك في الوظيفة الوجودية للإنسان
- 227.....المطلب الثالث: الاشتراك في أصل الفطرة
- 229.....المبحث الثاني: أوجه التباين في الأصول المؤسسة للأديان ومصادرها
- 229.....المطلب الأول: التباين في تصور الألوهية
- 230.....المطلب الثاني: الاختلاف في تمثيل القيم عند الأنبياء في النصوص المؤسسة
- 231.....المطلب الثالث: التباين بين الإسلام والمسيحية في تقسيم التاريخ البشري
- 233** .....الباب الثاني: قيمة الحق في اليهودية والمسيحية والإسلام. وأثرها.
- 234** .....الفصل الأول: قيمة الحق في الديانة اليهودية وأثرها.
- 235.....المبحث الأول: قيمة الحق في الديانة اليهودية
- 235.....المطلب الأول: معنى الحق ومكانته في الديانة اليهودية
- 240.....المطلب الثاني: التعاليم اليهودية بين الحق النظري والحق العملي
- 246.....المبحث الثاني: أثر قيمة الحق في الديانة اليهودية
- 246.....المطلب الأول: اليهودية بين قيمة الحق والتزعة البراغماتية
- 248.....المطلب الثاني: الحق الإلهي في أرض فلسطين
- 254.....المطلب الثالث: الحق في الحرية الدينية في الديانة اليهودية
- 259** .....الفصل الثاني: قيمة الحق في الديانة المسيحية وأثرها.
- 261.....المبحث الأول: معاني الحق في الديانة المسيحية
- 261.....المطلب الأول: معاني الحق في الديانة المسيحية
- 266.....المبحث الثاني: مصادر الحق في المسيحية
- 266.....المطلب الأول: الله هو الحق الأعلى
- 268.....المطلب الثاني: الوحي المنزل على المسيح هو الحق
- 269.....المبحث الثالث: التعاليم المسيحية بين الحق النظري والعملي وأثرها على المجتمع الإنساني
- 269.....المطلب الأول: الحق في تعاليم المسيح
- 271.....المطلب الثاني: قيمة الحق بين القول والفعل وأثرها

- 276.....المبحث الرابع : الحق في حرية التدين في المسيحية ومراحله.....
- 276.....المطلب الأول:حرية التدين في التاريخ المسيحي.....
- 277.....المطلب الثاني : الحق في حرية التدين في المسيحية الأولى.....
- 278.....المطلب الثالث: تضييق المؤسسة الكنسية المسيحية لحق التدين.....
- 281.....المطلب الرابع : آثار ممارسات الكنيسة على الديانة المسيحية.....
- 285.....المطلب الخامس:الحق في حرية التدين في المسيحية رؤية معاصرة.....
- 289** ..... **الفصل الثالث : قيمة الحق في الإسلام وأثرها.....**
- 290.....المبحث الأول: قيمة الحق في الإسلام.....
- 290.....المطلب الأول: مفهوم الحق في اللغة والاصطلاح.....
- 292.....المطلب الثاني: لفظة "الحق" ، صيغها ومعانيها في القرآن والسنة.....
- 304.....المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة، والألفاظ المقابلة.....
- 309.....المطلب الرابع: الحق قيمة معيارية ثابتة: .....
- 311.....المطلب الخامس: البعد الإنساني لقيمة الحق:.....
- 313.....المبحث الثاني: أثر قيمة الحق على المسلمين وفي علاقاتهم بغيرهم.....
- 313.....المطلب الأول: أثر قيمة الحق في صدر الاسلام.....
- 317.....المطلب الثاني: أثر قيمة الحق في المجتمع:.....
- 319.....المطلب الثالث:أثر قيمة الحق في علاقة المسلمين بغيرهم:.....
- 329** ..... **الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في قيمة الحق بين اليهودية والمسيحية والإسلام.....**
- 330.....المبحث الأول: أوجه الاشتراك في قيمة الحق بين اليهودية والمسيحية والإسلام.....
- 330.....المطلب الأول: اشتراك الأديان الثلاثة في اعتبار "الله" هو الحق.....
- 331.....المطلب الثاني: الاشتراك في قيمة الحق من حيث الإطلاق والنسبية.....
- 333.....المبحث الثاني: أوجه التباين في قيمة الحق بين اليهودية والمسيحية والإسلام.....
- المطلب الأول:قيمة الحق في اليهودية والمسيحية والإسلام على المستوى العلمي والفكري.....
- 333.....

المطلب الثاني: الحق في حرية التدين على المستوى التطبيقي بين اليهودية والمسيحية والإسلام:	336.....
<b>الباب الثالث: قيمة العدل في اليهودية والمسيحية والإسلام. وأثرها.</b>	<b>338 .....</b>
<b>الفصل الأول: قيمة العدل في الديانة اليهودية وأثرها.</b>	<b>339 .....</b>
المبحث الأول: موارد لفظة 'العدل' في التوراة وأهميته في الديانة اليهودية.	340.....
المطلب الأول: موارد لفظة العدل في التوراة وصيغها.	340.....
المطلب الثاني: أهمية العدل في الديانة اليهودية.	345.....
المطلب الثالث: عدل الله عزّ و جلّ في الفكر الديني اليهودي:	347.....
المبحث الثاني: قيمة العدل في تعلقها بالقرب والآخر، وفي أصل العهد والميثاق في الديانة اليهودية.	351.....
المطلب الأول: قيمة العدل في تعلقها بالقرب والآخر .	351.....
المطلب الثاني: المبدأ الخلقي لقيمة العدل في أصل العهد والميثاق .	353.....
المبحث الثالث: موقع المسؤولية الفردية والجماعية في ظل العدل الإلهي في الديانة اليهودية .	356.....
المطلب الأول: فكرة تلازم الشرط والجزاء في الديانة اليهودية.	356.....
المطلب الثاني: فكرة العدل الثأري في الديانة اليهودية.	362.....
<b>الفصل الثاني: قيمة العدل في الديانة المسيحية وأثرها.</b>	<b>365 .....</b>
المبحث الأول: قيمة العدل في الديانة المسيحية.	366.....
المطلب الأول. مفهوم العدل في الديانة المسيحية:	366.....
المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة والألفاظ المقابلة.	367.....
المطلب الثالث: العدل الإلهي في تعلقه بالإنسان.	369.....
المبحث الثاني: تعلقات العدل في الديانة المسيحية وأبعاده.	371.....
المطلب الأول: قيمة العدل في تعلقها بالقرب والمخالف في المصادر المسيحية:	371.....
المطلب الثاني: قيمة العدل بين المحبة وتحقيق الإنصاف في الديانة المسيحية:	372.....
المطلب الثالث: قيمة العدل والمحبة بين الشريعة وتعاليم المسيح	374.....

- 375.....المطلب الرابع: أبعاد العدل في الديانة المسيحية.....
- 379.....المطلب الخامس: ارتباط قيمة العدل بعقيدة الصلب والفداء.....
- 386** ..... **الفصل الثالث: قيمة العدل في الإسلام وأثرها.**
- 387.....المبحث الأول: قيمة العدل في الإسلام.....
- 387.....المطلب الأول: مفهوم العدل في اللغة والاصطلاح.....
- 389.....المطلب الثاني: - لفظة "العدل" في القرآن والسنة النبوية.....
- 395.....المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة والألفاظ المقابلة:.....
- 403.....المطلب الرابع: العدل قيمة كونية ثابتة وشاملة.....
- 406.....المطلب الخامس: مجالات العدل:.....
- 412.....المبحث الثاني: قيمة العدل وأثرها على المسلمين وفي علاقاتهم بغيرهم.....
- 413.....المطلب الأول: أثر قيمة العدل على المسلمين:.....
- 414.....المطلب الثاني: أثر قيمة العدل في علاقة المسلمين بغيرهم:.....
- 418** ..... **الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في قيمة العدل في اليهودية والمسيحية والإسلام.**
- 419.....المبحث الأول: أوجه الاشتراك في قيمة العدل في اليهودية والمسيحية والإسلام.....
- 419.....المطلب الأول: اشتراك الأديان الثلاثة في اعتبار العدل صفة لله.....
- 421.....المطلب الثاني: الاشتراك في قيمة العدل من حيث الإطلاق والنسبية.....
- 423.....المبحث الثاني: أوجه التباين بين الأديان الثلاثة في قيمة العدل.....
- 423.....المطلب الأول: مدى شمولية قيمة العدل في الديانات السماوية.....
- 424.....المطلب الثاني: أوجه التباين بين الأديان الثلاثة في أصل الخطيئة الأولى وفكرة الاختيار.....
- 426.....المطلب الثالث: علاقة الرحمة والمحبة والاحسان بقيمة العدل في الديانات الثلاث:.....
- 429** ..... **الباب الرابع: قيمة المساواة في اليهودية والمسيحية والإسلام وأثرها.**
- 430** ..... **الفصل الأول: قيمة المساواة في الديانة اليهودية وأثرها.**
- 431.....المبحث الأول: قيمة المساواة في الديانة اليهودية.....
- 431.....المطلب الأول: تعريف المساواة لغة و اصطلاحا.....



- 432.....المطلب الثاني : البعد الإنساني للمساواة في التوراة والتلمود.
- 439.....المبحث الثاني: المساواة في المجتمع اليهودي.
- 439.....المطلب الأول : المساواة في الطقوس التعبدية.
- 442.....المطلب الثاني : المساواة بين فئات المجتمع اليهودي.
- 445.....المطلب الثالث: المرأة في المجتمع اليهودي.
- 453.....المبحث الثالث المساواة بين اليهود والأغيار .
- 453.....المطلب الأول : ظاهرة العنصرية في الديانة اليهودية :
- 468.....المطلب الثاني : قيمة المساواة عند التيارات اليهودية المعاصرة.
- 475** ..... **الفصل الثاني: قيمة المساواة في الديانة المسيحية وأثرها.**
- 477.....المبحث الأول : قيمة المساواة في الديانة المسيحية.
- 477.....المطلب الأول : معنى المساواة في الديانة المسيحية.
- 478.....المطلب الثاني : أنواع المساواة وسبل تحقيقها في الديانة المسيحية.
- 483.....المبحث الثاني: المساواة في الديانة المسيحية موانعها وصورها وأثرها.
- 483.....المطلب الأول : المساواة وموانعها في الديانة المسيحية
- 489.....المطلب الثاني: المرأة في الديانة المسيحية.
- 496.....المطلب الثالث: المساواة بين رجال الدين المسيحي وسائر المؤمنين.
- 500** ..... **الفصل الثالث: قيمة المساواة في الإسلام وأثرها.**
- 501.....المبحث الأول: قيمة المساواة في الإسلام.
- 501.....المطلب الأول: معنى المساواة في اللغة والاصطلاح:
- 504.....المطلب الثاني: موارد لفظة المساواة في القرآن والسنة وصيغها:
- 507.....المطلب الثالث: المساواة قيمة إنسانية ثابتة:
- 508.....المطلب الرابع: أنواع المساواة وصورها:
- 512.....المطلب الخامس: حقيقة المساواة وموانعها:
- 525.....المبحث الثاني: أثر قيمة المساواة على المسلمين وفي علاقاتهم بغيرهم.

526.....	المطلب الأول: أثر قيمة المساواة على المسلمين.
529.....	المطلب الثاني: أثر قيمة المساواة في علاقة المسلمين بغيرهم.
<b>531</b> .....	<b>الفصل الرابع: أوجه الاشتراك والتباين في قيمة المساواة بين اليهودية والمسيحية والإسلام.</b>
532.....	المبحث الأول: أوجه الاشتراك في قيمة المساواة بين اليهودية والمسيحية والإسلام .
532.....	المطلب الأول: وحدة النفس البشرية.....
532.....	المطلب الثاني: مراعاة الفروق الطبيعية.....
534.....	المبحث الثاني: أوجه التباين في قيمة المساواة بين اليهودية والمسيحية والإسلام.
534.....	المطلب الأول: التباين في قيمة المساواة في النص المؤسس.
536.....	المطلب الثاني: التباين في تحقيق قيمة المساواة مع الآخر.
<b>538</b> .....	<b>الخاتمة.....</b>
<b>543</b> .....	<b>فهرس الآيات القرآنية.....</b>
<b>562</b> .....	<b>فهرس الأحاديث والآثار.....</b>
<b>566</b> .....	<b>فهرس الكتاب المقدس.....</b>
<b>568</b> .....	<b>فهرس الأعلام.....</b>
<b>577</b> .....	<b>فهرس الجماعات والفرق.....</b>
<b>579</b> .....	<b>فهرس البلدان:.....</b>
<b>580</b> .....	<b>قائمة المراجع والمصادر.....</b>
<b>600</b> .....	<b>فهرس الموضوعات.....</b>
<b>609</b> .....	<b>ملخص البحث.....</b>

## ملخص البحث

تناولت هذه الأطروحة الموسومة بـ "القيم الإنسانية بين اليهودية والمسيحية والإسلام - دراسة مقارنة-" موضوع القيم- كما دلت عليه مفردات العنوان- وذلك ببيان مفهوم القيم من خلال عرض نماذج من القيم في الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام .

لقد جاء الإسلام مؤكّدا أنّ ما جاء به محمد ﷺ لا يخرج عن الحقائق والقيم التي دعا إليها الأنبياء، وبناء على هذا الأصل دعا الإسلام إلى الحوار مع أهل الكتاب، قصد إيجاد مناخ إيجابي؛ يستوعب أكبر قدر من المجموعات البشرية، والحوار بين الأديان يكون مجديا أكثر إذا تناول المشترك الإنساني، وفيه تتحقق إمكانية التعارف والتعاون. بخلاف النقاش العقدي - على أهميته- فإنه في الغالب الأعم يكون محدود الثمار؛ لأن أتباع الديانات المختلفة حينئذ يرون أنّ معركتهم مع الآخر هي معركة وجود. لذلك فإنّ أمثال هذا البحث لا يعدّ ضرورة معرفية فحسب، بل تستدعيه ضرورة التعايش: "فإنّه لن يتحقق سلام بين الأمم ما لم يكن هناك سلام بين الأديان"

### إشكالية البحث

و تتمثل الإشكالية التي عالجها البحث ، في التساؤل الرئيسي وهو : ما علاقة القيم الدينية بالقيم الإنسانية؟ وهل تقتضي وحدة المصدر في الديانات السماوية الثلاث وحدة البنية القيمية؟ وهل تدخل هذه القيم تحت طائلة مقولة نسبية القيم والأخلاق؟.

ثم هل تعكس تصرفات أتباع هذه الديانات بالضرورة حقيقة القيم التي دعت إليها دياناتهم؟، أو أنّ هناك مفارقات كبرى بين هذه القيم والأهداف الحضارية والممارسات العملية لأتباعها؟. وإذا كان الأمر كذلك، ألا يبرر هذا إشكالية العصر ، حيث أصبحت الفلسفات الحديثة تنظر إلى الإنسان من خلال البعد المادي، لا باعتباره كائنا معنويا ؟



## منهج البحث

و لدراسة هذا الموضوع حاولت الجَمع بين مميزات المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والتاريخي. والمقارن، وذلك بمقارنة الأصول والمصادر المؤسّسة، ولوازمها، وآثارها، من خلال القيم المختارة.

## تقسيمات البحث

و قد قسمت البحث إلى فصل تمهيدي و أربعة أبواب، ففي الفصل التمهيدي، حاولت التعريف بالقيم ضمن الحقل المعرفي الذي ولدت فيه، (الفلسفة)، وركّزت فيه على أم الاشكاليات المتعلقة بالقيم، وهي المصدر، واتخذت من قطبي النسبي والمطلق أساسا، ذلك أنّ جلّ النظريات المتعلقة بالقيم تلتقي أو تختلف حولهما.

و لما كانت العقيدة هي أصل كل التصورات والمفاهيم والقيم، فقد خصصت الباب الأول لدراسة مصادر الديانات الثلاث، من خلال كتبها المقدسة والمصادر الأصلية التي تستلهم منها قيمها وأخلاقها، وتشريعاتها. وعقدت فصلا تناولت فيه الأصول المؤسسة للقيم في الديانات الثلاث؛ ذلك أنّه لا يمكن دراسة أية مسألة تتعلق باليهود أو اليهودية، بعيدا عما أسماه المتخصصون ثالوث: "الإله، والعهد، والأرض الموعودة". فعلى هذه الأركان الثلاث تقوم العقيدة والأخلاق والتشريعات.

وما قيل في الديانة اليهودية، ينطبق على الديانة المسيحية، فإنّ جميع الأخلاق والقيم، وما احتوت عليه الديانة من تشريعات -على قلتها- إنّما هي آثار ولوازم الأصول الثلاث، التي قامت عليها المسيحية، وهي عقيدة التثليث، وعقيدة الصلب والفداء، التي انبثق عنها الإيمان بعالمية المسيحية، وارتبطت بشكل مباشر بقيمة العدل، وجلّ مسائل الديانة. وختمتُ الباب بالأصول المؤسّسة للقيم في الإسلام، والتي تقوم على التوحيد والتكريم والاستخلاف. فالمضامين

الدلالية للخطاب الإلهي، تنطلق من هذه الأصول لتنتج أحكاما وقيما ثابتة، تنسجم ومقتضيات الفطرة وتضبط تصرفات المكلفين.

وفي الفصل الأخير من الباب الأول بينتُ أوجه الاشتراك والتباين في تلك الأصول ومصادرها.

وقد اخترت قيمة الحق والعدل والمساواة، كنماذج تطبيقية في الباب الثاني والثالث والرابع؛ ذلك أنّ الحق والعدل هما أولى فضائل النشاط البشري، فبالحق قامت السماوات والأرض، وفي العدالة تتمثل كل الفضائل، وأساسها وجوهرها أصل المساواة .

وقد عالجت في الفصول الأولى الجانب النظري حيث تناولت بالدراسة قيم الحق والعدل والمساواة في الفكر الديني، وللوقوف على مدى انسجام الممارسة مع النص المؤسس للقيم لدى أتباع الديانات السماوية خصصت فصلا في كل باب لبيان أثر هذه القيم عليهم و في علاقاتهم مع الآخر، وختمت كل الباب ببيان مساحات الاشتراك والتباين بين اليهودية والمسيحية والإسلام في هذه القيم .

وختمت البحث بخاتمة ضمّنتها أهم النتائج المتوصل إليها.

## نتائج البحث

ويمكن تلخيص أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث في النقاط التالية:

- تميّز الأديان السماوية - مع الاختلاف الموجود بينها - عن النظريات الفلسفية ، بكونها تتخذ من الله مرجعية معرفية لها ، مما ينتج نظرة مختلفة لهذه القيم ، فهي تتعامل مع مختلف أبعاد الوجود الإنساني ودرجاته .

- لما كانت الغاية من الخلق هو القيام بالخلافة ، فإنّ هذا يُضفي بُعداً أخلاقياً و روحياً للوجود الإنساني .

- إنّ الأديان السماوية بجمعها بين البعد النظري، و الوجودي في موضوع القيم ،تضع للإنسان أسساً ثابتة لتحقيق هويته وإنسانيته .

- لقد أدّى التدخل العامل البشري في تشكيل بنية الكتاب المقدس(التوراة)،إلى وجود تناقض تعاضّم ،و نما إلى حد تغيب قيم النصّ،

لذلك فإننا لا نجد في الديانة اليهودية منظومة قيمية تتسم بالاطراد و الشمول، و إن كان هذا لا ينفي وجود بعض النصوص الصريحة والاتجاهات التي تحمل بُعداً إنسانياً واضحاً.

- وكما تأثرت التوراة بظروف الشتات والحروب وما ترتب عنها من آثار فكرية واجتماعية،فقد تأثرت كتابة العهد الجديد بتباين الظروف والمراحل التي عرفتھا الديانة المسيحية ،إذ مرت بثلاثة مراحل،المسيحية الأولى و المرحلة البولسية،ثم الإصلاحية، وعرف النص المؤسس فيها مراحل اختلفت ظروفها وتباينت أصولها، مما أدّى إلى ملازمة النزعة التأويلية للفكر الديني المسيحي .

- لذلك فإنّه بالرغم من وجود بُعد إنساني واضح وعميق في المسيحية ، فإنه من الصعوبة بمكان الحديث عن قيم وأخلاق مسيحية تتسم بالشمول والإطراد بسبب التناقض في النص الديني وهو ما تجسّد عملياً في تاريخ الديانة المسيحية .

- إنّ البيان القرآني اتسم بالشمول و الاطراد ، و جمعت القيم التي دعا إليها بين العامل الديني الضامن لتأثيرها و الإقناع العقلي و المقاصد الإنسانية،بسبب أنه لم يطله التغيير والتحريف، وجاء النص المؤسس فيه قطعياً و حاسماً في تقرير إنسانية و شمولية القيم و المبادئ، أما في الجانب التطبيقي لهذه القيم فقد تفاوت المسلمون في درجة استيعاب هذا الخطاب و الوفاء بأبعاده و مقاصده ،بحسب الحالة الفكرية و الحضارية التي كانوا فيها.

- إنَّ من أهمِّ العوائق التي تحول دون التواصل بين المنتمين للأديان السماوية ، و تفعيل المبادئ و النصوص التي تشترك فيها ،الصراعات الإستراتيجية و الحضارية مع ما تحمله هذه الأخيرة من مصالح عاجلة معنوية و مادية.

### التوصيات

محاولة استثمار نتائج الدراسات النقدية للمدارس الغربية لإبراز ما يجمع الديانات التوحيدية من عقائد و قيم.

إنَّ التمكن من المعرفة التاريخية ، يساعد على الوصول إلى تقييم مناسب و صحيح ، و لذلك فإن دراسة موضوع القيم في إطار الممارسة السياسية والحضارية في تاريخ الديانات في نظري مهم و ضروري ، و من الموضوعات الجديرة بالبحث "اتجاهات الأنسنة في الفكر الفلسفي الإسلامي".



## **Research Summary**

This thesis, entitled "The Human Values between Judaism, Christianity and Islam," is a comparative study. The topic of values, as indicated in the title, is the presentation of values in the three religions of Judaism, Christianity and Islam.

Islam has come to emphasize that what Muhammad has said does not depart from the truths and values called by the prophets. Based on this origin, Islam called for dialogue with the People of the Book in order to create a positive atmosphere that accommodates as many human groups as possible. Interfaith dialogue is more useful if dealing with the humanitarian community, where the possibility of acquaintance and cooperation can be reached. Unlike the doctrinal discussion - with its importance - which is often the most limited, because followers of different religions see that their battle with the other is a battle of existence. Therefore, the examples of this research are not only a cognitive necessity but also a necessity of coexistence: "There will be no peace between nations unless there is peace between religions"

### **Research Problematic**

The problem addressed by the research is the main question: What is the relationship between religious values and human values? Does the unity of the source in the three monotheistic religions require the unity of value structure and do these values come under the saying of relative values and ethics?

Do the followers of these religions necessarily reflect the reality of the values their religions call for? Or there are major discrepancies between these values and cultural goals and practices of their followers? If so, does not this justify the era problematic, as modern philosophies consider the human as a material dimension, not as a moral entity?

### **Research Methodology**

To study this subject, I tried to combine the advantages of the inductive, analytical, historical and comparative method, by comparing the founder assets and sources, their supplies and their effects, through the selected values.

## **Research Divisions**

The research has been divided into an introductory chapter and four sections. In the introductory chapter, I tried to define the values within the field of knowledge in which I was born, and focused on the origin of the problems related to values, which is the source, and took from the relative and absolute poles a basis as theories of values converge or differ around them.

Since the doctrine is the origin of all perceptions, concepts and values, the first section was devoted to the study of the sources of the three religions, through its holy writings and the original sources that inspired its values, ethics and legislation. I held a chapter on the founding origins of values in the three religions since no matter of Jews or Judaism could be studied far from what specialists called trinity: "God, the Covenant, and the Promised Land." On these three pillars, the doctrine, ethics and legislation are based

What has been said in Judaism applies to the Christianity. All morals and values, and what the religion contained in the legislation, with its lack, are the effects of the three assets on which Christianity was built. This is the doctrine of Trinitarianism and the doctrine of crucifixion and redemption which results of the universality of Christianity, and were directly linked to the value of justice, and most of the issues of religion. I concluded the part with the founding assets of values in Islam, which are based on monotheism, honor and succession. The semantic content of the divine discourse emanates from these origins to produce fixed judgments and values that are consistent with the requirements of instinct and regulate the behavior of the competent.

In the last chapter of Part One, I showed the aspects of similarity and contrast in those assets and their sources.

I have chosen the value of right, justice and equality as practical models in the second, third and fourth parts as right and justice are the first virtues of human activity. The heavens and the earth have been created in right. All virtues, their foundation and essence are the basis of equality.

In the first chapters, I dealt with the theoretical aspect, studying the values of right, justice and equality in religious thought. To find out the compatibility of practice with the founding text of the values of the followers of the divine religions, I devoted a chapter in each part to explain the impact

of these values on them and their relations with the other. I finally closed the part by showing the spaces of similarity and contrast between Judaism, Christianity and Islam in these values.

The research was closed with a conclusion that included the most important findings.

### **Research Results**

The main findings of this research can be summarized as follows:

- The divine religions - with the difference between them - are different from philosophical theories, as they take from God a reference to knowledge, which produces a different view of these values as they deal with the various dimensions of human existence degrees.
- Since the purpose of creation is to carry out the succession, this gives a moral and spiritual dimension to human existence.
- The divine religions by combining between the theoretical and the existential dimension in the subject of values, sets the foundations of human beings to establish his identity and humanity.
- The involvement of the human factor in the formation of the Bible (the Torah), led to the existence of contradiction and grew to the extent of the absence of text values
- Therefore, we do not find in the Judaism a system of values with a progressive and comprehensive character, even if this does not deny the existence of some explicit texts and trends that carry a clear human dimension.
- The Bible was influenced by the circumstances of the diaspora and wars and the consequent intellectual and social effects. The writing of the New Testament was influenced by the different circumstances and stages of the Christianity. It passed through three stages: the First Christianity, the Mystery period, and the Reformist period, in which the founding text knew stages with different circumstances and origins, leading to the implicit theoretical tendency of the Christian religious thought.
- Therefore, despite the existence of a clear and deep human dimension in Christianity, it is difficult to talk about values and ethics in Christianity with progressive and comprehensive character due to the

contradiction in the religious text, which is embodied in practice in the history of Christianity

- The Qur'anic statement was progressive and comprehensive, and the values that he called for combined between the religious factor guarantor of its influence and mental persuasion and human purposes, because it was not affected by change and distortion, and the founding text is crucial and decisive in the determination of the humanity and universality of values and principles, as in the practical aspect of these values, Muslims have varied in the degree of comprehension of this discourse and the fulfillment of its dimensions and purposes, according to the intellectual and cultural situation in which they were.
- One of the most important obstacles that prevent the communication between members of the divine religions, and the operationalization of the principles and texts they share are the strategic and civil conflicts with the of moral and material urgent interests of these matters.

### **Recommendations**

To try to invest the results of critical studies of Western schools to highlight what combines monotheistic religions of beliefs and values.

The mastery of historical knowledge helps to reach a proper and correct assessment, therefore, the study of the subject of values in the context of political and civilizational practice in the history of religions is, in my opinion, important and necessary, and one of the topics worthy of research is "Human Trends in Islamic Philosophical Thought"